

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة ابن خلدون تيارت  
كلية الآداب واللغات والفنون  
قسم اللغة العربية وآدابها



# حضور البلاهة الجديدة في البلاغة العربية (قراءة مقارنة بين الآليات والإجراء)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

إشراف الأستاذ الدكتور:

- زروقي عبد القادر

إعداد الطالبة:

-بلعربي شهرزاد

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة ابن خلدون - تيارت	أستاذ التعليم العالي	أ.د. بوزيان أحمد
مشرفا و مقررا	جامعة ابن خلدون - تيارت	أستاذ التعليم العالي	أ.د. زروقي عبد القادر
مناقشة	جامعة سيدى بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عقاد قادة
مناقشة	جامعة بشار	أستاذ التعليم العالي	أ.د. إبراهيم عبد النور
مناقشة	جامعة ابن خلدون - تيارت	أستاذ محاضر "أ"	د. قوتال فضيلة
مناقشة	المؤتمر الجامعي تيسمسيلت	أستاذ محاضر "أ"	د. عطار خالد

السنة الجامعية

2018 / 2019 م



الله اکرم عزیز

مُقْتَلٌ مَتّ

### مقدمة:

شكلت البلاغة قديماً وحديثاً لاسيما بلاغة الحاجاج بؤرة النقائص المهتمين بالخطاب ووظائفه، حيث احتلت في الدراسات المعاصرة حيزاً هاماً، ذلك لأنّ الحاجاج من الموضوعات التي تركز على الخطاب والذي أضحت يشكل وسيلة في إيصال الأفكار، وتحقيق التوافق بين المخاطب والمستمع، فهو أداة فعالة في مناقشة الأفكار وتمريرها وتبييد الملابسات قصد الإقناع؛ أي حمل عقول المتلقين على الإذعان والتسلیم المبني على أساس منطقية، باعتماد آليات خطابية حاجاجية توجه إلى المستمع فتقنعه بالحجج العقلية أو باستعماله عواطفه وجذب اهتمامه.

بناء على ذلك أصبحت بلاغة الحاجاج مطلباً أساسياً تستدعيه التحولات التي يشهدها العالم المعاصر بفضل تكنولوجيا الاتصال والانفتاح الثقافي على العالم الرقمي المشحون ببطاقات مختلفة أفرزتها التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية بصفة عامة. لا مناط لذلك إلا للخطاب الحاججي بما يمتلكه من قدرات على ضبط الخطاب عامة من حيث إنتاجه وطاقته الفعالة في تسخير الآليات المتنوعة لإحداث التأثير، والإقناع. بهدف إعادة الاعتبار للبلاغة وتحقيق المطمح السامي في إنشاء البلاغة العامة التي تشمل جميع أنواع الخطاب في مختلف الثقافات الإنسانية.

إن بلاغة الحاجاج تهدف إلى الإقناع، وإن آلياتها وطريقة توظيفها تمكّنها من أن تحتوي كل الخطابات، مهما كان موضوعها ومهما كانت وجهتها، فهي تستمد خصائصها وقيمتها الحاجاجية من كل حقل تعلم في إطاره، في المقابل يمنحها القدرة للتأثير فيه، من هنا فإن النظرية الحاجاجية عرفت تطورات كثيرة وتفريعات عده، لكن تبقى بلاغة "بيرمان" هي الحقل الأول الذي وضع بلاغة الحاجاج بذرتها الأولى وترعرعت ونمّت فيه ، ومهما تطورت واتسعت النظريات الحاجاجية إلا أنها تبقى تدين بلاغة "بيرمان" في أساس وتكوينات بنائها، لذا قيدنا دراستنا لموضوع البلاغة الجديدة في حدود بلاغة "بيرمان"، حتى نتمكن من أن نستوفي عناصر بلاغة الحاجاج في المنجز البلاغي العربي "القديم، والعاصر".

إن هذا الطموح في تعليم البلاغة الحاجاجية وجعلها تأخذ الصدارة في مقاربات الخطاب امتد أفقه للبلاغة العربية المعاصرة منذ أن التقت بالبلاغة الجديدة في أصلها الأول الغربي ، إذ تكون لديها الوعي التام بأهمية بلاغة الحاجاج في الرفع من مستويات الخطاب وانتقال البلاغة من قيود التقعيد

## مقدمة

---

الذي مورس عليها زمنا طويلاً بعد "السكاكيني" إلى بلاغة جديدة تشغل إمبراطورية كبيرة تضم جميع عناصر الخطاب وأنواعه المختلفة وكذا أنماطه، هدفها الإقناع والتأثير وكشف المغالطات وتدبير الاختلاف وتصحيح الأخطاء وتمرير الأفكار في جو يعمه الاستدلال العقلي الصحيح الهادئ الرزين.

إن بلاغة الحاجاج رغم أنها استهانت البلاغة العربية المعاصرة إلا أنها تصادمت مع عدد من الإشكاليات أثناء الالتقاء بها، أهمها قابلية خصائص البلاغة العربية في استيعاب الآليات الحاجاجية وكيفية التفاعل معها، في ظل التراث البلاغي العربي الراهن الذي لا يمكن لأي باحث عربي إغفاله أو بمحنته لما يمده هذا الأخير من مقومات بلاغية تدخل جلها في صميم الحاجاج، إن هذا البعد التصادمي، شكل نقطة اختيار هذا البحث ، فحاولنا الإحاطة بالجوانب المتعددة التي تمحضت عن اتصال البلاغة العربية المعاصرة بالبلاغة الجديدة الغربية التي تعود أصولها لخطابة "أرسسطو" ، وباعتبار أنها بلاغة وافية عن الغرب فهي تحمل الكثير من المعطيات التي قد تختلف وقد تتفق مع نظيرتها العربية، مما فرض علينا قراءة التراث البلاغي اليوناني لفهم البلاغة الغربية الجديدة هذا من جهة، ومن جهة أخرى قراءة التراث البلاغي العربي والوقوف على الآليات الحاجاجية التي سبق للبلاغة العربية القديمة دراستها واستثمارها وربطها بأثرها الإقناعي، ومن كل هذا أمكننا استقراء البلاغة العربية المعاصرة وكيفية تشغيلها للآليات الحاجاجية. مركزين في كل ذلك على تمسكها ببلاغة الحاجاج عند "بيرمان".

بالإضافة لهذا السبب الرئيسي هناك أسباب أخرى شكلت حافزاً قوياً في خوض هذه الدراسة، إذ له علاقة مباشرة بموضوع الماجستير تحديداً - الذي عالجت فيه آلية "الاستدلال" وهي من آليات التخاطب الحاججي؛ بل من بين أهم الآليات التي ترتكز عليها البلاغة الجديدة، و التي ترفعها إلى مصاف العلوم الإنسانية العالمية، إضافة إلى أن البلاغة الجديدة أصبحت من الموضوعات البلاغية الأكثر اهتماماً من قبل المختصين "بلغيين ونقاد" العرب معاصرین، إذ احتلت صدارة موضوعاً هم سواء على المستوى الأكاديمي مثل البحوث، الرسائل الجامعية، المحادير والملتقيات، أو على مستوى الإنتاج البلاغي مثل: عناوين الكتب ومقالات المجلات العلمية.

بهذا تأتي قراءتنا المتواضعة مصاحبة ومدعمة بقراءات نقدية بلاغية عربية جليلة تطلع إلى الإحاطة بالإنتاج البلاغي العربي، سعياً منها إلى خدمة الدرس البلاغي العربي والرفع من مستوى بربطه

## مقدمة

---

بالبلاغة الجديدة، فهناك بعض المختصين الذين ركزوا دراساتهم على موضوع الحاجج وأولوه عناية خاصة، نذكر أبرزهم "د: محمد العمري" إذ يعتبر من أهم رواد الفكر البلاغي في العالم العربي الذي سعى على مدار عقدين من الزمن أن يؤسس مدرسة عربية بلاغية معاصرة تجمع بين الموروث البلاغي العربي وبين البلاغة الغربية الوافدة، تكشف عن ذلك أهم مؤلفاته "البلاغة العربية أصولها وامتدادها"، "في بلاغة الخطاب الإقناعي"، "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، "أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة"، "دائرة الحوار ومزالق العنف"، وغيرها من المؤلفات، والعديد من المقالات التي رسمت منذ البداية منحى جديدا، فتح أفق الأبحاث في بلاغة الحاجج، وقد حاولا كل من "محمد سالم محمد الأمين الطلبة"، في "الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر" وكذا "د: حسين بنو هاشم، في مؤلفيه "نظريّة الحجاج عند شايم بيرمان"، "بلاغة الحاجج الأصول اليونانية" رصد جوانب من محطات مختلفة للبلاغة الجديدة، فمن خلال هذه القراءات تراءى لنا موضوع بحثنا، وهو أن نعيد تتبع مسار بلاغة الحاجج عبر مسارها الطويل وإعادة طرح السؤال من جديد، الذي يبحث في البدایات ويقف على المنجزات ويستكشف نقاط الاتفاق والاختلاف.

ما لا شك فيه لقيت هذه الدراسة صعوبات، والتي من أبرزها صعوبة حصر بلاغة الحاجج عند "بيرمان" بعد التطور الذي شهدته هذه البلاغة منذ نشأتها، لكون بلاغة الحاجج عند "بيرمان" حقول تداخل في تكوينه عدة حقول معرفية منها: الفلسفة، المنطق، علم النفس. ومن ثم صعوبة العمل على تكيفها مع البلاغة العربية عامة، خاصة أن البلاغة العربية، هي الأخرى تمت عبر زمن طويل تعاقبت على مدارها عدة مستجدات، ساهمت في تكوين إنتاج علمي، لغوي حافل بعده منجزات بلاغية كان لها الأثر الواضح في التحولات التي عرفتها البلاغة العربية، وكذلك الاضطراب المنهجي الذي تعانى منه البلاغة العربية القديمة الذي زاد من صعوبة المهمة.

أضف إلى ذلك أن بلاغة "بيرمان" في أغلب المنجز البلاغي العربي المعاصرة لا تقتصر عليها دراسة واحدة، إذ بحد حقولا بلاغية أخرى تشاركتها البحث والدراسة، وفي الحقيقة أن هذا الأمر فرض على البلاغة العربية المعاصرة فرضا، لأن هذا التداخل موجود في أصل بلاغة الحاجج عند الغرب وكذا لأن الحقول البلاغية الجديدة هي تفريعات وإفرازات عن بلاغة الحاجج عند "بيرمان"، لكن ما ألمتنا به بحثنا من ضرورة التقييد ببلاغة "بيرمان" هو الذي خلق لنا هذه الصعوبة في الضبط والتبييح.

## مقدمة

---

من هذا المنطلق تبلورت إشكالية بحثنا كالتالي:  
ما مدى علاقة البلاغة الغربية المعاصرة "البلاغة الجديدة" بالبلاغة العربية "القديمة"  
والمعاصرة؟

طرح هذه الإشكالية عدداً من الأسئلة، استوقفتنا أثناء البحث ففرضت نفسها بإلحاح تنتظر  
أن تجد إجابات لها من خلال هذه القراءة المقارنة أهمها:

- 1- كيف تضرب جذور نظرية الحجاج في التاريخ اليوناني وما تداعيات ارتقائها وانحطاطها؟
- 2- ما هي المفاهيم والأسس التي قامت عليها البلاغة الجديدة بعد بعثها من جديد على يد مؤسسها "بيرمان"؟
- 3- ما هي ملامح آليات نظرية الحجاج في الدرس البلاغي التراثي العربي، وما هي الدوافع اهتمام البلاغيين العرب بالآليات الحجاجية؟
- 4- هل ثقافة الخطاب الحجاجي متصلة في الثقافة العربية، أم أنها ثقافة جديدة اكتسبتها البلاغة العربية من خلال تطورها وامتزاجها بالثقافات الوافدة إلى الفكر العربي الإسلامي خاصة الخطابة اليونانية؟.
- 5- كيف استطاع البلاغيون العرب توظيف آليات الحجاج وتفعيتها في الخطاب البلاغي العربي؟
- 6- ما هي مميزات الخطاب الحجاجي العربي القديم وما هي القواسم المشتركة بينه وبين خصائص البلاغة الجديدة؟
- 7- ما موقع البلاغة الغربية المعاصرة من البلاغة الجديدة فهو موقع تصدام، أم تفاعل وتجديد؟
- 8- ما هي آفاق البحث البلاغي العربي المعاصر في ظل بلاغة الحجاج؟  
للإجابة على هذه التساؤلات قسمنا البحث إلى مدخل وثلاثة فصول:

تناولنا في المدخل الموسوم بـ "الجذور اليونانية للبلاغة الجديدة" طبيعة الفكر اليوناني الذي صنعته ظروف التحرر والديمقراطية وحب السلطة وأثر ذلك في نشأة وتطور وسائل إنتاج الخطاب

## مقدمة

---

ومحاولة تقنيتها على يد أرسطو إلى غاية مرحلة تدهور البلاغة في الفكر الغربي، بعد انغلاق الفكر التحرري واحتزاز البلاغة في الزخرف اللغظي.

أما الفصل الأول المعنون بـ "البلاغة الجديدة عند بيرلان" المفهوم والبناء فطرحنا فيه أهم المفاهيم التي قامت عليها البلاغة الجديدة، على مائدة البحث من خلال استقراء مكوناتها الرئيسية وآليات اشتغالها وبنائها وطريقة توظيفها وأهم خصائصها ومقوماتها وكيفية تفاعಲها مع الحقول المعرفية الأخرى، ففي البحث الأول منه: تم الوقوف على العوامل المساهمة في عودة بلاغة الحاجاج إلى المشهد البلاغي الخطابي وكيفية تربعها على أنظمة الخطاب الأكثر تداولاً وتأثيراً في العالم المعاصر، أما في البحث الثاني ركزنا بحثنا على بلاغة الحاجاج عند "بيرلان" وما هي الدوافع التي قادته إلى الاهتمام ببلاغة الحاجاج فشكلت لديه المنطلقات والأسس، لنصل في البحث الثالث: الذي يخصص لاستقراء الآليات الحجاجية عند "بيرلان".

في الفصل الثاني المعنون "حضور آليات الحاجاج في التراث البلاغي العربي" استدعت الدراسة فيه أن نقسمه إلى ثلاثة مباحث رئيسية، ففي البحث الأول: ألقينا نظرة على المشهد البلاغي العربي القديم عامة من ناحية دوافع نشأة وتطور دراسة البلاغة العربية ومحاولات الربط بين هذه الدوافع وبين الملامح الحجاجية في التراث البلاغي العربي، وانتقلنا في البحث الثاني: إلى دراسة أهم مميزات الفكر الحاججي في التراث البلاغي العربي من خلال محاولة إلقاء الضوء على المقومات الحجاجية التي مثلت سبقاً عربياً في هذه المجال، فقد كانت محوراً رئيسياً وشرطياً من شروط إنتاج الخطاب البلاغي كالحضور المعرفي والأخلاقي للخطيب ومن جانب آخر إعطاء موقع خاص لحال المستمع في توجيهه الكلام، ولا يمكن تجاهل أهمية المقام في إنتاج الخطاب وأثره في الإقناع أما في البحث الثالث: فحاولنا البحث عن أهم تظاهرات الآليات الحجاجية في البلاغة العربية القديمة، لأنواع الحجج خاصة الاستعارة بفضل الدور الإقناعي المهم الذي أولته البلاغة العربية لها، مع تفسير حضور هذه الآليات دون غيرها في البلاغة العربية القديمة.

في الفصل الثالث المعنون بـ "موقع البلاغة العربية المعاصرة من البلاغة الجديدة" يمكن القول أنه أتى محاولة لاستقراء البلاغة العربية المعاصرة من خلال الوقوف على عوامل التأثير ببلاغة الحاجاج من جهة، ومن جهة أخرى ما الذي استطاعت البلاغة العربية المعاصرة أن تحافظ به لنفسها من التراث

## مقدمة

---

البلاغي العربي وتدعى به مسارها الحداثي التطوري، وتصنع بذلك بلاغة جديدة عربية لها مميزاتها العربية العريقة مع إمكانية التوافق ومقتضيات العصرنة والعلمة، لذا استدعي هذا الفصل تقسيمه إلى ثلاثة مباحث أولها: تلقي البلاغة العربية المعاصرة بلاغة الحاجاج فطرقنا إلى أهم إشكالية تعانى منها كل النظريات الغربية الوافدة إليها وهي المشكل الاصطلاحى والوقوف على أهم المنجزات المترجمة أو القرائية التي كان لها دور كبير في تقرير بلاغة الحاجاج من القارئ العربي عامه والباحث في المجال البلاغي المعاصر خاصة، أما في البحث الثاني تطرقنا إلى نماذج من المنجزات البلاغية التي تناولت بعضًا من الخطاب العربي تناولنا تطبيقاً للآليات الحاجاجية، وقد وقينا على نماذج تطبيق بعض الآليات، محاولةً منا لمعرفة كيفية استثمار هذه الآليات مع محاولة إثبات حاجاجية هذه الخطابات المختارة للدراسة، أما في البحث الثالث: تطرقنا إلى الاتجاه البلاغي المعاصر الذي حاول تحديد الدرس البلاغي العربي من خلال بلاغة الحاجاج، وعملية استيعاب مكوناته إلى جانب الاستفادة من التراث البلاغي العربي، تطبيقاً أو تنظيراً.

تفرض طبيعة الموضوع على الباحث أن يشتغل على المنهج المقارن، لكن قد يلجأ الباحث في بعض محطات البحث إلى الاستعانة ببعض المنهجات البحثية الأخرى مثل الوصف أو المنهج التاريخي خاصة في إطار تتبع أهم مراحل نشأة الخطابة وتطورها وإلى مرحلة انبعاثها من جديد، كما أن القراءة التحليلية كانت المقاربة الأمثل في استجلاء آليات الحاجاج ومدى اكتساحها الساحة البلاغية العربية القديمة والمعاصرة على حد سواء.

انتهت بنا خاتمة هذا البحث إلى استنتاج نتائج هامة قد تضيء جوانب مظلمة من المشهد البلاغي العربي، بحيث تجيز عن الأسئلة التي تدور حولها هذا البحث، ومنها: أنّ بلاغة الحاجاج كانت تشكل جزءاً هاماً من البلاغة العربية القديمة، وأنّ الآليات الحاجاجية كان لها حضور واضح من الناحية الإجرائية التطبيقية بجميع إشكاليتها وصورها، لكن من الناحية النظرية فإنه لم تفرد له دراسة خاصة، وأنّ البلاغة العربية المعاصرة أفادت كثيراً من البلاغة الجديدة "بلاغة بيرمان" وهذا بالتجديد في المفاهيم وتحديد المنهج وطريقة توظيف الأدوات، وبفضلها تمكنت من فهم الفكر البلاغي التراثي فهما عميقاً، من خلال قراءة جديدة للبلاغة العربية، تلقي الضوء على الناحي الحاجاجية في البلاغة التراثية. التي كانت محور نشأة البلاغة العربية وأداة حركة انبثقت منها التحولات الفكرية التي عرفتها البلاغة العربية القديمة خلال مسارها التاريخي.

## مقدمة

---

وما ساعدني في هذا البحث الاستعana بمجموعة من المصادر أهمها: البيان والتبيين" و "الحيوان" للجاحظ، الصناعتين "لل العسكرية"، البرهان في وجوه البيان "لابن وهب"، الشعر والشعراء "لابن قتيبة" ، "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" للحرجاني، أما المراجع فأذكر منها: التكثير العقلي لطه عبد الرحمن، "بلاغة الخطاب الإقناعي" والبلاغة العربية أصول وامتدادات" محمد العمري، الحاج في البلاغة المعاصرة" محمد سالم الأمين طلبة. ولا ننسى ذكر كتاب "بيرلان" و "تيتيكا" "مصنف في الحاج" الذي كان محل تركيز دراسة بحثنا التي كانت حول "بلاغة" "بيرلان".

ختاماً نقدم الشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث المتواضع من قريب أو من بعيد شخص بالذكر الأستاذ المشرف د. "عبد القادر زروقي" الذي لم يدخل بتقاديم النصائح والإرشادات القيمة التي ساعدت على توجيه هذا البحث الوجهة الصحيحة ، ونشكر السادة أعضاء اللجنة مسبقاً على تصويب هذا البحث المتواضع.

# المدخل

الجذور اليونانية للبلاغة الجديدة

لكي نتبين الأصول المعرفية للبلاغة الجديدة لابد لنا أن نقوم بقراءة لتاريخ الفكر الإنساني انطلاقا من الفكر اليوناني مرورا بمرحلة تدهور البلاغة في الفكر الغربي وصولا إلى اباعتها من جديد. العودة إلى تلك الأصول يمكننا من ملامسة مختلف ظروف تطورها والوقوف على أهم الإشكاليات التي أعطت عنابة خاصة للبلاغة، فمعرفة تلك العنابة تكشف لنا تطور مفهوم البلاغة من جهة وتعيد تقويم وظيفتها عبر مسارها التاريخي من جهة أخرى وما لا شك فيه "أن البلاغة تقلبت خلال لحظاتها التاريخية بين تحديات مختلفة ومتعارضة في كثير من الأحيان، فقد صادفت بدايات التعقيد لها عند اليونان نهاية مرحلة فقدان الآلهة الإغريقية مشروعيتها التأويلية في تفسير الظواهر الطبيعية"<sup>(1)</sup> فالبحث في البلاغة يحيلنا دائما إلى الكلام عن البلاغة اليونانية فهي الجذوة التي وقدت منها البلاغة الغربية أو ما يعرف بالبلاغة الجديدة حاليا.

تفق المصادر التاريخية أن الحاجة هي التي دفعت باليونانيين إلى اختراع فن الخطابة وهي " فن الدفاع عن النفس بالمحاجة في وضعيات حيث البرهان غير ممكن، الأمر الذي يفرض عليها أن تعمل بـ(مفاهيم مشتركة)، وليس آراء عامة مبتدلة، بل التي يمكن واحداً واحداً من الناس أن يجدوها بحسه السليم، في مجال حيث لا شيء سيكون أقل علمية"<sup>(2)</sup> فالحاجة هي التي حددت العوامل التي ساهمت في نشأتها، حيث أن الخطابة نشأت كوسيلة لدفاع في بداية عهدها ثم تطورت وظيفتها لتصبح مهارة تكتسب بالتعلم والدربة لتصبح أداة فاعلة لمن يتلقنها.

### 1- البلاغة في الفكر اليوناني القديم:

#### 1-1- ظروف النشأة والمبررات:

بعد استقرار الفكر اليوناني يتبيّن لنا أول ما دفع باليونانيين إلى السعي وراء تعلم البلاغة هي الظروف السياسية وإن اختللت المبررات "عندما انتقل المجتمع الأثيني من طابع زراعي إقطاعي مرتبط بالقبيلة إلى مجتمع تجاري يهتم بتطوير الصناعات، وتنمية الحرف، والاعتماد على الكفاءة الفردية والمبادرة الحرة. وأصبح المجتمع في ظل صعود هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة (رجال التجارة وأرباب

1- أمينة الدهري، الحاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، المدارس شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2011م، ص: 04.

2- رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ت: عمر أركون، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، س2011م، ص: 55.

الصناعات) مجتمعاً ديمقراطياً، يستند إلى حرية التعبير، والاحتكام إلى المجالس الانتخابية، و التصويت بالأغلبية. ولم يعد هناك ما يسمى بالحكم الوراثي أو التفويض الإلهي، بل أصبح المواطن الحر له الحق الكامل في الوصول إلى أعلى مراتب السلطة لذلك، سارع أبناء الأغنياء إلى تعلم فن الخطابة والجدل السياسي لإفحام خصومهم السياسيين<sup>1</sup> فالديمقراطية تعتبر من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الجدل خاصة الجدل القضائي ثم السياسي ونشأ عن ذلك ضرورة الاهتمام بدراسة البلاغة لتحقيق الجدل بغية تطوير الخطابة.

هذا ما يفسر ارتباط مفهوم الخطابة بالبلاغة؛ لأن الخطابة لا تقوم إلاً عليها من جهة ومن جهة أخرى ارتبط مفهوم الخطابة بالحجاج، فهو "جنس خاص من الخطاب ، يبني على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيه المتكلم دعوه مدعومة بالтирيرات عبر سلسلة من الأقوال المتراطة ترابطها منطقياً، قاصداً إلى إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"<sup>2</sup> معتمداً الخطيب على تقنيات استدلالية تفضي على الخطاب ثوب المصداقية التي هي أداة من أدوات الإقناع.

غاية الخطابة اليونانية تمثلت في إيصال قناعات إلى المتلقى، لكن ذلك لا يتّأتى إلاً عن طريق حجج دامجة وبراهين قوية لذا "نظرت البلاغة التقليدية إلى الحجاج كمكون من مكونات الخطاب، يتشكل حسب تشكّله وتتغيّر وظائفه وطرقه الاستدلالية بتغييره"<sup>3</sup> من هنا يتضح لنا أن كل من البلاغة والخطابة والحجاج وكذا الجدل مفاهيم تفاعلـت مع بعضها البعض لتشكيل جهاز مفهومي متكمـل للخطابة اليونانية . التي هي أصل البلاغة الجديدة.

### 1- نشأة الخطابة في أحضان القضاء:

الخطابة لم تنشأ في أثينا إنما في صقلية اليونانية، حوالي 465ق م بعد طرد الطغاة les tyrains، ثم إن أصلها ليس أديباً إنما قضايا، فالمواطنون الذين نهبهم الطغاة، طالبوا بثرواتهم، ثم أعقـبت الحرب المدنـية العـديد من التـركـعـات القـضـائـية، وقد وجـبـ في عـصـرـ حيث لا يوجد محـامـونـ أنـ

<sup>1</sup>- جمـيلـ حـمـادـويـ، منـ الحـجاجـ إـلـىـ الـبـلـاغـةـ الـجـدـيدـةـ، إـفـريـقيـاـ الشـرقـ، (دـ، طـ)، سـ: 2014ـ، صـ: 13ـ

<sup>2</sup>- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب، القاهرة، ط:01، س:2005، ص:189.

<sup>3</sup>- دـ: محمد طـروسـ النـظـرـيـةـ الـحـجاجـيـةـ مـنـ خـلـالـ الـدـرـاسـاتـ الـبـلـاغـيـةـ وـالـمـنـطقـيـةـ وـالـلـسـانـيـةـ، دـارـ الـفـقـافـةـ الدـارـ الـبـيـضاـءـ، طـ1ـ، سـ: 2005ـ، صـ: 14ـ.

يمنح المترافقون وسيلة الدفاع عن قضيتهم<sup>(1)</sup> وهذا الدفاع يستند على حجج مقنعة ولا يتأتى ذلك إلا بالكلمة حيث تكون الكلمة هي السلاح الوحيد الذي يدافع به الخطيب على آرائه قاصداً التأثير باستعمال العواطف أو عن طريق الحجة المقنعة، فأدى هذا إلى ضرورة الإبداع مع وجود قواعد تحكم هذا الإبداع.

المُدفَّعُ الأَسَاسِيُّ مِنَ الْخُطُبَةِ عِنْدَ الْيُونَانِ فِي بَدَايَةِ عَهْدِهَا هُوَ نُشُرُ وَسَائِلُ الْإِقْنَاعِ وَهِيَ تَعْتَمِدُ عَلَى الْفَيْضِ الْوَجْدَانِيِّ أَيْ "الْقَدْرَةِ عَلَى النَّظَرِ فِي كُلِّ مَا يَصْلِي إِلَى الْإِقْنَاعِ فِي أَيَّةٍ مُسَأَّلَةٍ مِنَ الْمَسَائِلِ"<sup>(2)</sup> لَذَا لَابِدُ لِلْخَطِيبِ أَنْ يَكُونَ مُتَضَلِّعاً فِي مَعْرِفَةِ وَسَائِلِ الْإِقْنَاعِ وَامْتِلاَكِهِ فَنِيَاتٍ يَسْتَعْمِلُهَا حَسْبَ مَقْتَضَى الْحَالِ "إِنَّمَا لَمْ تَعْدْ مَكْوَنَةُ فَقْطَ كَمَوْضِعِ تَعْلِيمِيِّ، وَلَكِنَّهَا تَصْبِيرُ فَنَّا" (عَنْ الْحَدِيثِ)، فَهِيَ تَتَحَوَّلُ مِنَ الْآنِ فَصَاعِدًا إِلَى نَظَرِيَّةِ الْكِتَابَةِ وَكَثُرَ لِأَشْكَالِ الْأَدْبَارِ فِي الْآنِ نَفْسَهِ<sup>(3)</sup> ، هَذَا الْفَنُ لَمْ يَكُنْ مَتَاحًا لِلْجَمِيعِ بَيْنَمَا هُوَ فِي يَدِ الْبَلِيجِ فَهُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي يُمْكِنُهُ أَنْ يَطْرُحْ فَكْرَتَهُ بِوَضْوِحٍ وَيَعْمَلُ عَلَى إِيصالِهَا بِالْوَجْهِ الَّذِي يَرِيدُهُ وَيَتَبَيَّنُ الدِّفَاعُ عَنْهَا مَهْمَّا كَانَتْ حَقِيقَةً أَوْ زَيفًا.

هَذِهِ الْأَحْدَاثُ الْمُتَصَاعِدَةُ سَاهَمَتْ فِي ظَهُورِ الْخُطَابَةِ الْمَاسِّةِ إِلَى تَعْلِمِ الْخُطَابَةِ بَعْدِ الثُّورَاتِ الشَّعْبِيَّةِ الَّتِي عَرَفَتُهَا مُخْتَلِفُ مَدَنِ الْيُونَانِ فِي تِلْكَ الْفَتَرَةِ خَاصَّةً لَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَحَالِسُ الْقَضَائِيَّةُ تَقَامُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، بِلَا شَكَّ أَمَامُ مَحَافِلِ قَضَائِيَّةٍ شَعْبِيَّةٍ فَقَدْ شَكَّلَتْ بِذَلِكَ الْخُطَابَةِ فَنَّ الْدِيمُقْرَاطِيَّةِ بِامْتِيازٍ<sup>(4)</sup> هَذِهِ الْدِيمُقْرَاطِيَّةِ أَتَاهَا لِلْمُوَاطِنِ الْيُونَانِيِّ فَرْصَةُ الْمَطَالِبِ بِحَقْوَقِهِ الْمُسْلُوَبَةِ إِبَانِ الْحُكْمِ الْإِسْتِبِدَادِيِّ، خَاصَّةً تِلْكَ الْمُتَعَلَّقَةِ بِعِلْكَيَّةِ الْأَرْضِ، وَهَذِهِ الْحُقُوقُ لَا يَمْكُنُ اسْتِرْجَاعُهَا إِلَّا إِذَا تَمَّ إِثْبَاتُهَا مِنْ قَبْلِ الْمُدْعِيِّ فَلَقَدْ "كَانَ عَلَى الْمُدْعِيِّ أَنْ يَثْبِتْ حَقَّهُ بِوَاسْطَةِ مَرَافِعَةٍ يَلْقِيَهَا بِنَفْسِهِ، قَادِرَةٌ عَلَى إِقْنَاعِ هَيَّةِ الْخَلَفِينِ، لَيْسَ فَقَطَ بِصَحةِ دَعْوَاهُ، بَلْ كَذَلِكَ بِفَسَادِ دَعْوَى الْخَصْمِ؛ لَأَنْ هَنَاكَ خَصِّمًا مُتَشَبِّثًا، هُوَ الْآخَرُ، بَدْعَوَاهُ، وَيَدَعُوَهُ عَنْهَا

<sup>1</sup> - أوليفيسي روبيول مدخل إلى الخطابة، ت: رضوان العصبة، إفريقيا الشرق، (د.ط)، س: 2017، ص: 30.

<sup>2</sup> - عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، (د.ط)، 1999م، ص: 235.

<sup>3</sup> - رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ت: عمر أركون، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، س2011م، ص: 43.

<sup>4</sup> - Voir : Jean-Jacques robirieux, Rhétoriques et argumentation, Armand colin 3édition, p17

بكل ما أُتي من قدرات على الإقناع<sup>1</sup> أهم هذه القدرات تمثلت في قوة الكلمة التي تمنح للخطاب السلطة ووسيلة لصناعة الإقناع بل لها الأولوية في تمكين الخطيب من تنسيق الأقوال وإخراجها.

بهذا تعد اللغة هي مادة الخطابة وأهم وسائلها، لأنما الفضاء الذي يتم به التواصل بين الخطيب والمستمع وعلى أساسها يحصل الإقناع.

يعد الخطيب اليوناني "ديموسيتين" أبرز خطباء هذه الفترة الذين تعلموا الخطابة وبرعوا فيها من أجل استرجاع حقوقه، "ولد عام 348 ق.م... توفي عام 391 ق.م تاركا وراءه ثروة تقاسمها أولياء والده، وحين شب، اضطر للمرافعة ضدّهم ليحصل قسما من أرزاقه، مما استوجب إتقان الفصاحة، وراح يكمل خطيبا عن سواه، في أمور خاصة وشئون سياسية، حتى وصل إلى منصة الجمعية العامة، ويروي قصص مشبوهة حول الطرق التي تعلم فيها الخطابة، لكن الثابت أن خطباته كانت عكس استسهال الكلام، نجمت عن مجهد قوي قام به<sup>(2)</sup>، هذه البراعة في الكلام لم يبق أثراها مقتضرا على الأفراد أو بعض طبقات المجتمع دون غيرها إنما كان لها أثر بالغ على جميع أفرد المجتمع الأثيني على امتداد فترة زمنية طويلة.

في خضم هذه المسارح القضائية أين كانت تمثل الخطابة الأداة الفاعلة في استرجاع الحقوق، كان هناك صراع من نوع آخر سياسي حول السلطة بعد القضاء على الأنظمة المستبدة وإرساء دعائم الديمقراطية وانتشار التحرر الفكري الذي ساعد على تطوير الخطابة، "فاليونان لما نالت حرية الفكر والقول، تعددت فيها الآراء السياسية وتعددت المناظرات والمحافل الخطابية، فظهر كبار الخطباء، وعرفت الخطابة رقياً إبداعياً وتنظيراً"<sup>(3)</sup> فانتشر بفعل ذلك الجدل وتنوعت فنون الخطاب.

بما أن الجدل وفنون الخطاب اكتسبت هذه الأهمية في عهد الانفتاح الديمقراطي اليوناني جعل الناس يتهاfتون على طلب الخطابة خاصة الطبقة الارستقراطية، "إن هؤلاء كانوا على وعي مسبق بأنّ (امتلاك التأثير في طرف آخر) لم يكن مما يستأثر به العقل لأنّ الكائن الإنساني متشكّل كذلك من الأحساس. لهذا الغرض ومنذ ذلك العصر وقع التفريق بين ما كان يرتبط بخاصص البرهنة (ratio

<sup>1</sup>- الحسين بنو هاشم، بـلاغة الحاج الأصول اليونانية، الكتاب الجديد، ط1، مارس 2014، ص:38.

<sup>2</sup>- فرنير روبي، الأدب اليوناني، ت:هنري زغيب، منشورات العويدات، بيروت باريس، ط:1، س 1983، ص:124.

<sup>3</sup>- عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين، ص:220.

التي كان يجب أن تطابقها آلية استدلال قابلة لـ(قول الحق) وبين ما كان يرتبط بـ(تفاعل النفوس) والذي كان يجب أن تطابقه آلية تعبيرية قابلة لـ(أن تؤثر وتحلّب) اهتمام طائفة من السامعين . ومنذ ذلك الحين حصل تفريق سيظل قائماً على امتداد هذا التاريخ للحجاج بين ما ينتمي إلى البرهنة التي تُستخرج من إفرازات النفسية الإنسانية من ناحية، وبين ما ينتمي إلى الإقناع والذي يقاس بطاقة التأثير في طرف آخر من خلال حركات المؤثر<sup>1</sup> لما كان الطموح السياسي مسيطرًا على الأذهان عندها ظهر ما سمي بالسفسطائيين.

### 1-3- بلاغة الخطاب عند السفسطائيين :

#### احترافية تعليم الخطابة:

توحدت المدن اليونانية كإمبراطورية بعد انتهاء حروبها مع الفرس وسادتها موجة من الثورات الشعبية قامت على إثر تلك النهضة في جميع الميا狄ن لكن هذه النهضة دفعت الجيل الناشئ لتخلي عن كل مبادئ وعقائد السائدة حينئذ، بحجة أنها تقييد العقل في هذه الظروف نشأت جماعة السفسطائيين حوالي عام 490 - ق. م حين كانت الفلسفة اليونانية في عز ازدهارها.<sup>(2)</sup>

إن كانت الخطابة اليونانية نشأت في كتف الحالس القضائية فإن للسياسة دور بارز في تطوير الخطابة وإرساء قواعدها حينما بلغت الديموقratية اليونانية أزهى عصورها ،"وكان للسياسي الديمقراطي من أن يتصرف بالقدرة على الجدل والمناقشة، ومنازلة الخصوم والدفاع عن الآراء صحيحة من كاذبها، وأحس السفسطائيون أنهم أجدر بتعليم هذه الصناعة، فتولوا مهمة تدريب الشباب على الجدل لإعدادهم للعمل السياسي"<sup>3</sup> فالسفسطائية حركة فكرية نمت وقويت خلال القرن الخامس ق.م.

<sup>1</sup>- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ت: أحمد الودري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، س 2009، ط 1، ص: 7.

<sup>2</sup>- ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف د: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس، (د، ط)، (د، تا)، ص: 50، 54.

<sup>3</sup>- د: خالد حربى، الفكر الفلسفى اليونانى وأثره فى الفكر الإسلامى، المكتب الجامعى الحديث الإسكندرية، (د، ط)، س 2010، نقلًا عن د: محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفى، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د، ط)، س 1994، ص: 63.

كلمة سوفيستاس<sup>1</sup> في الأصل لقب تقديرى، هي تعنى في معناها الاشتقاقي الحكيم والرجل ذو الكفاءة المتميزة في كل شيء<sup>1</sup>، أي كل شخص يحسن استخدام الكلام وهذا ما كان معناها في البداية قبل أن تأخذ المعنى المتخصص الذي أصبح متداولاً، وهو الشخص الذي يجادل ويضلل كل شيء، أي يسعى إلى تحوير الحقيقة.

باعتبار أن علم البلاغة هو مادة فن الخطابة فإن السوفسطائيين هم من أسسوا صناعة البيان ويرجع إليهم الفضل الأول في تحديد معالمه؛ لأن القول هو الذي يعتمد هؤلاء في حماوراهم إذا كان قوياً بليغاً صحيحاً أفحى الخصم، وبالتالي وجهوا جهودهم وعنايتهم باللغة وأولوا عنابة خاصة بعبادئ النقد العقلي حيث اعتمدوا على المناهج العلمية في دراسة اللغة وفروعها "وبذلو قصارى جهدهم في تعليم الجدل وتخريج تلاميذ يحذقونه وبرعوا في إبراد الحجج الخلاية في مختلف الموضوعات وأتقنوا طرق التأثير الخطابي واعتمدوا في ذلك على الاهتمام بالألفاظ ومدلولاتها والمغالطة وأساليبها والحجج وشروطها ولما ذاع صيتها هرع إليهم الشباب يستمعون إلى خطبهم وينهلون من علمهم"<sup>2</sup> حيث أثمنهم خاضوا في جميع المسائل الفلسفية حتى القضايا الخطيرة والمهمة منها، كما استعملوا أغاليط القياس لإثارة العواطف وحمل المستمع على الاقتناع.

فكانـت لـلـفلـسـفة اليـونـانـية عـلـى أـيـديـيـ السـوفـسـطـائـيـينـ اـبـعـاثـ جـدـيدـ، "إـذـ ظـهـرـ تـيـارـ جـدـيدـ فـيـ الفـكـرـ عـنـ الـيـونـانـ وـهـوـ تـحـولـ كـانـ يـؤـذـنـ بـظـهـورـ التـرـعـةـ النـقـدـيـةـ الـيـ تـزـعـمـهـاـ السـوفـسـطـائـيـونـ sophistsـ عـنـ جـدارـةـ، فـقـدـ وـجـهـوـاـ النـظـرـةـ إـلـىـ إـلـيـانـ وـإـلـىـ مـعـرـفـتـهـ، بـعـدـ أـنـ كـانـ نـظـرـ الـفـلـاسـفـةـ مـوـجـهـاـ إـلـىـ المـوـضـوـعـ الـخـارـجـيـ".<sup>3</sup> نـتـجـ عـنـ تـلـكـ الـفـتـرـةـ صـرـاعـ بـيـنـ الـفـيـلـسـوـفـ وـالـسـفـسـطـائـيـ وـهـوـ صـرـاعـ حـوـلـ الـتـصـورـاتـ وـالـقـيـمـ وـبـيـنـ الـقـوـلـ وـالـوـجـوـدـ وـعـلـاقـةـ إـلـيـانـ بـإـلـيـانـ.

من هنا يتجلـى دورـ السـوفـسـطـائـيـنـ الـكـبـيرـ فـيـ اـزـدـهـارـ فـنـ الـخـطـابـ وـاـنـشـارـهـ بـيـنـ مـخـتـلـفـ فـنـاتـ المجتمعـ، فـقـدـ تـبـيـزـوـ بـبـرـاعـةـ الـقـوـلـ وـبـلـخـبـرـةـ الـجـدـلـيـةـ وـالـحـجـاجـيـةـ مـاـ سـاـهـمـ فـيـ تـطـوـيرـ الـبـلـاغـةـ وـإـرـسـاءـ قـوـاعـدـهـاـ وـتـنـشـيـطـ الـحـيـاةـ الـفـكـرـيـةـ فـيـ الـمـجـمـعـ الـأـثـيـنـيـ عـامـةـ بـحـيثـ "اعـتـمـدـ السـوفـسـطـائـيـونـ الـخـطـابـ فـيـ التـأـثـيرـ

<sup>1</sup>- د: محمد صقر خفاجة، الأدب اليوناني، مكتبة النهضة، المصرية، (د، ط)، س 1956م، ص: 33.

<sup>2</sup>- د: محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، ص: 156.

<sup>3</sup>- د: خالد حربى، الفكر الفلسفى اليونانى وأثره فى الفكر الإسلامى ص: 63.

على الجماهير ، وهم يعدون من مؤسسيها ونظرا لأهمية الخطابة لمن يرغب في الوصول إلى قيادة المدينة، كان لابد من دراسة الخطابة، فقامت الخطابة على تلقين مبادئ اللغة والأسلوب والموضوع وكيفية استخراج البراهين والحقائق الأشياء من الألفاظ نفسها.<sup>1</sup> وهي في الحقيقة ليست جماعة فلسفية بالمعنى المعروف بل جماعة من المعلمين يلقنون الناس أسلوب الانتصار لقضية ما مهما كانت بساطتها أو بيان صحيحتها من خطئها بأجر متفق عليه مسبقا. فقد ناصروا الجدل من أجل الجدل.

على هذا الأساس نصبو أنفسهم على أفهم خبراء في معرفة وتعليم كل الفنون التي تهم الإنسان وأفهم يملكون البيان الذي يمكنهم من جذب السامعين غير أن "اسم السوفسطائي الذي يعني عالما قد تحول من معناه الأصلي وأصبح مرادفا لعلم زائف لا يبحث إلا عن المخادعة ويستخدم لذلك الاستدلال الزائف."<sup>2</sup> فالمفعة المادية هي التي كانت تبرر الوسائل وطرق استخدامها، ولم تبق هذه مجرد رغبة يسعون لتحقيقها متى سمحت الفرصة بذلك، بل عملوا على تلقينها إلى الناس فأضحت أساس فنون البيان، والخطابة، والجدل، وتزويق الكلام. فوق ذلك "يتناقضون مقابل دروسهم مبالغ كانت باهظة الثمن"<sup>3</sup> وكانوا يفخرون بأنهم يستطيعون أن ييدوا الرأي ونقضيه بل يعملون على الإقناع به، فتفنوا في ابتكار وسائله، حتى كادت طريقتهم تؤدي إلى هدم أسس العقل والمعرفة، وتمزيق الأخلاق.

من هنا يبدو أنه كان للسوفسطائيين دورا مهما في قيادة النفوس، بممارسة الخطاب الحجاجي وساعدهم في ذلك براعتهم الخارقة في استعمال أساليب الكلام وألوان البيان، حتى أمكن للخطيب البليغ أن يحقق الحق أو يبطله بالحججة المقنعة أو بالدليل القاطع، مستعملا ببراعته الخطابية كل الاستدلالات المكنته من أقيسة صحيحة أو مغالطة paralogisme، أو حتى إثارة العواطف، همه الوحيد هو الإقناع والتأثير في الآخرين.

<sup>1</sup>- عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين، ص:19.

<sup>2</sup>- محمود جديدي ، الفلسفة الإغريقية، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون، العاصمة الجزائر، بيروت لبنان، ط2009، 1، ص:216

<sup>3</sup>- الحسين بنو هاشم، بلاغة الحاجج الأصول اليونانية، ص:88.

أخذ السوفسقائيون يطوفون رבע أثينا يعقدون المجالس للدرس بل هناك من أنشأ أكاديميات خاصة يعلمون بها فن القول وفن الحوار والجدل وحرروا الخطابة من كل القيود العلمية والأخلاقية<sup>(1)</sup> خاصة وأنهم وجدوا آنذاك في المجتمع الأثيني كل الظروف مهيأة لهم بسرت لهم نجاح أفكارهم إلى أبعد الغايات.

أشهرهم "بروتاغوراس" لما بلغ الثلاثين أخذ يطوف في أرجاء اليونان الكبرى magna graecia يحاضر ويعلم. وكان بروتاغوراس أول من دعي سوفسقائياً، واستغل أول حصاد فكري واجتماعي. وكان نباجه المادي عظيماً جداً<sup>(2)</sup> حيث أقر مبدأ الشك وأن الحقيقة نسبية وأن الإنسان معيار كل شيء. يعني أن الإنسان هو الذي يقر بأن الأشياء موجودة أو يقر عدم وجودها فهو من يمتلك قرار الحكم وبهذا تصبح المعرفة غير قارة بينما تختلف من إنسان إلى آخر فلا توجد حقيقة واحد مطلقة يتفق عليها الجميع فالحقيقة ليست ما تتفق حوله ونبجمع عليه، بل هي الاتفاق نفسه والإجماع نفسه حسب السوفسقائيين<sup>(3)</sup> فالحقيقة لا تقوم على الصدق بينما هي ما تتفق حول صدقه وإن كان غير الواقع، عليه يمكن القول أن بروتاغوراس يلغى تماما دور العقل في إدراك حقيقة الأشياء وبالتالي الحقيقة هي مجرد رأي اجتماع على صدقه أو كذبه مجموعة من الناس على أساس أنه لا يوجد منطق لقيم الجمال والخير، فتحديد الصدق فيما والصحة هو مجرد رأي.<sup>(4)</sup> فالقيم الثابتة ومعايير الأخلاق والسلوك والعقائد المترسخة لا أساس لها في الحقيقة إنما هي من صنع الإنسان يمكنه أن يغيرها متى شاء.

فقد رأى المفكرون من علماء وفلاسفة قبل ظهور التيار السوفسقائي أن العقل هو مصدر المعرفة، ولما جاء بروتاغوراس أنكر ذلك باعتبار أن الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة فيخرج منها "أن الأشياء هي بالنسبة إلى على ما تبدو لي، وهي بالنسبة إليك على ما تبدو لك، وأنت إنسان وأنا إنسان، فالمقصود بالإنسان هنا الفرد من حيث هو كذلك لا الماهية النوعية، ولما كان الأفراد

<sup>1</sup> - ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 55.

<sup>2</sup> - خالد حربى، الفكر الفلسفى اليونانى وأثره فى الفكر الإسلامى، ص: 64.

<sup>3</sup> - د: عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة" مقاربة حاجية للخطاب الفلسفى"، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت لبنان منشورات الاحتفاف الجنائز، ط1، س2009، ص: 41.

<sup>4</sup> - نفس المرجع، ص: 41.

يختلفون سناً وتكونياً وشعوراً، وكانت الأشياء تختلف وتتغير، فإن الإحساسات تتعدد بالضرورة وتتناقض<sup>(1)</sup> والمعرفة بتالي خاضعة لهذه التغيرات لا ضابط لها فلا شيء يمكن الحكم عليه بالخطأ؛ لأن كل رأي هو صحيح بالنسبة للشخص المدرك." فإنه يترتب على هذا أن الحقيقة تصبح مسألة ذوق الفرد، وهذا يقوض كل إيمان بالحقيقة كحقيقة موضوعية.<sup>2</sup> ورغم هذا التناقض البين في مسألة الحقيقة عند السوفسطائيين إلا أن هذا الرأي كان له أثر بالغ في مسار البلاغة بحيث أنها تعطي قابلية التغيير والتحوير في الآراء والمفاهيم متى شاء الخطيب ذلك متلاوباً بالكلمات متنفساً في استعمال الأسلوب.

كما يعد "جورجياس" Gorgias من أهم أعمال السوفسطائيين الذين يبنوا الدور البالغ للخطابة في التأثير وحمل الجمهور على الإقناع، وذلك بصياغة العبارات وحسن اختيار الألفاظ المناسبة فاللفظ من أهم الوسائل التي توصل إلى الإقناع رغم بساطته فهو يعمل في المتلقى ما لا يتوقع فقد عرف جورجياس<sup>3</sup> اللفظ بقوله: " بأنه قوة حارقة، يصنع المعجزات فهو رغم ضآله، يمنع الخوف، ويزيل الأسى، ويعيث البهجة، ويملا النفس ثقة وطمأنينة ... إنه يسحر الألباب و يؤثر عليها بسحره"<sup>4</sup> لاسيما اللغة الشعرية التي تشير المشاعر وتبث الحماسة في النفوس دون التفكير في معانيها حتى تتحقق سلطة القول، يقول جورجياس : "إن الخطاب جبار ذو سلطة كبرى"<sup>5</sup> السلطة التي تتحكم في الأفكار قبل أن تتحكم في الأفعال.

قول "جان بيير فرنان" Jean pierre vernent " لم يكن مفهوم العقل بالنسبة إلى أثينا القرن الخامس قبل الميلاد يعني بالأحرى التحكم في الناس وغلوتهم والسيطرة عليهم ففي إطار الحاضرة كانت الأداة الضرورية لل فعل، الأداة التي تمكن من السيطرة على الآخر، الكلمة، إن فحص السوفسطائيون للثقة الإنسانية، ولوسائل بسط قوتها، ولتطویر أدواتها، لم يخلص إلى حر فكر أو إلى

<sup>1</sup>- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، (د، ط)، س 2012م، ص: 63.

<sup>2</sup>- وولتر ستيسن، تاريخ الفلسفة اليونانية، ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، س 1984م، ص: 150.

<sup>3</sup>- جورجياس سفسطائي، 483-375 ق.م من أبناء تراقيا، قضى عدة سنوات في أثينا.

<sup>4</sup>- محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني ،ص: 33

<sup>5</sup>- نفس المرجع ، ص: 142.

فلسفة، لقد خلص إلى البلاغة وأنشأ الجدل والمنطق.<sup>(1)</sup> فقد ارتبط مفهوم العقل في اليونان القديمة بالطريقة المثلثيّة التي تسيطر على الناس والوسيلة إلى ذلك الكلمة "من أجل هذا لم ينظر السوفسطائيون إلى الخطابة بوجه عام على أنها جدل أو وسيلة للتأثير فحسب، بل وأيضاً على أنها العلم الحقيقى، فجورجياس يقول إن الخطابة هي الفن، والفن الحقيقى ليس أدلة للتأثير فحسب ، وعلى يد جورجياس ترتفع الخطابة إلى مرتبة الفن الحقيقى، وإلى مرتبة الأسلوب الصحيح في التفكير. وتبعاً لهذا يقول أن المعرفة الحقيقة هي تلك الممثلة في الخطابة.<sup>(2)</sup> هذا ما جعل السوفسطائيون يسيطرون قوتهم؛ لأنهم عرّفوا قيمتها وأتقنوا استعمالها وهذا ما يعرف بالبلاغة التي أرسّت دعائهما الخطابة اليونانية ونتج عنها الجدل فالمنطق.

فقد برع جورجياس في تصريف فنون الجدل إذ كان "يُزعم أن ما هو محتمل خير مما هو حقيقى، وأن في وسعه أن يجعل الأشياء التافهة جليلة، والعكس بالعكس، وهو المنطقى أو الخطيب الذي يهتم بالشكل أكثر من اهتمامه بالموضوع"<sup>(3)</sup> لا يعنيه طلب الحقيقة بقدر ما يهمه الإغراء واستمالت النفوس، يعتبر "جورجياس أحد المؤسسى الخطاب المشاهيرى، أو بعبارة أخرى المدح العمومي، نثراً بلغاً، لما هو ضاعف التصويرات، التي تجعل منه (نضماً عالماً، ذا إيقاعاً، وبجمل القول، نثراً جميلاً جمال الشعر) إن هذه التصويرات، من جهة، إنما هي تصويرات لفظية: السجع، والقافية، والجناس غير التام، وإيقاع الجملة؛ ومن جهة أخرى تصويرات معنوية وفكورية: الإرداد، والاستعارة والطباق،"<sup>(4)</sup> حتى هنا تقريباً الخطابة تتسم باللغة الشعرية أكثر من اللغة العلمية وربما يرجع هذا إلى عدة فرضيات يمكن أن تفسر لنا هذه الهيمنة التي تفرضها اللغة الشعرية على الخطابة، فأهمها أن الخطابة موجهة إلى عموم الناس وهؤلاء ليس لديهم القدرة الكافية على تحليل الأفكار والمعاني العميقية ومن ثم غربلتها بقدر ما للغة الشعرية من سرعة في النفاذ إلى المخيلات وقوتها في الاستحواذ على القلوب، أو لأن تراجيديا المسرح والشعر الغنائي لا يزال لها أثر على قلوب الجماهير فأراد صناع الخطابة أن يستغلوا هذا الأثر لتحقيق الإقناع.

<sup>1</sup>- محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج من أفلاطون وأرسطو وشایم بيرمان، ضمن مجلة عالم الفكر "الحجاج"، مجلد 2011، 40، الكويت، ص: 20

<sup>2</sup>- ينظر: عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، ط 1، (د،ت)، ص: 172.

<sup>3</sup>- خالد حربى، الفكر الفلسفى اليونانى وأثره فى الفكر الاسلامى، ص: 67.

<sup>4</sup>- أوليفي روبيول، مدخل إلى الخطابة، ص: 33، 32.

هذا الاهتمام الكبير الذي أولاه جورجياس للأسلوب لم يثنه عن اهتمامه بالموضوع، هذا ما ذهب إليه "حسين بنو هشام" من خلال تبع مواضيع خطبه، التي تمثل "نموذجاً للخطب التي يختار فيها معلم الخطابة قضيةً يصعب الدفاع عنها لبيان مهارته في الحاج وقدرته الفائقة على الإقناع. وهو الأمر الذي سيصبح تقليداً درج على ممارسته معلم الخطابة بعده"<sup>1</sup> ومن خلال استقراء هذه الخطب "يلاحظ هنا إتقان جورجياس لاستعمال مواضيع مشتركة خاصة الاستهلال والاختتام شاع استعمالها في الخطابة القديمة بعده"<sup>2</sup> مما يؤكد أن جورجياس ومن حذا حذوه كان على وعي تام بمختلف أنواع الحجج وكيفية توظيفها مستخدماً أجمل الأساليب لذلك.

من هنا يبدو أن السفسطائي كان يدرك مقتضيات الخطاب الإقناعي الذي يقوم على بلاغة القول باعتبارها "تمح من يحذقها الحرية في نفسه والسيطرة على غيره من الناس في وطنه فهي تختضن في ذاتها السلطة وتخضعها لهيمتها"<sup>3</sup> حتى ذهب جورجياس إلى منح الخطيب الحرية الكاملة في التماس كل الوسائل المتاحة له مع استخدامها بما يحقق له الإقناع واستئمالة قلوب الجماهير.

هذه المنح ليست مجرد واقع تفرضه الظروف المحيطة بالخطيب إنما هو نتاج فكري إيديولوجي يؤمن به جورجياس "جعله يتشكك في مقولات العلم، ومقولات الوجود على الإطلاق"<sup>4</sup> فهو بهذا عطل العقل وأنكر الوجود المطلق فالوجود نسبي يختلف إدراكه من إنسان لآخر واللغة هي الوسيلة التي يعبر بها الإنسان عن هذا الوجود النسبي ومنه لا يمكن إذا أن تتفق في التعبير عن ما هو مختلف فيه أصلاً، هذه الأفكار ضمنها كتابه "الطبيعة أو اللاوجود" فمن ثم يمكن للخطيب أن يصنع ويتنفس في التلاعب بأساليب القول. هذه الأفكار انعكست على خطبه<sup>5</sup> وعلى أساسها أقاموا جدهم.

هذه التعاليم التي توارثها السفسطائيون وعملوا على تلقينها تلاميذهم كان لها أثر على قيمة العلم والعلماء فقد "تازلوا بالعلم إلى مستوى الحرف والصناع، فلحقتهم الزرارة، لم يأخذوا بالعلم على أنه معرفة الحقيقة، ولم يكترووا لقيمتها ولا لفطرة العقل التي تدفعه لطلب الحق، استعملوا العلم

<sup>1</sup>- د: حسين بنو هاشم، بلاغة الحاج الأصول اليونانية، ص: 152.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص: 155.

<sup>3</sup>- محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، ص: 55.

<sup>4</sup>- خالد حربى، الفكر الفلسفى اليونانى وأثره فى الفكر الإسلامى، ص: 67.

<sup>5</sup>- ينظر: عبد الرحمن بدوى، ربيع الفكر اليونانى، ص: 176.

وسيلة لجر منفعة غريبة عن العلم، وهزّوا بالعقل، فكانوا معلمين وخطباء ولم يكونوا حكماء، هذا هو الموقف الشاذ الأثيم الذي جعل اسمهم سبة على مر الأجيال.<sup>(1)</sup> فالأخلاق التي طالما اتسم بها العلماء لا معنى لها في قاموس هؤلاء المعلمين بل بالعكس لحقت بهم كل صفات الدناءة من كذب وتضليل وخداع، فتحولوا إلى مرتزقة يسعون وراء أثرياء المجتمع من تيسير لهم أسباب العيش الرغيد من مال وجاه، ولا ينقصهم إلا اعتلاء منصة الحكم المرتبطة أصلاً بصدق أساليب الكلام البليغ.

رغم السمعة السيئة التي أصقت بالسوفسطائيين إلا أنهم تقدروا وسام سادة فن الكلام باعتراف أعدائهم "أفلاطون، أرسطو" فهم يعدون المرجع الوحيد لآثارهم؛ لأنهم كانوا في الحقيقة أول من اخترع علم اشتقاق الكلمات، ووضع القواعد اللغوية، واعتنوا كثيراً بالجانب الزخرفي فقد كانوا يؤمنون بأن ذلك من أهم وسائل الإقناع لما له من أثر بين علی النفوس وإن كان فيه تزييف للحقائق، بل يدخل ضمن خصائص الخطاب البليغ .

### 2-تطور الفكر البلاغي عند اليونان:

ارتبط تطور الفكر البلاغي خلال تلك الفترة (نهاية القرن الخامس ميلادي) بفن الخطابة الطاحنة إلى السلطة والقائمة على الحاجاج التي أرسى دعائمها سوفسطائيون وقد كان "من فضائل ذلك الحاجاج على الفلسفة الإغريقية أنه كان لها بمتابة الخميرة كما ذكر مؤرخو الفلسفة، ففلسفة أفلاطون تشكلت في جوانب أساسية منها من جهد الإجابة عن معضلات Aporie آثارها السوفسطائيون في حجتهم،"<sup>(2)</sup> التي تعتمد أصلاً على المغالطة وإن كان الكثير من الباحثين يرون أن المغالطة في المغالطات<sup>(3)</sup> لم يمارسها كبار سوفسطائيين إنما عرف بها تلاميذهم .

### 1- التصور الأخلاقي للبلاغة الخطاب الحاججي:

هذا المنهج الذي اعتمدته السوفسطائيون في خطبهم كان سبباً رئيسياً وراء الصراع الذي دار بينهم وبين الفلاسفة اليونان آنذاك بل أحدث ثورة عليهم و تعرضوا إثر ذلك لانتقادات لاذعة

<sup>1</sup>- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص:62.

<sup>2</sup>- حمادي صمود، أهم نظريات الحاجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية كلية الآداب، منوبة تونس، ص:51.

<sup>3</sup>- ينظر: د:الحسين بنو هاشم، بلاغة الحاجاج "الأصول اليونانية، ص:131.

سجلها أفلاطون في محاورات دارت بين السوفسقائين وبين سocrates الذي يعتبر أهم هؤلاء الفلاسفة الذين انتفاضوا على الأفكار التي قامت عليها خطابة السوفسقائين وعلى منهجهم التعليمي.

وقف سocrates أمام السيل العارم الذي أحدهه السوفسقائيون فقد أدرك أن أخلاق عصره تنهار أمام دجل السفسقائين الذين عطلوا العقل وحطوا من قيمة العلم، وأنكروا الوجود والحق، واليقين، وكل ماله صلة بالأخلاق، لما زعموا أن أصول المعرفة ترجع إلى الأحساس؛ فعمل سocrates إلى إثبات أن في العقل تتشكل المعرفة الحقيقة التي يتفق حولها الجميع<sup>1</sup>

هذه المحاورات ما هي إلاّ تعبير عن آراء أفلاطون حول الحاجاج الخطابي السوفسقائي على لسان أستاذته سocrates إذ يرى أن "القول الخطابي السوفسقائي لا ينحصر -حسب أفلاطون- في جنس الخطابة وإنما هو قول زيفي يمكن له أن يتسلل لتحرر الخطابة من شروط تحديد الموضوع إلى فضاءات أجنباس من القول أخرى وله مع ذلك سمات تيسر تعرفه -حسب أفلاطون- فهو قول إثباتي غير جديلاً لا يقوم على المسائلة يعتقد صاحبه على الظن لا على العلم ويقصد به إلى الإقناع معتمداً في ذلك ما يوافق اللذة"<sup>2</sup> فالحجاج السوفسقائي لا يرقى في رأي أفلاطون إلى الحقيقة؛ لأنَّه يهتم فيه بظاهر القول على حساب حقيقة الوجود وجوهر الأشياء، فالخطابة في تصوره هي "صناعة قيادة النفوس بالقول"<sup>3</sup> يعني أنه قول خطابي موجه إلى النفس، المقصود بالنفس في هذا السياق الجوهر، فغاية الخطابة عند أفلاطون هي الوصول إلى الفضيلة لا إلى تحقيق أغراض شخصية.

يمكن القول أن أفلاطون في المحاورات وضع تصوراً عاماً للخصائص الخطاب البليغ، وتعد الحقيقة القاعدة الأساسية التي تقوم عليها بلاغة الخطابة الصحيحة، بل ذهب به القول على لسان سocrates إلى إنكار الخطابة بعيدة عن الحقيقة "إإنَّ من لا يعرف الحقيقة بل يقتصر على إتباع الظنو لا يصل إلاً إلى فن مضمون، بل إلى فن لا ينطوي على أي قيمة على الإطلاق."<sup>4</sup> فالحقيقة التي

<sup>1</sup>- ينظر: خالد حربى، الفكر الفلسفى اليونانى وأثره فى الفكر الإسلامى، ص: 76.

<sup>2</sup>- الحسين بنو هاشم، بلاغة الحاجاج "الأصول اليونانية، ص: 56.

<sup>3</sup>- أفلاطون، محاوراتاً ثيتيتوس وفيديروس أو عن العلم و الجمال، ت:أميرة حلمي، دار التنوير للطباعة والتشر والتوزيع ،القاهرة مصر، ط 1، س 2014، ص: 204.

<sup>4</sup>- نفس المرجع، ص: 206.

يسعى أفلاطون إلى تتحققها ليست غاية في حد ذاتها إنما هي وسيلة يصل بها إلى أسمى وأنبل غاية على الإطلاق وهي الفضيلة.

هذه الفضيلة التي دعا إليها سocrates هي التي على أساسها بنى عليها أفلاطون فلسفته المثالية باعتبار أن " الإنسان لا يستطيع أن يسلك على نحو فاضل إلا إذا عرف أولاً ماهية الفضيلة، وهكذا يتأسس على معرفة ويجب أن ينبع منها ولكن لم يقتصر الأمر عند سocrates على الاعتقاد بأن الإنسان إذا لم تكن لديه معرفة فلن يسلك سلوكاً حقاً".<sup>1</sup> إنما عندها يكون الموجه لطريقة سلوكنا هو مدى اكتسابنا للفضائل، إلى درجة أنه يصبح سلوك الإنسان لا إرادياً تتحكم فيه معرفتنا لحقيقة الفضيلة "وأحسب أنّما أراد أفلاطون أن يقوله هو أن الحكم قوامها معرفة الخير، وأنّ ما يؤيد هذا التعريف عنده هو المذهب السقراطي الذي يقول إنّ الإنسان لا يرتكب الإثم وهو عالم به".<sup>2</sup> وإن كان هذا الرأي يثير الكثير من الشك في عمومه يبقى له أثر عميق على عناصر صناعة بلاغة الخطابة الحجاجي من جهة وأثر هذا الخطاب على متلقيه من جهة أخرى.

يمكن أن نقول أن ضرورة معرفة حقيقة الفضيلة —حسب سocrates— هي التي دعت أفلاطون إلى رفض البلاغة الموجهة لجمهور عامة الناس في محاوراته "جورجياس"؛ لأن لا أهمية لها وسط الحشود "إنّ الشكل الخارجي للبلاغة، أو الخطابة لا يسمح نهائياً بإنتاج المعرفة، إنه لا ينتج إلا الاعتقاد، ونحن نرسل الخطاب أمام حشد من الناس لا مجال في هذه المقام الحشدي، حيث المستمع يتكون من الجهل، وحيث الحيز الزمني محصور، وحيث الموضوعات المفروضة للمناقشة معروفة، لإنتاج المعرفة"<sup>3</sup>؛ لأن العامة من الناس تفتقر إلى معرفة الفضيلة فيصعب عليها التمييز بين الخطأ والصواب فيسهل التغريب بها.

لذا لابد أن تقوم البلاغة على ركائز تقىها من الانحراف عن مسار هدفها النبيل، يمكن أن نختصرها فيما يلي:

<sup>1</sup> - وولتر ستيسن، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص: 128.

<sup>2</sup> - برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية الفلسفية القديمة، ت: زكي محمود نجيب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د، ط)، 2010، ص: 186.

<sup>3</sup> - محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج ص: 21.

- بما أن الخطابة موجهة إلى النّفوس إذن لابد على الخطيب أن يكون على اطلاع واسع بهذه النّفوس من حيث:

- معرفة أنواع النّفوس فحق " يكون خطيباً موهوباً فعليه أن يعرف بالضرورة ما هي الصور المختلفة التي تكون النفس عليها، وهناك عدد معين لكل صورة من هذه الصور أو تلك، وتبعاً لذلك تكون بعض الناس طبيعة معينة وتكون للبعض طبيعة أخرى مغایرة."<sup>1</sup> وهذه المعرفة لا تتم إلا في ظل الإلهام الإلهي.

- مراعاة أحوال النّفوس وكيف تتأثر وكيف تؤثر في غيرها " فلها أنواع أيضاً خاصة تجعلهم يتأثرون بحديث معين دون غيره، ويتنهون بسببه إلى معتقدات معينة، حين أن من كانت لهم طبيعة أخرى لا يقتعنون بسهولة بمثل هذه الأسباب"<sup>2</sup>; لأنّ النّفوس تختلف حسب درجات تهيئها لقبول التأثير.

- "أن يكون الخطيب ملماً بجوانب الموضوع الذي يريد الحديث فيه يؤكّد قوله: "يجب يا فايديروس ألا تتجاهل الكلام خاصة إن كان هذا الكلام كلام علماء ولكن على الرغم من ذلك يجب أيضاً أن نبحث عن مدى صدق ما نقوله الآن ولا نستهين به."<sup>3</sup> فيجمع الخصائص الممكنة للموضوع متحرياً الحقيقة.

مع اعتماد الخطيب في كل ذلك على المنهج الجدلية، بحيث يناقش ويحمل معطيات الموضوع؛ فأفلاطون يرى أن "كل الفنون ذات الشأن تستلزم المناقشة وإمعان الفكر في الطبيعة وفي السماء، وبهذا تحصل على السمو الفكري والكمال الصحيح" ويتم بذلك الإقناع الأخلاقي بينما الإقناع الذي يعتمد على الظن هو من بلاغة السوفسقائيين بعيدة عن الأخلاق إذ هي نتاج أقل النّفوس شأننا حيث جعلها أفلاطون "في المرتبة الثامنة قبل نفس الجبار (le tyran) مباشرة وفي هذه إشارة إلى الصلة بين نوع من الحجاج و الطغيان – لأن السفسطة – حسب أفلاطون حجاج استهواه، هي تملق والتملق نوع من العنف"<sup>4</sup>، من هنا نتبين "أنّ البلاغة التي يدينها والبلاغة التي يدافع عنها

<sup>1</sup> - أفلاطون، محاوراتا ثياتيتوس وفيديروس أو عن العلم و الجمال، ص: 221، 222.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص: 222.

<sup>3</sup> - أفلاطون، محاوراتا ثياتيتوس وفيديروس أو عن العلم و الجمال، ص: 202.

<sup>4</sup> - حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ، ص: 75.

مختلفتان اختلافاً تاماً. ففي جورجياس يتعلّق الأمر ببلاغة السوفساتائية. أي المداهنة التي تتسلل تحت قناع التشريع وتحت قناع العدل، يتعلّق الأمر بالسفسطة نفسها وفي فيدر يتعلّق الأمر ببلاغة فلسفية، بلاغة الجدلي الذي يحمل الأفكار ويؤلف بينها<sup>1</sup> والنوع الأخير من البلاغة هو موضوع الخطابة التي تستند على المعرفة القائمة على العقل والمنطق.

الخطيب المثالي في نظر أفالاطون هو من كان محباً للحكمة راعياً لها وإلاّ خرج من إطار عالم المثل الذي رسمه أفالاطون في "الجمهورية المثالية"، أي لابد أن يكون فيلسوفاً، لأنّ "الفلسفة بالنسبة لأفالاطون هي السلم لهذا العالم السامي من المثل، ولكن ليس كل شخص قادر على صعوده، فدرجاته العلى محفوظة لمن يتمتعون بمهارة الحاجاج الجدلي، وهم صفةٌ مثل واضعي الأديان"<sup>2</sup>، وعليه يتضح أن أفالاطون وضع مقاييس محددة لصانعي القول البلاغي أهمها الاستعداد الفطري لذلك ثم التعلم والدربة<sup>3</sup> هذه الشروط تجعل فن الخطابة متاح لقلة من الناس، ومن يشكلون النخبة من المجتمع لما يتميزون به من قدرات على طلب الحكمة والاجتهاد المتواصل في تهذيب النفس وتغليبيها على الشهوات للارتقاء بها إلى مصاف عالم الآلهة وعلى عاتق هؤلاء الخطباء تقع مسؤولية إصلاح المجتمع وكذا تسيير أموره موظفاً حكمته لخدمة مجتمعه إذ لابد على "الفيلسوف الحقيقي أن يستعمل البحث العقلي لفهم هذه الحقائق السامية والتركيز على المهم منها"<sup>4</sup>، المؤهل الوحيد لأن يكون خطيباً هو الفيلسوف الحقيقي وهذا ما أكدته في محاورات "فايدروس" بقوله: "إن لم يتفلسف - بمقداره - فلن يكون قادراً على الكلام في أي شيء"<sup>5</sup>، مما سبق يتبيّن لنا أن نظرة أفالاطون تتلخص في القيم التي تنشدها الخطابة.

الخطابة هي أفضل أداة يمكن لها أن تؤدي هذه المهمة بـ "أن تنشر العدالة في المحاكم كما تنشر الفضيلة في الحياة اليومية - وهي أداة لعقاب المذنب ولتحقيق النظام. ولا بد لها من الاستناد على فن الجدل حتى يخدم الفكر التعبير. ومن جهة أخرى فإن الفكر الفلسفى هو حديث باطى، وهو-

<sup>1</sup>- محمد الوالي، مدخل إلى الحاجاج أفالاطون وأرسطو وشایيم بيرمان، ص:24.

<sup>2</sup>- أنتوني جولييت، تاريخ الفلسفة من العصر اليوناني إلى عصر النهضة، ت: محمد طلبة نصار، هنداوي، مصر، ط1، 2015، ص:174.

<sup>3</sup>- ينظر: أفالاطون، فايدروس أو عن العلم و الجمال ، ص:219.

<sup>4</sup>- أنتوني جولييت، تاريخ الفلسفة من العصر اليوناني إلى عصر النهضة، ص:198.

<sup>5</sup>- أفالاطون، فايدروس أو عن العلم و الجمال ، ص:204.

أيضاً-خطابة؛ لأنه مناقشة مع الذات غايتها إقناعها بالخير<sup>1</sup> الجدال هو الكفيل بتوالد الحقائق على الطريقة السقراطية غير أن أفالاطون لا يكتفي بمعرفة الحقائق إنما يجب توظيفها من أجل محاكاة عالم المثل.

على العموم ساهم هذا الصراع الخطابي اليوناني في انتقال البلاغة من بلاغة التزييف وسلطنة الكلام إلى بلاغة تقرير الحقائق، ترعاها الفضيلة.

### 2- مرحلة تأسيس بلاغة الخطاب عند اليونان:

تعد البلاغة الأرسطية مرجعاً أساسياً لأغلب النظريات البلاغية التي أتت بعدها، فقد استطاع أرسطو بعقربيته المشهود لها من خلال أعماله أن يشيد للخطاب البلاغي طريقة جديدة تماماً مما خلفه السوفسقائيين وأفالاطون قبله، برغم من أنه يبدو تأثراً الكبير بأفكار شيخه أفالاطون من خلال تتبع مساره الفكري، وحتى بأفكار السوفسقائيين الذين عارضهم في الكثير من المسائل. لكن يبقى كتاب "فن الخطابة" المصدر الرئيسي في تأسيس هذا الفن بمقاييسه الدقيقة.

لا يهتم فيه المؤلف "أرسطو" بالكلام عن تاريخ هذا الفن كما فعل غيره من النقاد، ولكنه يحلل الأفكار الرئيسية التي تعد أساساً للخطابة بأنواعها الثلاثة: خطابة المحافل، خطابة القضية، الخطابة السياسية، ثم يستعرض الموضوعات المهمة التي يمكن أن يتناولها الخطيب ويدرك الوسائل التي تساعده على تقوية حجته وبرهانه<sup>2</sup> فهو في هذا الكتاب أعطى الفكر الخطابي صبغة جديدة لم يسبقها إليه أحد من حيث الترتيب والتحليل والاستدلال.

أراد أرسطو "بكتاب الخطابة" أن يقنن فن الخطابة بجمع المادة الخطابية التي كانت متنتشرة بين الفلاسفة والسوفسقائيين حتى "يخضع فنهم الطليق إلى قواعد عامة"<sup>3</sup> إذ يعتبر كتابه نتاج ثقافة متراكمة، فقد قام أرسطو بتحليل ونقد الموروث البلاغي وبني على أنقاضه معايير ثابتة لصناعة الخطاب البلاغي، فهناك من يعتبر أرسطو "من الفلاسفة اليونان الأوائل الذين نظروا للبلاغة من خلال

<sup>1</sup>- أفالاطون، فايدروس أو عن العلم والجمال ، ص:204.

<sup>2</sup>- د: محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، ص:187.

<sup>3</sup>- عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين، ص:224.

رؤية حجاجية، فقد خصها بكتابين هامين هما (الريطوريقا، البلاغة) و(الحجج المشتركة)<sup>1</sup>، وفي هذين الكتابين استطاع أرسطو دراسة قواعد الاستدلال المنتجة للخطاب البلاغي مؤسساً بذلك نظرية حجاجية استخلصها من دراسة الإرث الخطابي اليونياني.

### 2-1 مفهوم الخطابة عند أرسطو:

الخطابة عند أرسطو هي "الريطورية" وهي "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"<sup>2</sup>، بمعنى أنها قدرة تعمل على إنتاج قول له القدرة الكاملة على الإقناع في المسائل الاحتمالية أو ما وقع الاختلاف حولها.

ويمكن أن نتبين من هذا التعريف الوجيز لأرسطو أن الخطابة تختص بـ:

- القوة ويقصد بها "كفاءة أو ملكرة، وليس سلطة كما كانت تعرف قبل أرسطو (وهو ما كان أحد ميررات الحملة ضدّها كما سبق). إنّها قدرة عقلية أو نظرية مهمتها البحث والكشف عن وسائل الإقناع الكامنة في كل موضوع"<sup>3</sup> فهو بهذا يجعل من الخطابة موهبة يمتلكها صاحبها وأرسطو في هذا التعريف لم يحدد إن كانت هذه الموهبة مكتسبة أو أنها فطرة طبع عليها صاحبها.

- التكلف فالخطابة عمل مجهد ومضني يعمل على إنتاج القول وهذا الأمر ليس بالسهل يقصد به أن الخطابة ليست صناعة يسيرة إنما تحتاج إلى الكثير من الاجتهداد في البحث ثم الانتقاء بعناية معتمدة على إعمال العقل ويتم كل ذلك بثبات وتأن.

- الجمهور العام لأن الخطابة تلقى مشافهة على مسمع من الجمهور لم يحدد أسطو أنواع المستمعين لكنه قرب مقاصدهم بتقسيم الخطابة إلى أنواع، بحيث يكون جمهور المستمعين في كل نوع منها إلى يسعى إلى تحقيق غاية.

<sup>1</sup> - د: جليل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص: 24.

<sup>2</sup> - أرسطو طاليس، الخطابة الترجمة العربية القديمة، ت: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويتية، دار الكلم بيروت لبنان، (د، ط)، 1979، ص: 09.

<sup>3</sup> - حسين بنو هشام، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص: 203.

- إمكانية الإقناع فالخطابة قد تقنع كما يمكن أن لا يتم لها ذلك وإن كان يفضل السعي من أجل بلوغ الإقناع والتأثير في المستمع، وهذا الإقناع يكون في الأمور التي وقع حولها الاختلاف بين الناس أو أن لها أكثر من احتمال واحد، فيكون لسلطة الإقناع قوة في حسم الخلاف أو تغلب رأي على الآخر.

ذهب "الحسين بنو هشام" إلى اعتبار تعريف أرسطو للخطابة يكتفي الغموض؛ لأنَّه يحمل معنى "متارجحاً" بين الخطابة باعتبارها صناعة والخطابة باعتبارها ممارسة. بل التعريف أميل إلى الثانية إلى الأولى<sup>1</sup> وحجته في ذلك أن "الكفاءة مرتبطة بالشخص الممارس"<sup>2</sup> لكن لو أخذنا بهذا الرأي لا يبعدنا عن ما أراد قوله أرسطو حين وصف الخطابة في بقية التعريف على "أنها نوع من الصناعة وإن كانت هذه الصناعة تختلف عن بقية الصناعات الأخرى في قوله "وهذا ليس عمل شيء من الصناعات الأخرى"<sup>3</sup>، الصناعة لا تتأتى إلا إذا إمتلك الخطيب القدرة أو المهارة، فهي صناعة وقبلها ممارسة فكلما مارس الخطيب صناعة الخطابةاكتشف كيف يوظف القواعد التي تبني عليها الخطابة وكذا ساعده ذلك على اكتشاف وسائل الإقناع ، وبعد الاعتكاف على ممارسة هذه القواعد يصل الخطيب إلى مرحلة الكفاءة أي القدرة التي خص بها أرسطو الخطابة، وقبل هذا يكون صانعاً للخطابة وليس خطيباً إنما هو في مرحلة التدريب قد يصيب وقد يتحقق وما أبجزه خلال تلك المرحلة لا يرقى إلى فن الخطابة.

كما يمكن من خلال تعريف أرسطو للخطابة رصد أهم ما اختلف فيه أرسطو مع سابقيه:

1- مهمة الخطابة: وظيفة الخطابة عند أرسطو "الكشف عن وسائل الإقناع" وقد كانت فيما سبق مهمتها الإقناع فهو بهذا جعل الخطابة صناعة تقوم على قواعد نظرية لا تكشف صحتها إلا بعد التطبيق فهي تعمل على إيجاد الوسائل الكفيلة للإقناع ليتم توظيفها، وقد كانت فيما سبق تقتصر على الجانب التطبيقي الإقناعي دون الاعتراض كيف يكون ذلك، وهو بهذا التفريق نزه الخطابة من التهم التي ألحقت بها (الخطابة ضرب من التزيف والمغالطة) فأرسطو بهذا الكلام يؤيد كلام

<sup>1</sup> - حسن بنو هشام، بلاغة الحاج الأصول اليونانية، ص: 203.

<sup>2</sup> - نفس المرجع ، ص: 203.

<sup>3</sup> - أرسطو، الخطابة الترجمة العربية القديمة، ت: عبد الرحمن بدوي، ص: 09.

"جورجياس" وفي نفس الوقت يفنّد رأي أفلاطون حول الاستخدام السيئ للخطابة عند السفسيطائيين.

2- حرر أرسطو الخطابة من إلزامية الجانب الأخلاقي الذي فرضه عليها "سقراط" وغالى فيه أفلاطون بحيث طرد كل خطيب لا يلتزم بالقيم والفضائل من جمهوريته المثالية و بتالي أضفى أرسطو على الخطابة الصفة الحيادية؛ حيث تمثل "البلاغة عند أرسطو خطابا حجاجيا يقوم على وظيفتين التأثير والإقناع، يتوجه إلى الجمهور السامع قصد توجيهه أو إقناع إيجاباً أو سلباً"<sup>1</sup> فهو يرى أن الخطابة غaitتها الكشف عن وسائل الإقناع لكن هذا الإقناع وأثره يبقى مرتبط بالظروف العامة المحيطة بالخطابة<sup>2</sup>. فقد تكون الخطابة في خدمة الأخلاق كما قد توظف عكس ذلك فهي أداة في يد الخطيب يستعملها حسب مبتغاه وكيفما سمحت له الظروف لذلك.

3- لم يقص أرسطو من دائرة اهتمامه الأقوایل التي تعتمد على الظن فهو يرى أن "وظيفة الخطابة هي تعالج موضوعات مما ينبغي أن نتشارو ونتحاور حولها، وهي موضوعات قد لا تكون لنا تقنيات عنها أمام مستمعين ليست لهم القدرة على أن يستخرجوا من ضروب الترتيب العديدة وأن يتبعوا استدلالا في المسائل التي تقبل على نحو جلي أن تأخذ حلين متقابلين"<sup>3</sup> وهذه المسائل تتعدد وتتنوع فهي تشمل كل مواضيع القيم الإنسانية.

أي كل المواضيع القابلة للنقاش والغامضة والتي تتميز بالهيولة والتمدد،" إن موضوع الخطابة هو إذن، هذا المجال الرحب بمحال القيم حيث الاختبارات لا يمكن حسمها حسما نهائياً أبداً. إنه مجال كل ما هو غامض ومائع، المجال الذي يكون معه أي اتفاق مجرد حدث محتمل أو مقبول، وغير مستند إلى أي أساس ضروري، كما هو الأمر بالنسبة إلى العلوم"<sup>4</sup> لذلك قد يصعب على الجمهور العام أن يحلل بسبب زخم الأفكار وتدافعيها لذا لابد من أن يحسن الخطيب استعمال الاستدلال من أجل إزاحة اللبس وتبييد الشك عن السامع وتقديره للإقناع، وهو بهذا خالف حاج السفسيطائيين "الذين

<sup>1</sup>- د: جميل حمادوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص:25.

<sup>2</sup>- ينظر: حسين بنو هشام، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص:206.

<sup>3</sup>- أرسطو، الخطابة ،ت:عبد القادر قنبي، أفريقيا الشرق، المغرب،(د:ط ،ت)، ص:18.

<sup>4</sup>- محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 27.

كانوا يعمدون فيه إلى إقناع السامعين بما يخالف المشهور "paradoxe"<sup>1</sup>، بمعنى لابد أن توجه حسب القدرات الفكرية واعتقادات المتلقى قصد التفاعل معها فيمكنه تغيير هذه الأفكار أو تصحيحها أو ثبيتها.

4- جعل أرسطو الخطابة قريبة من المجتمع لما لها من مكانة عالية في الأوساط الاجتماعية وفي إرساء دعائم الدولة؛ لأنها هي الموجهة للسياسة وعليه" إن بلاغته تهتم بالخطابات في ساحة عمومية، أو تعلق باجتماع المختصين، أو بشخص واحد أو بكل الإنسانية، بل إنها تهتم بالحجج التي قد يوجهها الشخص إلى نفسه في مقام حوار ذاتي"<sup>2</sup> فهو بهذا لم يحدد للخطابة فئة معينة توجه إليها عكس سocrates الذي كان "ينفر نفورا قويا من أي احتشاد، إذ أن ذلك هو مرتع الخطابة، وكل الممارسات القولية والجملالية المتوجهة إلى الحشد يخصها سocrates بكل ارتياح، وموضع الشبهة، ففي نظره يرى هذا السياق كل العوامل المؤذية للحقيقة والعدل والمعرفة والفضيلة والإنسانية"<sup>3</sup> باعتبار أن مثل هذه التجمعات يسهل فيها خداع الجماهير وتضليلهم حيث لا يكون لهم فرصة كافية للمناقشة والتحليل فقد "كان أفالاطون على علم بأن الفكر الحق لا يلتفت مع الحشد، الفكر الحق يزدهر بين شخصين اثنين يصحح أحدهما الآخر ويسيران معا نحو الاستنتاج الذي يكون موضع اتفاقهما. فهما لا يضعان لبنة في البناء إلا تلك التي تحظى بموافقتهما"<sup>4</sup>، رغم أن رأي كل من سocrates وأفالاطون له ما يبرره إلا أن الخطابة تبقى عند أرسطو ذات طابع جماهيري لأن الخطيب هو من يمتلك الوسائل التي تشكل رأي الجمهور.

### 2-2- عناصر بناء الخطابة الأرسطية:

الإيجاد: (الإعداد)

<sup>1</sup>- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ،لبنان، ط:1، س 2008، ص:28.

<sup>2</sup>- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،ص: 34،35.

<sup>3</sup>- محمد مشبال، البلاغة والخطاب، منشورات الاختلاف، منشورات الضفاف، دار الأمان الرباط، ط،1، 2014، ص:68.

<sup>4</sup>- محمد مشبال، البلاغة والخطاب، ، ص: 68.

هو المرحلة التي تسبق بداية صناعة الخطبة، وفيها يجمع الخطيب مواد الخطبة من حجج ودلائل ومحاولة فهم مختلف عقليات ونفسيات السامعين حتى يتسع له مراعاة أحواهم، وقد اصطلاح أرسطو على هذا العنصر من بناء الخطبة "بالموضع" وأولى لها عناية خاصة<sup>1</sup> وهو بذلك يشكل جوهر الصناعة الخطابية التي لن تصبح صناعة بالفعل إلا إذا مكن الخطيب من القدرة على الحاجاج في أي موضوع<sup>1</sup>، وتنقسم حسب أرسطو إلى قسمين، "موضع عامة مشتركة تدور حول موضوعات القانون، والفيزياء والسياسة وأنواع أخرى كثيرة من فروع المعرفة، مثلاً موضع الأكثر والأقل، لأنه لا يمكن أن نعمل منه قياساً منطقياً أو قياساً مضمراً على نحو واحد.....وكذلك توجد في الأخلاق مقدمات لا يمكن أن يأخذ منها قياساً مضمراً<sup>2</sup> فالموضع من النوع الأول (موضع عامة) هي التي يمكن أن نوظفها مع جميع أنواع المواضيع وإن كان هذا التوظيف يتم بطريقة نسبية من جنس خطابي إلى آخر، أما النوع الآخر من الموضع الخاصة (موضع الأخلاق) فهي تختص بجنس خطابي معين لا يمكن توظيفه في غيره مثل المواضيع التي تتناول القيم والمبادئ الإنسانية.

من ثمّ أسهب أرسطو في تحديد وتفصيل هذه الموضع، وبعدها عمد إلى شرح الموضع التي يختص بها كل جنس من الخطاب؛ لأن "الحجج غير محدودة، بل هي لا نهاية، ولا يمكن لأية خطابة أن تحيط بها وتحمعها. إنما مهمة شبه مستحيلة. لذلك فإن إيجاد الحجة يبقى مهمة يضطلع بها الخطيب نفسه، ولا تستطيع الخطابة سوى أن تسهل هذه المهمة عليه، وذلك بتوفيرها مواد ومصادر يستقى منها حججه، ويبتعد عنها وسائل الإقناع المناسبة ل المشكلة والموضوع الذي يهمه".<sup>3</sup> ومنه يمكن أن نفهم أن القصد بالموضع تلك العلاقة المناسبة بين موضوع الخطاب وبين الحجاج والأدلة التي تمنع القوة الاقناعية للخطاب، وتبقى هذه العملية تتسم بتتكلف الجهد في الإمام بجميع جوانب الموضوع والبحث في معطياته؛ لأن الظروف المحيطة بالخطاب تساهم بشكل فعال في خلق موضع جديدة تفرض نفسها على الخطاب، بالرغم من ما قدمه أرسطو من بحث عميق في دراسة أنواع من الموضع.

#### ترتيب أجزاء القول:

<sup>1</sup> - د. حسن بنو هشام، بلاغة الحاجاج الأصول اليونانية، ص: 227.

<sup>2</sup> - الخطابة، أرسطو، ت: عبد القادر قنبي، ص: 21.

<sup>3</sup> - د. حسن بنو هشام، بلاغة الحاجاج الأصول اليونانية، ص: 228.

يتكون الخطاب في نظر أرسطو من جزأين أساسين "إذ لابد من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه، ثم بعد ذلك نقوم بالبرهنة. وهذا فمن المستحيل، بعد ذكر الموضوع، أن نتحجب البرهنة، أو أن نقوم بالبرهنة قبل ذكر الموضوع أولاً"<sup>1</sup> وهذا التقسيم يلائم تقريراً جمبياً أنواع الخطاب، وإن كان بعض الأنواع الأخرى يمكن أن تستدعي أقسام أخرى، "وعلى الأكثر قد يشتمل خطاب ما على مقدمة وطرح قضية، والإثبات بالدليل، وخاتمة".<sup>2</sup> وهذا حسب نوع الجنس الخطابي، وبعد تحديد الحجج يقرر الخطيب مكونات الخطاب وتقسيماته الكبرى، ثم يعمل على ترتيب كل ذلك، بحيث يضع كل جزء في موضعه المناسب، ويتم ذلك بعناية كبيرة مراعياً خصائص كل جنس خطابي.

### وسائل الاقناع:

#### الإيتوس، الباتوس، اللوغوس:

أراد أرسطو أن يمحو تلك النظرة الضيقية التي أحاطت بها البلاغة بوصفها أداة للتلاعب بالأفكار وهذا بتأسيس منظومة من القيم الحجاجية تشتراك في صياغتها أدوات منطقية وأخرى أخلاقية، افعالية. "ويتحقق عبر اللوغوس، الذي يعني الكلام والحجج والأدلة، ويظهر ذلك جلياً في نسق الرسالة التواصيلية. وإما يتحقق عبر الإيتوس الذي يتمثل في مجموعة من القيم الأخلاقية والفضائل العليا التي ينبغي أن يتحلى بها الخطيب أو البلاغي المرسل، وإما بتجسيد في الباتوس الذي يتعلق بالمخاطب، ويكون في شكل أهواء وانفعالات"<sup>3</sup> ما هي إلا مجموعة من الوسائل الصناعية التطبيقية التي يحرص الخطيب على ضرورة استخدامها مجتمعة حتى تؤدي وظيفتها الاقناعية.

### الاستدلال المنطقي:

تنطلق الخطابة الأرسطية في جملها من منطلقات منطقية استدلالية، أعطت لنظرية أرسطو المؤسسة للخطاب دفعاً جديداً وصدراً واسعاً إلى يومنا هذا؛ لأنّه يكسب الخطاب مصداقية فيكون أكثر إقناعاً، لذا حرص أرسطو على دراسة قواعد الاستدلال الحجاجي المترتب في الخطاب وهو عند أرسطو "تفكير عقلي" بواسطته يتم إنتاج العلم. ولكن هذا الاستدلال لا ينطلق من الفراغ، بل من

<sup>1</sup>- أرسطو، الخطابة، ت: عبد الرحمن بدوي، ص: 228، 229.

<sup>2</sup>- الخطابة، أرسطو، ت: عبد القادر قباني، ص: 21.

<sup>3</sup>- د: جميل الحمداوي، من الحاج إلى البلاغة الجديدة، ص: 26.

معارف سابقة أهمها المبادئ والتعريفات أو حتى مسلمات شائعة.<sup>1</sup> وبتتبع أنواع التصديقات عند أرسطو يتبيّن لنا أن الريطوريقا لا تقوم إلا عليها "والأدلة فيها تنقسم، منها ما هو خارج عن التقنية، ومنها ما هو تقني صناعي. ونقصد بالأدلة التقنية تلك التي لا توفرها لنا وسائلنا الشخصية، ولكنها تعطى مسبقاً؛ مثل الشهود والاعتراف تحت التعذيب و الوثائق والعقود وغيرها من الوسائل الشبيهة بها. أما الأدلة التقنية فهي التي يمكن أن يوفرها لنا المنهاج، ووسائلنا الشخصية ونتيجة لذلك فإنه ينبغي أن نستعمل الأولى ونبتكر الثانية بأن نستخرجها".<sup>2</sup> الأولى تمثل الكلام المقنع الذي لا يحتاج إلى إثبات ولا يكون فيه صناعة أي التي اعتدنا تصديقها والقبول بها دون اللجوء إلى براهين أو أدلة، مثل البديهيات أو المسلمات وعادة الأمر يكون مع أناس تفكيرهم بسيط لا يلتجؤون إلى التحليل أو التفسير أو القياس، أما الثانية فهي ما كان مقنعاً يحتاج إلى ثبيت أي ما حصل فيها شك أو إن كان الكلام موجه إلى جمهور يفتش عن الحقيقة معتمداً على الدليل حتى يقنع فالمنطق هو الأداة التي يتم بها ترتيب أجزاء القول وتنظيم الأدلة محاولاً استخلاص الطريقة التي تمكن الخطاب من إيصال الفكرة والعمل على الإقناع بها.

من هنا ندرك أن التصديقات عند أرسطو في الغالب تتطلب الشبيت ويكون ذلك بالبرهان أو الاستقراء وكلاهما يقودان إلى القياس "ومهما يكن من أمر فالفرق بين القياس والاستقراء عنده هو بالأساس فرق في الاتجاه فيما ييلو. فالقياس هو إخراج جزئي من كلي والاستقراء هو إخراج كلي من جزئيات، أما المثال فيختلف عنهما ويتمثل في إخراج الجزئي الخفي من الجزئي الأعرف وقد ألحقه بالاستقراء وبذلك اعتبر أن للاستدلال شكلين هما القياس والاستقراء، وليس "التبكّيت" (Refutation) والضمير (Enthyméme) سوى نوعين من أنواع القياس"<sup>3</sup> وهو من أهم وسائل الإقناع عند أرسطو لما يتسم به من خصائص عقلية مجانية للحقيقة التي تتولّها الخطابة.

الاستدلالات القياسية هي التي تبني الخطاب شيئاً فشيئاً، أهم غاياتها هو الإفهام ولا يكون إلا بالإثبات، وعليه نستنتج أن آليات الاستدلال عمدة الخطاب الحجاجي "وفي تحليل أرسطو لدور

<sup>1</sup>- أحبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي "ضمن مجلة عالم الفكر، العدد 1 المجلد 3 يونيو، سبتمبر 2001م، ص:126.

<sup>2</sup>- أرسطو، الخطابة، ت:عبد القادر قنبي، ص:15.

<sup>3</sup>- هشام الريفي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص: 101.

الاستدلال في الحجاج، بتجده يتوصل بالآلية المنطقية في الربط بين المقدمات و الاستنتاجات الخاصة بكل من الأقىسة والاستقراءات *inductions* والأمثلة لأنها الأشكال الثلاثة الكبرى للاستدلال؛ ونراه في غير موقع من كتاب "الخطابة" يشير إلى دور هذا الثلاثي<sup>1</sup>، ويمكن الذكر على سبيل المثال قوله: "يمكن أن نتتожج ونستنتج تارة من القضايا سبق أن برهن عليها القياس، وتارة من قضايا لم يتوجهها القياس ولكن قد تقتضي قياسا ما، لأنها ليست قضايا الرأي الشائع".<sup>2</sup> وكذلك قوله: "وقد ذكرنا أن المثال هو استقراء ما، وإلى أي نوع من أنواع الموضوعات يتتمي هذا الاستقراء".<sup>3</sup>، وعموما وسائل الإقناع هي كل ما يمكن إثباته إما عن طريق الدليل المادي أو الدليل العقلي (الاستدلال المنطقي)." فمنفعة الكلام المقنع إنما تكون عند الفحص، والمقنعت هن اللاتي قد فحص عنهن، حتى لا يحتاج فيهن بعد ذلك إلى كلمة واحدة.<sup>4</sup> وبهذا تشكل وسائل الإقناع الأداة التي يمكن الرجوع إليها متى اقتضى ذلك لإثبات صحة الاستدلال، والكلام المقنع هو الكلام الذي إذا ما حللت معطياته أو أعدت تركيبه من جديد ترسخ الإقناع لديك أكثر.

من الملاحظ أن أرسطو أولى القياس المضرم أهمية خاصة من بين جميع الاستدلالات المنطقية التي تبني عليها العملية الحجاجية إذ يقول: "في الحقيقة فإن جميع الخطباء، لكي يتتجوا القناعة، يبرهون بالأمثلة، وبالقياسات المضمرة".<sup>5</sup> ويرجع هذا الاهتمام الخاص إلى طبيعة الاستدلال نفسه إذ أن هذا النوع من الدليل يحذف منه بعض مقدماته" إذا عرفت إحدى المقدمات فلا حاجة إلى ذكرها ولا التصريح بها، لأن المستمع يفطن إليها، ويضيفها إلى المعنى المقصود"<sup>6</sup> وحتى إن كان لا يعرف أن الكلام ينطوي على معنى مضمر لابد له من أن يصل إلى ما أضمر سواء من خلال سياق الكلام أي في بنية الخطاب الذي ورد فيه الخطاب.

<sup>1</sup> - د: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص:39.

<sup>2</sup> - أرسطو، الخطابة، ت:عبد القادر قبيسي، ص:18.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص:20.

<sup>4</sup> - أرسطو، الخطابة، ت:عبد الرحمن بدوي، ص:131.

<sup>5</sup> - أرسطو، الخطابة، ت:عبد القادر قبيسي، ص:17.

<sup>6</sup> - أرسطو، الخطابة، ت:عبد القادر قبيسي، ص:19.

كما قد تكمن في علامات الإعراب والصيغة الصرفية أو في معانٍ الحروف ويسمى هذا النوع من الاستدلال بالشواهد القولية، أو من خلال ما يعرف بالشواهد الحالية وهي الخارجة عن سياق الخطاب أي المتعلقة بالمستدل والمستدل له (المعرفة المشتركة بينهما) أو بمقتضى الحال.<sup>1</sup> وهو المعنى الذي يتضمنه معنى اللغظي أي هو معنى جزئي من المعنى الكلي، هذا المعنى تساهم في بلورته عدة أطراف من العناصر الخفية بالاستدلال لكن يبقى الاتجاه العقلي هو وحده الكفيل الذي يؤلف بين هذه الأطراف للاستدلال على المذوق.

### الأسلوب (البناء اللغوي):

رغم الأهمية التي يحظى بها الاستدلال المنطقي عند أرسطو إلا أنه لا يقتصر عليه بل يزاوج بينه وبين "التصديقات التي تحتال لها بالكلام فإنها أنواع ثلاثة: فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسماته، ومنها ما يكون بتهيئة للسامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه"<sup>2</sup> عن طريق إعطاء الكلام مقدمات وتفسيرات تمهد للموضوع أو بحسن اختيار الألفاظ وكيفية ترتيبها ضمن سياق الكلام وإضفاء عليه رونقا وجمالا بإثارة الانفعالات والعواطف؛ إذ "يعتبر أرسطو أن "اللغة" هي المحرّك للأمور النفسية والانفعالات الاجتماعية وبها يستطيع الحاج أن يغيّب حياد المعينين، و يجعلهم يحكم تلك الانفعالات مشاركين فعليين في الموضوع المطروح".<sup>3</sup> لكن هذه اللغة لابد من أن تكون مضبوطة بقوانين المنطق الحتمي.

عند تتبع هذه الأنواع من الاستدلالات نلاحظ أنه "يندرج عمل أرسطو المنطقي في محاولة وضع المعايير الثابتة التي تنضبط بها هذه المسافة على مستوى اللغة من خلال صورنة formaliser سياقاتها (المنطق الصوري)، أما على المستوى العلمي (الاجتماعي) فمن خلال تحديد مواضع (les topiques) ثابتة للمخاطبين حتى تحافظ المسافة المعرفية الحقيقة على طوها المشروع، فتنضبط بذلك الاتفاقيات العلمية (الأخلاق، السياسة...)"<sup>4</sup> وتبقي البراهين الكلامية واحدة من بين البراهين التي

<sup>1</sup>- ينظر، طه عبد الرحمن، في أصول الحوار تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، سنة 2002م، ص: 151.

<sup>2</sup>- أرسطو، الخطابة، ت: عبد الرحمن بدوي، ص: 10.

<sup>3</sup>- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحاج في البلاغة المعاصرة ، ص: 39.

<sup>4</sup>- د: عمارة ناصر، الفلسفة و البلاغة ، ص: 21.

نستعين بها للإقناع، "ثم مع هذا أيضاً أن يعرفوا هم أنفسهم كيف هم، وبأية حال هم، وأما المعرفة بالتكلم أي أمرٍ هو فأنما تعين بالزيادة عند التشاور"<sup>1</sup>، لأن إذا ما عُرف السامع مكن المتكلم من معرفة نفسه وميوله وثقافته وأفكاره ومن هذا كله يستطيع أن يبني المؤثرات التي تفتح له الطريقة الأسهل والأسرع إلى الإقناع.

يتضح من هنا أنَّ الحديث عن الحاجاج الخطابي يستدعي دراسة قوانين الاستدلال وضرورة مراعاة استخدامها وفق المعايير المنطقية. لكن هذا لا يعني أنَّ الأسلوب في الخطابة أرسطو أقل شأنًا من المنطق، على العكس من ذلك "قد فضل أرسسطو البلاغة على المنطق، لأنَّ البلاغة أكثر فاعلية في المجتمع وأداة ناجعة في تفعيل الجدل والخوض في المناقشات السياسية والفكيرية. في حين يبقى المنطق حبيس المعرفة العلمية بعيداً عن الحياة السياسية، وقد جعل أرسسطو من البلاغة أداة تطبيقية تخلل المنطق والسياسة والأخلاق".<sup>2</sup> وترجع أهمية الأسلوب في نظر أرسسطو إلى أنَّ مهما كانت قوة وسائل الإقناع تبقى محدودة التأثير أنَّ لم تقدم بأسلوب فيه استعمال للعواطف؛ لأنَّ "عامة الناس يتأثرون بمشاعرهم أكثر مما يتأثرون بعقولهم، فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجة، فلا تكفي إذن أنَّ يعرف المرء ما ينبغي أن يقول، بل يجب أن يقوله كما ينبغي"<sup>3</sup> لذا نجد أنَّ أرسسطو في نهاية كتابه "فن الخطابة" أفرد دراسة مفصلة عن أسلوب الخطبة وكيفية تركيبها؛ لأنَّه كان على يقين أنَّ "القول الخطابي إذا لم يبن عن موضوعه لم يؤد وظيفته"<sup>4</sup> والإبانة لا تظهر إلا عن طريق الأسلوب الواضح ثم الملاعنة بين مكونات الخطاب.

من بين أهم مكونات الأسلوب الكلمة القوية المعبرة التي تعمل عمل السحر في نفوس متلقيها، وكذا بحسن اختيار موضعها داخل الخطاب تجنبه الإيحاءات التي لا يريد أن يتحملها الخطاب، في المقابل قد ينطوي تحتها استدلالات يفرضها مكان تموقع الكلمة في الخطاب، كذلك "الذي يجعل الأسلوب واضحاً هي الخاصية التي تميز بها الأسماء والكلام (الأفعال)، وما يرفع عن الأسلوب السطحية ويجعله مزخرفاً ومزيناً هو استعمال سائر الألفاظ التي أحصيناها في كتاب فن الشعر

<sup>1</sup> أرسسطو، الخطابة، ت: عبد الرحمن بدوي، ص: 81، 82.

<sup>2</sup> د: جميل حمداوي، من الحاجاج إلى البلاغة الجديدة، ص: 25.

<sup>3</sup> محمد العمري، بلاغة الخطاب الاقناعي، ص: 97.

<sup>4</sup> أرسسطو، الخطابة، ت: عبد القادر قباني، ص: 183.

(الفصلان 20، 22)، لأن الابتعاد والعدول عن الاستعمال العادي يجعل الأسلوب يظهر أكثر رونقاً ورشاقة... وهكذا ينبغي أن نعطي لغتنا مظهراً غريباً ولونا عجيناً، وذلك لأنه يحصل لنا الاستغراب عما هو بعيد وكل ما يثير الإعجاب والاستغراب يكون لذلِّي<sup>1</sup>؛ وهذه العملية (حسن اختيار الكلمة) تنم عن عبقرية الخطيب في تناوله للموضوع بطريقة بسيطة بعيدة عن التكلف فمن "عمل برودة الأسلوب هي أن تفاهته تنتج عن الإسهاب والخشوع، وتلك البرودة متى استخدمت الأسماء الموضوعة مطولة وفي غير مكانها وأوافها وبدون مناسبة أو وقع تكرارها بلفظها عن قرب.... ويتبيَّن أن هذا النوع إنما يصلح في الشعر، وأنه مستعمل فيه لأن هذه النعوت والصفات تخرج من المتعارف والمتعاد، تكتسي الأسلوب غرابة غير متداولة"<sup>2</sup>، فأرسطو يحرص على أن يكون أسلوب الخطاب متداول يعتمد اللغة الطبيعية لأن كل طبيعي مقنع ترتاح له الأنفس وكل خارج عن الطبيعة مستكره تحوم حوله الشكوك.

يتضح لنا من خلال هذا الاستقراء المقتضب لوسائل الإقناع التي أقرها أرسطو وأسهب في شرحها أنه حاول وضع منهج متكامل يسير من خلالها صانع الخطابة حتى يتتجنب الوقوع الخطابة في مزالق السفسطة وتعلم فائدتها؛ لأنها ممارسة تواصلية آلية تنبع عن كل تفاعل معقول.

### 2-3- الحجاج الخطابي والحجاج الجدلـي:

أقام أرسطو علاقة بين صناعة الخطابة والجدل في بداية كتابه "الخطابة" في قوله "إن الريطورية ترجع على الديالكتيكية، وكلتاها توجد من أجل شيء واحد، ويشتهر كأن في نحو من الأشخاص."<sup>3</sup> وتكون هذه العلاقة في نظره إلى المدف الذي من أجله وجدت الخطابة وهو المدف نفسه الذي يسعى الجدل إلى تحقيقه وهو الإقناع، فمهما تختلف وإن كانت تختلف في وجهة الإقناع، حيث أن الخطابة موجهة حسب أرسطو إلى جمهور عامة الناس في المحافل القضائية أو المحافل العامة بينما

<sup>1</sup>- أرسطو، الخطابة، ت: عبد القادر قيني، ص: 183.

<sup>2</sup>- نفس المصدر ، ص: 188.

<sup>3</sup>- أرسطو، الخطابة، ت: عبد الرحمن بدوي، ص: 03.

الجدل موجه إلى متلقى معين في ظرف خاص، كما "أن الجدل ضرب ثان من الخطاب المتقاطع مع الخطابة. إذ هما معاً يعتمدان على المحتمل أي ما يسلم به الناس"<sup>1</sup>، لأن البلاغة الاقاعية تأخذ من الجدل القدرة على التحكم في أنواع الاستدلال المنطقي ومن جهة أخرى تعمل على توظيف هذه القدرات ضمن إطار أخلاقي.

أما المحتمل هو ما يدور حوله موضوع الخطابة فهي تعتمد على المسائل الظنية التي قد يختلف حولها الناس فتكون بمثابة أداة تعمل على إزاحة ذلك الشك الذي يخلفه الإقناع، هذا المحتمل هو من صميم "الجدل أو ديالكتيك (Dialectique)" الجدل أو المحاورة أو استعراض الأفكار المتناقضة حول موضوع ما أي: إن الجدل هو تبادل الحجج والأفكار وتبادل وجهات النظر المختلفة من أجل الوصول إلى الحقيقة، أو هو ذلك الجدال بين طرفين دفاعاً عن وجهة نظر معينة ويكون غالباً تحت لواء المنطق أو الوعوس أو مقاييس الاستدلال<sup>2</sup>، من هنا ندرك أن العلاقة التي أقامها أرسطو بين الخطابة والجدل لا تقتصر على الغاية فقط (الإقناع) إنما تتعداها إلى الوسيلة التي نصل بها إلى هذه الغاية.

فمهمة الخطابة في نظر أرسطو كما سبق وأن أوضحنا ذلك، تمثل في أنها تكتم بكشف وسائل الإقناع "وفضلاً عن ذلك فإنه من الواضح أن الخطابة تستخدم كذلك لاكتشاف الإقناع الحقيقي من الإقناع الظاهري، كما يُظهر الجدل القياس الحقيقي ويعيّز عن القياس الظاهري"<sup>3</sup> إلى درجة أن أرسطو لا يكاد يفرق بينهما (الخطابة، الجدل)، في قوله: "إذ كل واحد منهمما ليس هو علماً له موضوعه المتميز حتى تعرف خواص كل واحد منهمما وإن كلاهما ليسا إلا قدرات أو ملكات يقتدر بها على تقديم الحجج".<sup>4</sup> بحيث يشتمل الجدل تقريرياً على كل الأمور التي تختص بها الخطابة والتي يتوصل بها إلى الإقناع وإن كان ذلك بحسب متفاوتة بينهما.

<sup>1</sup>- محمد الولي، مدخل إلى الحاج من أفلاطون، ص: 24.

<sup>2</sup>- د: جميل حمداوي، من الحاج إلى البلاغة الجديدة، ص: 11.

<sup>3</sup>- أرسطو، الخطابة، ت: عبد القادر قنبي، ص: 14.

<sup>4</sup>- أرسطو، الخطابة، ت: عبد القادر قنبي، ص: 16.

من هذه الجوانب يتبين لنا أن الخطابة والجدل عند أرسطو منبعهما واحد وهو المتحمل، وكذلك مقصدهما واحد وهو الإقناع، وعلى هذا الأساس يرتبط الحاجاج الخطابي بالحجاج الجدلية، حيث تستغل الخطابة الآليات الجدلية، الحوارية عند مناقشتها للقضايا الإنسانية؛ لأن البلاغة أكثر فاعلية في المجتمع، وأداة ناجحة في تفعيل الجدل والخوض في المناقشات السياسية والفكرية.<sup>1</sup> إذ يضع الخطيب نفسه مع متحاور وهمي خلال مرحلة اختيار الموضع فيساعده ذلك على اكتشاف الموضع الحسنة.

### 3- مرحلة تدهور وانحطاط البلاغة:

لم تعرف البلاغة بعد أرسطو الكثير من التطور غير بعض الشروح أو إعادة ما كان من قبل، لكن ظلت البلاغة تحافظ على أهميتها وهذا ما يلاحظ على "أن نظرية الحاجاج، التي ارتبطت كثيراً باتساع الجمهورية الرومانية كانت تعطي أهمية كبيرة للكلام والنقاشات العامة. وسيطرت بالكامل تقريباً على فضاء التفكير البلاغي، أي فن اللغة بشكل عام. إنها نظرية حية ومتعددة اقتربت بالثقافة العامة، وبالثقافة السياسية لعصر من الخطيب البطل الحقيقي، الحديث الذي سيبقى نموذجه شيشرون، المحامي والمدافع عن حقوق الشعب ورجل السياسة، ومثال الفضيلة"<sup>2</sup> من هنا يبدو أن البلاغة الرومانية سارت وفق البلاغة الأرسطية مع إعطاء عناية خاصة بالخطيب باعتباره المؤثر الأول في العملية الاقناعية.

هذه العناية الخاصة بالخطيب كان لها أثر مأساوي على البلاغة، فرغم أن الخطابة الرومانية ورثت عن نظيرتها اليونانية كل مقومات الخطابة التي أرسى دعائمهما أرسطو لكنها أعطت للخطيب أولوية على حساب الإقناع، ويمكن القول أن الجذور الأولى لانحطاط البلاغة ظهرت من هذا التوجه المتمرّك حول الخطيب والذي أضفي عليه حالة من القداسة، التي حدّت من حرية المتلقى في قبول

<sup>1</sup>- جميل الحمداوي، من الحاجاج إلى البلاغة الجديدة، ص: 25.

<sup>2</sup>- فيليب بروتون، جيل جوتبيه، تاريخ نظريات الحاجاج، ت: محمد ناجي صالح الغامدي، مركز النشر العلمي، جدة، السعودية، ط1، 2011م، ص: 36.

الخطاب<sup>1</sup> وبالتالي أصبحت وسائل الإقناع والمعايير التي تسعى البلاغة لاكتشافها لا معنى لها في ظل أن الإقناع مسألة مفروغ منها من الأول.

وبدأت أهمية الإقناع تتلاشى شيئاً فشيئاً لتأخذ مكانها وبقوة الزخرف اللغظي والمحسنات البدعية، و"يعتبر كتاب مؤسسة للبلاغة لكيتيليان الذي عاش في القرن الأول للميلاد من المؤلفات الأولى التي مهدت للبلاغة المحسناتية. ولقد كان كيتيليان يرسم خطوات أستاذه شيشرون الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد. ومن مؤلفاته في الموضوع الإيجاد والخطيب والأجزاء الخطاطية. وهو بدوره خص المحسنات بعناية كبيرة. غير أن هذا التروع الجمالي – المحسناتي – قد بلغ الذروة في كتاب محسنات الخطاب للبلاغي الفرنسي فونتانيي الذي عاش في القرن التاسع عشر"<sup>2</sup>، هذا التوجه المحسناتي يحتل مساحة كبيرة من الاهتمام في المحيط البلاغي بل أنه أصبح يشكل الغاية الأساسية للبلاغة والذي كان من قبل مجرد وسيلة ثانوية في بلاغة أرسطو، ليجرد بذلك البلاغة من غاية الإقناع التي تصبوا البلاغة إلى تحقيقها.

من أهم الأسباب التي عملت كذلك على تراجع القيمة الحجاجية للبلاغة هو تنامي تيار العلم التجريبي "ففيما يختص الفنون الثلاثة<sup>3</sup>، التي كانت تسيطر عليها البلاغة، فإنها وقعت سريعاً تحت سلطة المنطق. ومن الأجزاء الخمسة<sup>4</sup> المؤسسة للبلاغة نجد الاستظهار والفعل تراجعاً مع تراجع الخطيب، من جانب وتقدمت الكتابة من جانب آخر. وتراجع الإبداع تحت ضربات المنطق الذي أصبح شيئاً فشيئاً منطقياً صورياً".<sup>5</sup>، وبعد أن كانت البلاغة مهارة في يد صانعها يفتن بها القلوب ويدعن لها العقول، أصبحت ليست أكثر من قوالب وقواعد جاهزة حامدة عقيمة لا حركة فيها ولا إبداع "هذا هاجم نيتسيه البلاغة وأعاد خلخلتها ثم بناها على أساس الاختلاف، محاطاً بأوهام الحقيقة المعبر عنها بواسطة

<sup>1</sup> – ينظر: أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص: 5.

<sup>2</sup> – محمد الوالي، مدخل إلى الحاج من أفلاطون، ص: 33.

<sup>3</sup> – النحو، البلاغة، المنطق.

<sup>4</sup> – الأجزاء الخمسة هي: الاستهلال، الموضع، العرض، الأسلوب، الاستدلال.

<sup>5</sup> – فيليب بروتون، جيل جوتينيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص: 39.

اللغة<sup>1</sup>؛ لأن الحقيقة لا تبني بمعزل عن اللغة، هذه اللغة التي تتضمن جميع المتناقضات (الواقع، الوهم)، (الممكן، اللاممكן) وأهم ما يمثل هذه المتناقضات داخل اللغة هي البلاغة.

هذه الأسباب المتراءكة من العهد الروماني إلى القرن السادس عشر تفسر بوضوح "غياب البلاغة في الفكر الغربي، من المصادر المنطقية الصورية الأرسطية إلى القلق الدياليكتيكي الهيغبي ظلّ يعني غياب الحوار في بنية التفكير "العقلاني" وهو ما يعني أيضاً تقلص أبعاد الإنسان "كائن الأبعاد"، وضمور الحوار الذي نكونه، بتعبير غادمير الشهير، وال الحوار في المعرفة يعني عرضاً للآراء وإقامة الحجة عليها والتفاوض حول قيمة الصدق فيها ودرجة اليقين<sup>2</sup> إذ على أساسهما يبنى الخطاب البلاغي الذي هو أصل كل عملية تواصلية.

من خلال تصفح تاريخ البلاغة ووقف على ما منيت به من تقهر لا بحد إلاّ قول "بور ريكو"<sup>3</sup> الذي يلخص لنا "تاريخ الخطابة، هو تاريخ انكماش مستمر". يكمن أحد أسباب موت الخطابة في هذا الأمر: إنها باختزال في واحد من أجزائها، فقدت في الآن نفسه الرابط الذي يربطها بالفلسفة عبر الجدل؛ وبضياع هذا الرابط، أصبحت الخطابة حقداً معرفياً تائهاً ومبتذلاً. ماتت الخطابة حينما عُرض ذوق تصنيف المحسنات بالكامل المعنى الفلسفى الذى كان يبعث الحياة في إمبراطورية الخطابة المترامية، من هنا يمكن اعتبار أن حياة البلاغة لا تقوم إلاً في الوسط العام، الفسيح، لا يحدها حدود مهما كانت صفتها، ويتم ذلك باتصالها المباشر بالجدل الذى تغذيه الفلسفة.

<sup>1</sup>- د: عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، ص: 59.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص: 66.

<sup>3</sup>- بول ريكور، الاستعارة الحية، ت: د: محمد الوالي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، س2016م، ص: 48.

الْفَصْلُ الْأُولُونَ

البلاغة الجديدة عند "بيرلان" المفهوم،  
والبناء"

### البلاغة الجديدة:

#### 1- ظروف اباعث البلاغة من جديد:

استدعت بداية النهضة الأوربية الحاجة الماسة إلى إعادة الاعتبار للخطاب والنهوض به من جديد لما لهذا الأخير من دور فعال في تنمية الأمة على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، فتضافرت جهود المفكرين المعاصرين الغربيين في إحياء التراث البلاغي اليوناني بإعادة قراءته من جديد، مستعينين بالأبحاث اللسانية في تلك الفترة، فقد ساهم "تطور الدراسات اللغوية والانتقال من لغويات اللسان إلى لغويات الكلام"<sup>1</sup>، في إبراز بعد الحجاجي للملفوظ في بعض وجوه توظيفه، وقد ساهم في ذلك عدة عوامل أهمها:

##### - تغير مفاهيم العلم:

خاصة وأنّ العلم بدأ يأخذ مفاهيم جديدة مغايرة لمفهوم العلم قديماً "حيث أصبح يعتمد على التجريب والنظرية وحركة القوانين النسبية، واحتفى منه الأساس المعياري التقويمي اختفاء كلّياً ليحل محله الشرح والتفسير، ومتابعة الظواهر في تشكّلها وحركتها والبحث عن وظائفها المتعددة – كل ذلك آذن بانتهاء عصر التعريفات المنطقية القبلية الدائمة بشكل لا رجعة فيه، وخضوع المنطق والفلسفة ذاتها لنتائج البحث العلمي المتعدد في أدواته ومناهجه"<sup>2</sup> فاستدعي ذلك بعث البلاغة من جديد وتخلصها مما وسمت به من قصور لحق بها بسبب ابتعادها عن غايتها الأساسية وهي الإقناع مع جنوحها إلى التزويق والتنميق لفترة زمنية طويلة؛ وبما أنّ "البلاغة القديمة كانت متسقة مع جملة المعرف التي نشأت في إطارها وبصحتها، أبرزها المنطق، والفلسفة؛ لأن المنطق الصوري "آلية قانونية تعصم مراءاتها الذهن من الخطأ في الفكر"<sup>3</sup>، هذا المنطق لطالما هُجم واعتبر أنه يتعارض مع ماهية البلاغة، هذا عندما "فقد الحجاج مكانته ليحل فيه البرهان العقلي، خاصة من ديكارت، وبالتالي حرمان البلاغة من الجزء الجوهرى الذي تمثله نظرية الإبداع (Theorie de l'invention) . لأن المنطق يقوم على حقائق ليصل إلى حقائق أخرى، بينما البلاغة تقوم على المتحمل لتصل إلى حقائق

<sup>1</sup> - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 103.

<sup>2</sup> - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، س 2004، ص: 138.

<sup>3</sup> - الشهيد مرتضى المطهري، المنطق، ت: الشيخ حسين، دار الولاء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط02، س 1432هـ، ص: 12

محتملة وليس يقينية، وكذلك لأن الاستدلالات الخطابية لا يمكن للمنطق الصوري دائمًا صورتها وصوغها "إذ تبدو هذه الأدوات الصورية إما باللغة الضيق أو التعقيد أو بالغة التنظير والتجريد أو بالغة التقنية والتحسيب فتحتاج إما إلى تطويرها وتوسيعها وإما إلى تركها وطلب غيرها"<sup>1</sup>، كما أن هذا "الأمر يتعارض مع وجهة نظر أولئك الذين يريدون إبقاء الاتصال بين علم المنطق والنشاط المنطقي الطبيعي"<sup>2</sup> وتعبر هذه النظرة التي ترفض اقتران البلاغة بالمنطق نظرة دخيلة على علم المنطق الأرسطي حيث أخذ اتجاه مغايرا تماماً للغاية الحجاجية التي وضع من أجلها فقد قرنه أرسطو بالخطابة ليكون بمثابة وسيلة تحكم العقل وتقيه من الخطأ لأن لغتنا الطبيعية تقوم أصلاً على المنطق.

إن هذه النظرة السيئة التي أصقت بالمنطق كادت أن تكون سبباً في اندثار البلاغة. هذا يفسر سبب رفض "بيرمان من البداية الخيار الصائب الذي يحيل ما يمكن إحصاؤه إلى العقل البرهاني La raison démonstrative، وما لا يمكن إحصاؤه؛ أي كل ما ينبع من القيم وما يحتمل الصواب"<sup>3</sup> فهو بهذا يقدم تصور آخر للمنطق الموازي للمنطق الديكارتي الذي لازم العلوم فترة زمنية طويلة، وسمت الصراحة العلمية التي قيدت الإبداع والخيال، "وهكذا يظهر اتجاهان لدى المهتمين بالمنطق: إبقاء هذا المنطق في دفته ولو اقتصر على أن لا يعبر بالمطابقة التامة إلا عن الخطاب الرياضي، وتوسيعه وتلبيسه، ولو أدى ذلك إلى قبول بعض التخلخل في قانون الاستنتاج وفي دقة الحسابات"<sup>4</sup>، هذا الاتجاه يتوافق مع بلاغة الحجاج التي لا تستثنى أي محتمل خاصة وأن الفكر الإنساني يقوم جله على ما هو محتمل وحتى أن الحقائق الثابتة علمياً كثيراً ما تصبح في دائرة الاحتمال بعد ظهور مستجدات مع مرور الزمن.

#### - اكتساح الخطاب الحجاجي جميع الميادين :

فرض الخطاب الحجاجي نفسه على جميع المجالات في يومنا الراهن مما ساهم في "انتقال البلاغة من معرفة مبتذلة وفارغة ينادي الكثير بموتها (قيرلين - هوجو) إلى معرفة رائدة تطمح لأن تصير علما عاماً للخطاب (الخطابات)، بل وعلما مستقبلياً لكافة فروع المجتمع، وهو ما يجعلها تحضر، بقوة في

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ، س 1998م، ص: 270.

<sup>2</sup> - روبيير بلانشي، العقل والخطاب دفاع عن المنطق الفكري، ت: أ، د: محمود يعقوبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (د، ط)، س 2009، ص: 24.

<sup>3</sup> - فيليب بروتون، جيل جوتبيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص: 44.

<sup>4</sup> - روبيير بلانشي، العقل والخطاب دفاع عن المنطق الفكري، ص: 91.

معظم المقول المعرفية انطلاقاً من الفلسفة والمنطق والأدب إلى اللسانيات والسميائيات والتداوليات وغيرها"<sup>1</sup> أخذ الخطاب الحجاجي يحتاج جميع الميادين وبقوة فلم يعد محصوراً في الخطاب الأدبي فقط، بل تعدى ذلك إلى كل الخطابات التي تبني على الأدلة والحجج، "الافتتاح على حقوق معرفية أخرى وال الحاجة إلى تضافر التخصصات في استكشاف قوانين الظواهر المدروسة أثرت تأثيراً كبيراً في طائق النظر إلى العلامات والتفكير الحجاجي، وتحلت أهميتها في حواسب عديدة من تيارات تحليل الخطاب كما هو شأن الاهتمام بالتلفظ وإنتاج المعنى"<sup>2</sup>، فأصبح لازماً على الباحثين والنقاد الالتفات إلى هذا النوع من الخطاب.

تعتبر المدرسة البلجيكية التي يمثلها "شاييم بيرمان" (chaime Perlman) و"تيتكا" (Titika) والمدرسة الفرنسية والتي يمثلها "ميشار ماير" (Mickel Meyer)، الرائدتان في عملية إحياء البلاغة، فكتاب "مصنف في الحجاج" لشاييم بيرمان يعتبر الانطلاقة الفعلية والجادحة للبلاغة بمحاولة تحريرها من قيود القواعد الجافة والارتقاء بها لتتربيع على عرش العلوم الإنسانية من جديد فتسعيid مكانتها، و العنوان الفرعي "البلاغة الجديدة"، لكتاب بيرمان قد عبر عن هذا التوجه العام الذي يروم جعل البلاغة عملاً مستقبلياً هدفه – أو على الأصح، أهدافه – تطوير المجتمع وتخليل مختلف الخطابات عن طريق الوقوف على خططها الحجاجية المتأسسة عليها، وهي أهداف تحقق أيضاً التوجه إلى آفاق القراء وحجتهم من جهة، والتخلص عن الترعة المعيارية من جهة ثانية، وهو تخل كأن من أسبابه التغير العام الذي حصل في مناهج العلوم الإنسانية عامة"<sup>3</sup>، وهذا بإعادة صياغة قوانين جديدة تحكم العقل

#### - الوقوف على الحقائق:

بروز تيار العلم التجاري الذي يقف على الحقائق الملمسة، هذا التيار كان له أثر كبير على جميع منافذ الحياة المعاصرة، وحتى يتسم الخطاب بنفس الخاصية كان عليه أن يجد لنفسه طريقة يمكنه من ذلك ويكون أكثر موضوعية، فكان الحجاج أفضل الطرق التي توصل إلى الحقائق دون الإخلال

<sup>1</sup> - محمد أركون، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، (د، ط)، 2001، ص: 99.

<sup>2</sup> - أحمد يوسف، الحجاج مفهومه ومحلاته، إشراف د: حافظ إسماعيلي علوى، ابن ندم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروايد الثقافية ناشرون، لبنان، ط 1، س 2013م، ج 2، ص 47.

<sup>3</sup> - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 102.

منطق اللغة أو التصادم العقلي باللامعقول، فهو يستوجب تقريب المسافات بين الأفكار واستيعاب المتناقضات التي تفرضها اللغة الطبيعية دون أي قيود مرجعية كانت، فالحجاج يعتبر "معقولية وحرية". وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيد عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة وبعيد عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل. ومعنى ذلك كله أن الحجاج عكس العنف بكلّ مظاهره<sup>1</sup> وبهذا التحديد تبني الحقيقة المتفق حولها، وكلما كان توافق إلاّ ونشأ اقتناع متين وهو غاية الحجاج إذ تجد "بعض الكلام وتجد بعض الدلائل والأفعال تأثيرها وفعلها في الواقع دون أن يكون لها بناء منطقي معلوم وشكل صوري واضح، ففي الواقع الاجتماعي، النفسي نلمس أثر الثالث المرفوع ونعاين فعل المتناقض والمضاد ولا نفهم كيف نتج هذا السلوك أو هذه الواقعة عن مفارقة واضحة، وبهذا فإنّ الحجاجية تكون قد ولدت من اصطدام التاريخ بالمنطق إلى حل المشكلات العملية أو توجيهها".<sup>2</sup> فالحجاج يجمع بين العمليات العقلية المعقولة وبين اللغة الطبيعية التي تحترم كل الاحتمالات محاولا إنتاج منها حقيقة مقبولة إلى درجة اليقين.

الحقيقة التي أريد الوقوف عليها كذلك من خلال النظرية الحجاجية هي حقيقة المعنى التي يحملها النص والتي سعى إلى بلوغها أصحاب الفكر التأويلي (الهرمنتيقا) وهذا باستقراء النصوص تكشفت لهم في صورة الحوار الجدلية بين النص والقارئ؛ لأن "النص باعتباره سؤالاً مفتوحاً، فلا بد من يروم إجابته أو مساءلته أن يفهم أولاً حياثات البناء الإشكالي للنص، وهو فهم ذو طبيعة تخيلية تصويرية، توقيعية لأسئلة وروافد قضايا المبدع - الغائب بالفعل لا بالقوة- Imaginaire <sup>3</sup> ويعتبر "غادربر" من أبرز الهرمنطيقيين الذين توصلوا إلى أن العلاقة بين الحقيقة المعنى وبين الحوار حجاجي الذي يتطلب الفهم.

تجدر الإشارة إلى أن "الفهم وال الحوار هما نتاج التعامل مع "الشيء نفسه" وليس الإقرار بحقيقة "الشيء في نفسه". هذا التمييز يفتح السبيل نحو الحوار كمشاركة بمعزل عن إطلاقيـة المعنى وإرادة المهيمنة. الحوار هو إنتاج مشترك لـحقيقة تشـغل الأفراد و تؤسس تاريخـهم ومـصيرـهم المشـترك و مشارـكة

<sup>1</sup>- د: عبد الله صولة، أهم نظريات الحجاج في التقاليـدة الغربية، ص: 298.

<sup>2</sup>- د: عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، ص: 96.

<sup>3</sup>- د: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 77.

لا تنضب في إنتاج المعاني وتشكيل التصورات وصياغة الأحكام. باختصار، تغدو الحقيقة عند غادمير كفهم وتفاهم وحوار، مشاركة وليست امتلاكا وإنتاج المعنى وليس إرادة السيطرة والهيمنة وإنارة الحاضر وليست تعطيم الفهم<sup>1</sup>، ويقصد بالحقيقة هنا هي المعانى الخفية التي تقف وراء المعنى الظاهر، وهذا الأخير يستدل به على المعنى الخفي عن طريق المسائلة التي يقوم بها المتلقي للنص، "ومن أبرز المهر منطقين الذين مثلت آراؤهم همزة وصل بينهم وبين أصحاب التلقي نذكر "دلتاي" الذي أشار بوضوح إلى الطابع الجدي لللحوار بين تجربة المتلقي وتجربة النص وما يتم بينهما من عملية اغناء متبادلة"<sup>2</sup> فالمسائلة هنا ليست مجرد مسألة للمعاني التي يحملها النص إنما هي مسائلة تبحث الأسباب والعلل للوصول إلى مقصدية النص، أي بمعنى آخر الحكمة وراء المعنى، وكلما كانت حكمة ازداد المتلقي إيمانا بالقول واقتناعا به، وهنا تكمن الخلفية الحجاجية التي ترتبط بالقارئ.

#### - انتشار الإعلام والسينما الصامتة:

بعد انتشار وسائل الإعلام المرئية ولا مرئية ظهرت حاجة الإعلام إلى لغة اتصالية تحقق أهداف الإعلام وتيسير مهامه " وترتبط هذه اللغة في بلاغتها الجديدة ارتباطا مباشرا بمفهوم الوسائل الجماهيرية مقروءة وسموعة ومرئية وبوظائف هذه الوسائل من إعلام وتنقيف وإقناع وترويج ومشاركة ذهنية وقلبية، كما ترتبط بنظرية التحرير الجماهيري"<sup>3</sup>، خاصة مع "ازدهار الرأسمالية وتطور الإنتاج بحيث أصبح يفيض عن الحاجات والطلب .... لقد أصبح الشغل الشاغل للرأسمالية هو كيفية ترويض الناس على الاستهلاك"<sup>4</sup> ويعتبر الخطاب الحجاجية هو الأداة الفاعلة في ذلك.

عندئذ ظهرت إلى السطح لغة جديدة لها ميزاتها الخاصة " ومن الطبيعي تختلف اللغة في سياقها الجماهيري الجديد عن لغة الاتصال المباشر، اختلاف البلاغة الجديدة عن البلاغة القديمة التي تتطلب بنية وخصائص تختلف عن ذي قبل؛ فالخطيب الذي كان في مقدوره تلقي ردود أفعال جمهوره المحدود، ومواجهة هذه الأرجاع بمنهج بلاغي مقنع، لم يعد في امكانه - في الوسائل الجماهيرية أن

<sup>1</sup> - محمد شوفي الزين، تأويلاً وتفكيكات فصول في الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط: 1، س 2002م، ص: 61.

<sup>2</sup> - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 81.

<sup>3</sup> - د: محمد عبد منعم حفاجي، د: عبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجدد، دار الجيل بيروت، ط 1، 1992م، ص: 81.

<sup>4</sup> - محمد الوالي، الحجاج والإشهار أفيون الشعوب المعاصرة، إشراف د: حافظ اسماعيلي علوى، ابن ندم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الرواقد الثقافية ناشرون، لبنان، ط 1، 2013، ج 2، ص: 976.

يتعرف مباشرة على جمهوره، الأمر الذي يحتم على لغته أن تبني صلة جديدة افتقدت بينه وبين جمهوره، بمحاولة التعرف على مستويات جمهور المستقبليين، ومواجهة هذه المستويات المختلفة بلغة مفهومية مقنعة يتتوفر فيها عنصر المشاركة والتشابه في الخبرات بينه كمرسل وبين جمهوره كمستقبل<sup>1</sup> فظهور هذا النوع من الجمهور المتلقى أحدث انقلاباً هاماً على مفاهيم وميادين البلاغة واستدعي إعادة تنظيم الساحة البلاغية لتنماشى ومستجدات الحياة المعاصرة ، لذا يعد "نجاح البلاغة الحالى يرجع إلى الاهتمام بوسائل الإقناع التي فرضتها طبيعة المجتمع الإعلامي المعاصر"<sup>2</sup> ، ويمكننا القول أن نوعية الجمهور تعتبر هي جوهر الاختلاف بين البلاغة الجديدة والبلاغة التقليدية. وبالتالي أصبح الحاجاج في ظل مختلف التغيرات التي عرفها العالم المعاصر مطلباً أساسياً في كل عملية اتصالية تستدعي الإفهام والإبلاغ والإقناع.

#### - تكريس مبدأ الديموقراطية:

شهد المجتمع الغربي في فترة الخمسينيات الفترة التي تزامنت وتأليف "بيرلان" مصنفه في الحاجاج عدة أحداث سياسية منها خروج أوروبا من الحرب العالمية الثانية التي أوجحتها "الخطب النارية لخطيب مربع هو أدولف هتلر... هذه الحساسية لما كان يعتمل في أوروبا، حدثت ببيرلان منذ سنة 1934 إلى الكتابة عن "العشوانية في المعرفة" ، عشوائية القول وعشوانية الفكر والإيديولوجيا"<sup>3</sup> وهذه الفترة تتشابه إلى حد كبير مع الفترة التي ظهرت فيها الخطابة الأرسطية كردة فعل على الخطابة السفسطائية المغالطية، فقد "عادت البلاغة اليوم وتبaint وجهات نظر المنشغلين بقضاياها كما حفل تاريخها الطويل بالصراع المختدم باعتبارها فنا للإقناع تجاذبها بشكل مستمر وحاد، فحين يتسع مجال النقاش الديمقراطي تهيمن كفن للإقناع (أرسسطو، محакم أثينا ومحالس الشعب) وحين يتقلص مجال الحريات ترتكن في الأديرة والمعابد كفن للتعبير والتزيين"<sup>4</sup> فإن النشاط الإنساني التواصلي المتحرر في أي مرحلة من المراحل هو الدافع الأساسي إلى الاهتمام بفاعليات التخاطب، وطرق تحصيل هذا الفاعليات.

<sup>1</sup> - د: محمد عبد منعم خفاجي، د:عبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجدد، ص: 81.

<sup>2</sup> - محمد سالم محمد الأمين ولد طلبة، الحاجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 52.

<sup>3</sup> - د: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف ، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1، س 2013، ص: 83، 84.

<sup>4</sup> - د: عبد السلام عشير، عندما تتوافق نغيم، مقارنة تداولية معرفية لآلية التواصل والجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، س 2012، ص: 19.

إن هذه الديمقراطية المعاصرة شهدت ازلاقات على مستوى نوع الخطاب وكيفية توظيفه مثلما شهدتها أثينا قديما، "فإن ظهور مصنف الحاجج خلال سنوات الخمسينات والستينات، لا ينفصل عن سياق فترة الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي الاشتراكي والرأسمالي الغربي. وقد كان خطاب الأحزاب الشيوعية الأوروبية المهاجمة للديمقراطيات البرجوازية قوياً ومشحوناً، لحد رأى فيه "بيرلان" صدى للخطابات التوتاليارية السابقة"<sup>1</sup> هذا من جهة ومن جهة أخرى "كانت هذه المؤسسات تعتمد في أغلب الأوقات على وسائل دعائية غير مشروعة، سعي مجموعة من المنظرين إلى العمل على تقوين هذه الوسائل والآليات الدعائية: ضمن اتجاه سعى لعقلنة الدعاية عبر إعادة تشكيل الخطاب السياسي وتأسيسه على فكرة العقلانية الحاججية"<sup>2</sup>، حتى يضبط الخطاب ضمن حدود المعقول والمقبول.

أفرزت هذه المجموعة من الإجراءات تحول عام على مستويات شتى، "وكان من النتائج المباشرة لهذا التحول، سيادة ثقافة ديمقراطية تكرس التنوع والاختلاف، ونبذ العنف والإقناع، وتستهجنهما، فكيف الحاجة ماسة إلى نمط جديد من الخطابة (البلاغة)، تماماً كما حدث في السياق الأثيني"<sup>3</sup> فالديمقراطية تشهد مرة أخرى ميلاد جديد للبلاغة في العالم المعاصر.

#### - انقلاب مفهوم النص:

خرج مفهوم النص من كونه مجرد شكل لغوي ذو نظام معين (حرف، كلمة، جملة) إلى مجموعة من البنيات متتالية لها وظيفة تواصلية ومن هذا المنطلق أخذ النص يعرف "بوصفه فعلاً لغويًا معقدًا يحاول المتكلم به أو كاتبه أن ينشئ علاقة تواصلية معينة مع السامع أو القارئ"<sup>4</sup> هذا المفهوم الجديد للنص كان له أثر على مستوى تطلعات المستقبل للنص الذي يريد أن يستكشف العلاقة التي تختزناها أنساقه؛ "إن الأمر في البلاغة يتعلق بصورة موجزة للغاية باستعمال واعٍ وهادف ومعلم لمعارف جمهور المستمعين وآرائهم ورغباتهم من خلال سمات نصية خاصة، أو الطريقة التي يتحقق من خلالها

<sup>1</sup> د: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المعاشرة، ص: 84.

<sup>2</sup> د: عليوي أبياسدي، الحاجج والتفكير النقدي، دار النشر المعرفة، الرباط المغرب، (د، ط)، س: 2014م، ص: 32.

<sup>3</sup> د: حافظ إسماعيلي علوى، الحاجج مفهومه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د، ط)، س: 2010م، ج 1، ص: 9.

<sup>4</sup> جمان بن عبد الكريم، إشكالات النص دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، س: 2001م، ص: 31.

هذا النص في الموقف الاتصالي"<sup>1</sup> إنّ هذه العناصر تشكل أنظمة تحكمها شروط خطابية يصعب تحرّكها أو تحريكها، إنما اشتغالها مع بعضها البعض يعزز الفاعلية الحاجية ووظيفتها التأثيرية.

على هذا الأساس تم الإعلان عن نوع جديد من البلاغة التي تنطق من علم النص؛ لأنّ "علم جديد يجمع شتات الجزئيات المبعثرة في نظام عالمي شامل متداخل الاختصاصات، لا يرتبط بالخصائص الخلية للغات والآداب المختلفة، بقدر ما يهدف إلى استثمار نتائج البحث في العلوم الإنسانية الجديدة لإضفاء النصوص المحددة، الأمر الذي دفع بالكثير من العلماء في الثقافات المختلفة في آن واحد إلى إعادة قراءة تراثهم البلاغي، بهدف تأسيس إنسانية جديدة تقوم بهذا الدور في تجاوز مأزق الثقافة المنشطة".<sup>2</sup> هذه الفكرة التي جعلت من النص أولى تطلعاتها ترجع في الأساس إلى قدرة هذا الأخير الانتقال بين مختلف الثقافات وكذا القدرة الفائقة التي يتميز بها في التحول بين الأجناس الأدبية وما يحمله من تراكمات إيديولوجية ودلالية تحمل بذلك بلاغة جديدة.

فابعاث البلاغة الجديدة لم يكن من محض الصدفة إنما طبيعة التحول الحضاري المعاصر ألحّ على ضرورة إعادة التفكير في وسائل إنتاج الخطاب، وإعطاء فسحة أكبر للفكر لتحرر من بوتقة الأفكار المفروضة عليه خلال فترة طويلة من الزمن خنقـت الإبداع وحدـت أفقـ الخيـال "فـلم يـعد بـوسع أحدـ أنـ يـفرض عـلـينا قـانـونـاً يـعتمد عـلـى إـيديـوـلـوجـيـة أو تـارـيـخـيـة تـتـهـيـ إلىـ أيـ سـلـطـة خـارـجيـة، بلـ أـصـبـحـ المـبـدـعـونـ هـمـ المـشـرـعـونـ لـمـبـادـئـهـمـ، الـمـجـرـبـونـ لـقـوـانـينـهـمـ، وـكـانـ حـتـمـاـ عـلـىـ الـبـلـاغـةـ الـمـعيـارـيـةـ أـنـ تـخـضـرـ حـيـئـذـ".<sup>3</sup> لأنـ عمليةـ الـخـلـقـ وـالـإـبـدـاعـ لـابـدـ لـهـ مـنـ التـغلـبـ عـلـىـ الـمـعـوقـاتـ وـكـسرـ حـواـجزـ الـقـوـالـبـ الـنـمـطـيـةـ الـتـيـ حـوـصـرـتـ بـهـ الـبـلـاغـةـ.

### 2- مفهوم البلاغة الجديدة:

أصبحـتـ الـبـلـاغـةـ الـجـديـدـةـ عـنـدـ الـغـربـ عـلـمـاـ قـائـماـ بـذـاتهـ وـيـتـفـاعـلـ مـعـ مـجاـلاتـ مـخـتـلـفـةـ كـالـلـغـويـاتـ وـالـفـلـسـفـةـ وـعـلـومـ الـاتـصـالـ وـغـيرـهـمـ، وـمـنـ أـبـرـزـ الـمـنـظـرـيـنـ لـهـذـهـ الـبـلـاغـةـ هـمـ "شـايـيمـ بـيرـمانـ" (chaime Berman).

<sup>1</sup>- فـانـ دـايـكـ، عـلـمـ النـصـ، تـ: دـ: سـعـيدـ حـسـنـ بـعـيريـ، دـارـ القـاهـرـةـ لـلـكتـابـ، القـاهـرـةـ، طـ1ـ، سـ182ـ، صـ183ـ، 2001ـمـ.

<sup>2</sup>- صـلاحـ فـضـلـ، بـلـاغـةـ الـخـطـابـ وـعـلـمـ النـصـ: 297ـ.

<sup>3</sup>- نفسـ المـرـجـعـ، صـ149ـ.

"Perlman<sup>1</sup>" من خلال أهم مؤلفاته "مصنف في الحجاج"، وكذلك أعماله برفقة "تيтика" (Tytika) التي تضمنها مصنفهما "مصنف في الحجاج"، ثم "ميشال ماير" (M.Meyer) الذي حاول طرح نظرية الحجاج من ناحية فكرة التساؤل والمساءلة، كما اهتم "تولمين" (Toulmin) بالأدوات الحجاجية وعلاقتها بالتوظيف اللغوي، ونذكر في جانب المدرسة الفرنسية "رولان بارت" (Rolan Barth) و"بول ريك" (Paul Ricoeur) و"ديكرو" (Dicrou) و"جيارجنيت" (G.Genette)، و"تودورف" (Todorov)، و"مجموعة لييج" (Group Lieje)<sup>2</sup> و"جيارجنيت" (G.Genette)، و"جيارجنيت" (G.Genette) و"مجموعة لييج" (Group Lieje) وانطلاقاً من الدور الذي حظيت به البلاغة في العالم المعاصر، ارتبطت هذه البلاغة بنظرية الحجاج.

#### 2-1- علاقة الحجاج بالبلاغة الجديدة:

##### مفهوم الحجاج:

تكاد تتفق جميع مفاهيم الحجاج في البلاغة الجديدة على أنه فن الإقناع إلا أن الاختلاف يلاحظ في الجزئيات التي تحدد الزاوية التي تنظر بها كل نظرية مفهوم الحجاج و كلها في الشروط والمعايير التي تعتمد عليها مختلف النظريات لبلوغ الإقناع "فمنها ما يتعلق بنية الخطاب ومنها ما يعود إلى العلاقات بين أقسامه ومفاصله الكبرى. ومنها ما يتعلق بضروب الحجاج والأدلة والبراهين"<sup>3</sup> وعلى هذا الأساس تنوّعت واختلفت مفاهيم الحجاج.

سنبدأ بالتعريف المعجمي للحجاج بحيث "أخذت كلمة Argument من الفعل اللاتيني Arguer، وتعني جعل الشيء واضحاً ولامعاً وظاهراً، وهي بدورها من الجذر إغريقي argues" ويعني أحياناً "لامعاً"<sup>4</sup>، هذا التعريف المعجمي لا يكاد يعطي تعريفاً وافياً شاملًا لكن يحتضن معنى عام لنظرية الحجاج، كما أن المفهوم الذي نجده في موسوعة لالاند الفلسفية يجمع بين طياته المفهوم العام

<sup>1</sup> - بيرمان: "Chaim Perelman" ولد سنة 1912، بفارسوبيا، ثم هاجر إلى بلجيكا من أهم أعماله "إمبراطورية الخطابة" (L'opire Rhetorique)، وهو مؤسس البلاغة الجديدة.

<sup>2</sup> - ينظر: د: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، س 2012م، ص: 65.

<sup>3</sup> - سامية دريدلي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنفيه وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، س 2008م، ص: 117.

<sup>4</sup> - حافظ إسماعيلي علوى، مفهوم الحجاج، ص: 02.

الذي تنطلق منه جميع نظريات الحجاج، فهو " طريقة عرض الحجج وترتيبها "<sup>1</sup> ويقى هذا التعريف حد محدود إذا ما راجعنا إلى نظريات الحجاج فنجد أن كل نظرية إلاّ وأعطت تعريفا للحجاج يتناسب مع المنظور المعرفي الذي طرحت من خلاله نظرية الحجاج.

### 1- الطرح المنطقي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الحجاج هو عبارة عن مجموعة من الحجج والبراهين<sup>2</sup>، ويعتبر هذا الطرح قدس يعود إلى الخطابة الأرسطية غير أنّ "بيرلان" أعاد الاعتبار إلى البرهان و الاستدلال الحجاجي باعتباره مفهوماً منطقيا لتشكيل الخطاب البلاغي، إذ "يلعب الخطاب البرهاني الدور الأكبر في تطعيم الحجاج بالأساليب الأدبية البلاغية".<sup>3</sup> التي تتسم بالعقلانية فتسم الخطاب بالمصداقية.

فقد يحدث التباس في الأدلة الحجاجية وهنا يتدخل البرهان ليزيل هذا التباس عن طريقة ترتيب و اختيار الاستدلالات وكيفية الربط بينها، "فكيف نعرف الحجاج؟ فالتأكد ليس كمفهوم علم، أو كمتالية من الحجج، يمكن أن نعرف الحجاج بمثابة فكرة مطروحة لإثبات أخرى. نظرية سبق طرحها تساهم في الاحتجاج إثبات أخرى....من هنا نرى أن هناك بعض الحجج هي برهانية و أخرى حجاجية، إذن لا يمكن أن نفهم معنى الحجاج انطلاقا من الحجج، فهي كلية لا يمكن فهمها إلاّ في مقابلتها بكلية تتصادم معها: أي البرهان"<sup>4</sup>، وإن كان البرهان ينقطع مع الحجاج في الكثير من المسائل لكن فهمه و مقابلته بالحجاج يعطي مفهوم أدق للحجاج عامة.

عموما يمكن القول أن "الحجاج من حيث المفهوم والاستعمال يرتبط عادة بما هو عقلي جاد وينأى عن كل هزل وعبث. فحجاج عند أغلب الدارسين يعتبر حوارا عقليا أو جملة من الأساليب التي تعتمد قوانين المنطق والتي تؤدي اعتمادها في الخطاب إلى الملتقي بما طُرح عليه من أفكار وما عرض عليه من آراء. ولذلك صنفت الحجاج وفق العلاقات الشبه المنطقية أو العلاقات الرياضية كما

<sup>1</sup>-أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، لبنان، باريس، ط 2، س 2001 م، ج 1، ص: 94.

<sup>2</sup> -voire : Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite de L'argumentation La nouvelle Rhetorique P :5

<sup>3</sup> - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص: 110 .

<sup>4</sup> - Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, théorie et pratique, quadrige ,p :16.

هو الحال عند "بيرمان"<sup>1</sup> فما هو إلا عبارة عن مجموعة من الحجج والبراهين المتسلسلة تسلسلاً يسمح لسامع أن يقتنع بوجهة نظر معينة.

كما يمكن أن يكون الطريقة التي يتمثلها الفرد أو مجموعة من الأفراد لطرح حجج يسعى بها إلى تحقيق التأثير في الآخر وجعله يتبنى فكرة أو سلوكاً معيناً، لذلك "يلاحظ في نظرية الحاجاج تركيزها الكبير على المكتوب وآليات البرهنة فيه لأن مجال إعمال العقل فيه تحليل وتأويل أوسع مما هو متاح في الخطابة التي يتميز نوع الخطابة فيها بأنه شفووي فقط"<sup>2</sup> يقصد بالخطابة هنا النوع الموجه للجماهير.

### 2- الطرح اللغوي:

في المقابل هناك بعض التعريف تفرق بين الحاجاج والبرهان " فالحجاج ليس خطاباً برهانياً منطقياً وعلقرياً بالأساس - كما يتصور البعض - يقتضي البرهنة على صدق قضية ما مثلما هو الأمر في الاستدلال المنطقي (syllogisme) وإنما هو خطاب لغوي طبيعي عادي احتمالي في نتيجته التي يتوصل إلى معناها بالتأمل في البنية اللغوية"<sup>3</sup> وهذا الاتجاه اللغوي عندما وضعه "ديكرو" Dicro بداية السبعينيات كان يسعى من خلاله إلى تفعيل الوظيفة التأثيرية للغة الطبيعية، وهذا لأن "اللغة هي المجال الذي تكشف فيه القصدية المقرونة بالتواصل بأجل مظاهرها، وما دامت الحاجة لا تفارق اللغة، فإنها تنطوي على أقوى مظهر للقصدية"<sup>4</sup>، فاللغة هي الأصل في معرفة أفكار واعتقادات المتكلم والكلام عامة لا يخلو من القصد وإنّ وصف بالغموض وبهذيان صاحبه وبما أن اللغة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقصدية التي غالباً ما تحصر في الإقناع.

### 3- الطرح التأويلي:

كما سبق لنا القول بأن الخطاب الحاججي قد يحدث عليه التباس لأنه يعتمد على الاحتمال "كما يساهم قصد المرسل في تعدد معنى الخطاب الواحد أو في تعدد أفعاله الإنمازية، إنه قد ينتج

<sup>1</sup>- سامية الدريدى، الحاجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص: 163.

<sup>2</sup>- محمد سالم الأمين الطلبة، الحاجاج في البلاغة المعاصرة ، ص: 110.

<sup>3</sup>- د: نعمان عبد الحميد بورقة، القيمة الحاججية في النص الشهاري، مفهوم الحاجاج، ص: 222.

<sup>4</sup>- طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 255.

خطاب أكثر من تأويل في السياق الواحد"<sup>1</sup> حيث يفهم المخاطب معنى غير الذي قصده المتكلم أو أن السياق يوحي بأكثر من معنى ومع هذا الاضطراب بين المعاني تكون القراءة الحجاجية هي الوسيلة الفاصلة التي تحدد المعنى من خلال نظرية المسائلة "وهذا يقودنا إلى القول بأن بداية الخطاب وبداية الفهم هما بداياتان بلاغيتان تستخرجان وضعهما الحجاجي من المقدمات اللغوية، وتبين الحقيقة حسب الشروط والظروف التي تفرضها القاعدة الانطولوجية للغة"<sup>2</sup> فتأويل النصوص ليس إلا شكلاً من الحوار الذي تديره الذات مع نفسها مستجムعة الاتفاق العام من خلال لغة النص التي تصبح مشتركة مع لغة التأويل.

### 3- بلاغة "شاييم بيرمان":(chaime Perlman):

ظهر مصطلح "البلاغة الجديدة" عام 1958م كعنوان فرعى لكتاب "شاييم بيرمان" المسمى بـ"مقال البرهان: البلاغة الجديدة"<sup>3</sup> و يعلق د: عبد الله صولة على هذا العنوان بقوله: "وقولهما جديدة يقتضي وجود بلاغة قديمة وهذه البلاغة القديمة هي بلاغة أرسطو (أو خطابة أرسطو) من ناحية والأبلاغة الأوربية السائدة في القرن التاسع عشر وما قبله من ناحية أخرى"<sup>4</sup> بالإضافة إلى كتاب "إمبراطورية الخطابة (L'empire rhétorique)" ومصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة -

(Traité de L'argumentation La nouvelle rhétorique) وهو مؤلف مشترك بين "بيرمان" و "تيتكا".

يرى "محمد العمري" أن هذا العنوان يحمل معنيين في قوله: " فهو إذ يسعى إلى ضبط العلاقة بين الحجاج والبلاغة؛ يعطي إمكانية قراءتين: أـ الحجاج هو البلاغة الجديدة، بـ: الحجاج من البلاغة الجديدة. وإذا وضعنا الكتاب في السياق المعرفي العام حيث مدت البلاغة نحو الجدل في سياق قراءة خاصة تساهمن فيها أعمال أخرى للمؤلفين (منها كتاب إمبراطورية البلاغة لبيرمان)، جاز

<sup>1</sup>- عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، الكتاب الجديد، ط 01، س 2004م، ص: 206.

<sup>2</sup>- عمارة الناصر، المريمي وطريقاً للحجاج، دار الأمان، الرباط، ط 1، س 2014م، ص: 23.

2 \_ Olivier Rebol, Introduction à la rhétorique, théorie et pratique, quadrige ,p :96.

<sup>4</sup>- عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، ج 1 عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2010م، 28.

أن نرجح الاعتبار الأول: الحاجاج هو البلاغة. إذ ما ليس حاجاجاً بالمعنى الذي يرضيه المؤلفين سيتعمى إلى أحد القطبين: السفسطة أو البرهان.<sup>1</sup>، وهذا الطرح يرى "د: العمري" أنه يقود إلى ما ذهب إليه "أوليفي روبيول" عندما تساءل "هل يمكن أن يوجد حاجاج غير بلاجي"<sup>2</sup> هذه العلاقة التي تبدو لا انفصالتها هي التي مكنت البلاغة من أن تترفع على عرشها المفقود، واستحقت بذلك لقب "إمبراطورية البلاغة".

يقر "بيرمان" في مصنفه أنه هناك علاقة وطيدة بين الحاجاج والبلاغة، فهو "لا يعطي المنطق الرياضي أي امتياز؛ لأنه لا وجود لخطاب دون سامعة أي لا وجود لحجاج لا يكون له أثر بلاجي . فالحجاج والبلاغة يشد بعضهما بعضاً. والعلاقة بالسامعة هي طلب تصدقها، والوسيلة إلى ذلك التقنيات البلاغية"<sup>3</sup> هذه التقنيات قد فصل فيها "بيرمان" سبعون إليها لاحقاً.

عند فحص "مصنف في الحاجاج" بصفة عامة سنجد أنه محاولة "إعادة تأسيس البرهان، أو الحاجة الاستدلالية، باعتبارها تحديداً منطقياً بالمفهوم الواسع، كتقنية خاصة ومميزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي على وجه التحديد، وامتداده إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر"<sup>4</sup> فهو بذلك فتح عصراً جديداً للبلاغة الحاجاجية برؤية مغايرة للبلاغة التقليدية تعمل على دراسة التقنيات الخطابية وشروط إنتاجها ضمن الحدود المتاحة لها مع مراعاة الظروف المحيطة بها من جميع الجوانب ومراعاة أهم التغيرات التي قد تطرأ خلال العملية الاقناعية نفسها.

هذا التقديم للبلاغة الجديدة يحيلنا إلى القول بأن هناك بلاغة قديمة تختلف عن البلاغة التي رسم حدودها "بيرمان" ولعل أول اختلاف يلاحظ هو الاختلاف الاصطلاحي، الذي يُوحى أن هناك على الأقل اختلاف واحد بينهما، لكنه في الحقيقة أن البلاغة الجديدة ليست منسلحة من البلاغة القديمة بتاتاً بل بالعكس هي تحتفظ كثيراً بخصائصها غير أنها اختلفت مع نظيرتها الكلاسيكية فيما فرضته عليها التطورات ومتضيّفات الحياة المعاصرة "وقد ارتبطت أفكار بيرمان بالقانون والفلسفة والحجاج والبلاغة، وانتشرت أفكار الحاجاجية في السبعينيات من القرن الماضي، وانتشرت في فرنسا في سنوات

<sup>1</sup>- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 67، 68.

<sup>2</sup>- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ، ص: 22.

<sup>3</sup>- ميشيل ماير، اللغة والمنطق والحجاج، ت: محمد أسياد، ضمن الحاجاج مفهومه و المجالاته، عالم الكتب الحديث، 2010م، ج 2، ص: 354.

<sup>4</sup>- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 95.

التسعين. وقد وضع بيرلان لبنات الخطاب الحاجج نظرية وتطبيقاً، والهدف من نظريته هو محاولة فهم الكيفية التي يتم بها إصدار الأحكام القيمة. ومن ثم فالحاجج ودوره البلاغي هو أساس نظريته الجديدة.<sup>1</sup> لأنه الأداة الفاعلة لإيصال الأفكار وتحقيق المقاصد بين المتكلم والمخاطب، لما يحمله من وسائل للإقناع واستهواه واستهلاكه لتلقيه، باعتباره النموذج الأفضل الذي فرضته التطورات المعاصرة. ولما أن بلاغة "بيرلان" ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحاجج والخطاب لابد أن نقف مليأً عند كليهما لتوضيح هذا الارتباط وكيفية اشتغاله.

### 3-مفهوم الحاجج عند "بيرلان":

ومن أهم المفاهيم التي قدمها "بيرلان" و "تيتكا" لنظرية الحاجج هي "دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تسمح للعقل التسليم بما يعرض عليها من أطروحتات، أو زيادة الإذعان قصد الوصول إلى الاتفاق"<sup>2</sup>. وهذا التعريف يتقارب إلى حد كبير مع التعريف اللغوي لكلمة argumentation فهو "مجموعة من التقنيات الاستطرادية الموجهة للتأثير أو الإقناع لانضمام الملتقي في الأطروحتات التي يتم تقديمها"<sup>3</sup>، كما أنه يتناسب مع الاصطلاح الفلسفى فقد ورد بمفهومين ، الأول بمعنى : "مسرُدٌ حجج تترع كلها إلى الخلاصة ذاتها" ، والثاني بمعنى "<sup>4</sup> وبالجمع بين المفهومين لاصطلاح الحاججي في الفلسفة سنكون قد قاربنا مفهوم الحاجج عند "بيرلان" لاسيما أن الفكر الحاججي عنده مستوى أصيلاً من الفلسفة، باعتبار أن النظرية الحاججية نشأت في أحضان الفلسفة، "بيرلان" كان هدفه إيجاد في التقنيات الأكثر تعدد في الحاجج (بالتأكيد ، لكن وبشكل كبير وخاصة الفلسفية والأدبية ) المبادئ التي يقوم عليها منطق القيم"<sup>5</sup>، فالحاجج بهذه الصفة له علاقة بالعقل وفي

<sup>1</sup>- د: جليل الحمداوي، من الحاجج إلى البلاغة الجديدة، ص: 29.

<sup>2</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite de L'argumentation La nouvelle Rhétorique ,2000,P :5 "L'étude des techniques de la parole discursive permettent de provoquer ou d'accroître l'adhésion des esprits aux thèses qu'on présente à leur assentiment"

<sup>3</sup> -L'arousse 2016,France. "Un ensemble de techniques discursives axées sur l'influence ou la persuasion de l'adhésion du destinataire aux thèses présentées"

<sup>4</sup>-أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، ج 1، ص: 94.

<sup>5</sup> -jean jacque robirieux, rhétorique et argumentation, armand colin, 3em édition,2010, p :34. « Perelman a eu pour objectif de trouver dans les pratiques les plus diverses de l'argumentation (au barreau bien sur, mais aussi surtout en philosophie et littéraire) principes qui fondent une logique des valeurs »

المقابل له علاقة بالحكمة ، أي يعني آخر أن الحاج يقوم على العقل الذي يتجلّى فيه المنطق الذي يصبو إلى الحكمة.

الحجاج يجمع بين صور الاستدلال أي القضايا والمقدمات وهذا جانب المنطقى من الحاجاج وبين المضمنون أي الدلالات سواء اللغوية أو غير اللغوية وهو يضم في طياته الحقائق أو كل ما قد يساهم في إقناع المتلقى، ولهذا وضع "بيرمان" البلاغة "في إطار الحاجاج. فعندما تكون قضية ما مستوحة من قضية أخرى أو من المقام يكون الحاجاج، وفي المقابل يكون هناك برهان عندما يتم تحصيص كل ما يجعل النتيجة تفرض نفسها، وبنحو ضروري. وفي هذا السياق يجب مقاولة المنطق بالحجاج، فالمنطق لا يسع أي إلتباس"<sup>1</sup> ، لذا يعتمد الفكر البشري الطبيعي لاكتشاف الحقائق، ويمكنه أن يخلق صور جديدة لم تعرف من قبل وهنا يتجسد الحاجاج.

في مقابل هذه الرؤية المنطقية التي سعت البلاغة الجديدة إلى تحقيقها عن طريق "العودة إلى بلاغة الإقناع ، وتطوير نظرية الحاجاج في مشروع بيرمان حمل وعيًا حادًا بحدودية المجال الذي يعطيه المنطق الصوري ، وبالتصلب البرهاني للعقلانية الديكارتية....ولقد اعتبر بيرمان بأن هذا التصور الديكارتي قاد إلى حصر غير مبرر للمجالات الواسعة والممتدة للفكر الإنساني.هذه المجالات التي لا تقوم على الضرورة والبداهة، هي ما يشكل موضوع الحاجاج"<sup>2</sup> وتعتبر هذه النقطة التي تميزت بها البلاغة في نظر "بيرمان" فهي حجج وبراهين مرتبة ترتيباً منطقياً ومع هذه الحدود المنطقية تعطي للمستمع إمكانية احتمال قبول أو رفض هذه الحجج.من هذه المنطلق أبعد صارمة المنطق الصوري الذي يفرض على المستمع تقبيلنتائج الاستدلال دون أي مناقشة.

وقد وجد بيرمان ضالته وهو يبحث عن موضوع العدل، في عهد قديم، وقد سرد بيرمان قصة لقاءه بالخطابة في مقدمة كتابه "مصنف في الحاجاج" وهذه القصة تفسر لنا بوضوح هذا التصور المنطقي الاحتمالي وقد علق "د: الحسين بنو هاشم" من خلال الدراسة التي قدمها حول "نظرية الحاجاج عند شايم بيرمان" على هذه القصة في قوله "هكذا كان لقاء شايم بيرمان مع الخطابة، لقاء

<sup>1</sup>- مشيل ماير، اللغة والمنطق والحجاج، ت: محمد أسيداد، ضمن الحاجاج مفهومه و مجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ج 2، (د، ط)، س 2010 م ، ص: 352.

<sup>2</sup>- د: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 85.

تم في مفترق طرق بين مجال عقلاني صارم يفرض فيه الاستدلال نفسه على الجميع، وب مجال منفلت رئيسي، تكون الاستدلالات فيه "هشة" ولا تفرض فيه نفسها بشكل نهائي وحاسم على الجميع، بل غاية ما تتوصل إليه، ترجيح حكم على ذاك، في ارتباط وثيق بظروف وملابسات خاصة، تتغير حسب المقام ونوعية المخاطبين وشخص المستدل<sup>1</sup> النظرية الحجاجية عند "بيرمان" ارتبطت منذ البداية بعبدأ القيم، هذا يفسر بوضوح التفعية والقصدية التي يتعدد صداتها في البلاغة الجديدة.

ومفهوم البلاغة عند "بيرمان" يتطابق مع تعريف الخطابة عند أرسسطو " فالريطوريقا قوة تتکلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"<sup>2</sup> والاتفاق بينهما يتمثل في الإقناع من هذا المنطلق ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج، إنه بذلك يطمح أن يشيد خطابة (بلاغة) جديدة غايتها "تخليص الحجاج من التهمة اللاغطة بأصل نسبه وهو الخطابة، وهذه التهمة هي تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور ..... وفي الوقت نفسه تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستسلام"<sup>3</sup>، وإن هذا الأمر يبدو للوهلة الأولى أمر صعب، لكن في الحقيقة يتم بكل سهولة ولدونه في إطار المنطق الطبيعي للغة.

### 2- منطلقات البلاغة الجديدة عند "بيرمان":

#### 1- معايير أحكام القيمة :

إن أول ما لفت انتباه "بيرمان" إلى نظرية الحجاج هو محاولة "بيرمان مع فلاسفه القانون تحديد الخطاب القضائي في ضوء رؤية بلاغية حجاجية جديدة. وإذا كانت البلاغة القديمة قد انصبت على دراسة مرافعات المحامين حجاجياً، فإن "بيرمان" قد ركز على القضاة الذين يكونون أمام مجموعة من الآراء المتناقضة والمعارضة من ناحية، وأمام مجموعة من الاقتراحات والحلول الممكنة من ناحية أخرى. ومن ثم فالقضاء أو القانون هو في الحقيقة حل للصراعات الجدلية المتناقضة." وعلى أساس هذا المنطلق القضائي القانوني أخذ بيرمان على عاته تحديد البلاغة.

<sup>1</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظريات الحجاج عند شايم بيرمان ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان ، ط1، 2014، ص: 29،30.

<sup>2</sup>- أرسسطو، الخطابة الترجمة العربية القديمة، ت: عبد الرحمن بدوي، ص: 09.

<sup>3</sup>- عبد الله صولة، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص: 298.

عندما كان "بيرلان" يبحث عن إيجاد منحى جديد لإرساء مبدأ القيم في "دراسة قام بها حول العدل من منظور وضعاني، تحت عنوان العدل (De la justice)، من استخراج قاعدة صورية للعدل ( مفادها أن الكائنات المتممية إلى نفس الفئة ينبغي أن تُعامل بالطريقة نفسها)، لاحظ من الصعب تطبيقها دون الرجوع إلى أحكام القيمة التي كانت تبدو له آنذاك اعتباطية وغير خاضعة لأي منطق.<sup>1</sup> وبعد بحث مشترك قام به بيرلان وتيكا وصل إلى حقيقة مفادها "أنه لا يوجد منطق لأحكام القيمة، وهذا معناه أنه لا يمكن أن تخضع لاستدلالات منطقية صارمة ملزمة"<sup>2</sup> في المقابل وجدا ما يبحثان عنه في علم قديم وهو البلاغة الأرسطية التي تقوم على الحجاج "ومجال الحجاج هو ذلك الشبيه بالحقيقة وذلك المتحقق، في المعيار حين ينفلت من اليقين الرياضي"<sup>3</sup> من هنا وجد بيرلان ضالته التي كان ينشدها في تحقق العدل من خلال وضع معيار لأحكام القيم.

وهو بذلك "يقف بوضوح ضد الفكر الوضعاني الذي يرفض أحكام القيمة ويعتبرها غير ذات معنى، وساهم من هذا المنطلق بشكل فعال، إلى جانب الفكر العقلاني الرياضي، المتمثل في ديكارت، في إقصاء الخطابة. ولعل هذا البحث عن منطق لأحكام القيمة كان إعلاناً لبيرلان عن طلاقه النهائي مع الفكر الوضعاني"<sup>4</sup> ولا يتأتى ذلك إلاّ عن طريق تفعيل الخطاب الحجاجي الذي يختصر العلاقة بين المنطق و بين القيم التي كثيرة ما تنفلت من حلقة المعقول والحجاج يحاول إيجاد الطرق الكفيلة التي يزاوج بينهما بل حتى أنه يجعل من المنطق والقيم خطأً متوازياً يسيران في اتجاه واحد وهو معيار أحكام القيمة.

## 2-إحياء البلاغة اليونانية:

<sup>1</sup>- د: الحسن بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلان، ص:29.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ،ص:29.

<sup>3</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhétorique, p1 « Le domaine de l'argumentation est celui du vraisemblable, du plausible, probable, dans la mesure où se dernier échappe aux certitude du calcul »

<sup>4</sup>- د: الحسن بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلان،ص: 31.

وبما أن "بيرلان" وجد ما بحث عنه من معيار أحكام القيم في البلاغة الأرسطية، حيث "يذهب أرسطو إلى أن العالم الحقيقي هو العالم الواقعي المادي. أما العالم المثالي، فهو غير موجود. وأن الحقيقة لا توجد سوى في العالم الذي نعيش فيه خاصة في الجواهر التي تدرك عقلياً. ولا توجد الحقيقة في الأغراض التي تتغير بتغيير الأشكال. أي أن الحقيقي هو الثابت المادي. أما غير الحقيقي فهو المتغير والمبدل"<sup>1</sup> الذي لا تضبطه المعايير الصورية إنما لابد له من معايير تتبدل وتتغير كلما اقتضت الحاجة والمنطق الاحتمالي الأرسطي استطاع أن يستوعب كل هذه المتباينات.

في الحقيقة الأمر أن هذا الفكر الحجاجي البلاغي الأرسطي، يرجع الفضل للسفسيطائين في رسم معالمه قبل أرسطو، فـ "قد أبرز السفسطائيون مفهوم المتحمل: فعندما يتعلق المتحمل بأمور بشرية فإنه يطابق عادات مجموعة ما، ويمكن هذا المفهوم من استخراج قوالب جاهزة ولكن أيضاً من استخراج أنماط، ويعلن عن ظهور تفكير علمي غير مختص حول سلوك الناس في المجتمع"<sup>2</sup>، وإن أرسطو يعود إليه الفضل في إعادة تحيصه وغربلته من المغالطات والجدل السفسطائي وإخراجه في صورته النقية البعيدة عن كل زيف أو مغالطات.

من هذا المنطلق بالتحديد كان لزاماً على "بيرلان" أن يعيد بعث البلاغة الأرسطية التي قامت أساساً على النظرية الحجاجية، وبالتالي إعادة الاعتبار لمفهوم الحقيقي للبلاغة، فهو "مشروع فلسي يسعيدي المعنى الواقع خارج المنهج وهو مشروع فلسفة التأويل أو الهرمينوطيقا ومشروع لغوی يسعيدي القيم العلمية وهو مشروع البلاغة الجديدة. ومبثت الحجاجية الذي دشنها شايم بيرلان(Perlman) ضمن فكر شمولي للغة فيما يسميه إمبراطورية البلاغة"<sup>3</sup>. وقد اعترف "بيرلان في مقدمة كتابه "مصنف في الحجاج" بأن تأليف مصنف مخصص للحجاج وارتباطه بتقليل قديم، وهو الخطابة والجدل الإغريقي"<sup>4</sup> ويؤكّد ذلك قوله: "المنطقيون والفلسفه المعاصرون هم أنفسهم لم يعد يفهمهم بتاتاً موضوعنا، لهذا السبب مصنفنا يرتبط أساساً حول الانشغال بإعادة بعث البلاغة مجدداً ، وعبر

<sup>1</sup>- جميل الحمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص: 24.

<sup>2</sup>- كريستيان بلانتان، الحجاج، ت: عبد القادر المهربي، دار سيناتر، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د، ط)، س 2008، ص: 14.

<sup>3</sup>- عمارة ناصر، البلاغة والفلسفة، ص: 16، 17.

<sup>4</sup> -Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de L'argumentation La nouvelle Rhétorique , P :1. "« la publication d'un traité consacré à l'argumentation et son rattachement à une vieille tradition celle de la rhétorique et de la dialectique grecques »

المؤلفات اليونانية والإغريقية، التي تناولت بالدراسة فن التأثير والإيقاع، تقنية التحرير والكلام، لهذا السبب كذلك نقدمه كبلاغة جديدة<sup>1</sup>، في الوقت الذي أعطى الغرب فيه الاهتمام الأكبر للغة وأهملوا البلاغة، لكن بعد استقراء المراجعات النقدية والفكرية والتي شكلت مادة قوية في تشكيل الخطاب البلاغي وأثر ذلك على المستوى الخطابي عامه لما تحمله من أفكار ومكونات أساسية في تأسيس قواعد ثابتة وقوية، تعين على الباحثين أمثال "بيرلان" بعث بعد الحجاجي التأثيري للغة كما كانت عليه من قبل عند اليونان.

### 3-3- التصورات الجديدة لبلاغة "بيرلان":

إنّ بلاغة "بيرلان" قائمة في الأساس على بعث بلاغة أرسطو من جديد كما أنها عملت على تحديثها وتوسيع مجالاتها وهذا لتناسب ومتطلبات الحياة المعاصرة. أي إن بيرلان قد انطلق من أفكار أرسطو حول البلاغة شرعاً وتوسيعاً ومناقشة وتطبيطاً.<sup>2</sup> ليتمدّع بعدها التأثيري في جميع الخطابات العامة والخاصة وتشكل قوة خطابية سلاحها الكلمة المتعقلة بعيدة عن كل عنف أو زيف.

فكما هو معلوم أنّ "بلاغة أرسطو على وجه الخصوص بلاغة الدليل، الاستدلال، القياس التقريري (القياس الضماري)، إنما منطق منحط إرادياً، مكيف مع مستوى "الجمهور"، يعني من ناحية الحس المشترك، الرأي المتداول. إنما رحبة للاحتياجات الأدبية (لم يكن هذا موضوعها الأصلي)، وهي تتضمن جمالية الجمهور، أكثر من تضمنها جمالية الأثر. لهذا السبب، فالتحولات الضرورية وكل النسب (التاريخية) المتحفظة، تتناسب بالتأكيد مع ثقافتنا المسمة ثقافة شعبية، حيث يسود "المختمل" الأرسطي<sup>3</sup> يكاد هذا النص "لبارث" أن يختزل بين طياته أهم ما يوجد في بلاغة أرسطو وحاولت البلاغة الجديدة أن تتحفظ به لأن هذه البلاغة ببساطة هي خير وسيلة تتماشى وتطورات المجتمعات المعاصرة، التي أصبحت في وقتنا الراهن هي القائدة والوجهة لأي خطاب وفي الوقت نفسه هي

<sup>1</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de L'argumentation La nouvelle Rhétorique P :6 « Logiciens et philosophes modernes se sont, eux complètement désintéressés à tout notre sujet, c'est la raison pour laquelle notre traitées rattache surtout aux préoccupation de nouveau la renaissance et, par delà, envoyé de nouveau, à celles des auteurs grecs et latins, qui ont étudié l'art de la persuader et de convaincre, la technique de la délibération et de la discussion , c'est la raison aussi pour laquelle nous le présentons comme une nouvelle rhétorique »

<sup>2</sup>- جميل الحمداوي، من المجاج إلى البلاغة الجديدة، ص:81.

<sup>3</sup>- رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ت: عمر أركون، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، س2011م، ص:35.

المختضنة له سواء فهما أو قراءة أو حتى اعترافاً. وما يتقبله الجمهور فهو الأصح، وما اتفق الجمهور على رفضه كان غير مستساغ ولو كان مقبولاً من الناحية العلمية.

عملت البلاغة الجديدة على استثمار البلاغة الكلاسيكية محاولة في الوقت نفسه أن تجعل منها أداة توسيع مجالات اشتغالها؛ لأنها تمتاز بالرحابة والقدرة على التكيف، هذه الميزة أتاحت لبيرلان "توسيع الموضوع بالخروج من دوائر الأجناس الخطابية الأرسطية الثلاثة: التشاورية والاحتفالية والقضائية. إن بلاغته تكتم بالخطابات الموجهة إلى كل المستمعين، سواء تعلق الأمر بجمهور مجتمع في ساحة عوممية، أو تعلق بمجتمع المختصين، أو شخص واحد أو بكل الإنسانية. بل إنها تكتم بالحجج التي وجهها الشخص إلى نفسه في مقام حوار ذاتي"<sup>1</sup> يفهم من خلال هذا القول الأخير أن البلاغة الجديدة تميزت عن نظيرتها البلاغة الأرسطية بميزتين رئيسيتين هما:

#### 1- التصور النسقي:

يرى هذا الاتجاه أن البلاغة يمكنها أن تحضن جميع أنواع الأجناس الخطابية؛ لأن الهدف من البلاغة الجديدة هو الإقناع والتأثير، وهذا الهدف يمكن تحقيقه بواسطة جميع الخطابات متى توفرت الآليات الحجاجية. "البلاغة بهذا المعنى هي فن الخطاب الفعال والمؤثر الذي بإمكانه احتراق الخطابات.....من خلال التحول الأساسي للرأي إلى قناعة راسخة، المتمثلة في إسقاطات مختلفة كتحول الكلمة إلى مفهوم، الفكرة إلى نظرية، ترتيب الأفكار إلى منهج، الخطاب إلى مذهب".....ولا تتحقق هذه التحولات بناحها التام إلاّ عندما يحصل الاقتناع بها لدى الجمهور مخصوص<sup>2</sup> فكل عنصر من عناصر تشكيل النسق الخطابي كلمة أو جملة أو ترتيب معين داخله إلاّ وله دور في العملية الحجاجية.

لا يهم في هذا الإطار نوع الخطاب بقدر ما يحمله هذا الخطاب من حجج وما مدى قدرة هذه الحجج واتساقها على تحقيق الاقتناع. فمن الضروري "النحوية المناسبة للخطاب الحجاجي للسياق العام، لأنه كفيل بتسوية الحجج الواردة في الخطاب من عدمها، فقد يكون الحجاج صحيحاً من

<sup>1</sup>- د: محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفالاطون وأرسطو وشام بيرلان، ضمن مجلة عالم الفكر، ص: 33.

<sup>2</sup>- د: عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، ص: 17.

الناحية النظرية، ولكنه غير مناسب للسياق.<sup>1</sup> تعد إذن الممارسة الحجاجية ممارسة تشتراك فيها عدة أطراف وتعالق مع بعضها البعض، انجعالية، اجتماعية وليست عملية منطقية مفروضة على المخاطب.

من هنا أخذت البلاغة الجديدة مفهوم البلاغة العامة هذا المفهوم الجديد هو الذي عبر عنه "بارث" بالبلاغة المعممة ويصفها بأنها "مفهوم متعال، نسميه اليوم "الأدب"، إنها لم تعد مكونة فقط كموضوع تعليمي، ولكنها تصير فناً (بالمعنى الحديث)، فهي تحول من الآن فصاعداً إلى نظرية للكتابة وكثيراً للأشكال الأدبية في نفس الآن"<sup>2</sup>، فمواضيع الخطابة تتعدد إذ تشمل جميع مواضيع القيم الإنسانية، أي كل المواضيع القابلة للنقاش والغامضة والتي تميز بالهيولة والقابلة للتتمدد أو المراجعة من جديد في ظل المتغيرات والمستجدات.

هذا المفهوم يقصى من دائرة مفهوم السابق الذي كان يجعل حدوداً بين الأجناس الأدبية لاسيما التي كانت بين الخطابة وبين الشعر، هذا ما عبر عنه "د: العمري" في قوله: "المفهوم النسقي الذي يسعى لجعل البلاغة علماً أعلى يشمل التخييل والحجاج معاً". أي يستوعب المفهومين الأولين من خلال المنطقة التي يتقطعان فيها موسعاً هذه المنطقة أقصى ما يمكنه التوسيع.<sup>3</sup> باعتبار أن التخييل كان مقرضاً من الشعر بينما الحجاج ارتبط بالخطابة، فرغم الاختلاف في النسق غير أن الالقاء بينهما يتم في ظل البلاغة الجديدة، بهذا يصبح التخييل وسيلة من وسائل الإقناع.

من جهة أخرى ربط بيرلمان بين شكل الخطاب وبين قدرته على الإقناع، إذ أن هناك أشكال من القول مثل الصور الفنية أو الجرس الموسيقي أو حتى جنس أدبي معين كالقص أو المقال<sup>4</sup>.... لها أثر بالغ على الجمهور لاسيما بعض الخطابات المعين على فئة معينة من الجمهور بما تشيره من مختلف العواطف.

## 2- التصور التواصلي:

<sup>1</sup>- عبد الحادي، بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، الكتاب الجديد، ط 01، س 2004م، ص: 467.

<sup>2</sup>- رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص: 43.

<sup>3</sup>- د: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 12.

<sup>4</sup> - Voir : Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhetorique , p :228.

الخطاب الحجاجي هو قبل كل شيء تواصل، لكن هذا التواصل يصل إلى أقصى حدود التواصل التفاعلي مهمته الرئيسية هي محاولة اكتشاف، "إلا أن قدرة طرف الخطاب التواصيلية تكمن في معرفة القواعد العامة التي تمكنها من تحقيق أهداف التواصل وتأويل الخطاب"<sup>1</sup> بالدرجة الأولى؛ لأنّ ليس كل تواصل يرقى إلى مستوى التواصل المطلوب والصحيح فالكثير من تواصلنا مع غيرنا لا يحقق النتائج المرغوبة وقد يخرج عن الهدف الذي جعل من أجله، بسبب سوء استخدام وسائل التواصل.

بلاغة "بيرمان" لم تعد فقط تلك البلاغة الموجهة إلى الحشود من الجماهير كما كانت عليه أيام أرسسطو، إنما "بيرمان في خطاباته الجديدة يتحرر من هذا القيد؛ إذ لم يعد يعنيه كما كان يعني هؤلاء القدماء – تكوين خطيب مفوّه، وإنما يعنيه فهم ميكانيزم التفكير. مما يعني قصد التحول من مرحلة إنتاج خطابة طنانة رنانة تطرب لها القلوب، إلى مرحلة تحليل خطابة، مفكرة معللة مبرهنة تميل إليها العقول؛ فيستجيب لها السلوك. ومثل هذه الخطابة لا تنحصر في مستوى الجمع أو الحشد، وإنما تكون أيضاً في المناقشة بين الأفراد وبين الفرد ونفسه"<sup>2</sup>، لأن الحشد لا يكون في المكان أو الزمان الذي يتبع له التفكير العميق وكذا التحليل ومن ثم الاقتناع المبني على أساس عقلاً حتى أنه لا يوفر للمتلقي في مثل هذه الظروف أن يتحاور مع المخاطب ويتناقش معه حول الفكرة فهو في هذه الحالة مجرد ملقط.

حتى أن الجو العام الذي يسود مكان الحشد له أثر بالغ على المتلقين عامة حيث أن الأفكار العامة والمتداولة من الصعب التخلص منها بسهولة على العكس من ذلك يمكن الاقتناع بها وإن ثبت عدم صحتها ويكون وقوعها أكثر على المتلقى إذا ما حضرت أفكاره داخل مجموعة من الأفكار.

هذا الميزة التواصيلية التي تميز بها البلاغة الجديدة تفرض وجود طرفين أساسين كما في أي عملية تواصيلية هما (المخاطب ، المخاطب) لكن "تفرض تعدد الخطابات وتصارعهما في الآراء والخطابات وهو أساس في قيامها وشروط اشتغالها"<sup>3</sup> وتعدد الخطاب يكون من إنتاج المخاطب والمتلقي بالتداول بينهما حيث يتم بعد كل تأويل يقوم به المتلقى عند عملية قراءة الخطاب وكلما كان التأويل لصالح رأي الخطيب حصل الاقتناع، وإن لم تتم هذه العملية التواصيلية الاستقرائية للخطاب انحرف الخطاب

<sup>1</sup>- عبد الحادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص: 11.

<sup>2</sup>- د: جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال ، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص: 115، 116.

<sup>3</sup>- د: عمارة ناصر، البلاغة والفلسفة، ص: 32.

عن مساره القيمي الأخلاقي وقد يترافق في متاهات المغالطات والتزييفات وهذا ما تروم البلاغة الجديدة تخلص الخطاب منه وقصصيه من دائرة البلاغة المعاصرة.

### 3-4- مقاصد البلاغة الجديدة :

رأينا فيما سبق أن من أهم أهداف بيرمان في إعادة إعطاء دفعاً جديداً للبلاغة هو إنتاج قواعد تمكن الخطيب أو المتكلم من التأثير في المتلقى. تأسس "الحجاج على مفاهيم أساسية أهمها الحقيقة والمعقول والعدل والمبرر وما يتبع هذه المفاهيم من روافد"<sup>1</sup> لكن هذا المهدف كان نابع من عدة مقاصد كان "بيرمان" يسعى إلى بلوغها من خلال هذا المهدف. ويمكن إجمالها فيما يلي:

#### 1\_ تقنين معيار لأحكام القيمة:

قامت البلاغة الجديدة على أساس الخطاب "الذي يمكن أن ينظم أحكام القيمة، وهذا معناه أنها مرتبطة بما يحكم سلوكيات الناس وتصرفاتهم وتوجهاتهم في الحياة، وما يسير حياتهم ويوجه اختيارهم نحو الأسمى والأفضل"<sup>2</sup>؛ تم ذلك على أنماط خطاب العداء الذي استغلت فيه أهواء الناس لنشر أفكار الدمار والفساد، فيتمكن القول أن البلاغة الجديدة هي بمثابة ثورة على هذه الأنواع من الخطابات التي لا تخضع لأي مبدأ للقيمة، وهي السبب الرئيسي في النظرة السيئة التي أحققت بالخطابة لفترة زمنية طويلة.

رغم أن خطابة بيرمان تقوم على مبدأ الالتزام العقلاني إلا أن هذا المبدأ يأتي بعد الالتزام بمبدأ أحكام القيمة " فهي العنصر أساسي من عناصر الحجاج ويرجع لبيرمان الفضل في البحث عنها إلى اهتمامه بنظرية الحجاج أصلاً وللقيم دور بارز في مجالات العلوم الإنسانية، إذ يعتمد عليها في تغيير موقع السامعين وفي دفعهما إلى الفعل المطلوب وتخضع هذه القيم لتراتبية هرمية يمثل احترامها ووعي المحاجج بها عاملين فاعلين في تحقيق الخطاب"<sup>3</sup>، الذي يسمى عن الأنانية، البغيضة إلى تحقيق القيم الإنسانية عالية الهمة الذي يقود فعلاً إلى عولمة الخطاب البلاغي، "وبهذا، يعزّو التخلق الأهمية في التخاطب لعملية تزلّ مرتبة فوق مرتبة التبادل، وهي "التفاعل"، والمعلوم أن كل تفاعل بين طرفين

<sup>1</sup>- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص:106.

<sup>2</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية نظرية الحجاج عند شايم بيرمان، ص:30.

<sup>3</sup>- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص:112.

مبناه أساساً على سعي كل منهما في جلب منافع عامة أو دفع مضار عامة<sup>1</sup>، ومعايير القيمة تتوزع بين ما يستوجبه الخطاب من مبادئ التأدب التي لابد أن يتلزم بها كل من المخاطب والمخاطب حتى لا يخرج الخطاب إلى ساحة العنف والاستفزاز وبالتالي ينحرف عن مساره الإقناعي، فهي تساهم بشكل كبير في بناء الخطاب. كما أن معايير القيم تبني أصلاً من الخطاب نفسه وهي المقصدية التي يبني على أساسها أي خطاب.

وتعتبر الحقيقة هي أهم قيمة معيارية تصبو إليها البلاغة الجديدة، وكل حجة يدللي بها في الخطاب الحجاجي "إنما الغرض منها أساساً هو الوصول إلى الحقيقة المعيارية، والمراد بالحقيقة الوصفية "الأسباب الظاهرة للأشياء" أو قل الحكم ( بكسر الحاء) التي تنطوي عليها، فكل خبر يكون مزود بقيمة معينة هي الحكمة، ولا عبرة بالخبر ما لم نحصل منه على هذه الحكمة"<sup>2</sup>، فالمعيارية هي حقيقة الغايات من وراء الأسباب أو المقاصد الحقيقية للخطاب، بمعنى آخر العبرة المأخوذة من الخطاب.

من هذا المنطلق يمكن اعتبار "أن الحقيقة في ماهيتها عبارة عن "تقديم". وقيم تعني تقدير شيء ما من حيث إنه قيمة ووضعه من حيث هو كذلك"<sup>3</sup>، فهي بذلك شرط لابد منه لتحديد قيمة الأمر، بالمقابل يقودنا هذا القول إلى أن "الحقيقة هي الصدق ( la rectitude ) التمثال"<sup>4</sup>، وكذلك في المعنى الاصطلاحي للحقيقة تبلور هذه القيمة المعيارية التي يسعى الخطاب الحجاجي إلى بجانبها فهي تعني "شيء ما ينبغي لكل شخص أن يتقبله"<sup>5</sup>، فمعنى تبيان حقيقة الأمر يعني هذا أننا توصلنا إلى الحكمة منه، وكلما كانت حكمة وراء قول ما ازدادت اقتناعاً وإيماناً به.

## 2\_قراءة النصوص قراءة حوارية:

<sup>1</sup>- ط عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 223، 224.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص: 268.

<sup>3</sup>- محمد سبيلا، عبد السلام بن عبد العالى، الحقيقة، دار توپقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، س2005 م، ص: 78.

<sup>4</sup>- نفس المرجع ، ص: 78.

<sup>5</sup>- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس،(د،ط،تا)، ص: 155

إن من أهم مقاصد البلاغة الجديدة خلق التفاعل بين أطراف الخطاب "الباث" و"المتلقي" فهما عنصران أساسيان في أي خطاب حجاجي مهما كان نوعه ولا يهم هنا تحديد نوع هذا الباث أو ذاك المتلقي، فقد يكون كلاهما يمثل شخصاً واحداً، إذ "تتخذ دراسة الحاجج موضوعاً لها أساساً الخطاب الحواري الأحادي لاستخراج الأبنية التي يقوم عليها، والصفتان المشتقتان تعاورياً شائي وحواري أحادي تطابق الاسمين تعاورياً شائي وحواري أحادي. ومقام الحاجج هو المقام التعاوري والتداول والتحادث".<sup>1</sup> ومن هنا تقوم العملية الحاججية عند استقراء النصوص قراءة حوارية أو ما تسمى عملية مساءلة النص للوصول إلى مقصidته.

تعتبر مسألة الحوار عامة ومسألة التحاور الأحادي الذي يقيمه القارئ مع النص من أهم القضايا التي طرحتها البلاغة الجديدة على اعتبار أن ما يتم بين الخطاب والمتلقي ما هو إلا عملية حجاجية بحثة وإن هذا الطابع الحواري للحجاج خاصة والبلاغة المعاصرة عامة تتقطع في الإيمان بضرورته مدارس ما بعد البنوية وذلك لأنها – أي الحوارية مصدر العمليات التناصية من توظيف ومعارضة التحويل ويتأكد لنا ذلك عندما نجد بعض البلاغيين المعاصرین يعرف البلاغة بأنها ذلك الحوار حول المسافة بين الذوات هي ذلك الحوار حول المسافة بين أنس بصدق مسألة أو مشكل ما"<sup>2</sup>، نفهم من هذا أنه لا يكون حجاج إلا إذا كانت هناك قضية تستدعي النقاش والتحاور بشأنها.

الحوار الحجاجي يقام على جانبين أو لهما يكون من قبل المتكلم أي منتج الخطاب قبل إنتاجه الخطاب وهذه المسألة قد سبق أن أشار إليها أرسطو عند تحديده مراحل إعداد الخطاب "إيجاد"، وهي أول مرحلة يقوم بها الخطيب وتكون عبارة عن حواراً أحادي "ويقتضي من الفاعل الذي يبني النص الحجاجي في كلّيته أن يضع بنفسه متزلةً للخبر والحكم الذي يضفي الإشكالية على الخبر وينشئ الحدث الإقناعي"<sup>3</sup>، وفيه يقيم المعد عملية افتراض اعترافات المتلقي وفي المقابل يعمل على إيجاد الحجج التي تتناسب مع الاعترافات المتوقعة "فالفهم السليم لا ينضح إلا داخل الجواب الحاذق

<sup>1</sup> - كريستيان بلانتان، الحجاج، ت: عبد القادر المهرى، ص: 34.

<sup>2</sup> - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 112.

<sup>3</sup> - باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص: 66.

يأخذ بأكبر قدر من احتمالات الإصابة، ويلم بجل جوانب الموضوع<sup>1</sup>، أما العملية التحاورية الأخرى ف تكون من قبل المتلقى حيث يطرح إشكالات حول الخطاب يحاول منها الوصول إلى ما يريد الخطاب أن يضيفه إلى المتلقى من حقائق جديدة، وهذه ما هي إلا قراءة ثانية واعية يستحضر فيها المتلقى مكتسباته السابقة حول الموضوع.

إذن البلاغة تمظهر من خلال محاولة إيجاد أفضل طريقة يمكنها أن تجعل الخطاب يجسم النقاش لصالح البا.

غير أن الحوار أو التحاور لابد أن يتزم بالمنطق حتى لا يخرج عن دائرة الحوار السليم، لأن "الحوار المنطقي يمكن الإنسان من التنقل من المعلوم إلى المجهول، ومن المتوقع إلى غير المتوقع، فترداد المعرف وتنسخ دائرها مما يمكن استيعاب البعض الذي يعجز عن تحقيقه اللغة الخالية من المنطق.<sup>2</sup> فهو وسيلة من وسائل الوصول إلى الحقيقة بطريق مرن تفاعل في تشكيلها جميع الأطراف المتحورة، وهذا الشارك يجعل من هذه الحقيقة مقبولة إلى أقصى الحدود فيحصل عندها الإقناع.

#### 4 - بلاغة تعارض مع بلاغة الصور والزخرف الفني:

من بين أهم الأسباب التي لفتت انتباه "بيرلان" إلى إعادة بعث البلاغة وإعطائها نفساً جديداً يتناصف مع مستجدات العالم المعاصر هو "إهمال جانبها الحاججي واحتزتها في بلاغة محسنات"<sup>3</sup> هذه الرؤية الضيقية التي منيت بها البلاغة حصرها، فأراد "بيرلان" أن يحررها من هذا الحصار الزخرفي ويعيد لها مجدها حين كانت القوة والغلبة للحججة البلاغية لا شيء آخر.

إن البلاغة هي قوة نفاذ الحجية، والأساليب البلاغية من صور بلاغية أو محسنات لفظية ما هي إلا دعائم تدعم الحجية وتزيد من قوتها، على حد تعبير "بيرلان". إن هذه الصور البلاغية -على الرغم من أهميتها- لا تستطيع أن تصمد أمام العقل النفاذ والشك الوقاد، ما لم تكن مدعومة عضوياً بالحجج العقلية التي تخضع هي بدورها لمعايير الضعف والقوة. ويمكن القول إن الحاجج يبني ويتوسيغ

<sup>1</sup> - محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحاجج عند "بيرلان" وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 28، العدد 3، مارس 2000 ص: 71.

<sup>2</sup> - د: عقيل حسين عقيل ، منطق الحوار بين الأنما والأخر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2003م، ص: 12 .

<sup>3</sup> - د: حسين بنو هاشم، نظرية الحاجج عند شايم بيرلان، ص: 33.

رأي الصائب والصادق، أما الأسلوب البلاغي فهو يعرض هذا الحاجج وموضوعه في صور وتقنيات جمالية الاتصال والتلقي<sup>1</sup>، في المقابل حذر من الاستعمال المفرط لهذه الأشكال البلاغية "ونظر إليها بوصفها آلية إقناعية عابرة Ephemer، وذلك مما جعل تلك الأشكال البلاغية هدفاً في حد ذاتها، وهو ما أفقد اللغة قدرتها على نقل الواقع ورسم المستقبل وإحداث الإثارة الفنية الكفيلة بخلق ثنائية: الإقناع والفعل،<sup>2</sup> فالالتحام بين الحجاج وأساليب هو الذي يقيم البلاغة.

الواقع في غالب الأحيان كثرة الزخرف والتتكلف يجعل الكلام مبتذلاً، يخرج عن الوظيفة الإقناع وهذا الطرح يتواافق مع بلاغة أرسطو، في قوله: "وفضلاً عن ذلك يجب ألا يكون الأسلوب تافهاً، لا مضخماً مبالغأً فيه، وإنما يجب أن يكون ملائماً".<sup>3</sup> لكن هذا الكلام يبقى عاماً؛ لأنّه قد تستدعي ضرورة الإقناع في بعض الكلام إلى المبالغة وتزيينه، "إلا أنه حتى في مثل هذه الأعمال إنما تقوم الملاعنة على الإيجاز والتکيف، وأيضاً فإن تتكلف الأسلوب واعتماله ينبغي أن تظهر طبيعية. وفي هذا يكون الإقناع، أما الأسلوب الآخر فيفتح الأثر المضاد، لأن المستمعين عندما يلحظون الخديعة والمكر، يكونون قد اتخذوا حذرهم كما لو وجدوا أنفسهم أمام الخمور المزوجة"<sup>4</sup> لذا لابد إعطاء كل موضوع قدرًا ملائماً من هذه الصور البلاغية والزخارف اللغوية حتى يحافظ على الجمالية الطبيعية فكل ما هو طبيعي و قريب من الفطرة يكون مستساغ وكل ما كان هناك تتكلف خارج عن الطبيعة يكون مستهجن، مستكره لا تتقبله النفسية البشرية بسهولة.

بهذا الصدد نتبين أن الجمالية الشكلية التي تُوقعها الألفاظ والتركيب وحتى الإيقاعات ليست غاية البلاغة الجديدة إنما هي تقنية يُتوسل بها إلى الحقيقة هذه سواء كانت هذه الحقيقة واقعية أو كانت حقيقة فنية "وهي حقيقة تحدد مدى جودة التعبير وتوفيقه في نقل التجارب التي انبرى لنقلها ومعادلة المشاعر التي اضطلع بمعادلتها"<sup>5</sup> ، أي أن هذه الزخارف اللغوية تبقى عتاد بنائي لا غير، فالعملية الحاجاجية بذلك تجمع بين الحجاج التي مصدرها العقل وبين المتعة التي تضفيها جمالية الألفاظ

<sup>1</sup>- أ: حبيب أعراب، الحاجج والاستدلال الحاججي "عناصر الاستقصاء النظري"، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 30، العدد 1، سبتمبر 2003، ص: 71.

<sup>2</sup>- أ: حبيب أعراب، الحاجج والاستدلال الحاججي "عناصر الاستقصاء النظري"، ص: 75.

<sup>3</sup>- أرسطو، الخطابة، ت: عبد القادر قينيني، ص: 183.

<sup>4</sup>- نفس المرجع ، ص: 184.

<sup>5</sup>- د: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، س 2013م، ص: 388.

والإيقاعات على الخطاب قصد إثارة المتكلّي" وبذلك تصبح البلاغة فن الإقناع والإمتاع في ذات الوقت"<sup>1</sup> ولا تتأتى جمالية الخطاب بالمعنى الكامل إلا إذا تحقق الإقناع.

### 5- التوفيق بين المخالفات والمتناقضات :

الكلام الطبيعي كثيراً ما يقوم على الاختلاف وعلى التردد بين الشك واليقين، وبين الصحة والزيف، وبين الثبات والنفي، وهذا يعود إلى الطبيعة البشرية التي يحكمها الاختلاف ويسودها الاضطراب والتغير من حال إلى حال فقلما تستقر على رأي، "إن غاية النشاط الحجاجي هو إقامة إجماع وفسخ اختلافات الآراء. فالتأثر علامة النقص أو الخطأ. والحجاج وسيلة لإدماج الانشقاق بإزالة أي رأي من الآراء المتنازعة عن طريق العقل."<sup>2</sup> من هذا المنطلق شدت البلاغة الجديدة أمتعتها لكي تحد من شدة هذه المفارقات وتقارب بين هذه المسافات.

البلاغة عامة كانت ولا زالت تصبو إلى غاية لم شتات الآراء واحتواها ضمن لحاء فكري واحد غير أن هذه الغاية لم يكن يمكن يكتنفها النبل والصفاء في كثير من الأحيان، بل استغلت من أجل تحقيق غايات دنية، باستخدام ما يسمى بالمغالطات المنطقية، ولهذا السبب بالتحديد رأينا فيما سبق رفض أفلاطون للخطابة وإقصائها من جمهوريته واعتبرها بلاغة المراوغة والتحايل تحت غطاء القانون والعدل من ثم تم "تم الاقناع بجدوى بناء نظرية للمغالطات"<sup>3</sup> قادرة على تطوير أدوات فعالة وكافية لتحديد وضبط شروط تقويم الحجج، وبالجملة كان هدف العديد منهم هو البحث عن الآليات المنطقية الكفيلة بتدبير مختلف التفاعلات الحوارية،<sup>4</sup> والتركيز على الحوار خاصة دون سائر الخطابات الأخرى ويرجع ذلك أساساً إلى أن أصل تمثيل الاختلاف ونمطه في الحوار.

هذا الاتجاه في إيجاد الطرق المشروعة التي تحمي الخطاب من الزيف والوقوع في الخطأ وكذا تقويم الخطاب كان أحد المقاصد الرئيسية التي أقام "بيرمان" على أساسه بلامنته، بهذا لا يعتمد الحجاج عند

<sup>1</sup>- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، س 2013م، ص: 75.

<sup>2</sup>- كريستيان بلانتان، الحجاج، ت: عبد القادر المهربي، ص: 35.

<sup>3</sup>- "المغالطات هي في بيتها المشتركة إيهام بوجود منطق ومعنى إخفاء الانحراف عنهم". عن محمد العمري "دائرة الحوار و مزالق العنف"، إفريقيا الشرق، د ط، 2002م، ص: 26. وتعني "المغالطة": في المنطق تعني "هي خطأ مقصود للتمويه على الخصم وفحواه الانتقال بما هو صادق بشرط إلى ما

هو صادق إطلاقاً". عن د: ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين تونس، ص: 338.

<sup>4</sup>- د: حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص: 146.

بيرمان على العنف أو التضليل أو التوهيم، بل غرضه هو بناء الحقيقة عن طريق الحوار البناء والاستدلال الذي قد يكون ذهنياً وهو وياً افعالياً<sup>1</sup>، فالاستدلال السليم هنا هو السلطة التي تنظم الأفكار وفي إطاره يتم التقويم والتصحيح اللذان يؤديان إلى الانسجام والرضا بين المختلفين من أفراد أو جماعات و به تقطع الظنون ويحصل بتالي الإقناع.

من أهم وسائل التضليل الكلامي هو السلطة التي تفرضها قوة الكلمة "فالكلام الفنان الجذاب مولد الخيال الجذاب ويفتن النفس فتأخذ به وهذا ما يولد نسيان الواقع الحقيقي والدخول في عالم الخيالات، ويتتحقق الاحتباس الممارس من قبل اللوغوس الكلامي على الواقع الحقيقي، وتتولد وقائع خيالية لذيدة تماماً كما هو مفعول المخدرات التي يستخدمها المدمنون"<sup>2</sup> وإن كان هذا الرأي يتعارض مع الهدف الأساسي للبلاغة الجديدة التي ترفض التلاعب بالأهواء، لكن في المقابل ترى أنه "لا يكتفي الخطاب الحجاجي في إقناعنا بدعاوه بتقديم الحاجج العقلية؛ فلكي ينقلنا إلى الفعل و يجعل استجابتنا عملية ينبغي أن يتحكم في إرادتنا، وسبيل إلى ذلك يمر عبر إثارة العواطف وخلق الثقة في الخطيب"<sup>3</sup>، تبقى هذه الفكرة تردد بين القبول والرفض وهذا حسب طبيعة المقام وموضع الخطاب.

إن سلمنا بقبول فكرة ضرورة استخدام استمالة الأهواء من أجل بلوغ أقصى غایيات الإقناع وهي التأثير العملي، بالموازاة "يهدف الحاجج، في الآن نفسه، إلى أن يكون إجراء عقلياً وقوّة تأثيرية، مع ما يوجد بينهما من تناقض. فالتأثير يقود إلى الانحراف"<sup>4</sup> من هنا يمكننا القول أن "بيرمان" استطاع أن يجمع بين الخطابة وبين الجدل. في النصوص الحوارية والتحاورية.

لذا نجد "بيرمان" يركز في نظريته على الجدل القانوني وعلى الجدل الفلسفـي عموماً، وهذا الطرح الفلسفـي يظهر حين "حاول بيرمان بناء توجه يروم إلى تحديد الفعل الخطابي في إطار وضع يهم فلسفة للقانون. كما سعى إلى إدماج النظرية الحجاجية في فلسفة المعرفة ونظرية اتخاذ القرار وأيضاً فلسفة الفعل. فالوضعية الحجاجية في الأصل حسب بيرمان هي وضعية قائمة على مفهوم الاختلاف بين

<sup>1</sup>- د: جميل الحمداوي، من الحاجج إلى البلاغة الجديدة، ص:28.

<sup>2</sup>- د: كلود يونان، التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي، دار النهضة العربية، ط1، س2011، ص: 68.

<sup>3</sup>- د: محمد مشبال، في بلاغة الحاجج، نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، كنوز المعرفة، ط1، س2017، ص: 266.

<sup>4</sup>- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص09.

طرفين"<sup>1</sup>، فهي تنطلق من قول خطابي، تتشكل فيه الخصائص الفلسفية ذات البعد الجدلية منذ نشأت الخطابة.

#### 4- مقومات الحجاج:

يقوم الخطاب الحجاج على مقومات أساسية حتى يبلغ غايته المنشودة وتباور في اللغة الطبيعية، والمعرفة المسيرة، وكذا المقام الحجاجي. فالحجاج يعتمد "على مقومات تداولية على الخصوص، تميزه الواضح عن البرهان، فهو يعمد إلى تحليل التعبير من جوانب مختلفة، كتميزه مثلاً بين الدلالة الحرافية والمفهوم. ولأنَّ هدفه كذلك هو الإقناع فهو جدي، وكذلك فهو اجتماعي لكونه يعتمد على المساهمة الجماعية لتحقيق أغراض معينة"<sup>2</sup>، فالحجاج له ارتباط اجتماعي قوي.

إذ يكون موجه من فرد إلى جماعة أو من جماعة إلى فرد، فهو جدي يعتمد على ترتيب الأدلة لكون أن لكل دليل قوة قد تزيد أو تنقص حسب المتلقى الموجه له الخطاب ولذا نجد أن أرسطو أعطى عناية قصوى للأسلوب في العملية الحجاجية<sup>3</sup> "وتعود أهمية الأسلوب في نظر أرسطو إلى أنَّ عامة الناس يتأثرون بمشاعرهم أكثر مما حاجتهم إلى الحجة، فلا يكفي إذن أن يعرض المرء ما ينبغي أن يقال بل ما يجب أن يقوله كما ينبغي"<sup>4</sup>. وهنا تتدخل البلاغة ويكون لها الدور الفعال في هذه المسألة حيث تمد المتكلم بالتقنيات والأساليب التي بها خطابه يتلاءم ومقاصد المخاطِب ومتطلبات المخاطِب "قل أن الحجاج أصل في كل تفاعل كائن ما كان"<sup>5</sup>، فالعملية الحوارية التي تكون بين المخاطِب والمخاطِب تحقق الحجاج مهما كان نوع هذا الحجاج.

#### اللغة الطبيعية:

<sup>1</sup> - د: عليوي أبا سيدى، الحجاج والتفكير الن资料ي، ص: 23.

<sup>2</sup> - عليوي أبا سيدى، الحجاج والتفكير الن資料ي، ص: 139.

<sup>3</sup> - ينظر، أرسطو، الخطابة الترجمة العربية القديمة، ص: 190.

<sup>4</sup> - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، إفريقيا الشرق، ط2، (د. ط، تا)، ص: 97.

<sup>5</sup> - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 229.

تعد اللغة الطبيعية أهم مركبات الخطاب الحجاجي ويقصد باللغة الطبيعية اللغة المتداولة بين الناس؛ لأنها أوسع وأشمل من اللغة الصناعية "يُوضح أن اللغة توفر على إمكانات لا حصر لها، يمكن أن يستعملها المخاطب في حجاجه، طبقاً لمقتضيات السياقات التي يتلفظ بها فيها"<sup>(1)</sup>. فيكون للمجاجح خيارات كثيرة ومتعددة يبني على أساسها عملية الحجاج "كما أن ارتكازه على اللغة الطبيعية يجعل أداته لا تكون دائماً ظاهرة بل أحياناً مضمرة، وهو ما يجعل العلاقات الحجاجية تخضع لشروط دلالية وتداوילية (على الخصوص)"<sup>(2)</sup>، فلغة الحجاج ليست نفسها لغة العلم التي تواضع الناس عليها، "هذا يعني أنّ اللغة تتوسل بها في الحجاج هي من جنس اللغة الطبيعية التي لم يثقفها الإنسان وبهذه من ضروب الإيحاءات والمعاني الجانبيّة المواكبة والتراوُف والاشراك اللفظي... إلخ"<sup>(3)</sup>، هذه الميزة التي تتميز بها لغة الحجاج تجعلها لغة تواصل اجتماعي تبتعد عن المجال العلمي الذي لا يتحمل النقاش.

تعددية المعنى الذي تمنحه اللغة الطبيعية كان سبباً في تحامل الكثير من الفلاسفة عليها<sup>(4)</sup>، ومن ثم التحامُل على الحجاج فيما بعد؛ "لأنه إذا كانت حدود الرسالة ما متعددة المعاني، فإنه لا شيء يمنع اللعب على تعددية المعاني هذه، أو التلاعب بتصديق السامعة باستعمال المبهم أو الغامض. ومع ذلك تمثل تعددية المعاني هذه ثراء اللغات الطبيعية؛ لأنَّه عندما ترك اللغة الطبيعية للسياق مهمته إرفاد السامعة بالوسائل التي تمكنه من الحسم لصالح معنىٍّ وحيدٍ، فإنَّها تحوز بذلك مرونة كبيرة شبه لانهائيَّة، بالنظر لأيِّ مَقامٍ ممكِّن للاستعمال. وفي مقابل ذلك تعدُّ اللغات الصورية فقيرة"<sup>(5)</sup> هذا يؤهل اللغة الطبيعية أن تكتسح جميع أنواع الخطاب لما تمنحه من خيارات لا نهائية للمخاطِب، وللمخاطِب.

وبما أنّ الحجاج عند "بيرلان" هو خطاب بلاغي يخترق جميع أنواع الخطاب لا سيما الإنسانية منها، التي تعالج مواضيع القيم كالخير والشر، والحقيقة والكذب، وهي مواضيع تقوم في الأساس على

<sup>1</sup> - عبد الحادي ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، ج 1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د.ط)، س 2010، ص: 141.

<sup>2</sup> - حسان الباهي، اللغة والمنطق، ص: 177.

<sup>3</sup> - محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وبرمان، ص: 21.

<sup>4</sup> - ينظر: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى الحجاجية اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، س 2014م، ص: 34.

<sup>5</sup> - ميشيل ماير، اللغة والمنطق والحجاج، ت: محمد أسيداح، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، ص: 353.

الاحتمالية والتعددية في الطرح وكذا النتائج، فلا يمكن إخضاعها لقواعد المنطق الصوري، إنما كل محاجج وله الخيارات المتعددة في اللغة الطبيعية المتداولة بين الأفراد لكن لا يكون ذلك اعتباطياً، إنما "يصوغ مستعمل اللغة الطبيعي خطابه الحجاجي وفق المقتضيات المنطقية التي توجّهه في اختيار أدواته المنطقية، وآلياته الاستدلالية، وهو لا ينبع في هذا الحال عن انغماسه في سياقه الحجاجي من جهة، والاستجابة لمقتضيات اللغة الطبيعية من جهة أخرى"<sup>(1)</sup>، إذن الكفاءة هنا ليست في حصر الحجاج في قواعد المنطق حتى يتم السيطرة على انفلات المعانٍ بينما العبرة هنا في توظيف اللغة الطبيعية توظيفاً إجرائياً مع استغلال جميع خصائصها حتى نصل إلى خطاب بلاغي يستند على قواعد المنطق الطبيعي ويحقق الفاعلية الحجاجية.

إن لغة الحجاج لغة طبيعية بامتياز يسعى الحجاج من خلالها تحقيق الوظائف اللغوية التي ينشأ عنها تعبير عن الرأي أو إثباته لدى المتلقى، التي تتجزئ إلى التأثير في المتلقى، فالحجاج في اللغة الطبيعية يتسم بسمات عديدة منها أنه نسيٌّ ومنْ تدريجي ذو طبيعة سياقية<sup>(2)</sup>. وهذه الصفات تعطي للخطاب الحجاجي القدرة الكافية على بلوغ الإقناع. "الحجاج هو الآلة الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة، وتتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع"<sup>(3)</sup>، وبالتالي فهي تؤدي حتماً إلى حمل المتلقى على الإذعان.

هذه الاستدلالات المتداولة بين مختلف الخطابات تستند في الكثير من الأحيان على المنطق الاحتمالي أي أنّ "الأدلة في اللغة الطبيعية عبارة عن شواهد اشتباهية، لا تسمح إلا باستدلالات احتمالية ترجيحية، ولا يصلح اعتمادها في استدلال منطقي صوري". هذا الأمر لا يمثل بأي حال مظهر نقص في هذه اللغة، بل بالعكس من ذلك يمنحها مرونة وقدرة على التغلغل في الواقع الإنساني بكل خواصه الاشتباهية وسماته العصبية على التطوير الصوري<sup>(4)</sup>، مما يمنح الخطابات الحرية في التحديد والابتكار وخلق أوضاع لا حصر لها رغم أنها تعتمد "على تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطاوعة حسب استعمال المخاطب لها، إذ يختار حججه وطريقه بنائها، بما

<sup>1</sup> عبد الحادي ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ص: 76.

<sup>2</sup> أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع، ط1، س 2006، ص: 129.

<sup>3</sup> عبد الحادي، إستراتيجيات الخطاب، ص: 456.

<sup>4</sup> رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى الحجاجية المنسانية، ص: 34.

يتناوب مع السياق الذي يحفل بخطابه<sup>1</sup>؛ لأنّ الكلام العادي ما هو إلا شكل من أشكال منطقية التي تعتمد على العمليات الاستدلالية الصورية في الأصل ، غير أنّ هذا المنطق أخذ منحى أقل صرامة وجمود ، فاتسم بالمرونة والكثير من الاجتزاء.

من هنا يمكن القول أن اللغة الطبيعية لها القدرة الكافية في توظيف أدوات المنطق الصوري والحملي جنبا إلى جنب؛ لأنّ الكلام نابع من الفكر الإنساني الذي يقوم على المنطق بكل أشكاله فهو أحياناً يقوم على المنطق الصوري الدقيق عندما يكون بحاجة إلى ذلك في حالات البرهان، كما أنه أحياناً قد يوظف المنطق الحتمي وهذا ما دعا إليه "بيرلمان" في قوله: لا بد على المنطقين أن يتموا نظرية البرهان... بنظرية المحاجة، التي نسعى إلى تأسيسها بتحليل أدوات الاستدلال لتسعين بها العلوم الإنسانية<sup>2</sup> غير أنّ أكثر أدوات الاستدلال الطبيعي لا يمكن أن تصاغ دائماً في صورة منطقية بسبب تنوع أشكالها البنائية ونتائجها بين اليقين والاحتمال "إذ تبدو هذه الأدوات الصورية إما باللغة الضيق والتقييد أو باللغة التنظير والتجريد أو باللغة التقنية والتحسيب فتحتاج إما إلى تطويرها وتوسيعها وإما إلى تركها وطلب غيرها"<sup>3</sup>، باللحوء إلى اللغة الطبيعية، حيث يجد المخاطب ضالته ويتحقق بها غايته.

### - الحقيقة والمنطق الطبيعي :

الحقيقة قد ينفرد بها شخص وتحصنه دون الآخر ولكن كثيراً ما نشترك في امتلاكها ويعبر هذا الاشتراك عن قيمة هذه الحقيقة، وقد تكون هذه الحقائق مجرد احتمالات واردة مثل الفرضيات أو معارف تعارف عليها الناس ولا ترقى إلى مستوى اليقين مثل المسلمات "وقد تغدو المدرّكات النظرية بعد الوصول إليها وتمكنها من النفس مدرّكات ضرورية"<sup>4</sup>، بمرور الزمن تعود الناس عليها وأضحت من الحقائق الثابتة "ويقال أنه قد يستتبط علم باطن الأشياء بالظن الذي يحتاط فيه حتى يقع

<sup>1</sup> - عبد الحادي ظافر الشهري، آليات المحاجج وأدواته، ص: 79.

<sup>2</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhetorique ,p :13. « Les logiciens se doivent de compléter la théorie de l'argumentation, nous cherchons à la construire en analysant les moyens de preuve dont se servent les sciences humaines »

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 270.

<sup>4</sup> - نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، ط6، س2007م، ص: 26.

موقع اليقين"<sup>1</sup>)، وإن أكثر معارفنا تدخل ضمن المعارف العامة، والتي غالباً ما، "تشكل الممارسة أساس العملية المعرفية"<sup>2</sup>، التي يتكون الحدس منها.

هذه الممارسة الفعلية أصلها في الحقيقة عبارة عن بديهيّات و"لفكرة البداهة ، التي يختص بها العقل، لا بد من المواجهة إذا أردنا أن نقيم مكانة للحجاج ، الذي يعترف باستخدام العقل في توجيه عملنا والتأثير في ما يخص الآخرين، إن الأدلة تعتبر في نفس الوقت، قوة لا يمكن لأي عاقل إلا الإذعان لها، وعلامة على حقيقة ما هو مطلوب، البداهة تربط بين ما هو نفسي وبين ما هو منطقي، ويمكن الانتقال من خطة إلى أخرى"<sup>3</sup> عن طريق إعمال العقل و به تحصل "المعرفة التي تقود الإنسان إلى تحقيق أهدافه العلمية هي وحدها الصحّحة ومن هنا يتعيّن هدف المنطق: التحري عن المعرفة الصحيحة عن طريق دحض الآراء الغالطة"<sup>4</sup>، قبل أي ممارسة لابد على المتحرّي أن يكون لديه إطلاع كامل حول الموضوع.

المعرفة بالموضوع في الحقيقة تتشكل شيئاً فشيئاً في الفكر بتراكم بعضها البعض، فكلما بحثنا في موضوع ما توارد أفكار جديدة، وتساؤلات جديدة "بحيث لا تسبق المعرفة الموضوع ولا الموضوع المعرفة، بل يقوم كل منهما بتعيين الآخر وإنتاجه، وهذه الممارسة للذات ما هي إلا تجربة فكرية، هي علاقة متغيرة تخضع للنسخ والتبدل"<sup>5</sup>، فكل معرفة لابد أن تسبقها معرفة، فلكي تصل إلى حقيقة معرفة بموضوع ما، لابد أن تكون لديك نظرة ولو وجيزة عن الموضوع المراد دراسته حيث "لا

<sup>1</sup> - شوقي ضيف، البلاغة العربية تاريخ وتطور، ص: 97.

<sup>2</sup> - ألكسندر غيتاتوفا، علم المنطق، ت: ع التعديلات، دار التقدم، الاتحاد السوفييتي، س 1999، ص: 12.

<sup>3</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhetorique ,p : 4. « c'est à L'idée de l'évidence, comme caractérisant la raison, qu'il faut sattaquer si l'on veut faire une place à une théorie de l'argumentation, qui admette l' usage de la raison pour diriger notre action et pour influer sur celle des autres, l'évidence est concue, à la fois, comme la force à la quelle temps, tout esprit normal ne peut que céder et comme signe de vérité de ce qui s'impose parce qu'évident, l'évidence reliera le psychologique au logique et permettrait de passer de l'un de ces plans à l'autre »

<sup>4</sup> - جورج طرابيشي ، نظرية العقل نقد العقل العربي ، دار الساقى ، ط3 ، س 2008 ، ص: 110.

<sup>5</sup> - علي حرب ، نقد النص (النص ، والحقيقة) ، المراكز الثقافية العربية ، ط2 ، س 1995 ، ص: 236.

موضوع يعطى للمعرفة ولا ذات قائمة بذاتها قبل المعرفة بالموضوع، ولا عقل محض يستقل بذاته عن الواقع<sup>(1)</sup>، فلا تتشكل المعرفة من دون مقدمات راسخة في الذهن،

إذن اكتساب العلم يعتمد على الفكر البديهي، أي المقدمات التي هي عبارة عن مسلمات، فرضيات، وعن معارف سابقة، ولا يشترط في هذه المعرف الساقطة الضرورية اليقينية "فغاية المستدل على شيء ما أن يصل إلى مرحلة أن يجعله كالمدرك بالحواس"<sup>(2)</sup>، هذه المقدمات يقوم العقل باستعمال المنطق بتنظيمها وتحليلها أو تركيبها للوصول إلى معارف جديدة، هذه العملية تسمى العملية الاستدلالية "ويساعده مختلف ضروب الاستدلالات، يمكن تحصيل معارف جديدة، ويمكن بناء الاستدلالات عند وجود حكمين أو أكثر (وهذه الأحكام تدعى المقدمات) تجمع بينهما رابطة معينة"<sup>(3)</sup>، لإنتاج استدلالات صادقة ترتكز على الملاحظة والتأمل ومطابقة الواقع مع النتائج المستخلصة أي "مطابقتها مع الواقع وقوانين علم الحقائق"<sup>(4)</sup>، وهذا ما يسمى بالمنطق، فالمعرفة السليمة، الحقيقة العلمية الطبيعية تقوم على مبادئ المنطق الصحيح الذي ينسجم مع الواقع.

بهذا فإن الحقيقة تمثل نوع من الاتصال من خلال بلورت مفاهيم الخطاب وتحقيق الاتفاق بين المخاطب والمتلقي؛ لأن "الحقيقة لا توجد قبل الإدعاء بالصدق أي قبل بدء الخطاب، ذلك لأنها ليست قبليّة نعمل على استخراجها وتحصيلها منطقياً أو البرهنة عليها في دائرة تعود إليها، كما أنها - الحقيقة - لا توجد بعد هذا الإدعاء لأنه قد يبطل بعد المصادفة أو يضعف تبريره"<sup>(5)</sup>، كما أنه ولو كانت هذه الحقيقة منفصلة عن الواقع البشري الذي يستمد مقوماته ومميزاته من العقل يترتب عن ذلك معارف فاسدة لأنّ ما بني على باطل فهو باطل.

المُدْفَعُ الأساسي من الاستدلال هو إظهار الحقيقة والوصول إلى الشيء الخفي، وبما أنّ مختلف أنواع الاستدلال سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة فإنها تبني على معارف سابقة وهي أصل كل مواجهة؛ لأنّ الحجاج ما هو إلا "عبارة عن مختلف الوسائل الاستدلالية الطبيعية التي تستهدف أساساً

<sup>1</sup>- علي حرب، نقد النص (النص، والحقيقة)، ص: 233.

<sup>2</sup>- نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص: 61.

<sup>3</sup>- الكسندر غيتاتوفا، علم المنطق، ص: 174.

<sup>4</sup>- نفس المرجع ، ص: 19.

<sup>5</sup>- عمارة ناصر، البلاغة والفلسفة، ص: 92.

إقناع المخاطب بقول ما بالبناء على ما يُعلم (بضم الياء وفتح اللام) أو يفترض أنّ المخاطب يسلم به من أقوال غيره<sup>(1)</sup>، وبذلك نخرج المنطق الصوري إلى مستوى حجاجي طبيعي وهو عبارة عن مجموعة الاستدلالات الطبيعية الغرض الأساسي منها هو بلوغ إلى حد ممكّن من الإقناع، ويعتبر "أوليسي روبيول" أنّ أنواع الاستدلالات هي التي يمكن من خلالها الحكم على جودة الحجاج من عدمه حيث "يتمثل معيار آخر، داخلي هو في احترام العناصر البرهانية، أي المنطقية، التي يتضمنها الحجاج. وبتعبير آخر: العمل على نحو ألا يكون سفسطائيا"<sup>2</sup>، إذن كيف يمكن التمييز بين الحجاج والبرهان إذا كان الحجاج يقوم على الاستدلال المنطقي؟ هذا ليس صعباً فهناك عدة مميزات تميّز كل واحد عن الآخر، وأهم ميزة يتميّز بها الاستدلال البرهاني على الاستدلال الحجاجي هو اللغة التي يبني على أساسها استدلال كل واحد منها. وعلى المقدمات والنتائج غير اليقينية.

#### - علاقة المقام بالإقناع:

يشكل المقام دوراً كبيراً في عملية اختيار الحجج وطريقة إدارتها، فالخطاب أو المناسبة التي دعت إلى إلقاء الخطاب تعتبر من مقومات نجاح العملية الاقناعية وكل ما يطرأ من مستجدات أثناء الخطاب له أثر مباشر في ضرورة تغيير مجريات الخطاب، حيث يجب على المخاطب أن يراعي شروط ومقتضيات حال المتكلّم حتى تكون حججه أكثر فاعلية ويعمل على حسن اختيار الحجج المناسبة، لذلك المقام الذي يعتبر "أهم استلزمات التي تتعلق بالقول الطبيعي تلك التي تنشأ عن المقام الذي قيل فيه أو عن السياق الذي جاء به من أجله والتي تتولّ بحملة من قواعد التخاطب التي يتبعها قائله، وقد يكون مقام الكلام مقاماً يستدعي اعتبارات خارجة لا يشاركها فيها غيره، أو يكون مقاماً لا ينفرد بأسباب خارجية معينة"<sup>(3)</sup>، وعليه فإنّ الحجاج التي يوظفها المخاطب لابد أن يراعي فيها كل ما يتوافق مع مقام الخطاب.

إنّ هذه الأهمية التي يلعبها المقام في العملية الاقناعية أشار إليها "بيرمان" من جوانب عدة أهمها: جوانب الاتفاق بين المخاطب والمتلقي من حيث فهم لغة الخطاب أو من حيث الإقرار بصحة الأدلة

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، التكوّث العقلي، ص: 393.

<sup>2</sup> - أوليسي روبيول، مدخل إلى الخطابة، ص: 127.

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن، التكوّث العقلي، ص: 97.

المستعملة، وكذلك من جانب موقع اهتمام موضوع الخطاب من طرف المتلقين له، وكذا من جانب الفكري، والنفسي للمتلقي أثناء تلقيه الخطاب.

على هذا الأساس قسم "بيرلمن" المخاطب إلى ثلاثة أنواع<sup>1</sup> حسب نوع الحجج التي توجه لإقناعه، فهناك المخاطب الخاص، الذي يحتاج إلى الاستعمال عن طريق العواطف والمعتقدات لأنها ببساطة نعرف ميوله وقناعاته، والنوع الثاني من المخاطبين وهو الذي يحتاج إلى الأدلة والبراهين العقلية لحمله على الاقتناع، أما النوع الثالث وهو المخاطب الذاتي وهو الذي يجاجج ذاته عن طريق المحاور والمساءلة الذاتية.

من جانب آخر أشار "بيرلمن" إلى أنّ استعمال الأدلة يختلف حسب الموضوع ونوع المتلقي وحسب الزمن والمكان وظروف المحيطة الثقافية، الاجتماعية، الذي يصلح الاستدلال به ويؤدي غرضه اليوم قد لا يصلح أن يكون دليلاً بعد زمن معين، فقيمة الأدلة قد تقوى وتضعف وقد تسقط تماماً حسب درجة توافقها مع المقام، وعليه فالدليل يأخذ قوته حسب المقام الذي وضع له، بحيث أنّ أساليب "الجاجج" تتأثر بالتغييرات المصاحبة لحياة الناس، ومنها تغيير الوسائل التقنية والظروف المادية وتطلعات الناس وأمامهم فالحججة التي كانت ناجحة بالأمس، قد لا تكون صالحة اليوم<sup>(2)</sup>، لذا يجب التعرف على جميع الظروف المحيطة بمقام الخطاب وعلى ما قد يطرأ من مستجدات قد تكون محل مصادر للخطاب.

لذا "لكي تنمو الحجة، لابد من أن الذين تتوجه إليهم بالخطاب يكون لهم بعض الاهتمام. الكثير من أشكال الاشهار والدعایة بهمها قبل كل شيء أن تركز على مصلحة جمهور غير مهم، شرط لا غنى عنه لتنفيذ أي محاجة"<sup>3</sup> فأسلوب الكلام عامـة "مرهونا بفهم مقاصد المرسل، وذلك في الحاجـ

<sup>1</sup> -Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite deL'argumentation La nouvelle Rhétorique, p :39 « trouvons trois espèce d'auditoires »

<sup>2</sup> - ابن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب بين ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص:260

<sup>3</sup> -Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite deL'argumentation La nouvelle Rhétorique, p :23. « pour qu'une argumentation se développe, il faut, en effet, que ceux auxquels elle est destinée y prêtent quelle attention. La plupart des formes de publicité et de propagande se préoccupent, avant tout, d'accrocher l'intérêt d'un public indifférent, condition indispensable, pour la mise en œuvre de n'importe quelle argumentation. »

مثلا، وفي الاستراتيجيات التي تبلور العلاقة بين طرفي الخطاب، ويتم ذلك بإدراك مقاصد العلاقة بين طرفي الخطاب، ويتم ذلك بإدراك مقاصد بوصفها المعنى، وبينى على عدم فهم القصد إنتاج خطابات غير مناسبة للسياق<sup>(1)</sup>، فالتصديقات تختلف من شخص إلى آخر وبالتالي كل محرف إلا وله أصحابه، "كما أن الزمان والمكان اللذين يتلفظ بهما المرسل بخطابه من عناصره الهامة؛ مما يصلح لزمان قد لا يصلح الآخر، وما يناسب مكاناً قد لا يناسب مكاناً آخر؛ فمعرفة عناصر السياق تسهم في عملية التعبير عن المقاصد والاستدلال لإدراكتها"<sup>2</sup> لأنّ الحجة التي تقدم في الساحات العمومية غير الحجة التي يدلّي بها شخص معين في محرف معين ضمن موضوع معين.

وبما أن الغرض الأساسي في العملية الحجاجية هو الإقناع والتأثير فيلزم المخاطب أن يبحث في الظروف المحيطة بالمخاطب التي تسهل وتفعل هذه العملية باستغلال هذه الظروف لصالحه "يُبيِّن فعل الإقناع وتوجيهه دوماً على افتراضات سابقة بشأن عناصر السياق خصوصاً المرسل إليه والخطابات السابقة والخطابات المتوقعة"<sup>(3)</sup>، وتحتختلف عندها درجة الإقناع التي يسعى إلى تحقيقها المخاطب ويستلزم عن ذلك اختلاف الأدلة التي توظف مع كل مخاطب "فالمتكلم مثلاً عندما يستخدم مقدماته العقلية في بداية طرحته فهو يسعى إلى بناء أول جسور التواصل المقنع بينه وبين مخاطبيه الذين يرغبون في اخراجهم معه في التسلیم بتلك المقدمات لكن عدم الحذر في طرحتها بما ينسجم مع موضوع المقام في رفض المخاطبين لذلك الميثاق"<sup>4</sup>، فكلما كان اتفاق مسبق بين المخاطب والمخاطب على الأدلة المستعملة كانت نسبة الإقناع أعلى.

كما أنّ الجانب النفسي<sup>5</sup> للمتكلمي يدخل ضمن نطاق المقام الذي يلعب دوراً في تهيئة المتكلمي لاستيعاب الحجج وتلقيها "و مع مراعاة التفاعل بين دور الفرد في الأداء وغاية الأداء في إطار دور الفرد في المجتمع يمكننا أن نصل إلى فهم "المقام" الذي يقال فيه "المقال"<sup>(6)</sup>. كل هذه الأساليب الاقناعية التي

<sup>1</sup> - محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص: 211.

<sup>2</sup> - ابن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ضمن المقدمة.

<sup>3</sup> - محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص: 444.

<sup>4</sup> - محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحاجاج عند "بيرلان" وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، ص: 83.

<sup>5</sup> - Voir : Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle, p:23 Rhetorique .

<sup>6</sup> - حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 03، س 1998، ص: 364.

حرص "بيرلمن" على ضرورة مراعاتها، تتعلق أساساً بمقام المخاطبين لها دور فعال في إعطاء مصداقية قصوى للدليل وتحقيق نجاعة الإقانع.

### 4-1- بنية ومكونات الحجاج عند بيرلمن:

يُبيّن الحجاج عند "بيرلمن" على مجموعة من الآليات والمقدمات والفرضيات التي ينشئها الم الحاج ويُبيّن على أساسها خطته الاقناعية؛ لأن ممارسة الحجاج الفعلية تتبلور فيه، وتتجسد أبعاده في ثناياه؛ مثل الأبعاد السياقية والمنطقية واللغوية. فالخطاب الحاجي ثمرة لقدرة الإنسان التواصيلية بوصفه ممارسة ناجحة عن تفعيل الكفاءة الحاجية<sup>1</sup> فهو إذن مجموعة من المكونات تشتراك وتفاعل فيما بينها تبني على ذلك العملية الحاجية والتي ينسج بها الخطيب خططه البرهانية. من هذا المنطلق "تقوم السيرورة البناء الحاجي من حيث المبدأ على ثلاث آليات متعاقبة ومتداخلة هي: الإثبات والتفسير، والإقانع"<sup>2</sup>، الإثبات يكون كأسلوب لطرح الفكرة ويُبقي يحتمل الصدق أو الكذب لتنتقل إلى مرحلة أخرى وهي التفسير وتكون بالشرح والتحليل هذا الخبر معتمداً على العقل عن طريق الوصف أو المقارنة أو التفريق أو التصنيف ليصل بعدها مباشرة إلى الخطوة الأخيرة هي إقناع المخاطب بتوزيع الأدلة وترتيبها عن طريق آليات استدلالية تتتنوع بين المنطقية واللغوية والدلالية.

### 1\_ الواقع :Les faits

لا يمكننا تحديد مفهومها ، وهذا ما أقره "بيرلمن" في قوله: "لن يكون من الممكن ولا مما يتواافق مع قصتنا تقديم تحديد للواقع يسمح ، في كل زمان ومكان ، بتصنيف هذا المعنى الملموس أو ذاك باعتباره واقعاً ، بل بالعكس لابد من التركيز على ما في الحجاج"<sup>3</sup> ، ورغم ذلك تبقى "ثابتة لاشك فيها ، فإنها تصلح لتأسيس نقطة بداية"<sup>4</sup> لذا تعد نقطة انطلاق الحجاج عند "بيرلمن"؛ لأنها تعتمد على

<sup>1</sup>- عبد الحادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، ج 1، الحدود وتعريفات، ص 76.

<sup>2</sup>- أبو زهرة، دروس الحجاج وما يعارضه هذا النص الفلسفى، ضمن مجلة الشبكة التربوية الشاملة، س 2007، ص: 14.

<sup>3</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de L'argumentation La nouvelle Rhétorique , P :89 « Il ne serait ni possible ni conforme à notre propos de donner du fait une définition qui permette, en tous temps et en tous lieu, de classer telle ou telle donnée concrète comme un fait. Il nous faut, au contraire, insister sur ce que, dans l'argumentation ».

<sup>4</sup>- د: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص: 111.

على الإحساس المشترك بين الجميع، "ومنها المفترضة *supposés*، أي الواقع الممكن أو المحتملة"<sup>1</sup>، مع أنه قد ينتقض اتفاق ثبوتها في الحاجج إذا ما وقعت تحت وقع المصادره<sup>2</sup>.

### 2- الحقائق *Réalités*

تعتبر نظام من الروابط الذي يعمل على الربط بين الواقع لذا هي تعمل بالتوابع مع الواقع كما أن هناك صلة مشتركة بين الواقع والحقائق إذ كلاهما يعتمدان على ما اتفق حوله من قبل الجميع وهذا قصد ضمان "موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة"، وبما أنها تعمل مع الواقع فهي كذلك تشكل نقطة انطلاق الحاجج، لكن الفرق بينهما أن "الواقع" تعين مواد اتفاق دقيقة ومحصورة، في حين أن المقصود بـ"الحقائق" أنها أنساق أكثر تعقيداً، تتعلق بصلات بين الواقع.<sup>3</sup> البعيدة عن التجربة فهي تتعلق بالنظريات العلمية وبالتصورات الفلسفية أو الدينية<sup>4</sup> التي تستمد منها مادتها وتقوى بها الواقع، فهي الأرضية التي تحضن الواقع ومنها تتغذى.

### 3- الفرضيات *Les présomptions*

هي بمثابة نتيجة توقعها مسبقاً على أساس وقائع يعني آخر هي تمثل "التحمين، مؤسس علمياً حول الأسباب أو الروابط القانونية لهذه أو تلك من الظواهر أو الأحداث الطبيعية والمجتمع والتفكير"<sup>5</sup> هي كذلك تشكل نقطة انطلاق الحاجج ومحور اتفاق الجميع "ولكن الإذعان لها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحاجج عناصر أخرى تقويهما"<sup>6</sup>، تمثل هذه العناصر في مجموعة الاستدلالات التي يتوصل بها الحاجج في خطابه ليثبت بها هذه الفرضيات التي تبقى مضطربة قابلة لدحض حتى يتم الاتفاق حولها ولا يكون ذلك إلا عن طريق أدلة وبراهين قاطعة.

عليه فإن الفرض طرح مرجح ظنا وقوعه كنتيجة احتمالية قد تصبح بعد بسط الأدلة قانون عام أو نظرية علمية، والقصد الأساسي من طرح الفرضيات هو "الكشف عن أسباب ظهور القانونيات

<sup>1</sup>- د: عبد اللطيف عادل، *بلاغة الإقناع في المناظرة*، ص: 87.

<sup>2</sup>- ينظر: د: الحسين بنو هاشم، *نظرية الحاجج عند شايم بيرلان*، ص: 43.

<sup>3</sup>- ينظر: د: الحسين بنو هاشم، *نظرية الحاجج عند شايم بيرلان*، ص: 43.

<sup>4</sup>- ينظر: د: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، *الحجاج في البلاغة المعاصرة*، ص: 112.

<sup>5</sup>- الكسندراغيتاما توفا، *علم المنطق*، 1999م، ص: 293.

<sup>6</sup>- د: عبد الله صولة، في *نظرية الحاجج*، دراسات وتطبيقات، مسکلیانی للنشر والتوزیع، ط1، س2011، ص: 25.

لدى مجموعة فرعية من المجموعة المعينة<sup>1</sup> وفي الحاجاج الهدف الرئيسي هو جعل المستمع طرف مشارك في البناء الحاججي حيث أنه منذ البداية يكون مهيأ لقبول النتيجة، وكذلك إن هذه الفروض مبنية على وقائع متفق عليها فمن السهل قبولها كنتيجة، وإشراكه في الحاجاج يجعله مطمئناً للنتيجة فيقتتنع بها، فهو إن عارضها إنما يطعن في ذاته.

بينما هذا الاتفاق حول الفرضيات فهو نسبي، فهو قابل للتغيير "تبعاً للوسط والمقام والمتكلم والسامعين، لأنها تقيس بالعادي Le normal، والعادي مفهوم مجرد مختلف باختلاف القدرات والإمكانيات الفردية والجماعية".<sup>2</sup>، باعتبار أن "المظنونات تقوم على فكرة أن المعاد قد يكون موضوع تأويلاً مختلفاً، فمن الممكن أن يطرح نقاش حول الملائمة المظنون للقضية، وسنكون في هذه الحالة، إزاء محاولة لقلب المظنون يرجح كفة دعوى الخصم. وهذا ما يظهر الأثر المباشر للمظنون: إنه يفرض مهمة تقديم الدليل على من يريد الاعتراض على تطبيقه"<sup>3</sup>، لكن في الأخير هذه التغيرات أو الاعتراضات الممكنة هي التي تجعل الحاجاج مرتاحاً قبل التواطؤ وفي الوقت ذاته يتصرف بالمصداقية.

#### 4\_ القيم : les valeurs

تشكل القيم أهم مكونات البناء الحاججي عند "بيرمان" "عليها مدار الحاجاج بكل ضرورته. وهي إن خلت منها الاستدلالات ذات البعد العلمي والعلوم الشكلية Sciences formelles فإنها تمثل بالنسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاء أساسياً. فهي التي يعول عليها في جعل السّابع يذعن لما يطرح عليه من آراء".<sup>4</sup> سواء جمهور المستمعين أو خاصتهم "فما يرسمه الحاجاج من مقدمات إنما مآلها تثبيت قيم ترسخ وتثبت ليعتقد فيها ويقتنع بها"<sup>5</sup> وفي كل زمان ومكان؛ لأن القيم النبيلة كانت ولا زالت ثابتة عموماً.

<sup>1</sup>- الكسندراغيتاما توفا، علم المنطق، ص: 315.

<sup>2</sup>- د: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحاجاج في البلاغة المعاصرة ، ،ص: 112.

<sup>3</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجاج عند شايم بيرمان، ص: 44.

<sup>4</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجاج، ص: 26.

<sup>5</sup>- د: علي شعبان، الحاجاج والحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الأشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م. ص: 103.

قد قسم "بيرمان" القيم إلى نوعين هما: "القيم مجردة كاجمال أو العدل، والقيم الملموسة كفرنسا أو الكنيسة. القيم الملموسة هي التي ترتبط بكائن أو شيء أو جماعة أو مؤسسة منظورة إليها في وحدانيتها"<sup>1</sup>. هذا التفريق بين أنواع القيم وضرورة التمييز بينها عند "بيرمان" له دور كبير في العملية الحجاجية بحيث يتيح للمحاجج إمكانية اختيار استدلالاته وكيفية توظيفها.

## 5 \_ التراتبيات :Les hiérarchies

تعلق التراتبيات بالقيم أي أن المحاجج يخضع حاججه إلى عملية ترتيب يعطي فيها الأولوية إلى بعض قيم "فالعدل مثلاً، قد يعتبر أفضل من قيم أخرى نبيلة". ولذلك فالترتيب استعمال حاججي عملي للقيم<sup>2</sup>، وعليه أن القيم عند توظيفها لابد من احترام هذه التراتبيات وإلاً أضحي الحاجج غير موضوعي وإن كانت القيم في الكثير من الأحيان لا تقوم على الموضوعية فإن هذه التراتبيات تمنح القيم نسبة معتبرة من الموضوعية. وتلك الصفة التي لها الدائرة على الترتيب والتدرج ينتج عنها حاصل مفاده أن الحاجج وهو يرتب بين قيمة المجرد منها والمحسوس إنما يصنع مجال اختياره ويعرب عن باطن مقداره في تقديم قيمة على أخرى<sup>3</sup> وهو بهذا يعمل على رسم توجه واضح لحججه، يحدد به الأبعاد والحدود.

في المقابل تمنح التراتبية المتلقى الاشتراك في البناء الحجاجي بحيث تفسح له مجال التحليل والتركيب واكتشاف المضامين والمقارنة وكذا الإلحاد، كل هذه العمليات تعطي له القدرة الكافية على ترسخ الفهم الذي ييسر الإقناع. "وللقيم في نظره - بيرمان - دور فعال في بناء الثقة بين المتحاورين، لذا فقد اعتبرها قواعد حجاجية"<sup>4</sup> لا يمكن لأي محاجج الاستغناء عنها مهما كان نوع الخطاب الحجاجي وكذا نوع المستمع.

كما أن هذه "التراثيات تكون مجردة تارة أو ملموسة تارة أخرى متجانسة كانت أم متغيرة. من التراتبيات الملموسة: الإنسان أسمى من الحيوان، والآلهة أسمى من الإنسان. ومن

<sup>1</sup> - الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجج عند شايم بيرمان، ص: 45.

<sup>2</sup> - د: عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة، ص: 88.

<sup>3</sup> - د: علي شعبان، الحاجج والحقيقة وآفاق التأويل، ص: 104.

<sup>4</sup> - محمد سالم ولد محمد الأمين، الحاجج في البلاغة المعاصرة، ص: 112.

التراتبيات المجردة: سمو العادل على النافع<sup>1</sup> بينما تعتمد "التراتبيات المتجانسة على الكم، بحيث تمنح الأفضلية للكمية الأكبر من قيمة إيجابية، وبالتالي لأقل قدر من قيمة سلبية"<sup>2</sup>، وما يلاحظ أن الاهتمام بالراتب الحجاجية أخذ حيزا هاما في الدراسات الحجاجية على اعتبار أن لها دور كبير في توجيه العملية الحجاجية، كما أنها أخذت أشكال أخرى لم يتطرق لها "بيرلان".

## 6\_ الموضع :Les lieux

هي مثل المقدمات لكنها "أعم وأشمل من كل العناصر السابقة"<sup>3</sup> كالفرضيات والقيم "وتسمى المعانٍ Topos : Les lieux" . ومنها أشتقت كلمة Topiques . وهي المصنفات المحولة للاستدلال الجدي<sup>4</sup>، وهذا النوع من المكونات قد سبق أن رأيناه عند أرسطو في المدخل حيث أعطى لها أهمية قصوى، فهي "بالمعنى الأرسطي أي المقدمات العامة التي يلحد إليها المحاج لبناء القيم وترتيبها. إنها مخازن الحجج والأطر الناظمة لها"<sup>5</sup>، فهي بذلك منطلقات الخطاب الحجاجي ومادته الأولية وعليها يؤسس بناءه.

قسمها "بيرلان" إلى موضع الأفضل وتكون في مجال القيم وهي التي تقوم بدور المماثل للمطنونات، ويمكن أن نميز بخصوصها كما أشار "أرسطو الموضع المشتركة ( Les lieux communs )، والتي يمكن توظيف بطرق مختلفة في لأي مجال من العلوم ولا تتبع إلى أي منها، والموضع الخاصة ( lieux spésifiques ) التي تختص سواء بعلم خاص أو بنوع محدد من الخطاب محدد المعالم"<sup>6</sup>، يعني أن الموضع المشتركة تتعلق بكل ما هو أفضل قيمة والتي تكون في كل الحالات، بينما الموضع الخاصة فتتعلق بما هو أفضل قيمة لكن تختص بمجال معين دون غيره.

<sup>1</sup>- الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلان، ص: 46.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص: 46.

<sup>3</sup>- محمد سالم ولد محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 112.

<sup>4</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص: 27.

<sup>5</sup>- د: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 88.

<sup>6</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhétorique , P:112. « Aristote distinguait Les lieux Communs, qui peuvent servir indifféremment en n'importe quelle science et ne relèvent d'aucun ;et les lieux spécifiques, qui sont propres soit à une science particulière soit à un genre oratoire bien défini »

يوجد نوع آخر للمواضع عند "بيرلان" وتمثل في مواضع الكم والكيف، وتعني "مواضيع الكم (Les lieux de la quantité)" هي تلك التي تؤكد أن شيئاً أفضل من آخر لأسباب متعلقة بالكم: تلك التي تؤكد أن ما تَعُم فائدته أكبر عدد من الناس، وأن ما هو أكثر دواماً وفعلاً في وضعيات متنوعة، أفضل مما لا يفيد سوى عدد قليل، وآثر مما هو أكثر عرضة للزوال، أو لا يصلح إلا لوضعيات خاصة.<sup>1</sup> وعليه يتضح أن هذه الموضع تتفق مع القيم الأصلح والأنفع لأكثر عدد ممكن من الناس، وكذلك الأدوم وأكثر ثباتاً. أما مواضع الكيف، إنها مواضع ترجمة النخبة بدلاً من الجماهير، والاستثنائي بدلاً من المعتاد.<sup>2</sup> أي بمعنى القيم الأفضل عند الطبقة المميزة ذات شأن في المجتمع كالطبقة الأرستقراطية أو المثقفة.

كما أن هناك مواضع أخرى عند "بيرلان" أقل استعمالاً من الموضع التي سبق ذكرها غير أنها لا تقل أهمية عنها منها:

1- مواضع الترتيب (Les lieux de l'ordre): تعني كل ما هو أسبق فهو أفضل.

2- مواضع الموجود (Les lieux de l'existant): تعني كل ما هو موجود في الواقع ومضمون أفضل من ما هو مستحيل أو محتمل.

3- مواضع الجوهر (Les lieux de l'essence): تعني كل ما يكون أفضل بحسيدا عموماً.

4- مواضع الشخص (Les lieux de la personne):<sup>3</sup> تعني إعطاء الأولوية للأشخاص على قدر كرامتهم وإنجازاتهم ومدى تأثيرهم في حياة الآخرين.

تعتبر أنواع المواضع التي أقرها "بيرلان" "الشروط الأساسية لإقامة الحاجاج وبناء مساره. وهذه المقدمات تشكل أطر موافقات Cadres des accords ينطلق منها الحاجاج"<sup>4</sup> إن تنوع الموضع

<sup>1</sup> د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجاج عند شايم بيرلان، ص: 47.

<sup>2</sup> نفس المرجع ، ص: 48.

<sup>3</sup> ينظر، د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجاج عند شايم بيرلان، ص: 48.

<sup>4</sup> د: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 84، 85.

وأهميتها في العملية الحجاجية يدل على ثراءها وقيمتها اللتين تؤهلانها لأن تتصدر قائمة المقدمات في الخطاب الحجاجي.

كما أن هذه المقدمات عند "بيرلان" "تُنفر إلى ضربين: أحدهما مداره على الواقع reel وهو الخاص بالواقع والحقائق والافتراضات؛ والآخر مداره على المفضل Le préférable وهو المتعلق بالقيم ومراتبها وبالمواضع"<sup>1</sup>، وهذا التصنيف يعود أساساً إلى المنطق وكذا التوافق المشترك بين مجموعة من الأفراد على وجه العموم أو الخصوص. كما يبدو من هذا التصنيف أن المقدمات تقوم عند "بيرلان" على عاملين أساسيين ينشأ من خلاهما التأثير وأولهما الحقائق التي محلها العقل والآخر المفضل الذي يحقق الانسجام والتواافق على اعتبار تحقيق المصلحة في أقصى الحدود المتاحة.

إن هذه المقدمات لا يعرضها الحاج في بداية خطابه فحسب إنما عملية العرض تكون مستمرة متى احتاج إلى ذلك الحاج؛ لأن "بناء الخطاب الحجاجي لا يكون بمجرد تطوير مقدمات تعرض في بداية الكلام؛ وإنما يكون بناء هذا الخطاب بصنع مقدمات أثناء الكلام."<sup>2</sup> وهذه العملية تحتاج إلى مهارة في استحضار الموضع مع حسن اختيار ما يتناسب منها وقت الحاجة وكل هذا يكون بسلامة وسرعة.

كما أن الموضع قد يعتريها التغير والتعدد حسب الزمان والمكان، بل من ظرف آخر فهي ليست "من قبيل المشترك العام في كل عصر وأنواعها ليست من قبيل الموحد الذي لا تبديل فيه ولا تحويل، إذ لكل زمان موضع ولكل أوان منابع تصدر عنها الأفكار وينبع منها الاعتبار فموضع العصر القديم ليست بالضرورة موضع عصر الثورة الصناعية وموضع الثقافة العربية"<sup>3</sup> فهذه المستجدات غير المتناهية والطارئة في الكثير من الأحيان تجعل مهمة الحاج أكثر تعقيداً وتدقيقاً، لذا لابد أن يكون الحاج واعياً بإفرازات الخطاب الحجاجي مستعداً لمواجهة كل ظرف طارئ عليه، يمكن القول أن رغم الأهمية التي تحضى بها الموضع تبقى زائفة، هشة إن لم يعرف الحاج التعامل

<sup>1</sup> - محمد سالم ولد محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 112.

<sup>2</sup> - أ: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص: 30.

<sup>3</sup> - د: علي شعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص: 108.

معها، فلابد للمحاجج أن يعمل على حسن توظيفها والتنسيق بينها حتى يضبط حدود حاججه وفي الوقت ذاته يبلغ مقاصده.

## 7- المقدمات بين الاختيار و العرض:

إن عملية اختيار المقدمات والطريقة الأنفع في عرضها تتوافقان على كفاءة الحاجج وقدرته في إدارة هذه المقدمات، "ومن أبرز مظاهر كفاءة الحاجج منهجه في بناء خططه القولية، ورؤيته التي يؤسس عليها اختياراته في تقديم الفرضيات والمقدمات التي من حقها التقدم في مقام خاص ومع جمهور بعينه، لأن وحدات البداية هي أهم ما يقرع الأذهان المتلقية ويحدد درجة القبول أو الرفض للتصور المقدم"<sup>1</sup> فهي عامل جذب متى تناسبت واحتياجات المتلقين واستهوت ميولهم، وجعلتهم يتربون ما هو آت بشغف، وعلى عكس ذلك فالمقدمات التي سيء استخدامها أو لم يتحكم في نظمها فإنها تكون نكمة على الحاجج فتعرضه للاعتراض أو للسخرية وتكون سبباً رئيسياً في فشل خطابه أو مصادرته حججه.

عملية اقتناء المقدمات وعملية عرضها بعد ذلك تشكلان عنصراً واحداً ولا تقوم واحدة دون الأخرى، "فحجاج لا يكون فعالاً بمعطياته فقط ولكن بصيغته".<sup>2</sup> فالخطاب الحجاجي يقوم عند "بيرلان" على الشكل وعلى المضمون، فهما يشكلان ثنائية لا انفصال بينها، وهذا عكس ما كان سائداً قبل "بيرلان" لما كان الاهتمام بتقنيات العرض في الخطابة اعتبر في بعض مراحل تاريخها روح الخطابة، إذ قصروها على إجاده الكلام والكتابة واعتبروا الخطابة فن التعريف عن الفكرة لا غير فهي شكل مخصوص وهي فكرة تفصل في الخطابة بين شكلها ومضمونها وتجعل الأهمية كلها في الشكل<sup>3</sup>، هذا التلامم والتزاوج الذي فرضه "بيرلان" على الخطابة ينتج خطاباً حجاجياً متماسكاً يعطي له قوة الحضور والهيمنة التي يفرضها الحاجج على السامع فلا يترك له مجالاً للانفلات فلا يكون له إلا الإذعان.

<sup>1</sup>- محمد سالم ولد محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 114.

<sup>2</sup>- د: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 89.

<sup>3</sup>- أ: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص: 33.

يرتبط الحاجاج ارتباطاً وثيقاً بعمليتي الانتقاء والعرض، "فكل حاجاج ينطوي على انتقاء سابق للوقائع والقيم، ولطريقة عرضها ووصفها، وللغة المعبر عنها، وللعناصر التي ينبغي الإلحاح عليها. هذا الانتقاء لا يكون بريئاً، بل هو تعبير عن رأي و موقف مسبق، بحيث يمكن أن نرى بوضوح أيّ انتقاء وطريقة عرض أخرى يمكن أن نعارضه بها"<sup>1</sup> وعلى هذا فإن بلاغة الخطاب الحاججي تقوم أساساً على هذه الخاصية في التداخل بين عملية اختيار المقدمات التي تتناسب وموضع الخطاب ومن ثم العملية الثانية وهي طريقة عرضها التي كذاك التي تأخذ بعين الاعتبار الموضوع ومقامه وكل ما له صلة بجمهور المستمعين، كالثقافة، المراجعات، الفتنة المستهدفة... إلخ.

إضافة إلى أن عملية الكفاءة في الانتقاء والعرض قد تصل إلى أبعد حد ممكن وهو ما يسمى بعملية "الاستحضار"، أو "الحضور". فاختيار عناصر معينة تحتفظ بها وتقدمها في خطاب ما، يجعلها تخل في الواجهة من وعيها، ويعطيها بذلك حضوراً يمنع من إهمالها<sup>2</sup> هذه العملية تعتبر من بين أرقى عمليات الانتقاء والعرض التي قد يحضرها الخطاب الحاججي؛ لأن التأثير الذي تحدثه عملية الاستحضار ذو أثر بالغ في نفوس السامعين، "ويقر بيرمان وتيريكا استناداً إلى جون بياجيه بالتأثير المباشر لتقنية الإحضار على الوجودان فضلاً عن نتائجها في حفز الهمة وتحريك الإرادة"<sup>3</sup>؛ لأن من طبيعة الإنسان أنه يتتأثر بما يرى أكثر مما يتتأثر بما يسمع، كما أن ذلك يسهل على الحاجاج أن لا يجهد نفسه في وصف الحقائق، وقد يلجأ إلى المبالغة والتfxيم للتأثير على السامعين وإن هذين الأخيرين كثيراً ما يذهبان بجمالية الخطاب التي تستوحي عادةً من البساطة.

الحضور الذي يتكلم عنه "بيرمان" ليس حضوراً مرمياً فحسب، إنما الحضور الأهم منه هو الحضور الذهني؛ لأن "ما هو حاضر في الذهن يكون أهم، وهو ما ينبغي على نظرية الحاجاج أن تأخذ بعين الاعتبار"<sup>4</sup>، وفي حقيقة الأمر هنا تجلّى بوضوح كفاءة الحاجاج؛ لأن "جهود الخطيب يكون أهلاً للتقدير حين يستطيع، بفضل موهبته، في أن يعرض المعطيات و يقدمها، أن يجعل الأحداث - التي لن تحظى بأية أهمية بدون تدخله - تغدو محطة اهتماماً يصبح بذلك مجردًا وغير

<sup>1</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجاج عند شايم بيرمان، ص: 49.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص: 50.

<sup>3</sup>- د: عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 89.

<sup>4</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجاج، ص: 31.

موجود تقربياً. هذا الترابط بين عناصر معينة في الوعي والاهتمام الذي يولي لها، جعل البعض لا يرى في الخطابة سوى فن خلق الحضور بواسطة تقنيات العرض والتقطيم<sup>1</sup> هذا لما كانت لهذين المسئلين (العرض والتقطيم) دوراً كبيراً في تبلور الحاجج وتفعيله.

لذا توجب على المحاجج أن يولي عناية خاصة بعده جوانب تتعلق بموضوع الخطاب وبالمحاطِ نفسه.

#### 4-2- تقنيات المحاجج:

نذكر منها بعض "التقنيات التي أوصى بها معلمون الخطابة لتحقيق ذلك: التكرار، ومتراكمـة بعض التفاصيل، وإبراز بعض المقاطع، وذكر الكل ثم تفصيل أجزائه أو ذكر التفاصيل والانتهاء إلى خلاصـة، والترادف، والالتفات الزمني"<sup>2</sup>. كل هذه التقنيات هي الوسائل التي غالباً ما يلجأ المحاجج إلى توظيفها لتدعيم مسألة الحضور الذهني، مما يلفت الانتباه أن هذه العناصر كلها تدخل ضمن العملية البلاغية الصرفة.

كما أنه هناك عناصر أخرى تساهم كذلك بشكل فعال في عملية الحضور قد أكد عليها "بيرمان" منها:

#### 1- المغایرة:

من طبيعة الإنسان الانجذاب إلى كل ما هو جديد، يخالف العادة بكل شكل من أشكال المحالفة، بل إنّ هذا يعد نوعاً من الإبداع الذي تتحقق به بلاغة القول، "فلكي يكون هناك وجه بلاغي ينبغي أن نجد أنفسنا أمام طريقة في الكلام غير مألوفة، ذات شكل قابل للإدراك من خلال بنية خاصة".<sup>3</sup> الشكل القابل للإدراك في هذه الحالة هو ما يمكن أن نفهمه، بحيث يكون في حدود مدركات المستمعين كاللغة أو الثقافة.

<sup>1</sup>- د: الحسين بنو هشام، نظرية المحاجج عند شايم بيرمان، ص: 51.

<sup>2</sup>- نفس المرجع، ص: 51.

<sup>3</sup>- د: الحسين بنو هشام، نظرية المحاجج عند شايم بيرمان، ص: 51.

المغايرة التي ينشئها المحاجج "إن كانت ذات فعالية إقناعية، فهي وجوه بلاغية حجاجية، أما إذا كان أثراها الحجاجي فاشلا، فإنها ستتراجع إلى صفة المحسنات"<sup>1</sup> وهذا حسب نظر "بيرلان". لأن البلاغة الحجاجية هي بلاغة ذات مقصدية بامتياز.

### 2- الأسلوب الظلي:

هنا سواء تعلق الأمر بالاستفهام أو الأمر، حيث "يولي بيرلان أدواراً حجاجية لا يستهان بها للموجه الاستفهامي"<sup>2</sup> في العملية الاقناعية، وطلب هنا لا يعني على الوجه القسر والإلزامي، إنما يكون على وجه الترغيب والاتفاق الفكري.

### 3- الدلالة والتأنويل:

إن اللغة الطبيعية التي يبني عليها المحاجج تتيح إمكانية تعدد المعنى، وبالتالي تمنح المستمع البحث عن الدلالة في طيات المعنى للوصول إلى حقيقة المعنى، وهذه العملية تتم بمشاركة مختلف الأطراف الحجاجية؛ لأن "ليس المحاجج مجرد تعبير عن تخمين فردي، بل هو مساهمة في سيرورة تواصلية بين الأشخاص أو بين الجماعات التي تتبادل الأفكار مع بعضها بعضاً بغية حل خلاف في الرأي. تزيل بعض مقاربات الخطاب أو النصوص الحجاجية"<sup>3</sup>، هذه العملية التواصلية التي تتم بين المستمع وبين الخطيب وما يصاحبها من هذه العمليات التي ذكرناها، ما هي إلا تأويل قد يكون بمثابة الطريق الصحيح للإقناع.

من هذا المطلق" يظهر أن تحويل قناعة الذات إلى لغة غرضها الإقناع هو تأويل ولكنه تأويل أقرب إلى الفن منه إلى العلم لأن عملية التحويل تتم في مجال اللغة الطبيعية التي لا تظهر أية فروق اصطناعية بين صياغة الذات اللغوية وصياغة الخطاب الحامل لرسالة الذات"<sup>4</sup> وفي هذا الإطار كذلك يكون في يد البلاغة زمام التحكم في توجيه مسار المحاجج الذي تضمن به الإقناع؛ لأن عملية التأويل إن لم

<sup>1</sup>- د: الحسين بنو هشام، نظرية المحاجج عند شايم بيرلان، ص: 52.

<sup>2</sup>- محمد سالم ولد الأمين طلبة، المحاجج في البلاغة المعاصرة، ص: 116.

<sup>3</sup>- فرانز فان إيمرن، روب غروتندورست، نظرية نسقية في المحاجج، المقاربة الذريعة- الجدلية، ت: عبد الحميد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، س2016م، ص: 74.

<sup>4</sup>- د: عمارة ناصر، المرميسيطيا والمحاجج، مقاربة لتأويلية بول ريكو، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، س2014م ، ص: 23.

تحضع لسلطة البلاغة قد تجعل المعنى ينحرف عن مقصودية الحاجج، وعليه يصبح التأويل في هذه الحال ضد الحاجج.

وتنصب عملية التأويل هنا على المقدمات الحاججية التي انتقاها الحاجج بعنابة قصوى خلال عملية الإيجاد، حتى لا يذهب هذا المجهود "فوجب على الخطيب أن يضيف إلى مجده في اختيار المعطيات الحاججية مجدها يبذلها من أجل أن تؤول هذه المعطيات التأويل الذي يرتضيه، وأن تعطى لها الدلالة التي يريد"<sup>1</sup> ولا يتحقق ذلك إلاّ اعتماداً على عدة تقنيات حاججية تشتراك فيما بينها بتنسيق من الحاجج.

لذلك عملية تأويل المعنى هي عملية بلاغية في الحاجج، وفي المقابل تكون "الحاججية بذلك هي فن تأويلي، ذلك أن الحجة لا تظهر في النصوص ضمن مقاصد المؤلف، وليس في أصل بناء الخطاب، ومن ثمة هي بحاجة إلى تأويل فلسي حسب الدائرة الهرمنيوطيقية"<sup>2</sup> هذا ما أكد عليه "بيرلان" عندما ربط التأويل بالحجاج في قوله: "لكي نستخرج مخططاً حاججياً، نحن مجبرون على تأويل كلام الخطيب، بإتمام الحلقات الناقصة".<sup>3</sup> التي أضمرت عن قصد من الخطيب لغاية حاججية بلاعية، أو دون قصد لضرورة كلامية، المهم أن الفهم وبلغة مقاصد الكلام لا يتم إلاّ عن طريق التأويل، لكن التأويل في الحاجج لابد أن تكون له حصانة يمتلكها الخطيب، ويعمل على الاشتغال بمحاجتها، فعلى أساسها يرتتب حججه أو يظهر أو يضمّر هذه الحجج، فهو بذلك يحاصر المؤول وفي نفس الوقت يفسح له المجال التفكير والجمع بين المتناقضات ولم شتات المترافقات ليقصر المسافات ويوسع دائرة القناعات، حيث "تقدّم الدائرة الهرمنيوطيقية وضعاً حاججياً موطن الاستكشاف والإيجاد، وهو وظيفة بلاغية، بناءً على فهم استباقي الغرض منه استنطاق الوجود المغمور تحت رتابة الكتابة والمنمحيّ في تجلي الكلام"<sup>4</sup> ، هذا يدل على العلاقة القائمة بين الحاجج والبلاغة التي لا انفصال

<sup>1</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجج، ص: 32.

<sup>2</sup>- د: عمارة ناصر، الهرمنيوطيقا والحجاج، ص: 34.

<sup>3</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhetorique , P : 251. « pour dégager un schème argumentatif nous sommes obligés d'interpréter les paroles de l'orateur, de suppléer les chainons manquants »

<sup>4</sup>- د: عمارة ناصر، الهرمنيوطيقا والحجاج ، ص: 33.

عنها، كما أن الحصانة التي تتحكم في التأويل تقوم في الأساس على المنطق الاحتمالي، الذي تعمل في إطاره بلاغة الحاجج التي ترمي إلى الإقناع.

بما أن عملية التأويل في الحاجج تتقييد بالمنطق الاحتمالي، فهي تعطي حرية كاملة في الانتقاء المعاني التي تتوافق واحتياجات المستمع من المستمع ذاته "إذ يمكن لظاهرة واحدة أن توصف بطرق مختلفة"<sup>1</sup> في الخطاب الواحد، هذا عندما تؤول بطرق عديدة، وهو ما يعني أن التأويل في الحاجج هو انفتاح الذات المؤولة على عالمها الخاص من خلال تأويل الخطاب، وعملية التأويل هي عملية اندماج كلي في الخطاب مما يسهل عملية الفهم والاحتواء وبالتالي عملية الإقناع.

### "Les choix des qualifications": 4- اختيار النوع:

إن عملية صياغة النوع وكذا اختيارها وترتيبها عملية ذات أهمية بالغة في تحديد المعنى وتوجيهه الحاجج، حيث يبين "بيرلان" على هذه القيمة وهذا الدور الفعال من خلال قوله "هذه الخيار الذي يتمظهر بطريقة الأكثر وضوحاً من خلال استخدام النعت، هذا الأخير يلخص من الانتقاء الظاهر لنعت نعمل على إظهاره أولاً والذي يجب أن يكمل معارفنا حول الموضوع"<sup>2</sup>؛ لأنه يلخص مجموعة من الحجج وفي الوقت نفسه يعطينا معطيات جديدة أو يحدد أخرى.

إن عملية اختيار الصفات "تنهض دور حجاجي يتمثل في كون الصفة، إذ اختيارها، تجلو وجهة نظرنا و موقفنا من الموضوع. ويبدو هذا خاصة حين نجد صفتين متلازتين - ولكنهما متعارضتين - قابلتين أن تظهر في الخطاب، ويكون اختيار إحداهما كاشفاً عن رؤيتنا الخاصة"<sup>3</sup>، بمعنى آخر أن اختيار الصفات يحدد منطلقاتنا الحجاجية كما أنه يعين وجهتنا ويجلو مقاصد المخاطب، مما يعين على تركيز التفكير في الموضوع، و اختيار النوع لا يتوقف هنا فقط "إنما المقصود الحاججي من إطلاق الصفة، تحديد نوع الموقف الذي ينبغي أن يحكم به عليه. فقولنا عن شخص إنه سارق يتجاوز مجرد

<sup>1</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجج عند شاييم بيرلان، ص: 52.

<sup>2</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhetorique , P : 169. « Ce choix se manifeste la plus apparente par l'usage de l'épithète. Celui-ci résulte de la sélection visible d'une qualité que l'on met en avant et qui doit compléter notre connaissance de l'objet »

<sup>3</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجج، ص: 32.

الإدانة إلى تحديد نوع العقاب الذي ينبغي أن يلقاه<sup>1</sup>، على أساس كل هذه الاعتبارات التي من أجلها لابد من مراعاة اختيار النوع من معايير هذه العملية من مستلزمات الحاجاج التي يجب على الحاجاج الاعتناء بها وهذا لضمان سيرورة الحاجاج في الطريق الذي رسمه له الحاجاج من قبل وإلاً أصبح حاجاجه مهدد للاعتراض أو الدحض.

#### 5 - اختيار الألفاظ:

إن "بيرلمن" جعل من مسألة اختيار الألفاظ للتعبير عن الفكر أمر يتعلق في الأساس بالعملية الحاجاجية في قوله "إن عرض المعطيات ليس مستقل عن إشكاليات اللغة اختيار المصطلحات، للتعبير عن تفكيره نادراً ما يكون دون نطاق حاججي"<sup>2</sup>، رغم أن عملية اختيار الألفاظ لم يعط لها دور كبير في البلاغة المعاصرة إذا ما قورنت بالأهمية التي أعطيت لنظام الكلام وللنونس الكلامي، غير أنه لا يمكن إهمال دور اللفظ لأنه في حقيقة الأمر هو أصل كلاماً، فإن "انتقاء اللفظ ذو قيمة حاجاجية ثابتة، بحيث لا شطط". صحيح أن بعض الدارسين وبعض الاتجاهات في دراسة الشعر ترى أن اختيار لفظة دون مرادفها قد يكون على أساس شكلي، فهو لغوية إحداث التغييم أو الإيقاع، بحيث تبدو قيمة اللفظ قيمة شكلية محضة. لكن الخطاب الحاججي، لما كان مرتبطاً دائمًا بالمقام الذي يقال فيه، إنما يعمد إلى استخدام هذه الكلمة دون مرادفها في اللغة، لكونها أنساب منه في ذلك المقام<sup>3</sup> ومن هذا المنظور المقامي فإن اختيار لفظ دون سواها وإن اقتربت من المعنى إلا أن الخطاب الحاججي يستدعي حسن اختيار الألفاظ التي يتاسب والموضع وكذا مقام المتكلم والمخاطب وكذا زمان ومكان الخطاب.

إن كانت المرادفات تؤدي نفس الوظائف اللغوية في الكثير من أنواع الخطابات، "لكن لما يتعلق الأمر باستعمالاته عند الخطيب في خطاب معين، فمعادلة المرادفات لا يمكن ضماؤها، إلا في ظل مراعاة الوضع العام الذي يتواافق مع الخطاب وبالموازاة مع أنواع من الاتفاقيات الاجتماعية التي تحكم

<sup>1</sup>- نفس المرجع، ص: 32.

<sup>2</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhétorique, p : 200. La présentation des données n'est pas indépendante des problèmes de langue Sélection de termes, pour exprimer sa pensée rarement sans portée argumentative »

<sup>3</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجاج، ص: 36، 37.

عليه"<sup>1</sup> خاصية أن اللغة الطبيعية التي يعتمدتها الحجاج لغة تزخر بالألفاظ وقد اعتادت على توفير هذا الزخم اللغظي، هنا تدخل الكفاءة البلاغية للخطيب في انتقاء الألفاظ التي تعبر بكلمة واحدة عن المعنى وبها يكون وقع المعنى في النفس والعقل معاً فتحدث الإقناع.

### 4-3- طرائق تقنيات الحجاج:

تتوزع التقنيات الحجاج حسب "بيرمان" على نوعين أي لها نوعان من الطرائق: طرائق الوصل أو الاتصال procédés de liaison، وطرائق الفصل أو الانفصال dissociation ومعنى هذا أنه توجد أشكال حاججية اتصالية وأشكال حاججية انفصالية<sup>2</sup>، وكل هذه التقنيات تتبع وتوسيع حسب نوع موضوع الخطاب وكذا حسب مقامه.

#### 4-3-1- الحجاج القائمة على الوصل أو الاتصالية:

ويقصد بها تلك الحجاج التي "تمكن من نقل القبول الحاصل حول المقدمات إلى نتائج"<sup>3</sup>، وهي بدورها تنقسم إلى:

##### - حجاج شبه منطقية: (les arguments quasi-logique)

هي حجاج تبني على المنطق، حيث أنها تحدد على أنها قريبة من التدليلات الصورية، ولكنها تختلف عنها من حيث أنها ليست ملزمة، وأنها تفتح إمكانية النقاش. فالتناقض وتحصيل الحاصل وعلاقة التعدية ... هي كلها من الحجاجات شبه المنطقية<sup>4</sup> وفي هذه الحالات تبني الحجاج على آلية الاستدلال، وفي عرض بيرمان للحجاج الشبه المنطقية، كان يبين أولاً علاقة كل حجة بقرينته في الاستدلال الصوري، ثم يوضح ما يميزها وما يتبع معارضتها ينبغي تدقيق الألفاظ المستعملة، واستبعاد

<sup>1</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhetorique, p : 200,201. « Mais quand il s'agit d'utiliser dans un discours particulier, l'équation des synonymes ne peut être assurée qu'en égard à la situation d'ensemble dans laquelle s'insère son discours et notamment à certaines conventions sociales qui pourraient le régir ».

<sup>2</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص: 41.

<sup>3</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرمان، ص: 66.

<sup>4</sup>- كريستيان بلانتان، الحجاج، ص: 66.

أي لبس، وإزالة أية إمكانية لتأويلية متعددة للاستدلالات.<sup>1</sup> فهي بذلك تقترب إلى حد بعيد إلى الصراوة المنطقية التي لا جدال فيها، لكن تبقى فيها بعض النسبة الاحتمالية الضئيلة التي تضفيها عليها اللغة الطبيعية التي ينطلق منها الحجاج. ويدخل ضمن هذه الحجج ما يلي:

## 1-2- حجج التناقض والتعارض:

المعروف أن الحجاج يقوم أساساً قصد تثبيت أو تفنيد رأي، ففي الحالتين يجد الحاجج نفسه إما أمام عرض حجة لا تقبل التناقض أو تكون محل تعارض، ويتحقق ذلك بالاعتماد على الحجج شبه المنطقية؛ لأن "الأنساق الصورية لا تقبل التناقض، لأن إدخال قضية ونقضها في نفس النسق الصوري يجعل هذا النسق متفككاً، وبالتالي معطلاً غير قابل للاستعمال، فيصبح من الضروري إلغاء إمكانية إثبات الصادق من الكاذب في آن واحد"<sup>2</sup> ومن أجل هذا قد يلجأ الحاجج إلى بسط كل الاحتمالات الواردة التي قد تناقض رأيه أو تعارضه مع تقديم حجج منطقية يفنى بها حجج خصومه المحتملة، فهو بذلك يلغى إمكانية الواقع في مأزق التعارض.

يشير هذه النوع من حجج الاتصال إلى أن "التناقض يحدث داخل النظام الواحد المشكлен. أما التعارض فيحدث في علاقة الملافيظ بالمقام"<sup>3</sup> أي يعني آخر أن التناقض لا يكون في نفس الكلام، بينما التعارض يكون حول الكلام في مقام محدد وإن حصل شيء من هذا القبيل فإن الحاجج في هذه الحالة يلجأ إلى التأويل؛ لأن "الحججة شبه المنطقية تستمد قوتها من قيامها على غرار البناء المنطقي مع تبريرها في صورة حصول التعارض."<sup>4</sup> في المقابل الحاجج يبحث في دعوى الخصم عن التناقض في فحوى الكلام بل يصل به الحال حتى إلى ما يسمى بالهزء "le ridicule"<sup>5</sup>، أو أنه يختار بين إحدى القواعد التي قد تتعارض مع دعواه حتى لا يكون في موضع السخرية.

<sup>1</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجج عند شايم بيرلمان، ص 58، 59.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص 59.

<sup>3</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجج، ص: 43

<sup>4</sup>- نفس المرجع ، ص: 44.

<sup>5</sup>- أنظر: Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhetorique, p :276

## 1-2-1 - حجج التماثل والحد بالتعريف والتحليل:

يدخل هذا النوع من الحجج في الحجج الشبه منطقية لأنها تبدو من الناحية البنائية استدلالات منطقية فهي "تعبير عن التماثل بين المعرف وليس المعرف تمام المعرف على الحقيقة"<sup>1</sup> بمعنى آخر هي تعتمد التعريف بالمثل كقولنا: القيم هي القيم المتعارف عليها منذ الأزل، "ويميز بيرلمان، في إجراءات المطابقة الحجاجية، بين إجراءاتٍ لا تسعى إلا إلى تطابق جزئي بين العناصر المقابلة، وأخرى تسعى إلى تطابق تام؛ وهي التي يمكن أن يتم بواسطة التعريف أو بواسطة التحليل"<sup>2</sup> فالتطابق الجزئي هو ما يكون بالتماثل، وهو يقترب كثيراً من المجاز، كما أن الكثير من حجج الحد والتماثل تصبح حكماً عامة "لكن هذا الحكم لا يمكن أن يكون له دلالة الحجاجية إلا في مقام بعينه"<sup>3</sup> والصيغة الاستدلالية المنطقية هي التي تقوى الحجة في هذا الإطار.

## 1-2-2- التعريف:

يلحأ المحاج إلى تحديد المفاهيم أو الأحداث لغرض عرض دعواه وتوضيحها لدى المخاطب، لكن هذا "لا يقوم على الاعتباط أو البداهة، بل هو قائم على التبرير الحجاجي. ذلك لأن التعريف يحرك العملية الاستدلالية ويقدم احتيارات دون أخرى، كما يشكل حكماً على الأشياء أو تقوياً لها"<sup>4</sup> فالتعريف في الحجاج يقوم أساساً على اعتبارات وأحكام سابقة ومنه يتحدد نوع التعريف.

- التعريف المعياري، الذي يعين الطريقة التي نريد بها استعمال اللفظ

- التعريف الوصفي، الذي يعين نبرة التي يجب بها نطق الكلمة في مكان معين أو في لحظة معينة.

- التعريف التكتيفي، الذي يعين العناصر المهمة للتعريف الوصفي.

<sup>3</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص:44.

<sup>2</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص: 62.

<sup>3</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص: 45.

2 - Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhétorique, p : 282. « N'est considérée ni comme tout à fait arbitraire ni comme évidente, c'est-à-dire quant elle donne ou peut donner lieu à une justification argumentative. Nous distinguerons, parmi procédés d'identification ,ceux qui visent à une identité complète et autres qui ne prétendent qu'à une identité partielle des éléments confrontés »

- التعريف المركب، الذي ينسق بطريقة تنوع عناصر أنواع التعاريف السابقة<sup>1</sup>

### 2-3- التحليل:

تكون المطابقة كذلك بالتحليل " ويكمم الطابع الحاجي للتحليل في أنه يكون توجيهياً دائماً، يقصد إلى جعل عبارات معينة قابلة للتعويض لأن يuous بعضها بعضاً. وذلك بسوق المستمع نحو تصوراتٍ مطابقة لفكرة الخطيب عنها، وإبعاد كل التأويلات المخالفة"<sup>2</sup> فهو يعمل عمل التعريف إلا أن الأول يقدم صورة عن المعرف مستعيناً بما هو معروف، والأخير يحاول تجذيء الداعوى بغرض تبسيطها وتقريرها إلى المخاطب.

### 4-3- الحجج القائمة على العدل والتباين:

وهي الحجج التي تقضي التوزيع العادل على العناصر التي من نفس النوع "مبدأ التسوية هذا يعبر عن قاعدة للعدل ذات طبيعة صورية مفادها أن الكائنات المنتمية إلى نفس الفئة الأساسية ينبغي أن تعامل بالطريقة نفسها،"<sup>3</sup> لذا على الحاج أن يطبق هذا المبدأ ويعتمد على البني المنطقية . ومن خلال تلك الحجج تنشأ الحجج التبادلية العكسية "عن قلب وجهات النظر من قبيل: إذا كانت تبدو لكم تقاليد أهل الصين غريبة فإن تقاليدكم تبدو لهم كذلك"<sup>4</sup> فهذا المثال يوضح قاعدة العدل بأن الحكم على التقاليد الغريبة دائماً يكون بالمثل، والحكم هنا يتعلق بالحالة الأولى كما يتعلق بالحالة الثانية سواء بسواء.

### 1- حجج التعدية والتضمين والتقسيم:

وهي علاقة استدلالية منطقية تقوم على مبدأ انتقال الحكم بين قضيتيين إلى قضيتيين آخرتين تشابهنا، بحيث يمكن "المرور من إثبات وجود علاقة بين طرف (أ) وطرف ثانٍ (ب)، وبين هذا الثاني وطرف ثالث (ج)، إلى استنتاج وجود نفس العلاقة بين (أ) و(ج). هذه الخاصية هي التي تميز علاقات

<sup>1</sup> د: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 92، 93.

<sup>2</sup> د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاج عند شايم بيرمان، ص: 63.

<sup>3</sup> د: الحسين بنو هشام، نظرية الحاج عند شايم بيرمان، ، ص: 64.

<sup>4</sup> د: عبد الله صولة، في نظرية الحاج، ص: 46 .

التساوي(à) والتَّضْمُن(Inclus dant) والكِبِير(que Plus grand).<sup>1</sup> ويقصد بالكبِير التفوق أما التضمن وهو أن "القضية تتضمن قضية أخرى". ويبدو هذا خاصة في الاستدلال القياسي<sup>2</sup> القائم أساساً على التعديّة في القياس الحطابي الذي يسميه أرسطو الضمير"<sup>3</sup> هذا النوع من القياس هو من أكثر الأنواع الاستدللات المتداولة، وخاصة الذي يقوم على التضمين فهو يشكل تقريراً جُل الكلام الطبيعي.

تلحّأ اللغة الطبيعية إلى خاصية التضمين لعدة اعتبارات وظيفية، بحيث لا يمكن في بعض الأحيان الوقوف على كل أجزاء الحالة واحدة واحدة، فيتم الوصول إلى نتيجة عامة يمكن بعدها الحكم على جزئاتها بنفس الحكم على اعتبار أن الكل يعبر عن كل جزء فيه، ومن "حجّة تضمين الجزء في الكل تسمح بالقول إن الكل أكبر من كل جزء من أجزائه". هذه الحقيقة القابلة للبرهنة في الرياضيات والهندسة تصبح حجّة شبه منطقية إذا استنتجنا منها أن: "الكل أفضل من الجزء" أو "ما يمنع على الكل لا يُسمح به للجزء"، أو "من يستطيع الكثير يقدر على القليل"<sup>4</sup>، كما أن حجّة التعديّة قد تكون بالوصول إلى نتيجة بعد تجزيء الكل، والحكم الذي يطلق على جزء يمكن التعميم<sup>5</sup> على جميع عناصر العينة أو المجموعة على اعتبار أنهما يحملون نفس الخصائص وهذا ما يعرف بحجّة التقسيم.

## 2- حجّة المقارنة:

المقارنة حجّة شبه منطقية لها وقوعها الحجاجي الكبير، بحيث تفسح للمستمع فرصة التفكير العادل فهي "تؤوي بوجود وزن أو قياس ما"<sup>6</sup> وقيمة العدل من أهم مقومات الحجاج لهذا السبب فإن "المقارنة في إطار الحجاج، تستعمل لتقوية دليل يدعم خلاصة أو حكماً وذلك بإحداث إما تأثير بيذاغوجي (المقارنة من أجل الدعم والإفهام على نحو أفضل) عندما تكون المقارنة موضوعية، وإما تأثير تضليلي (صرف الطرف المحاور إلى واقعة أخرى مماثلة تمنع تحت غطاء التشابه، من صحة تبيّن

<sup>1</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرمان، ص: 66.

<sup>2</sup>- القياس: هو كل قول مؤلف من مقدمتين تلزم عنها نتيجة.

<sup>3</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص: 47.

<sup>4</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرمان، ص: 67.

<sup>5</sup>- إن المخبر أ1 - أ2 يتلام مع عدد كبير من الحالات التي كثيرة ما تتكرر. فيمكن أن يتألف مع محور (الواجب) عندما يكون التعميم، عن: باتريك شاورود، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص: 34.

<sup>6</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرمان، ص: 69.

الدليل<sup>1</sup> والمقارنة الموضوعية هي التي تكون بين حالي واقعيتين يمكن لل المستمع أن يتتأكد من صحة هذه المقارنة، بينما المقارنة التضليلية فهذه المقارنة الهدف منها الإيهام وكثيراً ما تلجأ إلى المقارنة بشيء أصلاً غير واقعي، لكن هذا النوع من المقارنة ليس دائماً يهدف إلى التضليل فقد يكون القصد منه هو إعطاء الصبغة التجريدية التي توحّي بسمو الحاجة وبالغرابة التي هي أساس بلاغة الحاجاج.

### 3-3-حجج مؤسسة على بنية الواقع: (Les arguments fondés sur la structure).

تأخذ الحجج شبه المنطقية قيمتها الحاجاجية من اعتمادها الاستدلال المنطقي العقلي الذي يقوم على صحة الأحكام، فإن الحجج المؤسسة "على بنية الواقع" تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتشييدها وجعلها مقبولة مسلمة بها"<sup>2</sup> أي أن الحاجاج يعتمد على مسلمات، ويقوم بربطها مع أخرى بحيث تستمد الحاجة الأخيرة صحتها من الحاجة السابقة. لهذا سميت بالحجج الاتصالية، وتقوم عملية الاتصال أو الربط بطريقتين مختلفتين، ومنه تنقسم هذا النوع من الحجج إلى قسمين.

#### 1- علاقة الربط التابعي:

تحقيق علاقة الربط التابعي بالاعتماد على ربط وقائع "ظاهرة ما" بأسبابها أو نتائجها<sup>3</sup> وفي هذه الحالة يلحا الحاجاج إلى البحث عن الأسباب التي تقف وراء الواقع أو العكس الوقوف على النتائج بتحليلها وتقييمها.

#### 1-1- الحجج النفعية: l'argument pragmatique

يدخل ضمن هذا النوع من الحجج التي تعتمد الربط التابعي ما يعرف بـ"الحجج النفعية" وهي حسب تعريف "بيرمان" "نسمى الحاجة النفعية التي تسمح بتقدير قيمة واقعة أو حدث عن طريق

<sup>1</sup>- باتريك شاورد، الحاجاج بين النظرية والأسلوب، ص: 88.

<sup>2</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجاج، ص: 47.

<sup>3</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجاج عند شايم بيرمان، ص: 71.

نتائجها الإيجابية أو السلبية. هذه النوع من الحجاج يلعب دوراً مهماً في الحجاج<sup>1</sup>؛ لأن الاحتجاج بالنتائج يكون أكثر قوّة ومصداقية بحيث يقوم على أن "الحقيقة فكرة قد لا تقييم إلا بواسطة آثارها"<sup>2</sup>؛ لأن النتائج تكون بمثابة أدلة مادية ونحن نعرف أن الدليل المادي لا يمكن أن يتفوق عليه أي دليل فهو أقوى الأدلة.

الحجّة النفعية لا تقوم على مجرد وصف النتائج إنما ترتكز على تقييم هذه النتائج، ومنه فإنّ "حجّة النفعية لا تقتصر على نقل جودة قد منحتها النتيجة للسبب، إنما يسمح بذلك انتقال نظام القيم إلى آخر من الانتقال من قيمة كامنة في الشمار إلى قيمة أخرى كامنة في الشجرة، لخلص إلى أن تفوق التصرف يبدأ من أهمية النتائج، يمكن كذلك ، إذن من هنا يبدو فلسفياً الأكثر أهمية، اعتبار النتائج الجيدة لدراسة ما دليل على الحقيقة"<sup>3</sup> أي كلما كانت النتائج تقترب من الحقيقة كان تفعها أفضل والحجّاج الذي يقوم عليها أكثر تأثيراً وإقناعاً؛ لأن مقدماته صحيحة وبالتالي نتائجه كذلك.

## 2- حجّة التبديد:

هذا النوع من الحجاج يقوم على مبدأ أن الغاية يمكن بلوغها مادامت الوسيلة متاحة لنا فمن العبث ترك هذه الغاية تذهب من بين أيدينا. إذن "هي ترتكز على القول: بما أنها سبق أن بدأنا عملاً تبحشمنا، لأجل إنجازه، تضحيات ستذهب هباءً إن استسلمنا وتقاعسنا عن موافصلة الجهد لإتمامه، فينبغي، إذن أن نواكب على العمل في نفس الاتجاه"<sup>4</sup> هنا يتم ربط السابق مع اللاحق، بل قد يتم تبديد اللاحق إن لم يتم استكمال العمل بعد أن ضفرنا به.

<sup>1</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhétorique, p :358 . « Nous appelons l'argument pragmatique celui qui permet d'apprécier un acte ou un événement en fonction de ses conséquences favorable ou défavorable. Ce argument joue un rôle à tel point essentiel dans l'argumentation »

<sup>2</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص: 73.

<sup>3</sup> -Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de L'argumentation La nouvelle Rhétorique, p :360. L'argument pragmatique ne se borne pas à transfert une qualité donnée de la conséquence sur la cause, il permet passer d'un ordre de valeurs à un autre, de passer d'une valeur inhérente aux fruits à une autre valeur inhérente à l'arbre, de conclure à la supériorité d'une conduite en partant de l'utilité de ses conséquences, il peut aussi, et c'est alors qu'il paraît philosophiquement le plus intéressant, considérer les bonnes conséquences d'une thèse comme preuve de la vérité ».

<sup>4</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص: 74.

#### 3- حجة الاتجاه:

هي حجة تقوم على التدرج والانتقال بين الجزئيات بهدف الوصول برفق إلى الأخير، وهذا "حين تكون هناك مسافة كبيرة تفصل بين المسلمات المستمع ودعوى الخطيب، يُحسن أن يتم التقرير بينهما بالدرج، فبدل الانتقال مباشرة من "أ" إلى "د"، يقوم الخطيب بنقل المخاطب إلى "ب"، ومنها إلى "ج" ليصل أخيراً إلى "د"<sup>1</sup> ورغم أن هذا النوع من الحجج يتتيح للفكر إمكانية توقيع الخطوات التالية، إلاّ أن هذا التوقع قد يكون ليس في صالح الحاجج " وبالتألي المرور من النقطة "أ" إلى "د" يثير صعوبات، قد يكون من الممكن ألا يرى الجانب السلي للمرور من النقطة "أ" إلى "ب" من النقطة "د"<sup>2</sup> يظهر من وجة نظر أخرى أين يظهر النقطة "د" نسمى هذا النوع من التقنية عملية تتابع المراحل<sup>2</sup> التي تسير وفق اتجاه معين.

هذه التقنية قد تأخذ شكل آخر وهو ما يسمى بالتنازل المترادج بل الأمر قد يصل حسب بيرلان إلى أسوء من ذلك "إذا أنت تنازلت هذه المرة، وجب عليك أن تنازل أكثر المرة القادمة، والله الأعلم أين ستتوقف حينها"<sup>3</sup> وإن التنازل في هذه الحالة يصبح يشكل خطرًا لأنه لا تضبطه حدود. فتكون الحجة في مثل هذه الحالات بمثابة الناقوس الذي يدق خطر اللاحق.

#### 4- حجة التجاوز:

هذه الحجة تقوم على ضرورة السير قدمًا دون النظر إلى الإفراط في ذلك "في مقابل حجة الاتجاه التي تحدى من الواقع في متى يخشى نتيجته، ححج التجاوز ترتكز على إمكانية الذهاب دائمًا إلى

<sup>1</sup> نفس المرجع ، ص: 75 .

<sup>2</sup> -Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite deL'argumentation La nouvelle Rhétorique, p :379. « appelons cette technologie le procédé des étapes »

<sup>3</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite de L'argumentation La nouvelle Rhétorique , p : 379. « Si vous cédez cette fois-ci, vous devez cédez un peu plus la prochaine fois, et Dieu sait ou allez vous arrêter »

أبعد اتجاه معين، بدون إعطاء نظرة محددة على هذا الاتجاه، وذلك مع تطور مستمر للقيمة<sup>1</sup> لكن تبقى للمبالغة والإفراط جانب سلبي وإن كانت هذه المبالغة مرتبطة بعلو شأن القيمة.

لكن تبقى لحجة التجاوز دورها في الإقناع بحيث "كثيراً ما تستخدمن هذه التقنية من أجل استبدال حجة مقابل حجة أخرى، لكي تبين أن الذي كان يعتبر ليومنا هذا عائق، هو في الحقيقة وسيلة للوصول إلى مستوى أفضل وأعلى"<sup>2</sup> فهي تحاول أن تستثمر ما هو السلبي أو كان ينظر إليه كذلك وتبني منه ما يخدمها فهي تغير مسلمات الأمور وتجعلها لصالحها.

### - علاقـة التـعايش :

ترتـابـط حـجـج التـعاـيش مع بعضـها البعضـ تـمـثلـ فـي "الصلة المـوجـودـةـ بـيـنـ شـخـصـ وـتـجـليـاتـهـ،ـ أيـ ماـ يـصـدـرـ عـنـهـ مـنـ أـعـمـالـ أوـ أـحـكـامـ أوـ مـاـ يـخـلـفـهـ مـنـ آـثـارـ"ـ فـيـتـكـونـ الـحـكـمـ عـمـومـاـ عـلـىـ الـأـشـخـاصـ مـنـ مـاـ يـقـومـونـ بـهـ مـنـ أـعـمـالـ أوـ الـكـيـفـيـةـ الـتـيـ يـبـدوـ بـهـ هـؤـلـاءـ الـأـشـخـاصـ.

انطلاقـاـ مـنـ هـذـاـ المعـطـىـ "عـلـاقـةـ التـعاـيشـ"ـ يـتـرـبـ الـحـكـمـ عـلـىـ شـخـصـ مـاـ بـحـسـبـ الـعـمـلـ الـذـيـ أـسـنـدـ إـلـيـهـ،ـ فإنـ "طـبـعـهـ وـالـنـوـايـاـ الـتـيـ تـسـنـدـهـاـ لـهـ هـيـ الـتـيـ تـعـطـيـ مـعـنـىـ وـبـعـدـاـ تـفـسـيرـيـاـ لـتـصـرـفـاتـهـ".ـ إنـ الشـخـصـ وـأـعـمـالـهـ فـيـ تـفـاعـلـ مـسـتـمـرـ،ـ بـحـيـثـ يـصـعـبـ الـجـزـمـ فـيـ مـنـ يـسـبـقـ الـأـخـرـ"ـ وـمـنـ هـنـاـ يـكـنـ تـبـرـيرـ أـيـ فـعـلـ أوـ رـدـةـ فـعـلـ تـبـعـاـ لـهـذـهـ الـعـلـاقـةـ المـوجـودـةـ بـيـنـ الـشـخـصـ وـأـعـمـالـهـ كـمـاـ يـكـنـ تـكـوـينـ أـفـكـارـ سـابـقـةـ عـلـىـ الـشـخـصـ كـلـمـاـ تـمـ رـبـطـ الـشـخـصـ بـحـدـثـ مـعـنـىـ.

<sup>1</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de L'argumentation La nouvelle Rhétorique, p : 387 « A l'encontre de l'argument de direction, qui fait craindre qu'une action ne nous engage dans un engrenage dont on redoute l'aboutissement, les arguments du dépassement insistent sur la possibilité d'aller toujours plus loin dans un certain sens, sans que l'on entrevoie une limite dans cette direction, et cela avec un accroissement continu de valeur »

<sup>2</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de L'argumentation La nouvelle Rhétorique, p : 388 « Souvent Cette technique est utilisée pour transformer les arguments contre en arguments, pour montrer que ce qui était considéré jusqu'à présent comme un obstacle, est en réalité un moyen pour arriver à un stade supérieur »

<sup>3</sup> - د: الحسين بنو هاشم، نظرية المحاجج عند شاليم بيرلمان، ص: 76.

<sup>4</sup> - د: الحسين بنو هاشم، نظرية المحاجج عند شاليم بيرلمان ، ص:77.

علاقة التعايش تستمد مقوماتها من قانون القيم حيث أن "علم الأخلاق والقضاء يعتمدان مفهومي "الإنسان وأعماله" من حيث هما مفهومان مرتبطان متواشجان لا فكاك لأحدهما عن الآخر. فعلم الأخلاق والقضاء يحكمان على العمل وعلى صاحبه في الوقت نفسه"<sup>1</sup> هذا يثبت اعتماد الحاجج مبدأ القيم؛ لأنه في الأصل يفسر ويبذر الأحكام في الحاجج، وينحه المصداقية الاقناعية التي يتوخها الحاجج.

### 1-2 - حجة السلطة:

هذا النوع من الحاجج يكون فيه الدعم خارجي للحجج المقدمة، فهناك "حجج عدة تغدوها هيبة المتكلم ونفوذه وسطوته، فعلى سبيل المثال وعد الشرف يأتي على لسان شخص ما باعتباره شاهد إثبات على ما يقول إنما يكون وفقا على القيمة التي لهذا الشخص في عيون الناس"<sup>2</sup> هذه السلطة تكون نتيجة لتاريخ طويل حافل بأعمال أكسبته سمعة طيبة لدى الناس؛ من هنا يتبيّن لنا أن لهذا النوع من الحاجج علاقة سابقة مع "حجج التعايش".

كما أن هذا النوع من الحاجج "السلطة" قد تأخذ هذه الهيئة من أنماط أخرى سبق وأن تأصل مفهومها السلطوي في أذهانهم على اعتبارات كثيرة منها ثقافية وأخرى دينية "فقد تكون "الإجماع" أو "رأي العام" أو "العلماء" أو "الفلسفه" أو "الكهنوت" أو "الأنباء" وقد تكون غير شخصية مثل "الفيزياء" أو "العقيدة" أو "الدين" أو "الكتاب المقدس" وقد يعمد في الحاجج بالسلطة إلى ذكر أشخاص معينين بأسمائهم على أن تكون سلطة هؤلاء جميعاً معترفاً بها من قبل جمهور السامعين، في المجال الذي ذكرت فيه"<sup>3</sup>. وقد اعتبر "بيرلمان" الحجة الأكثر سلطوية وبالتالي الأقوى تأثيراً هي حجة السلطة في قوله: "حججة السلطة هي عالم الاستدلال الخطابي الذي كان هاجم بشدة، في البيئات المعادية لحرية البحث العلمي، فهي تشكل الحاجج الأكثر توظيفاً وهذا بطريقة سيئة، استبدادية، أي أنها توفر له قيمة ملزمة، كما لو أن السلطات التي تم الاستشهاد بها معصومة"<sup>4</sup> من هذا المنظور يتضح

<sup>1</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجج، ص: 51.

<sup>2</sup>- نفس المرجع، ص: 52.

<sup>3</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجج، ص: 53.

<sup>4</sup> .- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhetorique, P : 411. «L'argument d'autorité est le monde du raisonnement rhétorique qui fut le

الدور الذي يقوم به هذا النوع من الحجاج في تعزيز الحجاج الأخرى، لكن حجة السلطة لا تكون دائما دعما واقيا للمعارضة؛ لأنها حبيسة البيئة التي تدعمها.

#### 2-حجج الترابط الرمزي:

علاقة الترابط التي تجمع بين الرمز والرموز قد تشكل نوع من الحجاج الخفية التي تعمل بجدية وسلامة في نفس الوقت، لذا يرى "بيرلمان" "في الواقع الرمز بالنسبة لنا مختلف عن العالمة"؛ لأنها ليست تقليدية بحثة، ولها معنى وقيمة تمثل هذا المعنى وسوف تستمد هذه القيمة من أنه يبدو وجود علاقة قائمة بين الرمز وما يذكر الرابط الذي سوف ندعوه لعدم وجود مصطلح أفضل لتقدير المشاركة"<sup>1</sup> إذن العلاقة التي بين الرمز والرموز إليه هي علاقة مشاركة في المعنى" إذ من المهم في الحاج من معرفة مقياس الشيء، وكل ما يلامسه، مع هذه الطابع الرمزي، لكن هناك طريقة، نظرا للطابع غير المعين وغير المحدد من حيث المدف"<sup>2</sup> من هنا نستنتج أن الرمز يكتسب قيمته من الأوساط التي يحتلها هذا المعنى وتدرك هذه القيمة.

#### 3-4-حجج مؤسسة لبنية الواقع: (Les arguments qui fondent la structure du réel)

##### 1-الشاهد:

يعتبر من أكثر الحجاج المتداولة في الحاج وهي تمثل "الحجاج الجاهزة أو الشواهد وهي من دعامت الحاج القوية، إذ يضعها المرسل في الموضع المناسب، ومن هنا تبدى أهليته وبراعته في

---

plus vivement attaqué, parce que, dans les milieux hostiles à la libéralisation de la recherche scientifique, il fut le plus largement utilisés et cela d'une manière abusive, préemptoire, c'est-à-dire en lui accordant une valeur contraignante, comme si les autorités invoquées avaient été infaillibles »

<sup>1</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de L'argumentation La nouvelle Rhétorique, p :446. « En fait, le symbole pour nous se distingue du signe, parce qu'il n'est pas purement conventionnel; s'il possède une signification et une valeur représentative, cette signification et cette valeur se tirent de ce qu'il semble exister, entre le symbole et ce qu'il évoque, un rapport que, faute d'un meilleur terme nous qualifierons de rapport de participation ».

<sup>2</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de L'argumentation La nouvelle Rhétorique, p :448. « Il est important donc, dans l'argumentation, de savoir dans quelle mesure une chose, et tout ce qui la touche, est pourvue de cette nature symbolique. Or il y a moyen, étant donné le caractère indéterminé et indéfini objectivement ».

توظيفها حسب ما يتطلبه السياق... فهي ليست من إنتاج المرسل بقدر ما هي منقوله على لسانه، ونقلها على لسانه ينبيء عن كفاءته التداولية ، إذ يكمن دوره في توظيفها التوظيف المناسب في خطابه، وبهذا فهي تعلو الكلام العادي درجة<sup>1</sup> لأنها عصارة خبرة و تكون شاملة موجزة دقيقة متقدنة السبك تصب في صلب الموضوع.

فالنقل يتطلب مهارة خاصة من الحاجج؛ لأنه "يتمثل في نقل أقوال مكتوبة أو شفوية صادرة عن متكلم آخر غير الذي يستشهد وذلك بأكثر أمانة ممكنة (أو على الأقل بإعطاء انطباع من الدقة) من أجل إحداث تأثير تصدقي في الحاجج"<sup>2</sup> هذه الأقوال تنم عن خبرة صاحبها ومعرفته ودقته في طرح الموضوع، يساهم هذا في منحها مصداقية أكثر مما يتوقع قبولها بل حتى تبنيها من جديد لإعادة توظيفها متى استدعت الحاجة إلى ذلك.

#### 2-المثال:

الشاهد يأتي في الحاجج على أشكال، فمنها ما هو "اقتراض وجود انتظام أو اطراد لما يوفر الشاهد تحسيداً له، فهو يسعى إلى إثبات قاعدة، إذ يبحث، انطلاقاً من حالة خاصة، عن قانون أو بنية التي تكشف عنها هذه الحالة"<sup>3</sup>، ويطلق عليه في مثل هذه الحالة "مثالاً"<sup>4</sup> يعني أن المثل يشكل كذلك حجة داعمة لإثبات القاعدة، وفي هذه الحالة "ينبغي للمثال أن يستهدف المخيلة، في حين ينبغي أن تكون حقيقة الشاهد أكيدة وغير مجاذل فيها"<sup>5</sup>. حتى يتحقق الشاهد غايتها الحاججية.

يستخدم المثال كذلك قصد إثبات حالة خاصة أو التوضيح عن طريق المقارنة أو الوصف أو السخرية<sup>6</sup> أو سرد حادثة تاريخية "إذ إنه يعتمد على الحقيقة، وهو تبعاً لذلك، الأكثر إثارة

<sup>1</sup>- عبد الحادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 537.

<sup>2</sup>- باتريك شارودو، الحاجج بين النظرية والأسلوب، ص: 94.

<sup>3</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجج عند شايم بيرلان، ص: 83.

4-Voir : Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite de L'argumentation La nouvelle Rhetorique, p :481

<sup>5</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجج عند شايم بيرلان، ص: 84، 85.

<sup>6</sup>- ينظر: د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجج عند شايم بيرلان، ص: 85.

للتصديق"<sup>1</sup> حتى أنه قد يؤخذ المثال من الأساطير أو الخرافات الشعبية لما لهذه الأخيرة من اجتماع عامة الناس على توارثها من جيل إلى جيل حتى أضحت وكأنها حقيقة وإن كانت بعيدة عن الموضوعية.

### 3-القدوة والقدوة المضادة:

وفي هذا النوع من الحجج يطرح المحاجج نموذج قد يحتذى به المخاطب، أو العكس يطرح نموذج نرفض أن تكون مثله بطبيعة الحال فإننا نسلك غير مسلكه، وهو "يصلاح على صعيد السلوك لا لتأسيس قاعدة عامة أو دعمها فحسب وإنما يصلح كذلك للحث على عمل ما، اقتداء به أو محاكاة له"<sup>2</sup> والقدوة تعطي للمخاطب قناعة أن ذلك السلوك يمكن حذوه بما أنه سبق وأن قام به، أو أن القدوة توضح مختلف جوانب الموضوع ومن جميع الزوايا فيقرب الموضوع لدى المخاطب وهذا يساعدك على اختيار ما يتاسب ومؤهلاته من النموذج كما يتجنبه الوقوع في الأخطاء؛ لأنك قد أدرك أسبابها.

كل هذا يجعل من القدوة والقدوة المضادة دوراً بارزاً في إحداث الاقتناع "دور القدوة والقدوة المضادة، يدرك حين نكون مقتنيين أننا وجدنا لها تحسيناً لا يرتقي إليه الشك، مثل الله أو الشيطان."<sup>3</sup> مما يتوجب علينا الاقتداء به أو ترك ذلك دون أي معارضة؛ لأن قوة المحاجج في مثل هذا النوع من الحجج تكمن في فاعلية النموذج المختار، فكلما كانت القدوة المأهولة للحجاج تتميز بمواصفات النمذجة التي يفترض تقديمها كان المحاجج أقوى وأمن.

### 4-التناسب والاستعارة:

<sup>1</sup>- د: محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج أفالاطون وأرسطو وشایيم بيرلان، ص: 31

<sup>2</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص: 55.

<sup>3</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شایيم بيرلان، ص: 87.

### ١- التناسب<sup>١</sup>

التناسب من أهم الحجج المتدولة في اللغة الطبيعية التي هي عمدة الخطاب الحجاجي وعليها يقوم، لما يوفره من تقنيات تتماشى و حاجيات الخطاب الحجاجي منها الإضمار والتضمين والإلحاد وغير ذلك، إذ تجمع بين التواصل وبين الاستدلال غير الصوري يخترق خصائص الخطاب الحجاجي التي يقوم عليها الإقناع.

$$\text{التواصل} + \text{الاستدلال غير الصوري} = \text{الإقناع}$$

الحقيقة التنساب في الأصل عبارة عن صيغة رياضية تكون بين علاقتين ثبت أن العلاقة الأولى تماثل العلاقة الثانية، مثلاً: "ثبت أن "أ" بالنسبة إلى "ب" هي مثل "ج" بالنسبة إلى "د"؛ أي أن العلاقة "أ - ب" تشبه العلاقة "ج - د"<sup>٢</sup>. لكن هذا التنساب يأخذ أبعاد متعددة في الخطاب الطبيعي.

من هذا المنظور يرى "طه عبد الرحمن" أن الخطاب الطبيعي أوسع وأفضل من المقام الرياضي عند توظيفه التنساب وهو يسميه القياس التمثيلي<sup>٣</sup>، بحيث "ليست وظيفة الخطاب الطبيعي أن ينجز عمليات حسابية آلية، وإنما هو:

أ\_ خطاب متعدد الوظائف تتدخل فيه المستويات وتتزاوج فيه الأقوال ويتمازج فيه العرض بالاعتراض.

ب\_ خطاب موجه توجيهها عملياً تتدخل فيه الواقع مع القيم والمعطيات مع المبنيات ومعاني مع المبني.

ج\_ خطاب مفتوحاً فتحاً مستمراً تبني موضوعاته بناء تدريجياً ويعول في هذا البناء على معارف المخاطب ويترك له فيه جانب من المبادرة.<sup>٤</sup> يتضح من خلال هذا التحليل لوظائف الخطاب الطبيعي

<sup>١</sup>- جاءت لمصطلح "ترجمات عدة منها القياس، التمثيل، التمثيل القياسي، التنساب وقد اعتمدنا مصطلح التنساب لأننارأينه يمثل الترجمة المعجمية.

<sup>٢</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية المحاجج عند شايم بيرمان، ص: 88.

<sup>٣</sup>- ينظر: طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 291.

<sup>٤</sup>- طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 291.

وارتباطه بالتناسب، أنه يمكن للتناسب أن يستوعب كل أطراف الخطاب بتنوعها وتشاكليها وتناقضها، ويكون هذا الاستيعاب بصورة عملية، متدرجة، مكشوفة، مما يعطي إمكانية المشاركة، في التجديد المحتمل.

لعل أن "طه عبد الرحمن" استند في هذا التحليل على ما ذهب إليه "بيرلمان" في قوله: "بالرغم من أن التناسب هو عبارة عن استدلال متعلق بالعلاقات التي توجد داخل الحامل وداخل الموضوع، مما يجعلها تختلف بشكل عميق عن نسبة رياضية بسيطة، إن طبيعة المصطلحات في التناسب ليست أبداً مختلفة، قد ثبت، في الواقع، أن بين "أ" و"ج" وبين "ب" و"د" على أساس نفس القياس، تقارب يؤدي إلى التفاعل، وعلى وجه الخصوص إلى إنشاش، أو التقليل من قيمة، قضايا الموضوع."<sup>1</sup> هذا من جانب كما أنه من جانب آخر يحيلنا إلى قول "بيرلمان": "التناسب يلعب دوراً مهماً في الإبداع وفي الحاج بسبب ضرورة التطورات والامتدادات التي تدعيمها، انطلاقاً من الحامل تستطيع أن تخطط بناء الموضوع"<sup>2</sup> وإن هذه الأسباب تفرضها خصائص الخطاب الطبيعي.

في بعض الأحيان يشتغل التناسب ضد الحاج حين "تكون أطراف الحامل غامضة المعنى مما يترتب عليه انقلاب في الأدوار إذ يصبح الموضوع هو الذي يوضح الحامل في حين أن العكس هو المطلوب في الحاج. وتقتضي هذه الحالة أيضاً جهداً لتقرير الحامل من الموضوع ف تكون النتيجة أن التمثيل في الحاج يفقد قوته الاقناعية"<sup>3</sup> فالعامل يُعول عليه تقرير الموضوع إلى الإفهام، وعملية التناسب بين أطراف الحامل أي الانتقال من طرف إلى آخر هو الذي يحقق الإقناع، فإذا ما احتل عنصر من هذه العناصر التي يقوم عليها التناسب (العامل ، الانتقال) تعثرت العملية الحاجية.

<sup>1</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhétorique, p :508 « Bien que la l'analogie soit un raisonnement qui concerne des relations celle qui existent à l'intérieur du phore et à l'intérieur thème, ce qui les diffère profondément de la simple proportion mathématique, c'est que la nature des termes, dans l'analogie, n'est jamais indifférente. Il s'établit, En fait, entre A et C "Et entre" B "et" D "grâce à l'analogie même, un rapprochement qui conduit à une interaction, et notamment à la valorisation, ou la dévalorisation, des termes du thème. »

<sup>2</sup>-Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de L'argumentation La nouvelle Rhetorique p :517. « Les analogies jouent un rôle important dans la l'invention et dans l'argumentation à la cause essentiellement des développements et des prolongements qu'elle favorisent : à partir du phore, elle permettent de structurer le thème »

<sup>3</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاج، ص: 59، 60

بما أن التناسب من بين الحجج التي تؤسس لبنية الواقع فكثيراً ما "نكون مضطرين إلى خلق الموضوع؛ لأننا لا يمكننا فهم مصطلحات الخطاب الخاص، فمن الضروري منحهم معنى مجازي، ذلك بالبحث في الموضوع من أجل إعادة احتراع تناسب الذي من شأنه أن يعطي خطاب معناه الحقيقي"<sup>1</sup>، لذا لا يمكن أن نحصر التنااسب في الألفاظ أو بين مصطلحين فقد يتجاوز التنااسب، "وأول اجتهاد لتجاوز التنااسب، من أجل تقريب الموضوع من الحامل بهدف إنشاء بينهم رابط المشاركة: يقدم الحامل كرمز، كصورة، أسطورة، الحقائق حتى تستمد وجودها من مشاركتهم في هذا الموضوع"<sup>2</sup>، هنا يمكن الاختلاف بين التنااسب الرياضي، الذي يعتمد على اللغة الصناعية وبين التنااسب الحجاجي الذي يعتمد على اللغة الطبيعية، فال الأول صارم نتائجه مشكوك في حقيقتها، ومن هذه النقطة بالتحديد لقي التنااسب الرياضي نقداً<sup>3</sup>، بينما التنااسب الحجاجي هو تنااسب مرن نتائجه رغم أنها احتمالية إلا أنها ترقى إلى اليقين الذي يشترك الواقع والخيال في بلوغه.

## 2- الاستعارة:

تغيرت مفاهيم الاستعارة على يد "بيرلمان" و "تيتكا" باعتبارها حجة قوية ذات أثر فعال يستعين بها الحاجج لدعم حججه، على غرار ما وصفت به الاستعارة في البلاغة الكلاسيكية، "فالتراث البلاغي في نظر هذين الباحثين، يعتبر الاستعارة هي نقل دلالة خاصة لاسم ما إلى دلالة أخرى، ولا تناسب بينهما إلا بالنظر إلى تشبيه ذهني. وكان هناك من تخلى عن فكرة التشبيه، مشدداً على الطابع الحيّ والمتنوع والمفارق للعلاقات بين المفاهيم المعتبر عنها دفعـة واحدة بواسطة الاستعارة، فهي بذلك

<sup>1</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhétorique, p : 516. « Il arrive d'ailleurs que l'on soit obligé d'inventer le thème, parce que ne pouvant comprendre les termes de discours au propre, on est amené à leur donner un sens figuré, à rechercher donc le thème, à réinventer l'analogie qui donnerait au discours son sens véritable »

<sup>2</sup> - Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de L'argumentation La nouvelle Rhétorique, p : 528. « Le Premier effort pour dépasser l'analogie, pour rapprocher le thème du phore vise à établir entre eux un rapport de participation : le phore est présenté comme symbole, comme figure, comme mythe réalité dont l'existence même dérive de leur participation au thème »

<sup>3</sup> - ينظر: د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص : 89.

تفاعل أكثر منها استبدال، وتقنية للابتكار قدر ما هي تقنية تزيين<sup>1</sup>، من هذا المنطلق بالتحديد أخذت الاستعارة بعد الحجاجي الذي تمنه قدرتها الخارجية في التصوير الإبداعي وتقرير المعنى واستجلاء الغموض عنها.

غالباً ما يكون التناوب بين العلاقات، بحيث يتم الانتقال من العلاقة الأولى لإثبات العلاقة الثانية أو العكس على أساس المشابهة، ومن حصل "تناول مكثف بفضل اتحاد الشيمة والحامل"<sup>2</sup> سمي ذلك بـ"الاستعارة" أي تكون علاقات التناوب شديدة التلامس في ما بينها إلى درجة الانصهار، وهذا الصّيْهُر الاستعاري الذي ينزع إلى المطابقة بين الشيمة ومحال الحامل بمدف خلق انفعال شعرى غالباً، يفتح المجال لتلك الحركة المكوكية بين الشيمة والحامل بشكل أفضل من التناوب، حيث يصبحان غير قابلين - إذا صحّ القول - للانفصال<sup>3</sup> مما يضطر السامع إلى اللجوء في الكثير من الأحيان إلى قراءة الاستعارة قراءة اجتهادية التي يكون للمقام والنسق دورهما الفعال في توجيه هذا النوع من القراءة، التي تصل بالقارئ المجهود في الغالب أن يقف طويلاً وقفه إجلال وابهار أمام المعنى الدقيق والأنيق والبليل الذي تقدمه الاستعارة من خلال هذا التناوب المكثف.

من خلال ذلك يتضح لنا أن "التناسب بفضل هذا الاندماج لا يقدم كاقتراح، لكن يقدم كمسلمة، هذا يعني أن الاستعارة يمكن أن تتدخل لاعتماد التناوب. لذا فإنه ليس من المستغرب أن يتضح عندما نفحص الحجج عن طريق التناوب الذي غالباً ما لا يتزدّد المخاطب خلال عرضه من استخدام الاستعارة المستمدّة من التناوب المقترن، وهذا بتعويذ القارئ على رؤية الأشياء كما يريها له، مع أنه من النادر أن موضوع و الحامل يتم التعبير عنهما بشكل مستقل عن بعضها البعض"<sup>4</sup> لكن

<sup>1</sup>- حسن المودن، حجاجية المجاز والاستعارة، ضمن الحاجج مفهومه ومحالاته، إشراف، د:حافظ إسماعيلي علوى، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، دار الروايد الثقافية -ناشرون، بيروت، لبنان، ج2، ط1، س2013، ص: 359.

<sup>2</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجج عند شايم بيرلان، ص: 92.

<sup>3</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجج عند شايم بيرلان، ص: 93.

<sup>4</sup> -Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhétorique, P : 536 « L'analogie, grâce à cette fusion, est présentée non comme une suggestion, mais comme un données. C'est dire que la métaphore peut intervenir pour accréditer l'analogie. Il n'est donc pas étonnant de constater, quant on examine les argumentations par analogie que, souvent, l'auteur n'hésite pas au cours de son exposé, à se servir lors de la métaphores dérivée de l'analogie proposée, habituant ainsi le lecteur à voir telles qu'il les luis montre. Il est assez rare que théme et phore soient exprimé Indépendamment les uns des autres. »

كلامها يعبر عن معنى خاص به غير أن الاندماج بينهما هو الذي يخلق هذه العلاقة لا انفصالية بين الحامل والموضع، ولذلك دور مهم في خلق هذه العلاقة.

إن المحاجج يسعى إلى إيجاد أبجع الكلمات والعبارات التي يصل بها إلى التأثير غير أن ذلك لا ينطوي على الكثيرون، فيلجأ إلى الاستعارة بالاستعارة التي تفي بالغرض خاصة تلك الاستعارة المغايرة للعادة؛ إذ "تعالج الاستعارة في الواقع، عجز اللغة، وفقر الكلمات، والاستعارة الرديئة، هي غالباً، الاستعارة المستعملة، تشيخ بعض الاستعارات وهي شابة بسبب التكرار المكثف، والاستحضرات المريءة"<sup>1</sup>، على هذا الأساس قسم "بيرلمان" الاستعارة إلى قسمين: الاستعارات الحية والاستعارات الميتة<sup>2</sup>، وتصنف الاستعارات على أساس عدد استعمالها، وكذا قوتها حجاجيتها.

وإن الاستعارة الميتة حسب "بيرلمان" لها كذلك "قيمتها في الحجاج بارزة بشكل خاص نظراً للقوة الاقناعية الكبيرة التي تمتلكها هذه الاستعارات النائمة متى استعانت بوحدة أو بأخرى أو بتقنية أخرى، يتم تفعيل عملهن، هذه القوة تُنتج مما تستعيده من آثارها على وسائل التناسب، يعرف هذا بكل سهولة؛ لأنه ليس فقط معروف، إنما مندمج عن طريق الكلام في التقليد الثقافي"<sup>3</sup>، إذن بعث الاستعارات الميتة من جديد يعطي لها دفعاً حجاجياً آخر غير متوقع، "لأن بضدتها تعرف الأشياء، مما يؤدي إلى خرق أفق انتظار المتلقى وإحداث مفاجأة ناتجة عن التنوع (تولد اللامتنظر من المنتظر) لأن الرتابة لا تؤدي إلا إلى الملل والنفور وليس إلى الإ茅اع أو الإقناع"<sup>4</sup> أن من الطبيعة البشرية أنها تنجدب نحو ما هو جديد خاصة ما كانت قد ألفته على طريقة خاصة فإذا بها يقدم لها بطريقه لم تتصورها من هذه المنظور يكون للاستعارة قوة الانجداب ومن ثم سهولة التأثير فالإقناع.

<sup>1</sup> - ليونيل بلنحر، عدة الأدوات الحجاجية، ت: فضيلة قوتال، ضمن: المحاجج مفهومه و مجالاته، إشراف: حافظ إسماعيلي علوى، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، 2010، ج 1 ، ص: 403.

Ch aïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite de L'argumentation La nouvelle Rhetorique p : 5

<sup>2</sup>- ينظر:

<sup>3</sup> Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite de L'argumentation La nouvelle Rhetorique . p :543 «Il nous semble, quant à nous, que Leur valeur chez dans l'argumentation est surtout éminente à cause de la grande force persuasive que possèdent ces métaphores endormies quant à l'aide de l'une ou l'autre technique, elle sont remises en action. Cette force résulte de ce qu'elles empruntent leurs effets à un matériel analogique, aisément admis ,car il est non seulement connu, mais intégré, par langage dans la tradition culturelle »

<sup>4</sup> - عمر أركون، اللغة والخطاب، ص: 136.

إن حاجية الاستعارة تعطي المعنى العام الذي تروم بلوغه البلاغة الجديدة حيث أن الاستعارة يمكن أن نرى فيها الخاصية الأساسية للغة الشعرية. وهذا لأن الاستعارة ليست الانزياح نفسه، ولكن اختزال الانزياح. لا وجود للانزياح إلا عندما تتناول الكلمات بمعانيها الحرافية: الاستعارة هي الإجراء الذي بفضله يختزل المتحدث الانزياح<sup>1</sup> يطرح هذا التعميم البلاغي بين الخطاب النثري والشعري من خلال عملية الانزياح الدلالي التي تتبلور ضمن الخطاب الشعري الصوتي.

### 4-3-5-حجج الفصل والوصل:

إن هذه الآلية تسعى إلى تحليل المفاهيم بالفصل في ما بينها، هذا يعني أن "الانفصال بين العناصر في الحاج يقتضي وجود وحدة بينها ومفهوم واحد لها فهي عناصر عائدة إلى اسم واحد يعنيها وإنما وقع الفصل بينها لأسباب دعا إليها الحاج"<sup>2</sup> منها اتضاح الرؤية بالبحث عن الحقيقة؛ لأن الارتباط والتعليق كثيراً ما يجعل المعنى خفياً، مهما فلا يتحقق معه الإفهام الذي هو أقصر طرق الإقناع وأيسرها، وإن "هذا التمييز بين الظواهر يتم بواسطة إجراء عملية فصل اعتماداً على ثنائية "ظاهر/واقع"؛ ففي حين أن الظاهر معطى مباشر، وحدّ أول للمعرفة، فإن الواقع – الذي لا يعرف عادة، حين يكون معلوماً، إلا بواسطة الظاهر"<sup>3</sup> بمعنى آخر أننا نستدل على الواقع بمعطيات الظاهر، إذا كان تطابق بينهما.

بينما نبحث في خلفيات الظاهر أو نتبع الظواهر ونؤولها للوصول إلى الواقع هذا إذا كانت "الظواهر (les apparences) متعارضة (العصا مثلاً، عندما يلقى في الماء، تظهر ملتوية حين ننظر إليها ومستقيمة حين نلمسها) فإنها لا يمكن أن تمثل الواقع كما هو، لأنها محكوم بمبدأ عدم التناقض. يصبح من الضروري، إذن تمييز الظواهر التي تتطابق الواقع عن تلك التي تكون خادعة"<sup>4</sup> فعملية الفصل تعتبر بمثابة عملية كاشفة للواقع المتطابق مع الظاهر من ذلك الذي يتعارض معه، وبها تتحدد المفاهيم التي كانت قبل عملية الفصل ملتسبة أو أنها غير حقيقة، خاطئة.

<sup>1</sup>- بول ريكور، الاستعارة الحية، ص: 256.

<sup>2</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاج، ص: 59، 60.

<sup>3</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاج عند شايم بيرمان، ص: 95، 96.

<sup>4</sup>- نفس المرجع ، ص: 95.

يمكن القول أن "بيرلمان" حدد عملية الوصل والفصل التي يسعى الحاجج إلى توظيفها في قوله التالي بشكل أوضح، حيث يرى أن "تقنية قطع الوصل هي إذنك التأكيد على أن يتم الجمع بين نحو غير ملائم للعناصر التي ينبغي أن تبقى منفصلة ومستقلة على العكس الفصل يفترض سلفاً وحدانية العناصر الملتبسة ضمن نفس التصميم، المعين من قبل المفهوم نفسه، فصل المفاهيم تحديداً هو إجراء إعادة تعديل جذري نسبياً من المعطيات الخيالية التي تكون بمثابة أساس للحججة، لم يعد تماماً، في هذه الحالة، قطع الروابط التي تصل بين العناصر المنعزلة، لكن بتغيير نفس البنية"<sup>1</sup> وبالتالي أن العميليتين (الفصل ، الوصل ) التي يقوم بها الحاجج هي من المفترض ما يجب أن يكون، فالحاجج يقوم بإرجاع المفاهيم إلى نصابها الأصلي الذي يجب أن تكون عليه.

إن عمليتي الفصل والوصل تكونان عادة للتعريفات "خصوصاً إذا جاءت هذه التعريفات تزعم تقديم معنى للمفهوم الحقيقي في المقابل معناه الظاهري الجاري به العرف والعادة وقد يكون الاعتراض على المعنى الظاهر مفهوماً فحسب"<sup>2</sup> فيتوجب في مثل هذه الحالات الفصل بين المفهوم الظاهر الذي هو راسخ في المخيلة وذلك المفهوم الحقيقي الجديد حتى لا يتم التباس بين المفهومين، فالحاجج هما الذين العميليتين يقوم بدعوة المخاطب إلى ضرورة كشف الحقيقة ومن ثم الظفر بها.

<sup>1</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhétorique- p : 550,551. « La technique de rupture de liaison consiste donc à affirmer sont indument associés des éléments qui devraient rester séparés et indépendants, par contre, la dissociation presuppose l'unité primitive des éléments confondus au sein d'une même conception, désignés par une même notion. La dissociation des notions détermine remaniement plus ou moins profond des données conceptuelles qui servent de fondement à l'argumentation, il ne s'agit plus, dans ce cas de rompre les fils qui attachent des éléments isolés, mais de modifier la structure même de ceux-ci »

<sup>2</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجج، ص: 63، 64

### خاتمة الفصل الأول:

رأينا في الفصل الأول المدف الذي من أجله تم بعث بلاغة الحاجاج من جديدة، وهو إعادة الاعتبار للبلاغة، على يد "بيرمان" و"تيتيكا" في النصف الثاني من القرن العشرين الذي اعتبر البلاغة مطابقة للحجاج، مع لفتهما النظر للبعد الشامل الذي تجسده بلاغة الحاجاج، في اكتساحها كل أنواع الخطاب في المجال الإنساني.

انطلاقاً من هذا بعد وجلت البلاغة المعاصرة مرحلة جديدة بانفتاحها على جميع أنواع الخطاب وتوجهها إلى أنواع مختلفة من المستمعين، وبهذا تجاوز "بيرمان" و"تيتيكا" خطابة أرسسطو التي كانت أساس نظرية البلاغية الحاجاجية، والتي كانت محصورة على الخطابة الشفاهية وخطابة الحشود العامة.

إن بلاغة الحاجاج عند "بيرمان" تهدف إلى دراسة الآليات التي يعتمد عليها الحاجاج في إثارة انفعال المخاطب واستimاله عواطفه أو تحميشه على الاقتناع، وإن هذه الآليات تشكل مواد أساسية في بناء الخطاب الحاججي والتي تعتمد في إنشائها على اللغة الطبيعية وعلى المنطق الحتمي لما يتمتعان به من خصائص تنهض بالعملية الحاجاجية وتفعلها منها الخاصية العقلية، والاحتمالية والمرونة...

تغيرت نظرة الاستعارة في البلاغة الجديدة، حينما أخذت الطابع الحاججي لما تعطيه من فهم أعمق ومتد النظر، جعلت المستمع طرفاً مشاركاً في بناء العناصر الحاجاجية حتى يكون اقتناعه أكبر وأثبت، هذا من الجانب العقلي الذي يعول عليه في الحاجاج، بالإضافة إلى الجانب الانفعالي الذي تشيره الاستعارة في نفس المستمع حين تكون استعارة مبتكرة، مغایرة.

# الفِصْلُ الثَّانِي

حضور آليات الحجاج في التراث البلاغي العربي

سنقف ضمن هذا الفصل على آليات الحجاج في البلاغة العربية القديمة، وكيفية توظيفها، ودورها في نهضة البلاغة العربية، والبحث البلاغي خاصه، وستتعرف كيف أن البلاغة العربية القديمة تحتوي الكثير من ملامح البلاغة الجديدة حسب ما ذهب إليه بيرمان في نظرية الحجاجية، كما أنها سنتين مدى اهتمام البلاغيين العرب القدماء ببلاغة الحجاج وهذا يرجع لعدة عوامل فرضت حتمية ذلك، سنفصل فيها خلال هذا الفصل.

### 1- قراءة عامة للبلاغة العربية القديمة :

شغلت علوم البلاغة العرب في جاهليتهم وبعد إسلامهم وقد ابنتقت نشأتها الأولى من مرحلة "الاستكشاف"<sup>1</sup> كما سماها "د: محمد العمري" فقد ظهرت منذ العصر الجاهلي ملاحظات وتعليقات واصفة، أو مأخذ على القول الشعري الذي صار موضوع تأمل ، تم توسيع وتكاثرت خلال العصر الإسلامي<sup>2</sup>، وإن أخذت بعدها غير مسبوق خلال العهد الإسلامي، حيث سار البحث البياني في الزمن، وتناوله أفلام العلماء والأدباء والنقاد على حسب تصورهم معناه، وكان من مجموعة ما كتبوا ذلك التراث الخالد، الذي سمي حيناً "بياناً" وسمى أحياناً "بديعاً" كما سمي بلاغة وفصاحة، وهي ألقاب أو مصطلحات لا تبعد كثيراً في مدلولها<sup>3</sup>، وإن ضمن هذه المداولات ما يصب في الحقل الدلالي لبلاغة الحجاج، وسنعرض ذلك عند تفصيل هذه المداولات خلال المباحث اللاحقة.

#### 1-1-الخلفية الحجاجية لتأسيس علوم البلاغة العربية القديمة:

هناك الكثير من العوامل كانت سبباً وراء النهضة البلاغية التي شهدتها العالم العربي في منتصف القرن الثاني هجري، لأن الجهد كلها سواء من البلاغيين أو اللغويين أو المتكلمين وحتى علماء الأصول تضافرت وتنافست فيما بينها لإيجاد أقوى الحجج وأدمعها ليقطعوا بها ادعاء كل طاعن أو مشكك في الدين الجديد "الإسلام" على اعتبار أن "البيئات التي ساهمت في صرح البلاغة العربية هي بيئات متعددة المشارب والاهتمامات ولكنها يجمعها أنها مشدودة إلى النص القرآني تستلهم جماليتها

<sup>1</sup>- ينظر: د: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د، ط)، 1999م، ص: 19.

<sup>2</sup>- د: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 20.

<sup>3</sup>- د: بدوي طيانة، "البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، س 1962م، ص: 15

وتلتفت إلى جماليات روائع الشعر العربي تستخلص منها القيم البلاغية<sup>(1)</sup> من خلال كل هذه المعطيات لم تعد الحاجة البلاغية مجرد إضفاء الجمالية على النص بقدر ما تصبو إلى تحقيق الإقناع .

### 1- أثر التصانيف الشعرية في إبراز القيمة الحجاجية:

إن عملية الاختيار والانتقاء في الشعر ذات أثر واضح لفتح مجال جديد في البلاغة العربية القديمة حيث كانت بمثابة "الحرك الأول لطرح الأسئلة الجوهرية في النقد العربي، الأسئلة التي تصدت للبلاغة لمناقشتها"<sup>(2)</sup> ، عن طريق الاحتجاج للأحكام التي على أساسها تم الاختيار أو الانتقاء "فالاختيار عمل نceği بلاغي: يبرز قيمًا بلاغية ويكرسها"<sup>(3)</sup>، وما صاحب هذه التصنيفات من شروح أو تعليقات تضمنت قدراً غير قليل من الأحكام القديمة، التي ترتكز كثيراً على محددات بلاغية، فرض على أصحاب هذه المصنفات إقامة الحجج بل إن منهم من كان يضع بعض المعايير يلزم نفسه بإتباعها خلال عملية التصنيف، تعتمد في جلها على مقاييس بلاغية تستند على استدلالات حجاجية تهدف إلى الإقناع والذود بأحقية الحكم البلاغي الذي منحه المصنف للنص الشعري سواء حكم عليه بالجودة أو الرداءة وإلا رد عليه حكمه ونعت بالعي.

حيث كان الشعر العربي الجاهلي يشكل محل ارتباك البحث والانتقاء وبلورة المفاهيم ومنها استخلاص القوانين والمقاييس التي تضبط بها علوم اللغة. "وقد تتقرب العلوم أو تتشترك كلياً أو جزئياً في المناهج المستخدمة فيها أو في الأسس الفكرية والمنطقية التي تقوم عليها تلك المناهج، ولكنها بحكم اختلاف الموضوع أو زاوية النظر إليه، وبحكم تطور البحث، وأدواته ومتطلباته الخاصة في إطار كل علم، تتميز عن بعضها البعض منهجياً، وتصطنع أساليبها الملائمة وتطور آلياتها الخاصة"<sup>(4)</sup>. ومن أهم الآليات الحجاجية التي استعملت مع هذه التصانيف الشعرية "حجج المقارنة" نذكر على سبيل المثال بداية من "طبقات فحول الشعراء" لابن سالم الجمحى مروراً بديوان "الحماسة" وصولاً إلى "الموازنة" للأمدي<sup>(5)</sup> كل هذه المؤلفات ساهمت بشكل أو باخر في تطوير أساليب البلاغية بتحريك عجلة

<sup>1</sup>- عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين، المملكة المغربية، ص: 263.

<sup>2</sup>- د: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 84.

<sup>3</sup>- نفس المرجع ، ص: 43.

<sup>4</sup>- حسن محمود الشافعي، مدخل إلى دراسة علم الكلام، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي باكستان، ط2، س 2001م، ص: 123-124.

<sup>5</sup>- ينظر: الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر يحيى، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى، تج: أحمد صقر، دار المعارف، ط 04، س 2009م.

البحث البلاغي، وعليه أصبح تحديد القيمة الفنية في النص مشغلاً من مشاغل النقاد الكبارى تنظيراً وتطيقاً، "وقد أعانت الخصومات الأدبية حول أبي تمام، ثم حول المتني، على ضبط جانب مهم من المقاييس النقدية الراجعة إلى النص ذاته، وطريقة الشاعر في بنائه، وما يضمنه من الأساليب لإنفاذ تجربته الشعرية"<sup>1</sup> وبذلك بدأت تظهر في الشعر الترعة العقلية بشكل أوضح وأعمق مما كانت عليه من قبل، حتى أن شعر الحكمة والذي يتناول مسائل فلسفية عميقة أخذ يشكل وزن أكبر ويتصدر قائمة الشعر الفني المتميز.

ولم تكن التصنيفات<sup>2</sup> هي وحدها التي أدارت عجلة تطوير البلاغة، فلا يغيب عن ذهن أي دارس للتراث العربي الدور المهم الذي لعبه القرآن معتمداً في ذلك على مرتکزات حجاجية، استدلالية الهدف الرئيسي هو إقناع الخصوم في خضم الصراع العنيف الذي لازم ظهور الإسلام وانتشاره في مختلف البلدان.

## 2- أثر النص القرآني في التوجّه الحجاجي للبلاغة العربية القدّيمّة:

لما أصبح من أولويات المسلمين الدفاع عن معتقدات دينهم ورد مزاعم الطاعنين فيه "كانت الحاجة ماسة إلى الدعوة للدين بين صفوف الأمم التي غلبها العرب وتثبته في نفوس الذين اعتنقوه رهبة، أو رغبة في مجارات الحكم"<sup>3</sup>، فحاول العلماء السير على السبل الكفيلة لإقناعهم بالدين الجديد ومن هنا تغيرت وجهة الدعوة التي كانت خاصة بالعرب إلى غيرهم من العجم الذين لا يقدرون على معرفة "إعجاز القرآن" لعدم معرفتهم باللغة العربية عامة وبيانها خاصة، ففي أول أمرهم "حاول المسلمون التصدي لمن يهاجم العقيدة الإسلامية ولكن دفاعهم كان يعتمد على حجج وبراهين مستمدّة من القرآن والحديث وهي حجج كانت مقبولة عند المسلمين ولكنها كانت تتعرض أحياناً للطعن من قبل غير المسلمين الذين كانوا يشكّون في صحة النبوة الرسول وفي الوحي القرآني

<sup>1</sup>- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أساسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، (ط، د)، 1981م، ص: 595.

<sup>2</sup>- التصنيفات التي اهتمت بالطبقات، كطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى.

<sup>3</sup>- محمد زغلول سالم، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي حتى القرن الرابع ، منشأة المعارف الإسكندرية(د. ط، تا)، ص: 16.

وكل ذلك لم يبق بين الطرفين من عامل مشترك إلى العقل<sup>(1)</sup>. الذي يقود إلى الحقيقة عن طريق استثمار الأدلة التي يتفق حولها الفكر البشري عامه، سواء كانوا مسلمين أو غيرهم.

فبدعت الحاجة عندها إلى ضرورة إيجاد الحجاج التي يتقبلها العقل، ولم تكن هذه لتكفي دون تفعيل أيسير الطرق وأقومها وكذا الاستعانة بوسائل تضمن النتائج المرجوة تحقيقها لاسيما وسائل إنتاج الخطاب المبين.

إن علماء العرب تنبهوا إلى هذه المسألة سواء كانوا لغوين أو بلاغيين أو فلاسفة، إذ تم "إحلال البحث البلاغي محل الوسيلة للوصول إلى مقاصد الرسالة الدينية جعل البلاغيين يلحوذون على "البيان" بمعنى اللغوي الأصلي أو الوظيفة الإفهمامية وجعلوا البحث عن أبجع الوسائل التي يتم بها ذلك، موضوع علم البلاغة فلم يعطوا بمجموع الوظائف الأخرى، كالوظيفة الشعرية المكانة التي تستحقها في مباحثهم، وعن هذا نشأت في رأينا، تلك الفكرة السائد في التراث البلاغي والنقدى عندنا ومؤداتها أن هذه الوسائل غلاف يغلف به المعنى وضرب من الزينة يقصد من ورائه إخراج المعنى في أحسن صورة. وبذلك قطعوا من الأساس، ما يمكن أن يقوم بين الشكل والمضمون من تأثير وتأثير، وبقي البحث يدور في نطاق التأثير في السامع أو المتقبل باعتبار النص القرآني يرمي إلى إقناعه والوصول إليه<sup>(2)</sup> فالوظيفة البلاغية لم تعد وظيفة جمالية بقدر ما هي وظيفة قصدية في المقام الأول، ينشأ من أجل القصد الخطاب وتبقى تدور حول المعنى المقصود وإليه يصبوا الخطاب، فالخطاب بذلك هو وسيلة لا غير ، وكل عنصر من عناصر تكوين الخطاب هو أداة يستعين بها الخطيب لإخراج الخطاب الذي يكون له القدرة الكافية على التأثير وقلب موازين الأحكام لصالحه، بأرقى الوسائل وأسلتها وهي الخطاب الفعال، البليغ.

### 3- أثر الماتفاقة في استحداث الآليات الحجاجية :

عندما كثرت الترجمات بدخول الموالي الذين أجادوا لغة الأم الأصلية واللغة الجديدة، أي اللغة العربية وكان أغلب هؤلاء الموالي من بلاد فارس أو من بلاد الروم، "نشأت طبقة جديدة من المثقفين

<sup>1</sup>- حسن الصديق، المنازرة في الأدب العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لنجمان، القاهرة(د.ط)، 2000، ص: 115.

<sup>2</sup>- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أنسنه وتطوره إلى القرن السادس، ص: 45، 44.

## حضور آليات الحجاج في التراث البلاغي العربي

هم عمال الدواوين وكتاب الخلفاء الذين كان معظمهم من غير العرب<sup>(1)</sup>، كما كان منهم من بقي على دينه فاصطبغت بذلك كتاباته بألوان معتقداته التي كانت تؤثر سلباً أو إيجاباً على الحياة العقلية الثقافية العربية عامة فنفت إلى "اللغة العربية أساليب لم يعهد لها العرب من قبل"<sup>(2)</sup>، أهم هذه الأساليب القائمة على الحجج المنطقية.

زاد نشاط الترجمة ودورها الثقافي بفعل تشجيع الخلفاء عليها لاسيما الفلسفية منها "وهو ما أثر بشكل خاص في تطوير البيان العربي وبخاصة عندما كانت هذه الترجمات تتناول كتبها علاقة بمفهوم البيان عند الأمم الأخرى مثل "الخطابة" و"الشعر" و"الجدل لأرسطو"<sup>(3)</sup>، حيث لقي هذان الكتابان اهتماماً لا مثيل له من قبل العرب ففي رواية أن الخليفة "المأمون" نفسه طلب من المترجمين نقله إلى اللغة العربية<sup>(4)</sup>، منه يبدو الأثر البالغ للترجمة الذي ساهم بشكل فعال في النهضة الفكرية البلاغية العربية ونستنتج إذن مما سبق أن كتابي "الخطابة" و"الشعر" كانوا مترجمين في فترة شهدت بوادر التأليف المستقل في فن البلاغة مع كتاب "البيع" لعبد الله بن المعتز (ت. 296هـ)؛ ونهاياً في نقد الشعر لم نصادف مثله في المحاولات السابقة نعني بذلك "نقد الشعر" لقدماء بن جعفر (ت. 326هـ)<sup>(5)</sup>، وكما نعلم أن بلاغة أرسسطو كان مدار دراستها بلاغة الحجاج.

إذن هذه الكتب المترجمة كان لها دور في تطوير وسائل الحجاج "فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها، ومعانيها. وهذه اليونان رسائلها وخطبها، وعللها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة، والخطأ من الصواب، وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها، وسيرها وعللها، فمن قرأ هذه الكتب، وعرف نور تلك العقول، وغرائب تلك الحكم، عرف أين البيان والبلاغة، وأين تكاملت تلك الصناعة"<sup>(6)</sup>. وإن كانت هذه الأخيرة قد تأثرت

<sup>1</sup> - حسن الصديق، المناورة في الأدب العربي الإسلامي، ص: 206.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 206.

<sup>3</sup> - حسن الصديق، المناورة في الأدب العربي الإسلامي، ص: 207.

<sup>4</sup> - ينظر: عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين، المملكة المغربية، ص: 263.

<sup>5</sup> - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب وأسسه وتطوره إلى القرن السادس ، ص: 65.

<sup>6</sup> - الجاحظ، عمرو بن جهر أبو عثمان، البيان والتبيين، دار ومكتبة الملال، بيروت، (د، ط)، س: 1423هـ، ج 3، ص: 10.

بالبلاغة اليونانية فليس بالبعيد تأثر البلاغة العربية القديمة بهذه البلاغة التي هي أقرب منها عهدا، وأنفع لها توظيفا؛ من حيث ضبط المعرف والأفكار وتنظيمها وكذا تشتيتها أو تفسيدها.

فكان هذه الكتب المترجمة المنهل الأساسي الذي ساعد على إثراء وتطوير وتقنين أساليب اللغة العربية وضبط قواعدها حتى تكون أكثر دقة وحجاجا وأشد وقعا على الخصوم، وأقوى إقناعا وتأثيرا، فقد "أفادوا من الفلسفة إذ نظمت عقولهم تنظيما متطقاً دقيقاً وإذ جعلتهم يحسنون استنباط الآراء وخصائص الأشياء، كما جعلتهم يقدرون على إيراد الحجج والبراهين وتشعيب المعانى وتفریعها"<sup>1</sup> وبذا هذا التأثير في كل مجريات الحياة الفكرية العربية وانتقل ذلك من علم الكلام إلى النحو فالبيان العربي، حيث "نلاحظ منذ الآن سمات نمطية تسم الفكر في أواخر القرن الثامن: إنه فكر غير مجزء، اختياري، متدقق، غزير، متحرر من الضغوط"<sup>2</sup> ولكن كانت تحرص على أن تأخذ النص التراثي العربي المرجع الأصيل والنموذج المقدس و بهذا نشأ خطاب عربي جديد مميز يتسم بالبلاغة المتينة المشبعة بالجمال الإبداعي المحكم بالعقلانية المنطقية.

كما أن هذا التنوع الثقافي المتدايق على الثقافة العربية انعكس على المستوى العام للتفكير المعرفي للفرد العربي، فظهرت عندها الحاجة إلى التعلم والتعليم، خاصة تعلم أصول البلاغة لما لهذه الأخيرة من أهمية كبيرة في الرفع من قيمة الأفراد في مجتمع ارتقى حضاريا، أصبح يجد العلم والعلماء، وللخطاب دور مهم في تغيير الأفكار بداية من التغيير السياسي إلى التغيير الاجتماعي القومي العصبي الذي تذكّره المناظرات الشعرية أو الجدلية "وقد تضافرت هذه العوامل على خلق ملابسات حضارية وفكّرية جديدة، وصراعات مذهبية، وتوترات في بنية المجتمع، ساهمت بقسط وافر في إذكاء الجدل والاحتجاج حول قضايا كان بعضها متصلة بمقومات الحضارة العربية الإسلامية في الوجهة اللغوية والبيانية"<sup>3</sup>، أهم هذه القضايا قضية الإعجاز القرآني، ولا ننسى قضية "خلق القرآن" وما دار حولها من نقاشات كان الخطاب الحجاجي قائدها بدون منازع.

<sup>1</sup> - شوقي ضيف، البلاغة: تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط٩، (د.تا)، ص: 35.

<sup>2</sup> - محمد أركون، الفكر العربي، ت: عادل العوّ، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط٣، ١٩٨٥، ص: ٥٨.

<sup>3</sup> - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أنسنة وتطوره إلى القرن السادس، ص: ٥٣.

من جهة أخرى فإن الانفتاح الحضاري الواسع الذي شهده العالم العربي وما اكتسبه العقل العربي من روافد فكرية جديدة، كان لذلك أثر واضح على النص العربي عموماً وعلى النص الشعري خصوصاً، حيث "لم تعد المسألة تتعلق كما هو الحال في المرحلة السابقة بمحاجحة خصوصيات ومفاضلة بين نصين لشاعرين بل تعدى الأمر ذلك إلى إدعاء وجود خصوصية مذهبية تميز فئة من الشعراء تنتهي إلى زمن فئة تحس بالتميز كمجموعة وتعت منجزها"<sup>(1)</sup> ويعني بهذه الفئة، فئة الشعراء المولدين أمثال بشار وأبي نواس وغيرهم.

كما أن المزارات العنيفة التي رسمت معالم الساحة البلاغة النقدية العربية آنذاك، كان لها صدى واسع في نمو الوعي الحجاجي، نذكر منها انقسام أهل البيان إلى فريقين أحدهما يجدد القديم على حساب الجديد وفريق الآخر يعني بحمليات الأدب لا يهمه إذا كانت أساليبه تقليدية أو جديدة،

ومنها قضية اللفظ والمعنى التي أسالت أقلام الكثير من العلماء وكل منهم إلا ونراه يدلل بدلوهحاولاً إقناع خصوصه وثبت فكرته، وغير ذلك من المسائل البلاغية التي نقشتها البلاغة العربية القديمة والتي كانت وراء شحن المنازعات الخطابية الجدلية القائمة على الحاجة الفكرية، التي بلغت بذلك ذروة الرقي العقلي الاستدلالي بعيد عن كل المغالطات الفكرية غير الأخلاقية؛ لأن الفكر العربي كان فكر مستهدف إن لم يكن مبني على القيم الأخلاقية لا كان من السهل القضاء عليه، لذا حرص العلماء على إتباع القواعد السليمة للحجاج المنطقي الذي يرتكز على القيم الأخلاقية.

هذا ما سنحاول أن ثبته خلال دراستنا؛ لأن القيم تعتبر من أهم الأسس التي بنيت عليها البلاغة الجديدة.

#### 4- بلاغة الحجاج إنتاج جدلی :

لما كثرت الطوائف وتشعبت الفرق الدينية واحتلت الرؤى وتغيرت المفاهيم، رفع المتكلمون خاصة المعتزلة الرأية لخوض غمار معركة الدفاع عن الدين ، وسلامتهم في ذلك العقل "وإليهم يعود الفضل في تأسيس علم الكلام الذي يعتبر ناتجاً أصيلاً للحضارة العربية الإسلامية"<sup>(2)</sup>. فبدأ المتكلمون يحاولون تبيان "أسباب الظفر والهزيمة، فيعودون إلى النظر في حجج الخصميين وفي لعنةهما ومخارج

<sup>1</sup> - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:60.

<sup>2</sup> - حسن الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص:115-116.

حروفهما وإشارتهما، وهي آنثما<sup>(1)</sup>" مما أفرزت مقتضيات الخطاب العربي في تلك الفترة تطوير أساليب الاستدلال وإرساء قواعده.

حتى أن المذهب الكلامي الذي ذاع صيته في تلك الفترة عُرِف بين العام والخاص بأنه "أسلوب حجاجي" يوظفه المتكلم لإقناع خصمه بالحججة والبرهان<sup>(2)</sup> والخصم في هذه الحالة هو صاحب الدعوة في الغالب يكون له كذلك أدلة وحجج يستند فيها على دعواه وعلى هذا الأساس يكون على المحاجج أن يتسلح بأقوى الحجج، ولا يكفي ذلك فحسب إنما لا بد من إتقانه فنون الكلام وأساليب البيان، حاذقا بخبايا الموضوع الذي ينوي الخوض فيه، مدركا لما قد يجول في خاطر المدعى.

من ثم نجد أن علم الكلام كان من أهم العوامل التي عملت على قلب معايير البلاغة بما استحدثته من طرق الاستدلال في تعليم الشباب "فأخذوا يقفونهم النقص في الحجج والأدلة والنقص في الأداء والبيان، كما أخذوا يقفونهم على أسرار المهارة في الإقناع والظفر بالخصوص وأسرار البراعة في القول"<sup>(3)</sup> فإذا ما تفحصنا كل هذه الوسائل اتضح لنا جليا أنها كلها تهدف إلى الاحتجاج، وبالتالي ما هي إلا إجراءات لصناعة القول البليغ وفي نفس الوقت استخلاص ما يتطلبه ذلك القول وعميم النتائج على ما يشاكله من أساليب "وفي هذا المجال فإن علينا الاعتراف بالدور الكبير الذي قام به المعتزلة في تطوير البيان العربي عموما وما له علاقة بالاحتجاج خصوصا، فقد كان يقابل طائفة المعلمين من النحاة واللغويين الذين كانوا لا يهتمون إلا بالبيان العربي الخالص"<sup>(4)</sup>؛ لأنهم لم يكونوا يقتعنون إلا بما نقلوه عن العرب من معارف سواء في الميدان اللغوي أو الأدبي أو ما يخص القرآن والحديث معا.

فالحجج والأدلة التي كان يستند إليها أهل الكلام في الاستدلال ل الدفاع عن قضيائهم، عملوا على وضع ضوابط تحكمها، تبعد عنها المغالطات الجدلية التي كثيرة ما يقع فيها صاحبها نتيجة أنه لا يدرك طبيعة الاستدلالات المنطقية وما قد ينشأ عنها من زيف أو قلب للحقيقة إذا ما لم يكن متعرضا ملتزما بالقواعد المنطق الصحيح، وحتى تتسم بالقوة المنطقية التي تتماشى وطبيعة المعتقد الإسلامي،

<sup>1</sup> - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص:33.

<sup>2</sup> - د: رضوان الرقي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات إشغاله، عالم الفكر، المجلد 40 ، 2011 ، ص:76.

<sup>3</sup> - شوقي ضيف، البلاغة تاريخ وتطور، ص: 33.

<sup>4</sup> - حسن الصديق، الماظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص:210.

وكان نتيجة "استنباط وسائل الاستدلال على الرأي، وصبح البرهنة على بطلان النقيض من العوامل التي جعلت الفكر يتحرك في فضل التجريد والتنظير والاستحداث، ارتقاء بالحوادث العارضة والإشكالات الحادثة في سياقاتها التاريخية، إلى أبعاد نظرية تصبح معها الواقع والأحداث مسائل في الكلام تصاغ على أساس منها بعض أصول الاعتقاد مسائل تنفذ إلى مجال الإدراك والفهم والاستدلال والاحتجاج حتى تلتئم المقالة التمام بيان دفاع ونقض"<sup>(1)</sup>. فيمكن القول أن علماء الكلام استطاعوا بفضل جهودهم وحذفهم في الجدل واطلاعهم على معارف الأمم التي سبقت، التغيير وخلق طرق جديدة.

باعتبار أن أهم المسائل البلاغية التي كان الخلاف يدور حولها في نفس الوقت كالمجاز والتشبيه والاستعارة هي التي أرست قواعد الاستدلال الحجاجي، التي تمكن التحكم في المسائل البلاغية، وهي في الوقت ذاته أعطت لهم دفعا قويا في النهوض بالفكرة الإسلامية العقائدية وتأسيس نظرية بلاغية قائمة على أسس استدلالية: "فقد كان في كل مدرسة وفي مختلف مراحله تقبلها للحججة انتصاراً للمبادئ التي تقوم عليها العقيدة وتخلصاً للأصول التي تمثل أسس كيافتها"<sup>(2)</sup>. ومنبع قوتها وسيادتها .

فقد تميز المتكلمون عن غيرهم بأنهم "كونوا لأنفسهم مذاهب عقلية جديدة مصبوغة بالصبغة العقائدية الكلامية، وبالمثل أحضروا كل ما يسمعوه أو نقل إليهم عن البلاغة عن الأمم الأجنبية لفكرةهم ولل الفكر العربي وما يتصل به من الذوق الحكم الأصيل الذي يقيس روعة الكلام قياساً مضبوطاً دقيقاً"<sup>(3)</sup>. وكذلك كان المتكلمون على وعيٍ تام بأنهم لا يمكنهم الوصول إلى حقيقة النص القرآني إلا على ضوء تمكنهم وتحكمهم الكامل في علوم اللغة والبيان العربين.

## 2-علماء الأصول والتأصيل للفكر الحجاجي:

هناك الكثير من مؤرخي البلاغة العربية يرون أنه يرجع الفضل الأول لعلماء الأصول في تقنين وسائل الإقناع، فقد أخذوا على عاتقهم مهمة "تعليق إعجاز القرآن وتفسيره بلاغياً، وكانوا معتدلين،

<sup>1</sup> - د: محمد التويري، علم الكلام والنظرية البلاغية، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، سfax تونس، ط1، س 2001، ص: 96.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص: 96.

<sup>3</sup> - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص: 64.

فهم لا يحافظون على محاافظة اللغويين، وهم لا يسرفون في التحديد بل يقفون موقفاً وسطاً<sup>(1)</sup>، هذا التوسط ساهم بشكل كبير في الوقوف على الحقيقة الموضوعية بعيدة عن المغالاة أو التزييف، كما أنهم جعلوا مسألة النظر والاستدلال للأحكام الشرعية من الواجبات الدينية التي تحجب المشرع والقاضي والحاكم وكذا الفتى أن يقع في الخطأ، ولا يكون ذلك إلا بالدليل العقلي الذي يثبت صحة الأحكام؛ لأن "النظر واجب، وفي التقليد ترك للواجب، فلا يجوز"<sup>(2)</sup>؛ والمقصود بالنظر هو الاستدلال الذي يتوقف على إعمال العقل للوصول إلى الحقيقة التي يحصل بها العلم اليقيني الذي تقتضيه العقول فنطمئن إليه النفوس وتكتن بذلك لبارئها وتسليم بالإيمان الذي لا يخالطه شك.

هذا الاعتقاد رسم في ذهن "الفكر الأصولي السلفي" يعتقد بإمكانية فك لغز اللغة الدينية (كلام الله بالذات) أو تفسيرها وفهمها إذا ما سيطرنا على النحو العربي وعلم المفردات والبلاغة وعلم المعنى: أي مختلف العلوم الخاصة باللغة العربية"<sup>(3)</sup>؛ لأن كل هذه العناصر إذا تلاحمت فيما بينها شكلت الخطاب البلاغي المبين الذي يسعى إلى الفهم والإفهام اللذين يعتبران من أهم وسائل الإقناع إن لم نقل أنه من المستحيل أن يتم بدوهما الإقناع.

يبدو من خلال هذه الممارسة الاستدلالية التي اتسع نطاقها ومن خلال "جدل واسع تولد عنه فقه إسلامي متعدد المذاهب حول موضوع إرساء المبادئ والأصول ومناهج النظر"<sup>(4)</sup> ومنه انتقل إلى مختلف الحقول العلمية في تلك الفترة، لتحط هذه الممارسة الحجاجية رحالها وبكل قوة في الحقل البلاغي العربي، ومنه تنتقل إلى كل العلوم التي كان لها صلة بالبلاغة، بطريقة مباشرة ، مثل الإعجاز القرآني، علم الدلالة، النحو، أو بطريقة غير مباشرة كالملاحظات والخطب السياسية.

يمكن القول أن علوم الشريعة وأصول الفقه كانت في حاجة إلى إنتاج الخطاب البلاغي قبل غيرها من مختلف العلوم الأخرى لما له من دور فعال في تحديد أحكام الشريعة في تلك الفترة، التي جعلت من آلية الاستدلال على صحة الأحكام الشرعية أصل من أصول الدين الإسلامي<sup>(5)</sup> وضبطت

<sup>1</sup> - شوقي ضيف، البلاغة: تطور وتاريخ، ص: 63.

<sup>2</sup> - الأمدي، الإحکام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د. ط. تا)، مجلد 4، 3، ص: 446.

<sup>3</sup> - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء القومي لترجمة الثقافات العربية، ت: هائم صالح، ط 2، 1996م، ص: 24.

<sup>4</sup> - أحبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 186.

<sup>5</sup> - ينظر، محمد يوسف موسى، الرسالة لإمام الشافعى الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، (د. ط) 1995م، ص: 27.

هذه الوسيلة بقوانين خاصة ومعايير محددة، يقاس بها صحة الدليل من فساده لتنقل هذه الآلية من هذا العلم إلى بقية العلوم الأخرى وتصبح من أبرز وأهم وسائل إثبات صحة الأحكام في جميع العلوم العربية الإسلامية.

هذه العملية "إنتاج الخطاب" أفرزت عملية ذات قيمة أكبر وذات دور أهم، "هو أن التيار الآخر من الدراسات البينية الذي كونه الفقهاء وعلماء الأصول هو الذي امتد تأثيره إلى الساحة البلاغية. فصرف الناس عن الاهتمام بالخطابة، أي شروط وتقنيات إنتاج الخطاب البليغ إلى الانكباب على دراسة قوانين تفسير الخطاب المبين، وقد حصل ذلك بصورة خاصة عندما اشتغل المتكلمون، وفي مقدمتهم المعتزلة بقضية "إعجاز القرآن" <sup>(1)</sup>. ولو أننا تفحصنا كل هذه القوانين التي أنتجتها مختلف هذه التيارات وفي مقدمتهم علماء البلاغة سنجد أن كلها على حد سواء تقوم على الآليات الاستدلالية التي يحتاج بها لقضية الإعجاز القرآني.

من هنا نستنتج أنه "كان لبيئة الفقهاء والمتكلمين ومجادلائهم أثر قوي في إكساب الخطابة طابعا عقلياً وحجاجياً، حولها إلى مناظرات ساوت النشاط المعرفي الجاري آنذاك" <sup>(2)</sup> خاصة البيان العربي الذي كان يعتمد على النقل والاحتذاب. منهج النموذج القديم إلى منهج أدرجت فيه الكثير من المفاهيم المنطقية التي تناسب مع المنظومة العربية البينية.

### 3-3-أثر الفكر الفلسفى في انتشار الخطاب الحجاجى:

إضافة إلى كل هذه العوامل التي ساهمت في إرساء الوعي في إنتاج قوانين البلاغة الحجاجية، عامل كان له أثر جد فعال في ذلك وهو اشتغال عامة الطبقة المثقفة بالفلك الفلسفى إذ "أخذت تنشط في النصف الثاني من القرن الثالث هجري بيئه جديدة، عنيت بشؤون البلاغة هي بيئه المفلسفة وكان مما ساعد على ظهورها كثرة ما نقل عن اليونان واحتفال العرب بفلسفتهم وكل ما خلفوه في شؤون الفكر من منطق وغير منطق" <sup>(3)</sup>، فاصطبغ الخطاب العربي بالصبغة الفلسفية الجدلية الحجاجية وتأثرت جل الخطابات العربية بالمذاهب الفلسفية التي نشأت في أحضان الساحة العلمية العربية

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، 2000م، ص:31.

<sup>2</sup> - د: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 149.

<sup>3</sup> - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص:64.

## حضور آليات الحجاج في التراث البلاغي العربي

لاسيما الساحة البلاغية. هذا ما ذهب إليه " بعض الدارسين المعاصرین إلى أن نشأة البلاغة في الثقافة العربية قد خضعت إلى القاعدة التي خضعت لها في سائر الثقافات. فلقد كانت الفلسفة الراحم الحاضن للفكرة البلاغية وكانت النظريات البلاغية سليلة الاعتبار الفلسفية ووليدة عناية الفلاسفة."<sup>1</sup> فقد كانت الكثير من العناصر الحجاجية محل طرح التفكير الفلسفى، من أبرزها مسألة "القيم"، و "مبدأ الشك" ...

كما لا يخفى على أي دارس أن الأسلوب الحجاجي المنطقي هو السمة البارزة في جميع الخطابات الفلسفية، "إذن، إن التفكير الفلسفى هو تفكير حجاجي بامتياز"<sup>2</sup> خاصة وأنها تبني هذه الخطابات أصلاً نتيجة من إشكالات وتساؤلات غالباً ما تطول حولها نقاشات كثيرة لا تجزم في آخر المطاف على إجابة واضحة نهائية، لذا فإنها تدور حول احتمالات يحاول كل طرف يخوض النقاش أن يظفر بالنصر في النهاية أو على الأقل أن يحتفظ بنهاية الحلقة لصالحه فلا يجد من يياريه لقوة حججه وقدرته الفائقة في مجاريات الكلام. فأخذت الخطابات العربية تعرف من هذا الأسلوب الفلسفى وتتصبغ به خطاباتها باعتبار هذا الأسلوب يحاذي العقلانية التي أصبحت هنأهم مساعي الفكر العربي، حتى أصبح كل خطاب لا يجانب المنطق أو التعقل يقصدى من دائرة الفكر البلاغي، و هذا ما سنقف عليه عند تصفحنا للمدونات النقدية البلاغية العربية.

### 2-المصطلح الحجاجي في التراث البلاغي العربي بين الضبط والاضطراب :

#### 2-1-عوامل اضطراب المصطلح الحجاجي:

إنّ المصطلح الحجاجي في الموروث البلاغي العربي اشتهرت في تشكيله الكثير من الثقافات الفكرية "وطبيعي أن يكون لكل من هذه البيئات اهتماماً بها ونظرتها إلى طبيعة الفن القولي ووظيفته والأداة الأمثل لتحقيق هذه الوظيفة، وأن تكون لكل منها كذلك اهتمام خاص بنوع من أنواع الفن القولي، وبالتالي أن يكون لكل منها مصطلحاتها، أو - على الأقل - فهمها الخاص لبعض المصطلحات، وهو ناتج عنه - في أحيان غير قليلة اختلاف مدلول المصطلح الواحد من بيئه إلى

<sup>1</sup> - د: محمد النويري، علم الكلام والنظرية البلاغية، ص: 46.

<sup>2</sup> - أحبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 187.

أخرى<sup>1</sup> بحيث نجد مصطلح "الحجاج" وغيره من المصطلحات الحجاجية الأخرى مثل: الحجة، الدليل، البرهان، البينة، القياس... إلخ، تأخذ نفس الدلالة اللغوية، و تستعمل بنفس المعنى فلا نكاد نرى اختلافاً سواء من حيث الدلالة أو من حيث التوظيف.

ما يلاحظ كذلك أن هذا التأثير لم يكن على مستوى الأفكار والأساليب فقط "بل أدى ذلك التفاعل إلى امتراج مصطلحات العلم الموحد بمصطلحات غيره من العلوم إلى حد أن تبدو بعض الإشكاليات المعرفية التي يولدها هذا العلم كما لو كانت تنسب إلى الإشكاليات المعرفية التي تدخل في علم غيره"<sup>2</sup>. وهذا يرجع في الأساس إلى طبيعة المادة البلاغية التي تمتزج فيها مجالات معرفية مختلفة.

إن هذه السمة التي ميزت علوم اللغة العربية والإسلامية منذ بداية تطورها تجعل الدرس لا يستطيع تصنيف مؤلفهاa تصنيفاً دقيقاً لتدخل وتمازج الموضوعات فيما بينهما "فالباحث الكلامية تتفاعل مع الباحث اللغوية والبلاغية والفلسفية، كما تتفاعل الباحث المنطقية مع الباحث اللغوية، الأصولية"<sup>3</sup> ولعل أهم سبب يرجع إليه ذلك هو أن هذه الباحث إنما حقل دراستها واحد وهو "النص القرآني" وهو محور الصراع وإليه تتطلع المقاصد "ولذا يصبح لازماً قراءة القرآن على ضوء التحديات والمنهجية التي رسمها المفسرون وعلماء الأصول"<sup>4</sup> أي بتوظيف جميع العلوم التي تخدم التفسير عامة دون التمييز بين علم أو آخر مادام يجد فيه الفقيه ضالته، بل حتى أن دراسة مختلف العلوم والتعمق فيها أصبح ضرورة لابد على الفقيه أن يتلزم بها.

هذا الذي جعل جل البلاغيين العرب يوصفون بالموسعين، حيث كانوا يجمعون بين مختلف المعارف الفقهية والبلاغية واللغوية، والجمع هنا من باب التخصص، إذ نجد أن العالم الواحد يتخصص في عدة علوم مختلفة، يتجلّى هذا التوسيع المعرفي بوضوح بين علم البلاغة والنحو واللغة والفقه وعلم الكلام، والإعجاز القرآني، فتتمزج هذه العلوم فيما بينها لدرجة أنه لا يمكنك أن تستل منها خيطاً لفصل علم منها عن آخر "وثمة قرينة أخرى تدل على هذا الفكر غير المجزأ الباحث عن

<sup>1</sup>- د: عبد الحكيم راضي، من آفاق الفكر البلاغي عند العرب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، س 2006، ص: 119.

<sup>2</sup>- د.طه عبد الرحمن، تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط2، ص: 90.

<sup>3</sup>- د.طه عبد الرحمن، تحديد المنهج في تقويم التراث، ص: 90.

<sup>4</sup>- محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص: 24.

الاضطلاع بوضع تفسيري ونحن نجدنا في التداخل الوثيق بين الطرائف والمصطلحات<sup>(1)</sup>. ستبين هذا التداخل والامتزاج الذي يكاد لا ينفصل عن بعضه البعض كلما بحثنا في التراث الفكري البلاغي العربي.

فطريق الاستدلال بجدها في أصول أحكام الشريعة، نفسها في أصول النحو وكذلك علم البلاغة لا تختلف إلا في بعض الجزئيات "إننا نجد في هذه المباحث كلها كلمات: الجميل، الخير، الصلاح (حسن)، القبيح المكانة (المترلة) ما يمكن قبوله (الجائز)، الشبه (القياس)، السبب، العلة، البرهان، الدليل، الحجة، الدليل، التعريف، الحد... الخ"<sup>(2)</sup> وهذه المصطلحات نفس المفاهيم والوظائف سواء عند علماء الأصول أو النحو أو البلاغة وإن اختلف مستوى تطبيقها "ولعل مرجع هذا التشابه في الموقفين إلى أن البلاغيين لم يبدؤوا التفكير في موضوعهم من نقطة الصفر وإنما بنوا صرح البلاغة على أساس من جهود من تقدمهم من النحاة واللغويين، فلا عجب أن تتم الفروع عن الأصول، وتقف البلاغة غير بعيد من موقف النحو واللغة"<sup>(3)</sup>، وإنما تطلب ذلك جهدا كبيرا في بداية الأمر حيث كانت تتسم البحوث البلاغية بالتدخل لكثرة ما تضمنته من مباحث فرعية واستطرادات، وطرائف في بعض الأحيان ليست لها أي صلة بالبحث، مما نتج عن ذلك في الكثير من الأحيان إلى تشتت الفهم وتدخل المفاهيم؛ لأنها تذهب بالقارئ بعيدا عن الوجهة الحقيقية للبحث إذ كانت تفتقد إلى طريق منهجي واضح.

لذا نجد الكثير من أحكام البلاغة تتشابه في أصول نظريتها مع النحو أو اللغة وحتى الفقه الإسلامي وهذا يعود إلى أن البلاغيين، إنما شيدوا أعمالهم وأسسوا نظرياتهم على مبادئ ومناهج هذه العلوم.

## 2-2-مفهوم المصطلح الحجاجي في الفكر العربي القديم :

<sup>1</sup> - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، ص:59.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص: 59.

<sup>3</sup> - حسان ثما، الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عام الكتب، القاهرة،(د.ط)، س 2009م، ص:316.

إن المصطلح الحجاجي في الغالب لا يمكن أن نميز مفهومه عن المصطلحات الأخرى التي تتدخل معه في الحقل الدلالي الاصطلاحي، مثل مصطلح الاستدلال والحجّة و الدليل والاستنتاج والاستقراء والقياس وغيرها من المصطلحات التي ترخر بها المدونات النقدية البلاغية في التراث البلاغي العربي القديم.

### 1- مفهوم الحجاج "الدلالة اللغوية":

في لسان العرب في مادة حجّ "الحجّة: البرهان وقيل الحجّة ما دفع به الخصم، وقال الأزهري الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصوم، وهو رجل محاجج أي جدل والتحاجج: التخاصم وحجه حجا، "غلبه بالحجّة واحتاج بالشيء اخذه حجّة قال الأزهري: إنما سميت حجّة لأنّها تحجّ أي تقصد لأنّ القصد لها وإليها، والحجّة الدليل والبرهان"<sup>1</sup>، فالحجّة تختص بالمنازعات ويؤتى بها عند إقامة الدعوى حسب ما ورد في التعريف السابق ومن جهة "ترادف الحجّة "الدليل"... وهو ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"<sup>2</sup> من هنا ندرك أنّ الحجاج يتوقف حسب التعريف المعجمية على المكتسبات السابقة.

والحجّاج بالمعنى العام "هو جملة من الحجّج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطال رأي، أو هو طريقة تقديم الحجّج أو الاستفادة منها. والحجّة أخيراً، هي البُيْنَة، ومنهم قولهم "البُيْنَة على المدعى" Onus probandi ومعنى هذا إنّ عبء الإثبات يقع على المدعى لا على المنكر"<sup>3</sup> كما أنّ الحجاج أكثر ما نجده في المنازعات الكلامية، كالمنازرات، والمناقشات.

أغلب التعريفات الواردة في المعاجم العربية تتفق على أنّ الحجاج يكون لفك التراعات عن طريق إثبات رأي أو تفنيده، نذكر منها ما جاء في معجم المحيط التعريف التالي: "والحجّة: الوجه الذي به يقع الظفر عند الخصومة، ويقال: حاججته فحجّجته."<sup>4</sup> وكذلك ما جاء في القاموس المحيط بمعنى "الغلبة بالحجّة وكثرة الاختلاف والتردد ..بالضم البرهان والمحاجج الجدل"<sup>5</sup> وهو يتوافق مع

<sup>1</sup>- ابن منظور، لسان العرب، مادة حجّ، دار المعارف، القاهرة، ج 04، ط جديدة ، (د.تا)، ص: 38.

<sup>2</sup>- التهانوي، كشاف إصلاح الفنون، مادة الدليل، مكتبة لبنان الناشرون، ج 1، ط 1، س 1999م، ص: 797.

<sup>3</sup>- جميل صليبا، المعجم الفلسفى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج 1، (د، ط)، س 1982م، ص: 446.

<sup>4</sup>- الصاحب اسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تبع: الشيخ محمد الحسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ج 3، ط 1، س 1981م، ص: 19.

<sup>5</sup>- الفيروز الأبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1، ط 3، س 1301، ص: 181.

التعريف الذي جاء به الأزهري في معجمه "تمذيب اللغة" "أمثال العرب: لجٌ فحجّ". قال بعضهم: معناه: لجٌ فغلب من لاجه بحججه. يقال: حاجته أحاجه حجاجاً ومحاجة حتى حاجته أي غلبه بالحج التي أدلت بها.<sup>1</sup> من خلال هذه التعريف وغيرها يتضح لنا أن الغرض من الحجاج هو حصول الغلبة والمقصود بالغلبة في هذا المقام غلبة الرأي أي يعني الإقلاع ومنه حصول التأثير.

ما يلاحظ كذلك عند تتبع معنى الحجاج في المعاجم العربية أنه ورد بصيغ كثيرة مشتقة من نفس الجذر اللغوي "حج"، منها "التحاجج" كما ورد بمعنى وبصيغة "الحجاج" "المحاجة" كما ذكرت بفك الإدغام "المجاجة" وتعريف "ابن منظور" يكاد يجمع بين كل تلك الصيغ، إذ يذكر "قوله لـحج حاج أي أنه لـحج فتمادي به بحاجه وأداء الحاج إلى أن حجَّ البيتَ الحرام وما أراده أريد أنه حاجَ أهلَه بلحاجه حتى خرج حاجاً والمراجحةُ الطريق وقيل حاجَةُ الطريق وقيل مراجحةُ الطريق سنه والراجحةُ الطريقُ تستقيم مَرَّةً وتعوجُ أخرى وأنشد أجدُ أيمُك من راجحةً إذا استقامَ مَرَّةً يُعوِّجُ والراجحةُ البرهان وقيل الحاجة ما دُوْفعَ به الخصم وقال الأزهري الحاجة الوجه الذي يكون به الظفرُ عند المخصومة وهو رجل مراجح أي جَدِيلٌ والتحاجُّ التخاصُّ وجمع الحاجة حججٌ وحجاجٌ وحاجةٌ مراجحةٌ وحجاجاً نازعه الحاجة وحججه يرجحه حاجاً غلبه على حاجته وفي الحديث فحجج آدم موسى أي غلبه بالحجّة واحتاج بالشيء اتخاذ حجّة قال الأزهري إنما سميت حجّة لأنها تُحجّ أي تقتضي لأن القصد لها وإليها وكذلك مراجحة الطريق هي المقصد والمسلك وفي حديث الدجال إن يخرج وإنما فيكم فانياً حرجيجه أي مراجحة ومقابلته بإظهار الحاجة عليه والراجحة الدليل والبرهان يقال حاجته فأنا مراجح وراجح فعيل بمعنى فاعل ومنه حديث معاوية فجعلت أحجّ خصمي أي أغله بالحجّة وحجّه يرجحه حاجاً فهو مرجوح<sup>2</sup> وعليه فإن لفظ الحاج وكل لفظ مشتق منه إلاً ويعبر عن نفس المعنى الذي يدل عليه لفظ الحاج مع بعض معاني الزيادة التي قد تصيفها بعض الاستلاقات.

جائت لفظة الحاج والآلفاظ المشتقة من نفس الجذر اللغوي من لفظة "حجج" في القرآن الكريم بنفس المعنى اللغوي للفظ الحاج الذي يدل على المقارعة في الكلام باستعمال الدليل العقلي، في الكثير من الآيات نحو قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ"<sup>3</sup> وقوله: "فَمَنْ حَاجَكَ

<sup>1</sup>- الأزهري أبي منصور محمد بن أحمد تمذيب اللغة، تج: عبد الحليم التجار، دار للتأليف والترجمة، ج 3، (د، ط، تا)، ص: 390.

<sup>2</sup>- ابن منظور، لسان العرب، الجزء 2، مادة (ح، ج، ج)، تج: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د، ط، ت)، ص: 779.

<sup>3</sup>- سورة البقرة، الآية: 258.

فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبَهِلُ فَجَعْلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ<sup>1</sup> وقوله تعالى: " هَا أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"<sup>2</sup> فقد اقترن لفظ الحجاج في هذه الآيات كل مرة بالعلم، لأنه هو ركيزته وماله في الوقت نفسه.

## 2- العلاقة السببية بين الاختلاف ومفهوم الحجاج:

عموماً يمكن القول أن لفظة الحجاج في اللغة العربية يدور معناها حول المقصدية، وتكون لتربي ووجهات النظر أو توحيدها والقضاء على ما يمكن أن نسميه بالدافع إلى الحجاج أو سببه، وهو الاختلاف في الرأي، الذي ينحر عنه في الغالب التنازع والتناخص، وإن هذا المفهوم اللغوي العربي يتطابق مع مفهوم الحجاج الغربي عند "بيرلمان" والذي قام على أساسه البلاغة الغربية، إذ يعتبر "الباعث أو المحرك الأول للحجاج هو الاختلاف Disagreement ، فالحجاج لا يكون فيما هو يقيني أو إلزامي، فنحن لا نجاج في أمر مأخذ على أنه حقيقة يقينية راسخة كحقائق الرياضية مثلاً، أو أمر مأخذ على أنه أمر صارم واجب النفاذ"<sup>3</sup> ، فلا يقبل الأخذ ولا الرد، إنما الحجاج يكون فيما هو محتمل، أو ممكن<sup>4</sup>. لكن بقوة الحجاج يصبح حقيقة واقعة وإن تعددت، أو كانت مجرد حقيقة مجانية للواقع قد يتضمن الحجاج في تحسيدها بآليات معينة. هذا ما يعرف في العرف العربي بالعلم "النظري" وهو يتضاد مع العلم "الضروري" الذي يعرف كذلك بالعلم "الفطري" سennifer في ذلك عندما نبحث في علاقة البلاغة العربية القديمة بمسألة الحقيقة التي يسعى إلى تقريرها الحجاج.

<sup>1</sup> - سورة آل عمران، الآية. 61

<sup>2</sup> - سورة آل عمران، الآية. 66.

<sup>3</sup> - د: جليل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص: 106

<sup>4</sup>- Voir : Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhetorique ,p 91.

المخطط التالي يوضح العلاقة القائمة بين المفهوم اللغوي للحجاج وبين الاختلاف:

مظاهر الاختلاف	الدعي	مفهوم الحجاج
	الْحُجَّةُ مَا دُوِّفَ بِهِ الْخَصْمُ	
	الظَّفَرُ عِنْدَ الْخَصْمَةِ	
	رَجُلٌ مِّحْجَاجٌ أَيْ جَدِيلٌ وَالْتَّحَاجُ التَّخَاصُمُ	
	نَازِعُهُ الْحُجَّةَ	
	غَلَبَهُ بِالْحُجَّةَ	
	كُثْرَةُ الْاِخْتِلَافِ وَالْتَّرْدُدُ	

لكن الحجاج هو الطريق السوي الذي يتم به فك الخصومة والتراعي بين الأطراف المختلفة؛ لأنَّه يصل إلى هذه الغاية بطرق سلمية بعيدة عن العنف مهما كان نوعه، ولو عن طريق المغالطة وتزييف الحقائق، وهنا تكمن بلامنة الخطاب الحجاجي وقوته التأثيرية على النفوس، فالطبيعة البشرية تنقاد عن طوعية وعن حب وإعجاب أكثر بكثير مما تنقاد عن إجبار وإكراه.

لكن هذا الاختلاف غير مطلق تماماً، إنما هو مقيد بحقل معرفي معين، قد يظهر وقد يختفي، فيصبح الحجاج الطريقة المثلثى لحل الاختلاف، وهو الطريقة الحضارية السلمية في ذلك.

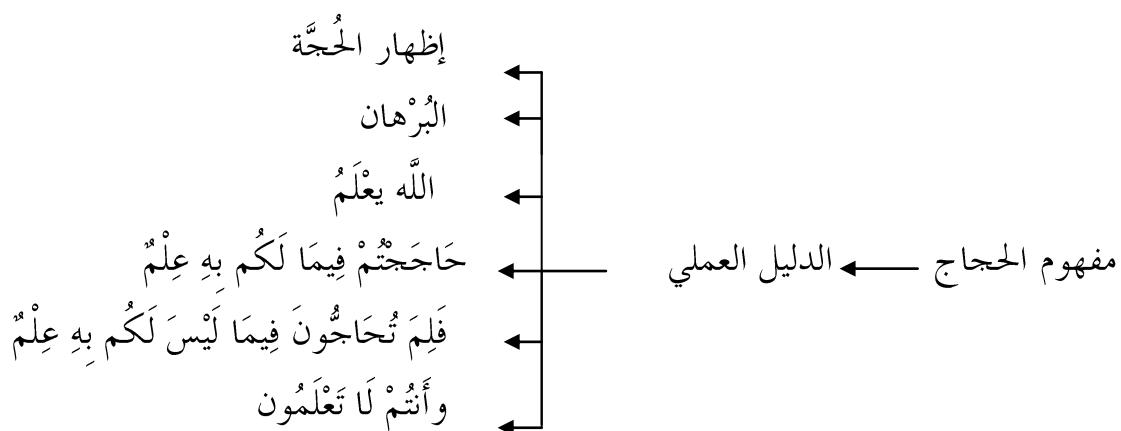
### 3- العلاقة الوظيفية بين مفهوم الحجاج والحقائق:

يلاحظ ارتباط لفظ الحجاج بالعلم في كل التعريف المعجمية السابقة، وكذا في الآيات القرآنية الكريمة، لما للعلم من دور فعال في توجيهه الحجاج وتفعيله؛ لأنَّ الحقيقة العلمية هي من مقومات الحجاج أساسها الدليل العلمي القاطع أو على الأقل الدليل الذي يقارب الحقيقة، وإن مفهوم الحجاج وعلاقته بطلب الحقيقة، يرد بهذا المعنى في الكثير من المعاجم العربية، نحو: "وَمِنَ الْبَابِ الْمَحَاجَةِ وَهِيَ جَادَةُ الْطَّرِيقِ". قال:

أَلَا بَلَّغَا عَنِّي حُرِيشًا رِسَالَةً  
فَإِنَّكَ عَنْ قَصْدِ الْمَحَاجَةِ أَنْكَبْ

وَمُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ الْحُجَّةُ مُشَتَّتَةٌ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنَّهَا تُقْصَدُ، أَوْ بَهَا يُقْصَدُ الْحَقُّ الْمَطْلُوبُ.. . . . . وَالْجَمْعُ حُجَّةٌ. وَالْمَصْدَرُ الْحِجَاجُ.<sup>1</sup> هذا المعنى يمكن أن يكون يتواافق إلى حد بعيد مع الغاية الأساسية للحجاج "والحجارة قد تكون قطعية، وقد تكون إقناعية، فأما القطعية فهي الحجارة التي تفيض اليقين ولا يقصد بها إلا اليقين بالمطلوب وأما الاقناعية فهي الحجارة التي تفيض الظن لا اليقين، ولا يقصد بها إلا الظن بالمطلوب"<sup>2</sup> هذا يدل على أن مفهوم الحجاج واستعماله يرتبط عادة بما هو عقلي جاد وينأى عن كل هزل أو عبث.

نستخلص من التعريف السابقة ما يدل على أن الحجاج لا يمكنه أن يحقق التأثير والإقناع إلا من خلال التوظيف العملي للدليل في المخطط التالي:



العلم في الحجاج ينقسم إلى فرعين أساسين، أولهما العلم بآليات الخطاب الحجاجي البليغ وكذا معرفة الطرق الإجرائية التي يتحقق بها الحجاج، ويعتبر هذا الفرع من العلم أهم العلوم من أراد أن يخوض خطاباً حجاجياً بامتياز ويفهم به خصوصاته؛ فيقول ابن الأثير: "إن في الاطلاع على أقوال المتقدمين من المنظوم والمشور، فوائد جمة، لأنه يعلم منه أغراض الناس، ونتائج أفكارهم، ويعرف به

<sup>1</sup> - ابن فارس أحمد بن زكرياء القرزي، معجم مقاييس اللغة، تج: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج 2، 1399هـ - 1979م، ص: 30

<sup>2</sup> - حافظ الإسماعيلي، مفهوم الحجاج و مجالاته، ج 1، ص: 261 .

مقاصد كل فريق منهم...<sup>(1)</sup>. فليس للمحاجج سبيل إلى ذلك وإن كان عالماً ضلوعاً في موضوع حجاجه.

أما الفرع الثاني الذي يجب على المحاجج أن يجتهد في طلبه وأن يلم بأسراره هو العلم بموضوع حجاجه؛ أي بدراسة موضوع الخطبة، فالرأي الحكم يكون بدراسة عميقه، وإحاطة تامة، واطلاع واسع، وفکر غزير وقويم، لكي يكون كلامه مسدداً، سواء كانت الخطبة مرتجلة أم مهياً<sup>(2)</sup>. لأن ذلك يربطه بمصداقية خطابه الحجاجي فالعلم بالموضوع هو منبع الحقيقة.

عليه فإنّ المحاجج الذي يفتقد العلم بموضوع الحجاج أو قل جزءاً بسيطاً منه فإنه قد يكون عرضة لمصادر أدلته أو التشكيك في كلامه.

بعد تحليل هذه التعريفات المعجمية نخلص إلى أن مفهوم الحجاج في اللغة العربية ارتبط بالسبب الذي من أجله يفعّل الحجاج، وهو الاختلاف في الأفكار والأراء، والجاج يحاول عن طريق توظيفه للدليل القائم على العلم أن يصل إلى الإقناع وهو المقصود بالغلبة في التعريف المعجمية.

### 2-3-المفهوم الاصطلاحي للحجاج في الموروث البلاغي العربي:

إنّ المفهوم الاصطلاحي لا يكاد يختلف عن المفهوم اللغوي للحجاج في الموروث العربي، إلاّ في بعض التفاصيل الدقيقة التي اكتسبها الحجاج عندما لامس البلاغة العربية، حيث أنّ الحجاج في التراث البلاغي العربي يقترن دائماً بالخطاب، ولكي نصل إلى مفهوم الحجاج في الاصطلاح البلاغي لابد من تحديد مفهوم الخطاب أولاً ثم لابد من وصله بالحجاج.

### 2-1-مفهوم الخطاب في البلاغة العربية القديمة:

ورد لفظ الخطاب في المعاجم العربية بمعاني مختلفة، غير أن المعنى الذي يهمنا هو المعنى الذي يدل على الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مُخاطبةً وخطاباً، وهما يتاحطبان. الليث: والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخطيب على المنبر، وانتظر خطب خطابة، واسم الكلام: الخطبة؛ قال أبو منصورٍ: والذِي قَالَ الْلَّيْثُ، إِنَّ الْخُطْبَةَ مَصْدَرُ الْخَطِيبِ، لَا يَحْوِزُ إِلَّا عَلَى وَجْهٍ

<sup>1</sup> - محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، مطبعة العلوم بشارع الخليج، ط1، س: 1934، ص: 20.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ، ص: 48 .

واحدٍ، وَهُوَ أَنَّ الْحُطْبَةَ اسْمٌ لِلْكَلَامِ، الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ الْخَطِيبُ، فَيُوضَعُ موضعَ المَصْدُرِ. الْجَوْهَرِيُّ: خَطَبَتْ عَلَى الْمِنْبَرِ خُطْبَةً، بالضمّ<sup>1</sup>، ونفس المعنى ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع، ومنها قوله تعالى: "رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ، لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا"<sup>2</sup> وقوله تعالى: " وَشَدَّدَنَا مُلْكَهُ وَءَاتَينَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابَ"<sup>3</sup> وَفَصَلُ الْخِطَابِ: الْحُكْمُ بِالْبَيِّنَةِ، أو الْيَمِينِ، أو الْفِقْهُ فِي الْقَضَاءِ، أو النُّطْقُ بِأَمَّا بَعْدُ<sup>4</sup>. البَيِّنَة يقصد بها إظهار الحق، ومنها جاء "البيان" الذي يعد من أهم علوم البلاغة، كما ورد هذا اللُّفْظُ عند النَّحَاةِ، خاصَّةً باشتراقاته المخاطِب والمخاطَب، "من جانب آخر، فلا نعدُ الحقيقة، إذا قلنا إنَّ لُفْظَ الْخِطَابِ، قد وَرَدَ، أَكْثَرَ مَا وَرَدَ، عِنْدَ الْأَصْوَلِيِّينَ، انطلاقاً مِنْ أَنَّ الْخِطَابَ هُوَ الْأَرْضِيَّةُ الَّتِي اسْتَقَامَتْ أَعْمَالُهُمْ عَلَيْهَا.

فقد شكل "الخطاب" محور بحث علم الأصول، "فقد تردد كثير من اشتراقات مادة (خطب) في موضع متعددة عندهم، ومن أبين الأدلة على ذلك إيرادهم لاسم الفاعل (مُخاطِب) ولاسم المفعول (مُخَاطَب) بوصفهما طرفي الخطاب<sup>5</sup>، وهناك تعريف آخر بمعنى الرسالة: (الخطاب) الكلام وفي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ "فَقَالَ أَكْفَلَنِيهَا وَعَزَّزَنِي فِي الْخِطَابِ" والرسالة (مج) وَفَصَلُ الْخِطَابِ مَا يَنْفَصِلُ بِهِ الْأَمْرُ مِنْ الْخِطَابِ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ "وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابَ" وَفَصَلُ الْخِطَابِ أَيْضًا الْحُكْمُ بِالْبَيِّنَةِ أَوِ الْيَمِينِ أَوِ الْفِقْهُ فِي الْقَضَاءِ أَوِ النُّطْقُ بِأَمَّا بَعْدُ أَوْ أَنْ يَفْصِلَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ أَوْ هُوَ خَطَابٌ لَّا يَكُونُ فِيهِ اخْتِصَارٌ مُخْلِلٌ وَلَا إِسْهَابٌ مُمْلِلٌ وَتَاءُ الْخِطَابِ مُثْلُ التَّاءِ مِنْ أَنْتَ وَكَافُ الْخِطَابِ مُثْلُ الْكَافِ مِنْ لَكَ وَالْخِطَابُ الْمُفْتَوِحُ خَطَابٌ يُوجَهُ إِلَيْكُمْ بَعْضُ أُولَئِكَ الْأَمْرَ عَلَانِيَةً (محَدَّثَة)، (الخطابة) (عِنْدَ الْمُنْطَقِيِّينَ) قِيَاسٌ مُؤْلَفٌ مِنْ الْمُظْنَوَاتِ أَوِ الْمُقْبُولَاتِ<sup>6</sup>، وعليه يمكن القول أنَّ مفهوم لفظ الخطاب بصورة عامة هو كلام يراد به إظهار الحقيقة.

### 2-3-2 تقارب مفهوم فن الخطابة العربية من مفهوم الخطابة اليونانية "الريتوريقى":

<sup>1</sup>- ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص: 361.

<sup>2</sup>- سورة النَّبَا، الآية: 78.

<sup>3</sup>- سورة ص، الآية: 38.

<sup>4</sup>- الفيروز آبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، بإشراف: محمد نعيم العرقُسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 8، س 2005 م، ص: 81.

<sup>5</sup>- عبد الحادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 36.

<sup>6</sup>- إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، (د، ط، تا)، ص: 243.

وإنّ هذا المعنى اللغوي يقترب من مفهوم الخطابة، الذي عرفه التراث الأدبي العربي الجاهلي بفن الخطابة، يقصد به ذلك الكلام الذي يلقى على مجموع من الناس حول موضوع معين في محفل معين، وكان جل مواضيع الخطابة الجاهلية وحتى مع الفتح الإسلامي، حول الدين أو الحرب لإثارة الهمم والتأثير في نفوس المستمعين، فهي بذلك فن جماهيري بامتياز، أو طريقة للاتصال المباشر مع الجماهير، وهذا الاتصال يعني وجود ملقي (الخطيب)، وجمهور يسمع له، فكانت الخطابة الطريق أو السبيل الذي يتواصل به الخطيب مع جمهوره، ولها شعبية في المجتمع بسبب فصاحة لغتها، وبساطة ألفاظها، ووضوح عبارتها، بالإضافة إلى المواضيع التي تهتم بجميع شرائح المجتمع وتتناول مواضيع في شتى الميادين. هذا يفسّر "تبلور الحجاج في شتى العلوم والمعارف، بل كان سبباً في تنامي المعرفة بينهم، ولم ينحصر الحجاج في هذه العلوم. بل كان حاضراً في خطب الخلفاء والسلطانين والعلماء الذين كانوا يعمدون إليه بغرض إقناع الجمهرة بأفضلية خيار الخلفاء من بين الخيارات المتاحة في السياق الذي يحفل بهم"<sup>1</sup> وما يلفت الانتباه هنا أنّ فن الخطابة العربية لا يختلف عن نظيرتها اليونانية شكلاً أو مضموناً، وربما هذا الذي جعل المترجمين العرب عند ترجمتهم كتاب "الخطابة" Rhetorique بالخطابة بدل لفظة "البلاغة".

### 3-3-تشابه أطر اشتغال البلاغة العربية مع البلاغة الجديدة:

#### اعتناء البلاغة العربية بجميع أنواع الخطاب:

غير أن الخطابة العربية قد شهدت تطورات مختلفة وغير مسبوقة، وهذا بتعدد مواضيعها، وبمحالات اشتغالها، فانتقلت مادة الخطابة إلى الكثير من الفنون الأدبية الأخرى، عندما صار "الإقناع" الهدف الرئيسي من كل خطاب تقريراً، حتى الخطاب الشعري تغدى بآليات الإقناع، وقبلها كان "يبدو ميل القدامى واضحًا إلى رفض اعتماد الاستدلال وضرور القياس في الشعر مؤكدين أن الحجاج يفقدونه، ما به يكون شعراً أي يسلبه ثوابت الشعرية، ويحوّله إلى خطب"<sup>2</sup>، لكن هذا الطرح سرعان ما تلاشى في ظل التغيرات التي شهدتها الساحة العربية، وإن المكونات الخطابية شكلت المادة الرئيسية للعديد من الفنون على اعتبار أنّ الإقناع كان أهم الدوافع التي قاموا من أجلها أكثر العلوم

<sup>1</sup>- عبد الحادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 459.

<sup>2</sup>- سامية الدرديري، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني، ج 1، ص: 51.

والفنون العربية منها: الماناظرة، فن التراسل، عندها نشأ علم يحاول أن ينظم ويوضع معايير تضبط إنتاج هذه الأنواع من الخطابات المختلفة، عرفت باسم "البلاغة" لذا تعتبر علوم البلاغة الميدان الفسيح الذي رحلت إليه مادة الخطابة وأهم من ذلك "الإقناع".

### التوجهات العامة للبلاغة العربية:

بهذا تغيرت عدة مفاهيم للخطابة العربية، فلم تعد موجهة لعامة الناس أو تلتزم بشكل فني معين، ولم يصبح همها هو إخراجها في أحسن حالة لفظية لا غير كما كانت عليه من قبل في العصر الجاهلي، ومن خلال تصفح تاريخ تطور الخطابة العربية فإنه شهد تقريراً نفس النقلة التي شهدتها الخطابة الغربية المعاصرة، حيث حافظت على نفس مكونات الخطابة التقليدية لكن أصبحت موجهة لأنواع من المستمعين، "لقد أثبتت أرسطو في كتابه (البلاغة) أنَّ الحجاج لا يتحقق بشكل جلي إلا في بعض الأجناس، مثل الخطاب القضائي، والخطاب الاستشاري، والخطاب البرهاني، بيد أنَّ بيرلمان (Perleman)، قد وسع إمبراطورية الحجاج لتشمل مجموعة من الخطابات مثل الخطاب الفلسفية والأدبي والاجتماعي، والأخلاقي، الاقتصادي وغيرها من الخطابات التي تتضمن الحجاج، الأطروحة ووجهات النظر المختلفة"<sup>1</sup> وعلى أساس هذا التوجه المنفتح على جميع الخطابات قامت خطابة "بيرلمان"، نفس الطرح أقرته البلاغة العربية حينما اتخذت مكونات الخطابة مقاييس كل خطاب بلغى مهما كان نوعه، وجعلت منها معايير لتحديد الخطاب بلغى ومن ثم تصنيفه، وأهمها هو مفهوم الخطابة إذ تغير إلى البلاغة التي بها يتم إنتاج كل أشكال الخطاب نثراً كانت أو شعراً.

### المبالغة في التحرير اللفظي ينافي البلاغة العربية:

أما التزيين اللفظي لم يعد ذا أهمية قصوى في الإنتاج الخطابي، إنما "الإقناع" غايته، ب AISER الأسلوب وأكثرها وضوها، كما أن هذه المكونات الخطابية "آليات الإقناع" استعارتها الكثير من الفنون والعلوم لتشهد بذلك تغيير لا مثيل له، وإن هذا المسار قد عرفته البلاغة العربية القديمة قبل أن

<sup>1</sup> د: جميل حداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص: 43.

يقره بيرمان، وإن هذا المبدأ في ضرورة تفادي الزخرف اللغطي يتفق عليه جميع علماء البلاغة وعلى رأسهم الجاحظ "قال: وهم وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة، والتحبير والبلاغة، والتخلص والرشاقة، فإنهم كانوا يكرهون السلطة والهدر، والتتكلف، والإسهاب والإكثار، لما في ذلك من التزييد والماهاة، واتباع الهوى، والمنافسة في الغلو. وكانوا يكرهون الفضول في البلاغة، لأن ذلك يدعو إلى السلطة، والسلطة تدعوا إلى البداء. وكل مراء في الأرض إنما هو من نتاج الفضول."<sup>1</sup> وإن هذا النوع من المبالغة غير المحمودة عرف في علم البلاغة بما يسمى "التتكلف".

لعل نفس الظروف التي ساهمت في تشكيل البلاغة العربية من افتتاح حضاري وازدهار فكري وانتعاش اقتصادي وانتشار التعليم، هي نفسها التي عرفتها النهضة الأوروبية والتي أفرزت عدة مستجدات انعكست على الخطاب البلاغي، فساهمت في بirth البلاغة الغربية الجديدة وتربعها على جميع أصعدة الفنون والعلوم. وإن كان الاختلاف بين البلاغتين العربية والغربية، يكمن في الزمان والمكان وخصوصية كل منها.

### 3-الإقناع من أساسيات البناء الفكري للبلاغة العربية:

وبما أنّ البلاغة الحجاجية لها ارتباط وثيق بالإقناع، وإن البلاغة العربية أخذت مكونات الخطابة التقليدية لتشكيل كل خطاب يسمى إلى الإقناع ؛ فأصبح بذلك مطلب البلاغة العربية، وهذا ما سنقف عليه كلما بحثنا في المدونات البلاغية العربية قديماً. لذا يتوجب علينا أن نفهم معنى الإقناع الذي جعلت منه البلاغة العربية هدفها الأساسي.

#### 3-1-مفهوم الإقناع في الخطاب البلاغي العربي:

جاء لفظ الإقناع من الفعل "قنع": قَعَ يَقْنُعُ قَنَاعَةً: أي رَضِيَ بالقَسْمِ فَهُوَ قَنْعٌ وَهُمْ قَنْعُونَ<sup>2</sup>، كما جاء في المعاجم العربية أن الإقناع يعني "قنع بنفسه قنعاً وقناعةً أي رضي ورجل قانع من قوم قنع وقنع من قوم قنعين وقنيع من قوم قنعين قنعاً، وقد قنع بالكسر يقنع قناعة فهو قع وقنوع قال

<sup>1</sup>- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص: 168.

<sup>2</sup>- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين تج: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الملال، ج 1، (د، ط، تا)، ص: 170.

ابن بري : يقال قنع فهو قانع وقنع أي رضي قال: ويقال من القناعة أيضاً تقنع الرجل أي رضي بما قدم له، وقال بعض أهل العلم: إن القنوع يكون بمعنى الرضا والقانع بمعنى الراضي<sup>1</sup>. ومنه القناعة أي (الرضا) بما قدم، أما القانع فهو (الراضي) فهي صفة تحصل في المتلقى إذا ما اقتنع أي مقتنعاً، راضياً بالأمر. "اقتنع" قنع وبالفكرة أو الرأي قبله وأطمأن إلينه<sup>2</sup> وجاء تعريف الإقناع بصيغة أخرى، بقولهم: معنى الإقناع: أن يعقل نفس السامع الشيء بقولٍ يصدق به وإن لم يكن ببرهان<sup>3</sup> وفي هذا التعريف ارتبط الإقناع بالصدق أو بالبرهان ويمكن أن نقول أن هذه من أسمى أنواع الإقناع وأعلى درجة؛ لأنها يصل بالسامع إلى مرحلة اليقين، بحيث كلما فتش المخاطب في ثنايا كلام المحتج زاد اقتناعاً وإيماناً بصدق دعواه.

بما أنّ البلاغة تقوم على الإقناع، فهي حجاج في أرقى مستوياته، "والناظر المتقصي في أقوال هؤلاء وأولئك يستطيع أن يستخلص من جملتها أن البلاغة هي بمعناها الشامل الكامل ملحة يؤثر بها أصحابها في عقول الناس وقلوبهم من طريق الكتابة أو الكلام. فالتأثير في العقول عمل الموهبة المعلمة المفسرة؛ والتأثير في القلوب عمل الموهبة الجاذبة المؤثرة؛ ومن هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الإقناع على أكمل صورة. وتحليل ذلك أن بلاغة الكلام هي تأثير نفس في نفس، وفك في فكر<sup>4</sup>، لأن مدار الكلام هو إيجاد أحسن الطرق وأيسرها وأقواها لإيصال الأفكار والأحساس وهذه الطرق استدلالات بأنواعها، فإنّ تمكن المتكلم من إخراجها وتفعيتها فقد وصل إلى مرحلة الكلام البليغ.

إنّ الإقناع هو عبارة عن نتيجة للحجاج وعندما يحصل الإقناع يمكن أن نحكم على قوة الحجاج وفعاليته، والطريق الأكثر فاعلية للإقناع هو الخطاب الحجاجي عادة، " فهو عملية خطابية يتوجّي بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك، بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كل منهما شرطاً كافياً ومقبولاً للفعل أو الترك"<sup>5</sup> فالإقناع عنصر من العناصر الأساسية والفعالة في نجاح الخطابة

<sup>1</sup>- ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج 5، ص: 173.

<sup>2</sup>- إبراهيم مصطفى، آخرون، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 763.

<sup>3</sup>- الكاتب البلجي الحوارزمي، مفاتيح العلوم، ترجمة: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، (د، ط، تا)، ص: 177.

<sup>4</sup>- أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، س 1967م، ص: 34، 35.

<sup>5</sup>- عبد الحادي بن ظافر الشهري، مقارنة لغوية تداولية، ص: 451.

والاتصال بشكل عام فبواسطتها يستطيع الخطيب استمالة الجمّهور وكسب تأييدهم وذلك عن طريق تقديم أدلة وبراهين صحيحة وصادقة تؤيد كلامه وتدعّمه.

### 3-2- الدور الإقناعي للبيان:

اهتم العرب الأوائل بعناصر البيان، إذ اعتبروه من بين أهم مقومات التراث العربي وعلى أساسه تقوم جميع العلوم الأخرى، لذا نجد أن البيان هو من بين أول الدراسات التي شغلت العرب، ولا بد أن نشير أن البيان العربي في بدايات الدراسات العربية هو الذي كان يقصد به البلاغة العربية بشكل عام.

#### 1- الفهم مقصود بيان:

يبدو الإرتباط الوثيق بين علم البيان "البلاغة" وبين الفهم إرتباط وثيق، وأن غاية البيان هو الفهم ومن ثم غايتها الإقناع، فقد اتفقت كتب البلاغة على أن البيان هو "الإظهار المعاني وتقريبها للافهام"، وقال: البيان: الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة<sup>1</sup>، ويعتبر كتاب الجاحظ "البيان والتبيين" أول محاولة في فهم ماهية البيان، وقد "تحدث الجاحظ منذ مطلع الكتاب وقبل التصدي للتعریف، عن فعل البيان وأثره ومساوئه العي وضرره، فكشف عن مقصوده بصورة غير مباشرة ومرجعه الدور الإقناعي للكلام وما يتصل به من عناصر إقناعية غير لغویة . كما عرض لهذا الجانب الإقناعي ضمن أخبار وأحداث داخل الكتاب".<sup>2</sup> والحق أن الجاحظ اعنى بالإقناع وبأداته؛ لأنّه كان متأثراً بمذهب المتكلمين، وكذا لأنّه يقف موقف الرد على الشعوبية وإنّ هذين السببين كافيين لأنّ يبينا بأنّ البلاغة العربية هي بلاغة حجاجية قصدية ليست نابعة من فراغ.

يستدل الجاحظ بالرسالة التي جاء بها القرآن الكريم حيث يرى أنّ الله تعالى جاء به: "جميل بلائه في تعليم البيان، وعظيم نعمته في تقويم اللسان، فقال: "الرَّحْمَنُ عَلِمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلِمَهُ الْبَيَانَ"<sup>3</sup>، وقال تعالى: "هذا يَبَانُ لِلنَّاسِ"<sup>1</sup>، ومدح القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل

<sup>1</sup>- ابن رشيق، أبو على الحسن التبرواني الأزدي، العمدة في محسن الشعر وآدابه ، ت: محمد محبي الدين عبد الحميد، دار الجليل، ط 5، س 1981 م ، ج 1، ص: 254.

<sup>2</sup>- د: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 196.

<sup>3</sup>- سورة الرحمن، الآية: من 1 إلى 4.

والإيضاح، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ، وسماه فرقانا كما سماه، وقال: "وَكَذِلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا"<sup>2</sup> وقال: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ"<sup>3</sup>، وقال: "وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَنَاهُ تَفْصِيلًا"<sup>4</sup>. وذكر الله عز وجل لنبيه عليه السلام حال قريش في بلاغة المنطق، ورجاحة الأحلام، وصحة العقول، وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر، ومن بلاغة الألسنة، واللدد عند الخصومة، فقال تعالى: "فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَاقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ"<sup>5</sup> وقال: "وَتُنْذَرَ بِهِ قَوْمًا لُدَّا"<sup>6</sup>. وقال: "وَيُشَهِّدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَّدُ الْخِصَامِ"<sup>7</sup>، وقال: "أَلَهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ حَاصِمُونَ"<sup>8</sup><sup>9</sup>، فالنصوص القرآنية تدل على أن غاية البيان هو إقامة الحجة وهذا يكمن الإعجاز القرآني.

حتى أنّ الحجة أخذت معناها من الإظهار والبيان "وقولهم في الحجة إن كانت معلومة الأجزاء، يقينية التأليف، بينية الاستلزم للمطلب" هو كشمسي في الظهور<sup>10</sup> تشبه الحجة عندما تكون قوية كوضوح الشمس للعيان في وضع النهار الذي لا ينكرها إلاّ واحد أو معاند. وجاء بنفس المعنى لفظ "البرهان": الحجة، قال الله عز وجل: "فُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"<sup>11</sup>، أي حججكم. والماقظ: موضع الحرب، فضربه مثلاً لموضع المعاشرة والمحااجة. والألد: الشديد الخصومة، قال الله تبارك وتعالى: "وَتُنْذَرَ بِهِ قَوْمًا لُدَّا" ، وقال: "وَهُوَ أَلَّدُ الْخِصَامِ"<sup>12</sup><sup>13</sup>. منه نستنتج أن البيان أحد معنى الحجة الحجة في البلاغة العربية القديمة.

<sup>1</sup> - سورة آل عمران، الآية: 138.

<sup>2</sup> - سورة طه، الآية: 113.

<sup>3</sup> - سورة النحل، الآية: 89.

<sup>4</sup> - سورة الإسراء، الآية: 12.

<sup>5</sup> - سورة الأحزاب، الآية: 19.

<sup>6</sup> - سورة مريم، الآية: 97.

<sup>7</sup> - سورة البقرة، الآية: 204.

<sup>8</sup> - سورة الزخرف، الآية: 58.

<sup>9</sup> - المحافظ، البيان والتبيين، ج 1، ص: 31

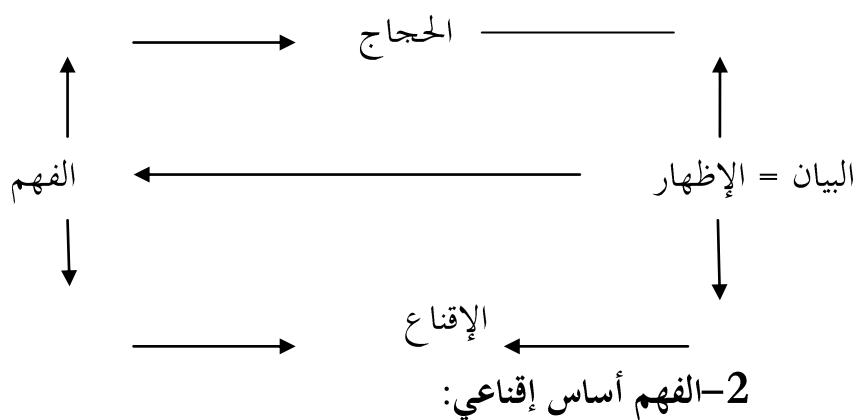
<sup>10</sup> - نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير دراسة في قضية الحجاز في القرآن عند المعتزلة، المركز العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2007م، ص: 192.

<sup>11</sup> - سورة النمل، الآية: 111.

<sup>12</sup> - سورة البقرة، الآية: 204.

## حضور آليات الحجاج في التراث البلاغي العربي

فقد بدأ الجاحظ كتابه "البيان والتبيين" بتعريف معنى البيان موضحاً ارتباطه بالفهم كقوله: "وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى وكلما كانت الدلالة أوضح وأصح، وكانت الإشارة أين"<sup>2</sup> وبعد الوقوف على مجمل القضايا التي أسهب الجاحظ في الحديث عنها، يمكن أن نخلص من خلال هذه العلاقة المتعددة القائمة بين البيان والفهم فـ"الإقناع هو أنّ" "البلاغة إذن توجه إلى العقل أو إلى القلب أو إليهما معاً تبعاً لما تقتضيه حالات المخاطبين من مقاومة الجهل والرأي والهوى منفردة أو مجتمعة. فإذا كان غرض البلاغة نفي جهالة أو توضيح فكرة أو تقرير رأي"<sup>3</sup>، ومنه يمكننا القول أنّ الحجاج في البلاغة العربية يتكون من عنصرين مهمين أولهما البيان وآخرهما الفهم .



السؤال الذي يطرح نفسه هنا عما يكشف البيان وماذا يظهر؟ ، تكمن الإجابة في أنّ "(البيان) الحجّة والمنطق الفصيح والكلام يكشف عن حقيقة حال أو يحمل في طياته بلاغاً وعلم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطريق مختلفة من تشبيه ومحاز وكنية"<sup>4</sup>، كما يرى الجاحظ أن البيان له قواعد وأسس حتى يرقى إلى الإقناع يقول في ذلك: " وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى قيام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتمكيل الحروف وإقامة الوزن، وإن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة، كحاجته إلى الجزالة والفحامة، وإن ذلك من

<sup>1</sup>- المرد أبو العباس، الكامل في اللغة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط.3، س: 1997، ج.3، ص: 44.

<sup>2</sup>- الجاحظ، البيان والتبيين، ج.1، ص: 81.

<sup>3</sup>- أحمد حسن الزيارات، دفاع عن البلاغة، 36.

<sup>4</sup>- إبراهيم مصطفى، آخرون، المعجم الوسيط، ج.1، ص: 80.

أكثر ما تستعمال به القلوب، وتنبني به الأعناق، وتزين به المعاني، وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام، واللسان<sup>1</sup>، الكشف في البيان يكون بإظهاره والوضوح في الكلام قصد الوصول إلى الحقيقة التي لها وقع وأثر على السامع.

### 3- العقلانية الحجاجية شرط مكون للبيان :

إنّ من المقومات الأساسية للحجاج هو أن يتتصف الخطاب بالمعقولية، فإننا نجد نفس هذا الطرح موجود في البلاغة العربية، ومتقى بالبيان حيث يقول الجاحظ في ذلك "وقال سهل بن هارون: العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم وقال صاحب المنطق: حد الإنسان: الحي الناطق المبين. وقالوا: حياة المروءة الصدق، وحياة الروح العفاف، وحياة الحلم العلم، وحياة العلم البيان."<sup>2</sup> فقد أقر الجاحظ أن البيان لا بد أن يتسم بشيء من العقلانية؛ لأنه من خصائص الإنسان العاقل، فلا نجد عند أي من الكائنات الأخرى لأنها لا تتميز بالعقل.

على اعتبار أنّ البيان هو الذي ينقل المعارف بأوضح العبارات وأدقها فإن إختل ذلك حصل انقطاع لحبل الإتصال وقد تأخذ العملية بعدها مغايراً، فتتبعد المعرفة وتبقى مهمة حبيسة الأفكار و"السر في ذلك إن ضروب المعرفة تقوم على ملكات المحصلة، وتعتمد على العقل المجرد، والتثبت بالدليل القاطع، ولكن التثبت ليس معناه الإقناع، فإن الإقناع لا يكون بغير السيطرة على النفس، والسيطرة على النفس لا تتم بغير البلاغة وهي وحدتها التي تعتمد بالعقل في إدراك الخير، وبالذوق في إدراك الجمال، وهي وحدتها التي تنفذ إلى القلب بسلطان غير ملحوظ، وتأثير في الذهن ببرهان غير ملفوظ، وتذهب في تصوير الواقع وتقرير الحق"<sup>3</sup>. وكما نعلم أنّ المعمول والتعقل لا يتحرّكان إلا في ظل الاستدلال الصحيح.

هذا ما نلمسه في كتاب الجاحظ الحيوان في قوله : "لولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى، كما أنه لو لا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى (...)" وللعقل في خلال ذلك

<sup>1</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص: 36.

<sup>2</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص: 83.

<sup>3</sup> - أحمد حسن الزيارات، دفاع عن البلاغة، ص: 38.

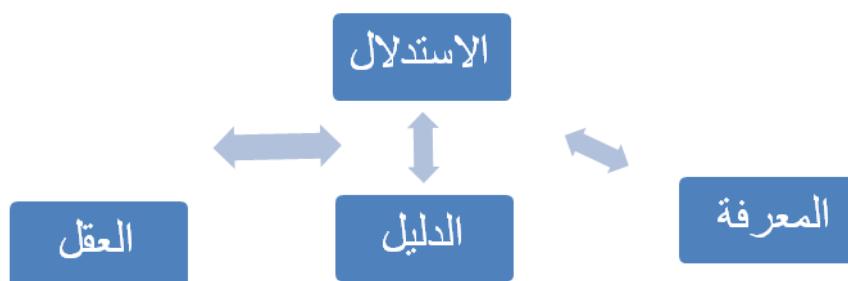
## حضور آليات الحجاج في التراث البلاغي العربي

مجال، وللرأي تقلب، وتنبشق للخواطر أسباب، ويتهيأ للصواب الرأي أبواب<sup>(1)</sup> فالجاحظ من خلال هذا النص يقف على المقومات الأساسية في العملية الاستدلالية وهي:

**1- توظيف المعرف**: المعرف هي المكتسبات القبلية "المقدمات" وتكون على شكل فرضيات، بديهيات، نتائج مستخلصة من استدلالات سابقة التي تقود بالضرورة إلى الحقائق أي معارف جديدة،

**2- الدليل الصحيح**: إذا لا تنفع الحقائق إذا ساء استخدامها والتي يكون بها التفكير السليم لا بد أن يحسن المستدل اختيار استعمال هذه المعرف، فإن استغلال المعرفة في أحسن وجه هو الذي يؤهل الكلام أن يتصف بالبيان وهذا ما عَبَر عنه في قوله: "واللسان لا يكون أبداً، ذاهباً في طريق البيان، متصرفاً في الألفاظ، إلّا بعد أن تكون المعرفة متخاللة به، منقلة له واضعة له في مواضع حقوقه، وعلى أماكن حظوظه، وهو علّة له في الأماكن العميقـة، ومصـرفة له في الموضع المختلفة"<sup>(2)</sup>.

**3- العقل**: وهو المحرك الرئيسي للعملية الاستدلالية إذ به يتم التفكير والتنظيم والتمييز فهو بذلك يحدد المقومات الأساسية التي يبني عليها الاستدلال الصحيح الذي تبني عليه المعرفة لنلخص هذه المقومات في المخطط التالي:



يكاد نص الجاحظ التالي يجمع بين طياته الآليات التي يتم بها الحجاج في البلاغة؛ من خلال الإجابة على السؤال الذي طرحته الجاحظ في كتابه.

"قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل.

<sup>1</sup> - الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، س: 1424، ج 06، ص: 115.

<sup>2</sup> - الجاحظ، الحيوان، ج 01، ص: 117.

وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

وقيل للروماني: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغارة يوم الإطالة.

وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر باللحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة.

ثم قال: ومن البصر باللحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكتابة عنها، إذا كان الإفصاح أو عر طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك، وأحق بالظفر<sup>1</sup> نلاحظ أن المعنى العربي للبلاغة له علاقة مباشرة باللحجة وكيفية توظيفها، فالبلاغة العربية ما هي إلا عملية حجاجية بحثة في نظر الجاحظ.

#### 4- أطراف العملية الحجاجية في التفكير البلاغي العربي:

##### 1- المخاطب، المتكلم: "الحجاج"

أولت البلاغة العربية اهتماماً بالغاً للمتكلم باعتباره الآلة التي تصنع البلاغة؛ باعتبار أن "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة". وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقـة. ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعانـي كلـ التدقيق، ولا ينـقـح الألفاظ كلـ التنـقـيـح، ولا يصفـها كلـ التـصـفـيـة، ولا يهـذـبـها غـاـيـةـ التـهـذـيـبـ،<sup>2</sup> إنـ هذهـ الصـفـاتـ الـتـيـ يـجـبـ أـنـ يـعـمـلـ المـتـكـلـمـ عـامـةـ عـلـىـ أـنـ يـتـسـمـ بـهاـ هـيـ فـيـ حـقـيقـةـ الـأـمـرـ جـوـهـرـ الـعـلـىـ الـحـاجـاجـ، الـتـيـ نـصـتـ عـلـيـهـ الـبـلـاغـةـ الـجـدـيدـ.

قد أورد الجاحظ نصاً "لبشر بن معمر" يكاد يجمع بين سطوره كل ما يجب أن يكون عليه البلوغ، حيث "مرّ بشر بن المعمر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب، وهو يعلم فتيانهم الخطابة، فوقف بشر فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلاً من النظارة، فقال بشر: اضربوا عما قال صفحاً واطروا عنه كشحاً. ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه، وكان أول ذلك الكلام: خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإنجابتها إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرم

<sup>1</sup>- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص: 91.

<sup>2</sup>- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص: 95.

جوهرا، وأشرف حسبا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطاء، وأجلب لكلّ عين وغرة، من لفظ شريف ومعنى بديع. وأعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول، بالكد والمطاولة والمحايدة، وبالتكلف والمعاودة. ومهما أخطئك لم يخطئك أن يكون مقبولاً قصداً، وخفيفاً على اللسان سهلاً، وكما خرج من ينبوغه ونجم من معده. وإياك والتوعّر، فإن التوعّر يسلّمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويُيشِّنُ ألفاظك. ومن أراغ معنى كريماً فليتمس له لفظاً كريماً، فإن حقّ المعنى الشريف للفظ الشريف، ومن حقّهما أن تصوّنهما عما يفسدّهما ويجهّنهما، وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتّمس إظهارهما، وترهن نفسك بملابسهما وقضاء حقّهما. فكن في ثلاثة منازل، فإن أولى الثالث أن يكون لفظك رشيقاً عذباً، وفحما سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، أما عند الخاصة إن كنت للخاصية قصدت، وإنما عند العامة إن كنت للعامة أردت. والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معانٍ الخاصة، وكذلك ليس يتّضَع بأن يكون من معانٍ العامة<sup>1</sup>. ما نلاحظه أثناء تصفح كتب البلاغة العربية بعد الجاحظ أنها تكاد تجمع على هذه الصفات مع بعض التفاصيل، فهناك من جعل هذين النصين مرجعاً أساسياً يرتكز عليهما في التعقيد لصفات البليغ وللبلاغة عامة، حتى أنّ منهم من أورد أحد النصين أو كلامهما ليستدل به على كلامه.

من هذه النصوص، ومن نصوص أخرى غيرها يمكن أن نستتّج المخطط التالي الذي يوضح عناصر آلّة البلاغة كما حددتها البلاغة العربية في المقابل عناصر البلاغة الجديدة التي تتوافق معها.

البلاغة الجديدة	البلاغة العربية القديمة
الاتصال الفكري، مواضع الأفضل تكيف الخطيب مع مستمعيه	رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ اختيار أفضل الأوقات لتحرير الخطاب وكذا إجابتها إياك.
الدلالة، اختيار المعطيات وكيفية تكييفها مع الحجاج، إبراز العناصر المهمة	اختيار أحسن اللفظ، وعدم تدقّيق المعانٍ

<sup>1</sup> - الجاحظ البيان والتبيين، ج 1، ص: 130.

اللغة الطبيعية المتداولة المفهومة لدى المخاطب، اختيار النعوت، الروابط بين الجمل. مقدمات مسلم بها مقبولة	يكلم الناس حسب طبقاتهم الاجتماعية والثقافية ، لا ينفع الألفاظ كل التبيح، الفهم والإبانة متداولا بين الناس تجنب الوعر والتعقيد
تصور الوجه البلاغية على أنها تقنيات حجاجية.	تحرى المعانى البدعة
سعة الحجاج، كفاءة الخطيب	طول الممارسة والاجتهاد في طلب الأحسن
تنوع المستمعين: المستمع الخاص، المستمع الكوئي	الخطاب يوجه للعامة وللخاصة

يرى المحافظ على لسان "بشر بن معمر" أنّ صناعة الخطابة ليست متاحة للجميع لكن يمكن للمرء أن يتعلمها ويصبح متلقينا لها، هذا "إن ابتليت بأن تتكلّف القول، وتعاطي الصنعة، ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة، وتعاصي عليك بعد إجالة الفكر، فلا تتعجل ولا تضجر، ودعه بياض يومك وسوداد ليتكلّك، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك، فإنك لا تعدم الإجابة، ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعانى، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعانى، ويقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"<sup>1</sup>. فهنا نلمس كذلك بعض الآليات الاقناعية، أهمها: المقام، معرفة أحوال المستمعين، وفي قوله التالي: "والخطيب يقنع بالأخلاق إذا كان كلامه يلقي على نحو يجعله خليقاً بالثقة"<sup>2</sup> يتضمن مسألة القيم التي ينبغي أن يبني عليها كل خطاب حجاجي، بلين.

## 2- المخاطب المتلقى ، "المستمع" :

<sup>1</sup>- المحافظ، البيان والتبيين، ج 1، ص: 130.

<sup>2</sup>- د: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، إفريقيا الشرق، ط 2، (د.تا)، ص: 27.

إنَّ الاختلاف بين مستويات المستمعين من الناحية (الثقافية، المترلة الاجتماعية، الحالة النفسية، المعتقدات الدينية، الخلفيات الإيديولوجية)، كلها عوامل تفرض على الحاجج أن يراعيها ويبني على أساسها خطابه الحجاجي "إذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقى بكلام السوق، والبدوى بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه؛ فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب"<sup>1</sup>. فمعرفة طبقات المستمعين وطباعهم وأحوالهم توفر على الخطيب الكثير من الكلام الذي قد لا يفهم معناه، فيصبح محل مصادر للكلام، بل وتذهب معه ثقة المتكلم.

إنَّ الإقناع مسألة تتعلق بالمتلقي أكثر من الحاجج؛ لأنَّ إليه يصل الخطاب، ولا تخيل أن المتلقي صفة بيضاء نرسم فيها ما نشاء ويتقبل كل شيء بصدر رحب، بل بالعكس تتجادبه عدة أطراف تحكم في رغباته وتحدد ميوله واتجاهاته وتفرض عليه أفكار شتى، "ومدار الأمر على إفهام كلّ قوم بقدر طاقتهم، والحمل عليهم على قدر منازلهم؛ وأن تواتيه آلتة، وتتصرف معه أداته، ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الظن بها مقتضاها؛ فإنه إن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن أو دعها تهاون الآمنين، وإن تجاوز بها مقدار الحق في التهمة ظلمها وأودعها ذل المظلومين. ولكل ذلك مقدار من الشغل، ولكل شغل مقدار من الوهن، ولكل وهن مقدار من الجهل"<sup>2</sup>. من هنا تنطلق مهمة الحاجج الصعبة، وعلى أساسها يتسم بالمهارة والخدق في اختيار وتصريف أنواع الحجج التي تتلاءم ومقتضيات خطابه الحجاجي.

حتى أنَّ الألفاظ التي يوظفها الحاجج تكون منتقاة بعناية جد فائقة حتى لا يقع في مواقف محرجة؛ لأنَّ الألفاظ لها دلالاتها الخاصة التي ترتبط ببعض الثقافات دون الأخرى؛ لأنَّ "كلّ قوم ألفاظ حظيت عندهم. وكذلك كلّ بلغ في الأرض وصاحب كلام منتشر، وكلّ شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون؛ فلا بد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظاً بأعيانها؛ ليديرها في كلامه، وإن

<sup>1</sup> - العسكري، الصناعتين، ص: 20.

<sup>2</sup> - العسكري، الصناعتين، ص: 20.

كان واسع العلم غزير المعاني، كثير اللّفظ.<sup>1</sup>، وإنّ هذا يتواافق مع ما تذهب إليه البلاغة الجديدة في اعتمادها اللغة الطبيعية المتداولة فهي مادة الحجاج ومنبع قوته.

كل لغة تحتوي على ألفاظ مستحبة وأخرى مستكره؛ واللّفظ المستكره في حقيقة "ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وُضع له في أصل اللغة، فغيّرّته العامة وجعلته دالاً على معنى آخر"<sup>2</sup> فتعبر به العامة على معنى قبيح، فإذا استعمله المتكلّم أحاط من قيمة الكلام وأخرجه عن نطاق الكلام البليغ رغم أنّ هذه الألفاظ متداولة بين العامة غير أنها مكروهة، منبودة، فإنّها تحكم على الكلام عامة بالابتذال وعلى المحاجج بضعف الحجة وقلة العقل. لذا كان لازماً على المخاطب الحذر أن يجتهد في الإطلاع على مثل هذه الألفاظ خاصة إذا كان الكلام موجّه إلى نوع من المستمعين لم يسبق للمخاطب التعامل معهم، من هذا الطرح يبدو لنا جلياً مدى التفصيل في مسألة المقام، التي أوّلتها البلاغة الجديدة "بلاغة بيرمان" أهمية قصوى والتي اعتبرت بمقامات الكلام لكن دون أن تفصل في ذلك كثيراً.

بما أن الغرض الأساسي في العملية الحجاجية هو الإقناع والتأثير فيلزم المخاطب أن يبحث في الظروف المحيطة بالمخاطب التي تسهل وتفعل هذه العملية بحيث يستغل كل موقف مهما كان شكله لحسابه وعادة ما "يُبَيِّنُ فعل الإقناع وتوجيهه دوماً على افتراضات سابقة بشأن عناصر السياق خصوصاً المرسل إليه والخطابات السابقة والخطابات المتوقعة"<sup>3</sup>، كل هذه العناصر لابد أن تكون من اهتمامات المتكلّم؛ لأنّه "إذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول، لم يبلغ القائل في منطقة، وكان النقصان الداخلي على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه".<sup>4</sup> فعملية البحث الحجاجي تبدأ بالحضور الذهني للمستمع وتنتهي بالإقناع.

### 3- الخطاب الحجاجي:

#### 1-المقام : "مراجعة مقتضى الحال"

<sup>1</sup>- المحافظ، الحيوان، ج 3، ص: 174.

<sup>2</sup>- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تج: أحمد الحوفي، بدوي طباعة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، (د، ط ، تا)، ص: 196.

<sup>3</sup>- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص: 444.

<sup>4</sup>- المحافظ، الحيوان، ج 2، ص: 215.

قبل الكلام على أنواع الاستدلالات "الحجج" التي افترضت البلاغة معظمها من المنطق الأرسطي، لابد لنا الكلام عن أهم ما يجب أن يلتزم به المخاطب حتى تكتمل لديه صنعة البلاغة، وهي مراعاة "مقتضى الحال"، والالتزام بعدها "لكلّ مقام مقال"<sup>1</sup>. إذ يعتبر ذلك بمثابة قاعدة لا يتحرك البلوغ إلاً ضمنها، ويقصد بمراعاة مقتضى الحال هو "إذا شرعت في الكلام فلكلّ كلمة مع صاحبتها مقام ولكلّ حد ينتهي إليه الكلام مقام وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال"<sup>2</sup>، الذي يرно إلى بناء الخطاب البلاغي الإقناعي "إذ قد تحققت أن علم المعاني والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام ومعرفة صياغات المعاني ليتوصل بها على توفيقية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفي به قوة ذكائه وعند علم مقام عندك أن الاستدلال بالنسبة علىسائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها وشعبة فردة من دوحتها علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خوصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان"<sup>3</sup>. ويقصد في هذا النص "سائر مقامات الكلام" كل التغيرات التي تؤثر في مجريات الكلام سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، والتي تتحدد بها ملامح الحاجج لذا يجب أن يحسن الحاجج توظيفها حتى يصل بها إلى الإقناع، ومنها يمكن للمقام أن يرتكز على العناصر الخطابية التالية:

### 1-القصد من إنتاج الخطاب:

إنّ مواضع الكلام تتتنوع وتتبادر لذا من مما يجب على الحاجج أن يبقى يجاجج في إطار موضوع الكلام الذي يقصد، على اعتبار أنّ كلّ كلام إلاً وبين على مقصودية، فيحرص المتكلّم على أن لا يخرج عن مقصود الكلام تحت أي ظرف؛ "يكون إنتاج الخطاب بين طفيفه مرهوناً بهم مقاصد المرسل، وذلك في الحاجج مثلاً، وفي الاستراتيجيات التي تبلور العلاقة بين طرفي الخطاب، ويتم ذلك بإدراك مقاصد بوصفها الإدارية أم مقاصد بوصفها المعنى، وبيني على عدم فهم القصد إنتاج خطابات غير مناسبة للسياق"<sup>4</sup>، يتضح من هنا أن عملية فهم معانٍ الخطاب لها علاقة بإدراك

<sup>1</sup>- العسكري، أبو هلال حسن بن عبد الله، الصناعتين، ترجمة علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، (د، ط)، 1419م، ص: 27.

<sup>2</sup>- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي ، مفتاح العلوم، ترجمة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987م، ص: 168.

<sup>3</sup>- السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 432.

<sup>4</sup>- عبد الحادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 211.

مقاصد المخاطب وحتى عملية التأويل توقف عليه، لذا "فلا يخلط بين أقدار الألفاظ وأقدار المعاني، ولا يتصنّع الجد حيث يجب الهزل،"<sup>1</sup> كما لا بد أن يكون متبعاً للمستجدات التي قد تطرأ في غير حينها، ويكون مستعداً لأي طارئ مفاجئ، فيعرف كيف يتعامل معه بكل مهارة دون أن يخل ببلاغة الخطاب، إنما المخاطب الكفاء قد يستغل تلك المستجدات ويوظفها لصالحه.

قد أكد الجاحظ على ضرورة الالتزام بمسألة مراعاة الموضوع في قوله: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة التشكير ببيان مقام الشكائية ومقام التهنئة ببيان مقام التعزية ومقام المدح ببيان مقام الذم ومقام الترغيب ببيان مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك ببيان مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء بغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال بغاير مقام البناء على الإنكار"<sup>2</sup>، فالعلاقة التي بينها الحاجج بين المقام وموضوع الخطاب تفرض عليه نسقاً خطابياً معيناً يحاول أن يجمع له أقوى الأدلة والأدوات المتاحة ليضمن حصول التأثير.

## 2- جنس الكلام:

إنّ أجناس الكلام تختلف فيما بينها، وهذا الاختلاف يفرض على المتكلّم أن يراعي الجنس الكلامي الذي اختاره كي يكون الرسالة التي تحمل كلامه للمستمع، وقد نبه البلاغيون العرب على هذه المسألة خاصة عندما فرقوا بين خصائص الشر والشعر، حيث لاحظوا "أن في الشعراء من يجعل أكثر معانيه وألفاظه مخيّلة ولا يعرج على الإقناع الخطابي إلا في قليل من الموضع، وفيهم من يقصد الإقناع في كثير من معانيه - لأن صناعة الشعر تستعمل يسيراً من الأقوال الخطابية كما أن الخطابة تستعمل يسيراً من الأقوال الشعرية لتعتضد المحاكاة في هذه بالإقناع والإقناع في تلك بالمحاكاة".<sup>3</sup> فالمراعاة الجنس الخطابي يحدد نوع الحجاج وطريقة ترتيبها وكذلك كيفية عرضها بالطريقة التي تتناسب والجنس الكلامي فليس من المعقول أن نجاج على طريقة الحجاج المنطقية ذات الصرامة العلمية ونخن مع الجنس القصصي.

<sup>1</sup>- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص: 211.

<sup>2</sup>- السكاكي، مفتاح العلوم، 168.

<sup>3</sup>- حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت: محمد الحبيب ابن حوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط.3، (د، تا)، ص: 293.

**3-آلية الاستدلال:**

ربط علماء البلاغة آلية الاستدلال بالبيان، وهذا ما ذهب إليه ابن المعتز في وصفه للبيان عندما قال: "البيان ترجمان القلوب، وصقيل العقول، ومجلبي الشبهة وموجب الحجة، والحاكم عند اختصار الظنون، والمفرق بين الشك واليقين، وهو من سلطان الرسل الذي انقاد به المعتضب، واستقامة الأصياد وسلم الممتنع"<sup>(1)</sup>. في هذا النص يكاد يجمع كل أغراض الحجاج، وعليه فإن البيان "البلاغة العربية" من مقاصدها الرئيسية "الإقناع" الذي نصل إليه بالحجاج.

إنّ البلاغة العربية لم يعد المهدف منها بث المتعة والسرور في النفس، إنما هدفها يقوم على توضيح المتتبّس وإقامة الحجة أو الدليل للوصول إلى الإقناع، وهذا الأخير من أهم ما تصبووا إلى تحقيقه البلاغة عن طريق الخطاب المبين، وقد أقرّ الجاحظ بهذا المهدف في كتابه الحيوان بقوله "ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله، ووجوه ما نتج له الاستدلال، وسموا ذلك بيانا"<sup>(2)</sup> فالكلام البليغ هو الكلام الذي يعتمد على الاستدلال، الذي هو من آليات الإقناع، إذ لابد للحجاج أن يكون موافقاً لما يقرره العقل وإلاّ وصف الكلام على أنه مجرد ضرب من اللغو.

تعددت المقاصد التي ترتو بلوغها البلاغة العربية غير أنّ " موقف البيانيين، من المعرفة الاستدلالية موقف واحد من الناحية الاستدللولوجية، المعرفة النظرية أو الاستدلالية هي التي تحصل بتوسط النظر، أو تتولد عن النظر، والنظر يكون في الدليل والدليل أمارة أو علامة ترشد إلى المدلول، والعلاقة بين الدليل والمدلول ليست ضرورية بمعنى أنها لا تخضع لمبدأ السببية"<sup>(3)</sup>. فهي علاقات متنوعة تربط الدليل بالمدلول منها: (اللزوم، تمثال، تباه...) إلخ لكن كلها تقوم على المنطق السليم، الذي يفرض النظام والترتيب والمعقولية المحتملة.

إنّ مرجع هذه الرؤية الاستدللية في البلاغة العربية للمدرسة الأصولية التي اعتمدت على مبادئ الاستدلال في علم الفقه الإسلامي، من خلال "وضع الشافعي الأساس لنظرية "أصولية" بيانية، نظرية هتّم بتحديد أصول التفكير ومنطلقاته وآلياته واهتمامها بدراسة أنواع الألفاظ والعبارات من

<sup>1</sup> - أبي إسحاق إبراهيم الحصري، زهر الآداب وثغر الآداب، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ج1، ط1، 2001 م، ص:136.

<sup>2</sup> - الجاحظ: الحيوان، ج1، ص:33.

<sup>3</sup> - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص:222.

حيث دلالتها على المعاني<sup>(1)</sup>. فقد كان للشافعى دوراً كبيراً في توجيهه البحث البىانى توجيهها استدلايا معتمداً التفكير والملاحظة وكل صور الاستدلال السليم من استنتاج واستقراء وقياس لإعطاء أحكام مقبولة، والخروج بنظرية علمية تعتمد على مبادئ عقلية.

من هذه المرجعية الأصولية للمقاييس البلاغية وغيرها من المرجعيات الأخرى أخذ مصطلح الاستدلال ألفاظ أخرى تداولها علماء البلاغة، ومنها: "القياس، الاستدلال، النظر، الاعتبار، أسماء علمية ذهنية واحدة تقوم على تقدير شيء آخر جامع بينهما"<sup>(2)</sup> فجميع هذه المصطلحات سواء الاستدلال أو القياس أو جميع صفات الاعتبار، هي كلمات لفهم واحد إنما كل حقل معرفي تبني إحداها وتعامل مع لفظ دون سواه حسب ما اختار واعتاد أهل كل اختصاص عليه.

يمكن استنتاج "أن مفهوم الاستدلال عند العلماء والبلغاء العرب عدا أهل المنطق والبرهان – كان يتم استقصاء القول فيه ضمن إطار علم البلاغة وعلم المعاني والبيان، معنى ذلك إنهم ميزوا بين أسس بيانية (بلاغية – فقهية – نحوية.. الخ)، والاستدلال البياني، إن صحة التعبير، هو ما يشكل دليلاً أو دلالة، معنى، البينة أو الحجة، كمعايير يحصل بها التبيين أو إظهار الحق وصدق الخبر، وفي المنظور العربي اللغوي – البلاغي بحد مفهوم الاستدلال (الترادف للقياس أيضاً) لا يخرج عن حظيرة التشبيه والوصف والاستعارة ومن ثم فهو ليس عملية عقلية استنباطية محضة، بل عملية "خطابية" يتم بمحاجتها اتخاذ عالمة مادية أو معنوية وجعلها شاهداً أو مثلاً على شيء أو وصفة من صفاته، لذلك لا يخرج الاستدلال عن دائرة التشبيه والاستعارة وبشكل أعم عن دائرة المحاجة"<sup>(3)</sup>. إن هذا ما سنقف عليه كلما تصفحنا المدونات البلاغية العربية.

## 5-آلية الاستدلال في الخطاب البلاغي العربي:

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي ، ص:24.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص: 144.

<sup>3</sup> - أحبيب أغرب: المحاجة والاستدلال المحاجي، ص:124.

## 5- المفهوم الإجرائي لآلية الاستدلال عند الجاحظ:

أهم ما يمكن أن نستتبّطه من نصوص الجاحظ السابقة الذكر، ومن نصوص أخرى غيرها (يرجع إليها في كتاب البيان والتبيين أو الحيوان): "أن مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي، أي أنه العملية الموصلة إلى الفهم والإفهام في حالة اشتغالها"<sup>1</sup> والاشتغال يكون بحسن استخدام وسائل إنتاج الخطاب وطرق أداء المعنى وهذا ما أراد تأكيده عندما أتى بمفهوم البيان للعتابي "إنما عنى العتابي إفهامك العرب حاجتك على محاري كلام العرب الفصحاء"<sup>2</sup> ويعني محاري كلام العرب الفصحاء، وعدم الخروج عن القواعد العامة للكلام العربي الفصيح، فهو يأخذ الكلام ويقيسه مع الكلام العربي الفصيح "كلام أهل البوادي"، فإن كان يتوافق معه حكم عليه بالبلاغة والبيان، وما خرج عنه رد على صاحبه ونُعت بالعيّ والرداءة، فهو يطبق المنهج الاستدلالي ومن ثم يقيم الكلام وينقده.

هنا نص أورده الجاحظ على لسان العتابي إذ يقول: "قلت للatabي: ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعاناً فهو بلغ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة، ويفوق كل خطيب، فإظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق"<sup>3</sup> إذا ما تويقنا عند هذا النص وتفحصناه ملياً أدركتنا القصد من البلاغة وهو بلوغ الهدف من الكلام من دون تكرار ممل أو تردد أو محاولة الاستعana بغيره ثم إن كل هذا يترك انبهاراً بجمال العبارة، وهنا يدخل ضمن بلاغة الحجاج ورؤافده، فهي تسعى إلى تقرير الحقيقة دون زيف أو كذب، وكذلك توظف آليات الحجاج من أجل التحوير والتظليل كالمغالطات المنطقية لتحوير الحقيقة وهذا ما قصده من تصوير الباطل في صورة الحق.

رغم ما يلاحظ على "كتاب الجاحظ" البيان والتبيين" من غزارة المادة الأدبية التي تناولها والتي تتسم بالكثير من الفوضى، فقد سار مع ذلك في كتابه الذي بهمنا هنا كتاب "البيان والتبيين" حسب تصميم منطقى "مضمر" عرض من خلاله العملية البيانية بمختلف مراحلها"<sup>4</sup>، وفي كل مرحلة

<sup>1</sup> - محمد العمري، البلاغية العربية، أصولها وامتدادها، ص: 191.

<sup>2</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص: 162.

<sup>3</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين ، ج 1، ص: 112.

<sup>4</sup> - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص: 26.

من هذه المراحل إلاّ ويربطها بالمنهج الاستدلالي وإن لم يذكر ذلك صراحة<sup>(1)</sup>، خاصة طريقة الاحتجاج التي "تبني على معطيات تاريخية وتستمد قدرتها على الإقناع من إقرارها أمراً واقعاً وحدثاً تاريخياً ثابتاً، وهي لا تتأتى إلا لعقل الجاحظ يجد الحجة حيث طلبها"<sup>(2)</sup> والواضح من المادة النقدية التي يقدمها الجاحظ أنه يستثمر آلية الاستدلال، ويوظفه في كل خطوة يخطوها مع إشارة كل مرة إلى أهمية هذه الآلية وإن لم يرق معه إلى وضع نظرية تسطر المعالم التي لا بد أن يتبعها المستدل في إنتاج الخطاب البلاغي أو إصداره للأحكام.

غير أن ملاحظاته وتحليلاته تنم على أن الجاحظ كانت له نظرة خاصة لآلية الاستدلال لعلها هي التي أرسست مبادئ النقد والبلاغة فيما بعد، "وأكثر التصنيفات توالتا استقام المؤلف على ما يبدو من بيئة المتكلمين، خاصة المعتزلة الذين اعتنوا بصناعة الكلام ورتبوا لكل معنى طريقة في الجدل"<sup>(3)</sup> فقد استفاد الدرس البلاغي كثيراً من طرق الاستدلال التي اعنى بها المتكلمون.

## ٢-٥ فاعلية آلية الاستدلال في مشروع ابن وهب البياني:

كتاب ابن وهب عبارة عن إعادة بناء وتنظيم جديدين للبلاغة العربية واستدرك ما فات الجاحظ من الوجوه البلاغيين في كتابه "البيان والتبيين"، كما أنه يمثل عصارة ما وصلت إليه الساحة البيانية من نتاج بلاغي، خاصة في قضية اللفظ والمعنى والبحث من خلالها عن الحقيقة وتجاوز المعنى الحقيقى. حيث "يريد ابن وهب أن يدرس البيان دراسة منتظمة تعتمد بناء الموضوع على أصوله وفروعه بطريقة تقريرية، طريقة الأصوليين من فقهاء ومتكلمين، وليس بطريقة تعتمد البيداغوجيا البيانية كما فعل الجاحظ"<sup>(4)</sup> وقد ساعدت ابن وهب ثقافته المتنوعة "الدينية، البيانية، المنطقية أن يغترف من عمل هذه الجوانب المتعددة ليؤسس بذلك هذا المشروع البياني المنطلق كما أراد هو له ذلك"<sup>(5)</sup>، هذه الدراسة فتحت طريقاً واضحاً للمعلم لرؤيته بلاغية حاجية حول الخطاب والمفهوم.

<sup>1</sup> - ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص: ٤٠.

<sup>2</sup> - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أنسسه وتطوره إلى القرن السادس، ص: ١٨٠، ١٧٩.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص: ١٧٠.

<sup>4</sup> - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص: ٣٢.

<sup>5</sup> - عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربين، ص: ٤١٩.

والدلالة وآليات الإقناع، واللافت للنظر هو منهجية الكتاب التي اختلفت عن معاصريه من ناحية التنظيم والتقنيات.

مساهمة ابن وهب في تطوير البحث البلاغي والرفع من مستوى النقد البلاغي كان له أثر واضح بحيث كانت بلاغة الحاجاج المحور الرئيسي الذي دارت حوله تقريرياً جميع القضايا البلاغية التي تطرق إليها ابن وهب، حيث ركز على الآليات الإقناعية ضمن مشروعه البياني في كتابه "البرهان في وجوه البيان" وهو "مشروع بياني محض وهو يجمع بين البحث الأصولي الذي دشنه الشافعى والبحث البلاغي الذي طوره الجاحظ وركز على محور العلاقة بين اللفظ والمعنى بالإضافة إلى ما أنجزه الأصوليون والمتكلمون في موضوع الخبر والقياس وشروط اليقين ودرجات الصدق يتعلق الأمر إذن بنظرية في المعرفة بيانية على جميع المستويات"<sup>1</sup> وبالتالي الخروج عن الطريقة التي اعتمدت قبله من تشتت في المعلومات دون مراعاة اختصاص معين.

إنّ الرؤية الحجاجية للبلاغة عند ابن وهب تتصدرها آلية الاستدلال لكل الأشكال البلاغية العربية، هذا يفسر العنوان الذي اختاره لكتابه "البرهان في وجوه البيان" حيث ربط بين البيان والبرهان وإنّ هذا المصطلح في وقته يدل على الحجة كما يدل على الدليل، و إنّ تصدير كتابه بالحديث عن أهمية العقل<sup>2</sup> الذي يرتكز عليه الاستدلال السليم. لدليل قاطع على الاستراتيجية الحجاجية التي يرغب ابن وهب ترسيخها في الفكر البلاغي العربي، حيث أفرد الباب الأول من كتابه لآلية الاستدلال وقد سماه "الاعتبار" وهو المسمى بالنظر في عرف المتكلمين وقد قال القاضي أبو بكر في حده هو الفكر الذي يطلب به من قام به علماً أو ظناً<sup>3</sup>، وقد شاع استعمال هذا المصطلح عند الفقهاء والمتكلمون بدل استعمال مصطلح القياس، الذي يفيد التشبيه.

قسم ابن وهب "الاعتبار" إلى قسمين: قياس، التشبيه أو التمثيل فهو يقول: "والقياس في اللغة التمثيل، والتشبيه، وهما يقعان بين الأشياء في بعض معانٍ لها لا في سائرها"<sup>4</sup>، وهي من الجازم صور الاستدلال حسب التقسيم المنطقي، وبعد عرض هذه الوجوه للاستدلال يقر بأنّ "هذه جمل من وجوه

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص: 38، 37.

<sup>2</sup> - ينظر: ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تج: د. حنفي محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، (د. ط)، س 1969م، ص: 51 إلى 55.

<sup>3</sup> - الأدمي، الأحكام في أصول الأحكام، ج 1، ص: 11.

<sup>4</sup> - ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص: 67.

الاستدلال والقياس تدل ذا اللب على ما يحتاج إليه، ومن أراد استيعاب ذلك نظر في الكتب الموضوعة في النطق، فإنها جعلت عيارا على العقل ومقومة لما يخشى زله<sup>(1)</sup> وقد اعتمد عليها لتكون دراسته دراسة علمية تقوم على أساس منطقية.

ركز اهتمامه في فاتحة الكتاب على التفريق بين المسائل التي تستحجب الاستدلال و بين التي لا تتطلب ذلك في قوله: "فالظاهر مستغن بظهوره عن الاستدلال عليه، والمجتمع عليه؛ لأنه لا خلاف له، والباطن هو المحتاج إلى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال، ويعتبر بوجوده المقاييس والأشكال"<sup>(2)</sup>، وهنا يقصد بما هو مستغن عن الاستدلال هو العلم الضروري (البدويات، المعرف السابقة)، أما الذي يستوجب الاستدلال هو ما اختلف حوله و المحتمل وهذا الذي يكون فيه الحاجاج، وإنّ هذا الطرح من أهم الأسس التي قامت عليها البلاغة الغربية الجديدة عند ربط الحاجاج بالمسائل التي تقبل الاحتمال أما المسائل التي اتفق حولها فليس محور الحاجاج.

نجد ابن وهب قد عبر عن الاستدلال مرتّة بالبيان في قوله : "إنّ الأشياء تبين بذواها لمن تبين، وتعبر بمعانيها لمن اعتبر"<sup>(3)</sup>، ومرة بالقياس في قوله: "وحاجتنا في القياس أن الله عزّ وجل قال "فاعتبروا يا أولى الألباب"<sup>(4)</sup> وقوله: "وكذلك الأمثال التي جاءت في كتابه كمثل كذا وكذا في مواضع كثيرة وذلك كله تشبيه وقياس"<sup>(5)</sup> ، في هذه النصوص تظهر الدلالة المقصودة من الاعتبار، حيث أردفها لمعنى الاستدلال، وقرنها بالعقل حينما استدل بقوله تعالى .

إنّ النظام الذي رسم به ابن وهب كتابه "البرهان في وجوه البيان" أقرب إلى نظرية عامة في علم البلاغة يهدف على أساسها تبني آليات الحاجاج وفق المنطق العقلي السليم، فقد كان على يقين تام أنه لا بد من توظيف المنطق ضمن الدائرة البينية العربية، حتى تكون المعايير البلاغية أقرب لصحة وأكثر فاعلية، وقريبة من الدقة العلمية؛ وعلى اعتبار أن جميع الوجوه البلاغية العربية قائمة على أساس فكري منطقي، هذا الذي يرفع الكلام عامة إلى مستوى الكلام البليغ؛ لأنه يكسبه قوة ومتانة عقلية

<sup>1</sup> - ينظر ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص: 76.

<sup>2</sup> - ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص: 49.

<sup>3</sup> - ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص: 65.

<sup>4</sup> - سورة الحشر، الآية 2.

<sup>5</sup> - ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص: 65.

تفق على صحتها جميع الناس، مما يجعله ذا فعالية حجاجية. فهو يدعو دعوة صريحة إلى تعلم مبادئ المنطق، مع مراعاة خصوصية اللسان العربي، فهو بهذا قرب بين البيان العربي والمنطق الفلسفى، واشترط أن يكون للعقل الدور الرئيسي في عملية التقرير، "والخلاصة أن ابن وهب استفاد من دراسته لجوانب من المنطق (القياس والجدل) لينظر إلى البيان نظرة علمية دقيقة من داخل التراث البشري في لسان العرب"<sup>(1)</sup>، فمشروعه البلاغي يعتبر أول محاولة لتنظيم الساحة البشريّة العربية على أساس منطقية استدلاليّة؛ "فالملهمة التي أناطها بنفسه هي تنظيم التراث البشري العربي بطريقة منهجية، تحدد الأصول، وتحيط بالفصول (الفروع) فغايتها جمع ما تفرق وتنظيمه لتقديم رؤية بشرية، نابعة من القرآن والسنة وأقوال علي كرم الله وجهه، ومن خطب العرب وأشعارهم وأمثالهم"<sup>(2)</sup>. بحيث أنه تطرق إلى جميع القضايا البلاغية من خلال ربطها بالمنطق والعقل لكن في المقابل مراعياً الخصوصية البلاغية العربية.

من خلال ما سبق يمكن القول أن مشروع كل من الجاحظ وابن وهب كان لهما الأثر الكبير في توجيه الإطار العام للبلاغة العربية نحو نظرة حجاجية نفعية، تشتراك في تكوينها أنظمت التفكير الصحيح، فقد كان على النقاد البلاغيين العرب بعد هذين المشروعين البلاغيين أن يتبعوا أسلماً طرق الاستدلال التي تمكناهم من الدفاع عن آرائهم، ودحض آراء المعارضين، وأصبح لازماً على علماء البلاغة البحث عن الآليات الحجاجية التي يجب أن تتوفر في الخطاب البلاغي الحجاجي، مع البحث عن العناصر المساهمة في تشكيل هذه الآليات، وعندما برزت عدة قضايا نقدية احتمل الصراع حولها، ولعل أهمّ تلك المشاغل هي القضايا الجوهرية التي اعنى بها كل من صاحب "البيان" وصاحب "البرهان" من إباهة ووضوح اللذين يقودان إلى الفهم أو الإفهام، ومنهما إلى الإقناع، في حدود مبادئ المنطق الذي يقوم أساساً على العقلانية.

## 6- عناصر تشكيل الخطاب البلاغي وأثرها في تحقيق الإقناع:

### 1- ثنائية اللفظ والمعنى:

<sup>1</sup>- عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربين، ص:419.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص:411.

اشترطت البلاغة العربية في الخطاب البلاغي العربي أن يتواافق اللفظ مع معناه، وستتبين من خلال الكثير من النصوص الواردة في المدونات البلاغية العربية أثر هذا التوافق في إنتاج الخطاب الحجاجي وأثر ذلك في الرفع من نسبة الإقناع، نذكر على سبيل المثال ما قاله الجاحظ: قال ثامة بن أشرس: قلت لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ قال: أن يكون اللفظ يحيط بمعناك، ويختبر عن مغزاك، ويخرجك من الشركة، ولا يستعين عليه بالكثرة، والذي لا بد منه أن يكون سليماً من التكلف، بعيداً من الصنعة، برياً من التعقيد، غنياً عن التأويل قال الجاحظ: وهذا هو تأويل قول الأصمسي: البليغ من طبق المفصل، وأغناك عن المفسر<sup>1</sup>، بعبارة أخرى "البلاغة تفسير عسير الحكم بأقرب الألفاظ".<sup>1</sup> إن هذا النصوص تحيلنا إلى ما أكدت عليه البلاغة الجديدة في اعتمادها اللغة الطبيعية كلغة أساسية في إنتاج الخطاب الحجاجي.

هذا التوافق بين المعنى واللفظ فرض على البلاغيين، بحيث أن يقوم بدراسة كل طرف من الثنائية على حدة حتى يتبيّنوا خصوصية كل منهما، فوضعوا عندها لفظ شروطاً صارمة ، واتفقوا على أنّ "من تمام آلات البلاغة التوسيع في معرفة العربية، ووجه الاستعمال لها؛ والعلم بفاخر الألفاظ وساقطها، ومتخّيرها، وردّيهما"<sup>2</sup>؛ بل هناك من جعل "مدار البلاغة على تخّير اللفظ؛ وتخّيره أصعب من جمعه وتائيقه"<sup>3</sup>؛ لأنّ عملية انتقاء الألفاظ ترفع مستوى الكلام من الكلام العامي المتبدل إلى الكلام البليغ القوي.

فيكون أكثر دقة وصحة بعيداً عن الشبهة أو الحشو، ويكون طريق الإقناع ميسراً لإحداث التأثير، "فاما إذا كان في زيادة الألفاظ وتكثيرها، وترديدها وتكريرها، زيادة فائدة فذلك محمود، وهو من باب التذليل"<sup>4</sup>. يبقى تحقيق فائدة الإيجاز أو الإطناب في يد البليغ الكفاء الذي يعرف مقادير المعاني وكم يضع لها من ألفاظ، كما أن ذلك يقدر حسب طبيعة المستمع فهناك من يفهم بالإشارة وآخر بكلمة وآخر بكلام مسهب، وإنّ هذا ما أوّلته البلاغة الجديدة عنابة خاصة عند حديثها عن أنواع المستمعين.

<sup>1</sup>- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 52.

<sup>2</sup>- نفس المصدر، ص: 21.

<sup>3</sup>- نفس المصدر ، ص: 23.

<sup>4</sup>- نفس المصدر ، ص: 23.

الألفاظ مجتمعة في نسق معين هي مقدمات تخرج منها بنتائج صحيحة محتملة أو يقينية، وهنا يكمن دور المنطق في تشكيل الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية. فـ—"نحن حين نستخدم ألفاظاً محددة في قضية أو مسألة ونسعى من ورائها إلى معرفة الأسباب والدلائل، وحين نصوغ مقدمات ويلزم عنها بتالي نتائج، فإنّ اللغة الاصطلاحية المنطقية هي التي تعيننا على استخدام تلك الحدود أو الألفاظ التي تسمى قياساً"<sup>1</sup> يجب أن تختار بعناية؛ لأن كل واحدة منها إلاّ وعبارة عن مجموعة من الحجاج وطريقة تنظيم كل واحدة من هذه الحجاج تعطي لنا أنواع الحجاج التي رصدها البلاغة الجديدة.

من ناحية أخرى درس علماء البلاغة المعاني دراسة معمقة حتى جعلوها قسماً حاصلاً من علوم البلاغة، وبما أنّ المعانٍ لها علاقة بالفكرة "قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعانٍ: المعانٍ القائمة في صدور الناس المتلصّرة في أذهانهم، والمختلطة في نفوسهم، والمتعلقة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، و موجودة في معنى معروفة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخلطيه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أمره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلاّ بغيره. وإنما يحيي تلك المعانٍ ذكرهم لها، وأخبارهم عنها، واستعمالهم إياها. وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتجعلها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهراً، والغائب شاهداً، والبعيد قريباً. وهي التي تلخص المتبسّ، وتحلّ المنعقد، وتجعل المهمّل مقيداً، والمقيد مطلقاً، والمحمول معروفاً، والوحشي مجلوفاً، والغفل موسوماً، والموسوم معلوماً"<sup>2</sup> إذن البلاغة هي الطرق التي يستحدثها المتكلّم أو يذكرها من أجل التعبير عن معنى كامن في النفس.

هذه الطرق تعمل على إخراج المعنى في أفضل صورة يتقبلها فكر الطرف الآخر، هذه الصور المخرجة عبارة عن مجموعة من الألفاظ متقدّمة بعنایة مركبة بطريقة مُؤلَّفة مع بعضها البعض، بحيث . يكون لفظه مونقاً، ومعناه نيراً واضحاً.<sup>3</sup> من هذا المطلق يكون ارتباط اللفظ بمعناه ارتباطاً حجاجياً؛ لأنّ المعنى نستدل عليه من خلال اللفظ والكيفية تركيبه مع غيره ضمن نسق معين، فهو بمثابة دليل على المعنى، وهذا ما طرحته قضية النظم في البلاغة العربية.

<sup>1</sup>- د: زينب عفيفي، فلسفة اللغة عند الفارابي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع عبد غريب، القاهرة، (د، ط)، س 1997، ص: 181.

<sup>2</sup>- المحافظ، البيان والتبيين، ج 1، ص: 81.

<sup>3</sup>- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 20.

### 1-1-6 قضية النظم:

إنّ مسألة ائتلاف اللفظ بمعناه كان لها امتداد بحثي واسع، وهذه البحوث أفرزت في مجملها قضية "النظم" التي ارتسمت حدودها واكتملت صورتها مع عبد القاهر الجرجاني، فما وصل إليه عبد القاهر الجرجاني من أبحاث يمثل زبدة ما وصل إليه البحث الناطق البلاغي مع بداية القرن الخامس المجري، لاسيما مع علماء الإعجاز. فلو عدنا إلى كتب البلاغة في قضية اللفظ والمعنى نجد أنّ معظم البلاغيين "لم يفصلوا بين الشكل والمضمون بل رأوا إليهما أنهما يشكلان نوعاً من الوحدة العضوية التي لا يجوز تجزئتها وتفتيتها"<sup>(1)</sup>، ورغم أنهم اتفقوا منذ بداية البحث البلاغي على هذه الحقيقة ظل الصراع محتدماً حول هذه المسألة، لم يتم الفصل في مسألة ثانية "اللفظ والمعنى" إلا على يد الجرجاني فقد استطاع أن يصوغ تلك القناعة التي تشكلت لدى علماء البلاغة ضمن مسألة كاملة تستوعب كل المفارقات، ويعود ذلك إلى ما "توفر لعبد القاهر الجرجاني الذي استطاع أن يبني طريقة في تحليل الكلام على رسم عقلي مسبق و موقف نظري قائم على أسس معرفية واضحة"<sup>(2)</sup> وما توفر لعبد القاهر الجرجاني على غرار السابقين هو تحكمه في القواعد الاستدلالية بشكل لم يسبقه إليه أحد بفضل تأثيره بالمذهب الكلامي، وإننا لو أمعنا النظر سيتضح لنا جلياً أن هذه القضية حاولت أن تلخص كل الآليات التي تقود إلى الإقناع.

مشروع الجرجاني البلاغي كان يتمحور حول إيجاد الحجج ومن ثم توظيفها ضمن نسق كلامي منظم ومرتب ترتيباً فريداً من نوعه، هذا الأمر الذي يؤكّد "أنه أبرز من خلال تحليله لمعنى "النظام" الطابع الاستدلالي للأساليب البينية العربية من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية وتشبيه وهذا الطابع الاستدلالي الذي يجعل الذهن يتنتقل من خلال الأساليب البلاغية تلك من المعنى إلى معنى المعنى هو ما عنده مؤلفنا بينما فسر "النظم" على أنه تناقض دلالات الألفاظ وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل"<sup>(3)</sup>. وهنا يبدو ربط البلاغة صراحة بعمليات الفكر التي اعتنت بها البلاغة الجديدة من توظيف المنطق والوقوف على الحقائق، بالاستناد على المعرف السابقة.

<sup>1</sup> - سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، بيروت، باريس، ط1، 1991م، ص: 85.

<sup>2</sup> - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص: 489.

<sup>3</sup> - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص: 88.

الاستدلال أصبح لدى الجرجاني شرطاً من شروط البلاغة سواء كان هذا الاستدلال بأدوات معنوية أو بيانية، وتعتبر هذه الأدوات الحجاجية التي فصلت فيها البلاغة الجديدة من "حجج تستند على بنية الواقع" و أخرى "حجج لا تستند على بنية الواقع". أي "أن الكلام البلغى عند الجرجاني هو الكلام الذي يكون سبيلاً للاستدلال بمعنى اللفظ على معنى آخر وما الفرق بين الظواهر الذي ستسماً بعده معنوية "نسبة إلى علم المعنى أو بيانية" نسبة إلى علم البيان " إلا فرق في المستدل منه والمستدل به والمتنتقل إليه أو الدليل والمدلول، وهذا ما اقتضى عند الجرجاني وحده الجهاز المفسر لمختلف الظواهر البلاغية"<sup>(1)</sup>، فلا فرق بين أنواع الاستدلال مادامت تؤدي نفس المهمة "الإقناع" فالاختلاف يكمن في الوسيلة لا غير، التي يحصل بها حسن الكلام.

إن كل القضايا البلاغية التي أسهب الجرجاني في الاستدلال لها عبارة عن عمليات استدلالية للأساليب البلاغية المتعارف عليها عند البلاغيين وحسب الجرجاني لا يمكن إخراج خطاب بلغ إلا ضمن إطار الفكر، يقول في ذلك: "أنا نعلم ضرورة أنه لا يأتي لنا أن ننظم كلاماً من غير رؤية وفكرة"<sup>(2)</sup>. ويمكن أن نستخلص هذا من خلال النص الذي يشرح فيه الجرجاني مفهوم النظم فهو لفظ يعني الانتظام والنسق والترتيب وارتباط الأشياء متفرقة متميزة ومجموعة مترابطة، والعقل هو السبيل إلى إدراك كل أوئلـك"<sup>(3)</sup>، وهذا الذي يجعل منها عمليات عقلية بامتياز، إذ هناك علاقة واضحة بين الفكر واللفظ.

النظم في الفكر البلاغي العربي هو عبارة عن ترتيب أجزاء القول التي تنصل إليها البلاغة الجديدة، "بناء على ما سبق يتضح أن كل نص ترتبط أقواله ارتباطاً موجهاً توجيهها يجعل أحد طرفيه متعلقاً بالآخر، يعد بمثابة دليل فالدليل إذن هو ما كان من النصوص مرتبة الأقوال ومرتبة بعضه على بعض"<sup>(4)</sup> يمكن لهذا النص وحده أن يعزز النظرة الحجاجية التي يلتقي فيها الفكر البلاغي العربي بالفكر الحجاجي الغربي، أو لها الانتظام، حيث يقترب من فكرة ترتيب أجزاء القول بعد أن جمعت وكانت أجزاء متفرقة هنا وهناك وتعني بها هنا الموضع أو الحجج والارتباط بعدها يتواافق مع طريقة

<sup>1</sup> - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر كلية الآداب والفنون الإنسانية بجامعة منوبة، تونس، ط1، 2006 م، ص: 78.

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر، دلائل الإعجاز، تج: محمد شاكر فهري، مطبعة المدى بالقاهرة، دار المدى، بجدة، ط3، 1992م، ص: 360.

<sup>3</sup> - د، مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندرس، بيروت، لبنان، (د.ط، تا).ص: 83.

<sup>4</sup> - ط عبد الرحمن، التكوثر العقلي، اللسان والميزان، ص: 139.

العرض وربط الحجاج بعضها البعض إما قياساً أو استقراءً، والأدلة التي تجمع وتنظم وتنسق وترتبط هي العقل، الذي يشكل مبدأ القيمة الذي قامت على أساسه البلاغة الجديدة ونحو نرى هنا أنّ العقل من أهم المقومات التي يرتکز عليها الاستدلال عند الجرجاني وهو القيمة التي يرتفع بها الخطاب البلاغي إلى مستوى الخطاب الحجاجي الإقناعي.

قد كان هذا المعيار العقلاني من أهم الشروط التي لابد أن يتلزم بها المستدل عند أهل الكلام حيث "لا يعقل المتكلم إلا إذا التزم طرق الاستدلال الذي يطالب غيره الالتزام بها"<sup>(1)</sup>، هناك إذن ارتباط وثيق بين النظم والاستدلال الذي هو آلية حجاجية ضرورية لكل مجاجج، "إذ كلاهما يعتمدان على العقل وعلى النص، فالعقل والنقل يمثلان الحجة من حيث اعتبارهما مصدر للأدلة وأداة في الاستدلال ومرجعا له"<sup>(2)</sup> حيث لا يمكن للحجاج أن يصل إلى الإقناع، إن لم يبن على حدود العقل الذي يصون الكلام من الخطأ والريفي وتحوير الحقائق، التي أراد "بيرمان" أن يتخلص منها الخطاب عامة.

كما يمكننا أن نستنتج من خلال قراءة نصوص الجرجاني أن "الذي يقوم بعملية التنظيم والتنسيق والربط بين الباطن والظاهر في عملية "النظم" هو المتكلم، وهو بذلك يعطي للمتكلم دوراً مهمًا في العملية الاستدلالية وهذا الدور الذي يمنحه عبد القاهر للمتكلم فيما اتصل بالنظم يؤكّدوعي عبد القاهر بخصوصية الأداء اللغوي، هذه الميزة هي التي تؤهل الكلام أن يكون متفاوتاً فيما بينه من كلام بلغ إلى كلام أبلغ منه إلى حد يوصف بالإعجاز، وإنّ هذا التفاوت يحدد حسن الاستدلال الذي يبني عليه حسن الكلام. "فالقوانين البلاغية عند الجرجاني لا تستند إلى الاعتبار الكلامي مجرّد استناد، إذ هي أصبحت في ذاتها قوانين كلامية تستدرك على المتكلمين ما فاهم وتوفر لهم الوسائل النظرية التي تيسر منعة الاعتقاد، وتضمن انتظامه نسقاً"<sup>(3)</sup>. بالتالي أصبحت المعايير البلاغية وسائل يستعين بها المتكلم ليصل إلى مقاصده، "فالجرجاني يعتبر من أكثر العلماء الذين رددوا مصطلح القصد، بل كان محور نظريته، بوصف سبب العدول عن التركيب الأصل هو لبيان قصد المرسل

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 156.

<sup>2</sup> - د. محمد النويري، علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب، ص: 142.

<sup>3</sup> - د. محمد النويري، علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب ، ص: 316، ص: 317.

بالاستجابة للسياق تداولياً كما ألمح من مواطن عديدة إلى أن القصد هو المعنى<sup>1</sup>، والمعنى عند الجرجاني مصدره النفس فیأخذ أشكالاً متنوعة حسب قصد المتكلم.

على أساس المعنى المقصود من الخطاب يتبلور الفهم وحتى "يتلاعُم الفهم مقتراحات الجرجاني في نظرية النظم أن يشتمل "المعنى" و"معنى المعنى" على الضروب الأربع من المعاني أي معنى اللفظ (الدلالة المعجمية) والمعنى النحوي (الوجوه والفرق) وأصل المعنى (مضمون الجملة) والغرض (معنى المتكلم وحكمه)<sup>2</sup>، يقصد بالمعنى الأول (مداولات التركيب)، أما المعنى الثاني فيقصد به (الأعراض التي يصاغ لها الكلام)؛ والمعنى الثاني حسب الجرجاني هو أصل المعنى، و به يتم الإثبات والتوكيد، أما المعنى الأول ما هو إلا دليل على المعنى الثاني.

نخلص إلى أنَّ الألفاظ تعطينا معانٍ وهذه المعانٍ تقود إلى معانٍ آخرٍ هي مقاصد الكلام وإليه يتطلع المتكلم، إنَّ هذا المسار يتوافق مع مسار الحجاج في البلاغة الجديدة فالخطاب ما هو إلا مجموعة من الحجاج تجتمع فيما بينها في نسق معين تقود إلى مقاصد الحاجاج وهي الإقناع فالتأثير، لذا نجد أنَّ الجرجاني قد أعطى عنابة خاصة للنص وما يحمله من إيحاءات أي المعانٍ المتعددة التي قد يحتملها النص الواحد. وبهذا الجرجاني أعطى بعده آخرًا لفك شفرة المعانٍ التي حصل فيها التباس المقصود والتصادم مع العقل وقد دار حولها جدل كبير ضمن الدائرة الفكرية العربية خلال تلك الفترة. والتي أتاحت ما عرف في الفكر العربي "تأويل الكلام" وهذا التأويل للكلام لو أمعنا النظر فيه سنجد أنه عبارة عن عملية حاجية بحثة لفهم مقاصد النص.

## 6-2-التأويل والحجاج:

عرفنا أنَّ الحجاج مرتبط دائمًا بالمقصدية ، ومن هذه القاعدة قد نصل إلى فهم الكلام لكن يبقى القصد مبهماً ولا نصل إليه إلاً من خلال إعادة النظر مرة أخرى في الكلام بإعادة بنائه من جديد وحاجتنا في ذلك المعنى الظاهر بمسائلته ومحاولة استنطاق النص وإنَّ هذه العملية تعرف "علم

<sup>1</sup>- عبد الحادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، ص: 201.

<sup>2</sup>- شكري مبحوت، الاستدلال البلاغي، ص: 50.

التأويل" و "أصله في اللغة من الأول ومعنى قوله: ما تأويل هذا الكلام؟ أي إلام تؤول العاقبة في المراد به كما قال تعالى: يوم يأتي تأويله أي تكشف عاقبته ويقال آل الأمر إلى كذا أي صار إليه وقال تعالى: ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا، وأصله من المال وهو العاقبة والمصير وقد أونته فالإي صرفته فانصرف فكان التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله، الإيالة وهي السياسة فكان المسؤول للكلام يسوّي الكلام ويضئ المعنى فيه موضعه .... وأكثر استعمال التأويل في المعاني<sup>1</sup> أي هو صرف المعنى إلى ما يتحمله من معانٍ أخرى "عبر ظاهر العبارات واللفاظ، أو تم تحاوز الظاهر نحو البنيات العميقة للمعنى. والتأويل هو الحقيقة التي يقول إليها المعنى وحقيقة، وفي الوقت ذاته في فهم المفهمين"<sup>2</sup> إذن فالتأويل مهمته توجيه المعنى توجيها حجاجيا بإضاعة الجوانب الخفية لمقاصد المتكلم.

بما أنّ الحاج يعتمد على اللغة الطبيعية في بناءه فإنّ الالتباس وغموض المعنى من خصائص هذه اللغة غير أنّ البلاغة الجديدة الغريبة عدّت "هذا الالتباس ليس نقصاً في اللغة الطبيعية، بل هو مزية فيها يكسبها الطواعية الكافية لجعلها تستجيب لأغراض التبليغ التي لا تختصّ"<sup>3</sup>، وإنّ هذه النظرة لها ما يؤيدها في التراث البلاغي العربي، إذ أنّ "الكلام إذا كان قوياً من مثل هذا الفحل احتمل لقوته وجوهاً من التأويل بحسب ما تتحتمل ألفاظه، وعلى مقدار قوى المتكلمين أراد الأصممي الشعر القوي الذي يتحمل مع فصاحته، وكثرة استعماله ألفاظه، وسهولة تركيبه، وجودة سبكه معاني شتى يحتاج الناظر فيه إلى تأويلاًات عده، وترجيع ما يتراجع منها بالدليل"<sup>4</sup>، الدليل غالباً ما يستبط من التركيب "التقديم والتأخير"، أو من السياق العام للكلام "المقام" وغير ذلك، فقوة المعنى يتفق منها تأويلاًات تكون سندًا للحجج تدعمها وتثبتها، فالبلاغة الحجاجية اتخذت "علم التأويل" سلاحاً ودرعاً في نفس الوقت تستعمله في غالب الأحيان لتدعم حججها وتأسس قاعدة حجاجية منفتحة على الكثير من أنواع التفكير هذا من جهة ولتقوية الأثر الحجاجي من جهة أخرى.

<sup>1</sup> - الزركشي أبو عبد الله بدرا الدين، البرهان في علوم القرآن ، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشريكه، ط 1، م 1957 ج 2، ص: 149، 148.

<sup>2</sup> محمد بازي، نظرية التأويل التقابلي، دار الأمان، الرباط، ط1، 1434، 2013، ص: 81، 80.

<sup>3</sup> - د: طه عبد الرحمن، أصول الحوار وتجدييد علم الكلام، ص: 99.

<sup>4</sup> ابن أبي الإصبع العدواني، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر البغدادي، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ترجمة الدكتور حفيظ محمد شرف لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص: 455.

ما يؤكّد ارتباط التأویل بالحجاج هي الأسس المعتمدة في التأویل من بين أهم ركائز الحجاج وهو التوافق بين المؤول والمؤول له وهذا ما أشار إليه صاحب دلائل الإعجاز في حديثه عن مسألة غموض الكلام في قوله: "لم يكن هذا الاشتباہ وهذا الغلط إلا لأنّه ليس في جملة الخفايا والمشكلات أغرب مذهبًا في الغموض، ولا أعجب شائناً من هذه التي نحن بصددها، ولا أكثر تفلاطاً من الفهم وأسئللاً منها وإنّ الذي قاله العلماء والبلغاء في صفتها والإخبار عنها، رموز لا يفهمها إلا من هو في مثل حالهم من لطف الطبع، ومن هو مهياً لفهم تلك الإشارات، حتى كأنّ تلك الطيّفة اللطيفة وتلك القرائح والأذهان، قد تواضع فيما بينها على ما سبّله سبيل الترجمة يتواطأ عليها قوم فلا تعدوهم، ولا يعرفها من ليس منهم"<sup>1</sup>. والتواطؤ في هذا النص هو ما يقصد به "الاتفاق" بحيث لو تم اتفاق بين الطرفين كان قد حصل عندها لا محالة إقناع.

إنّ الظفر بإذعان الخصوم وتحقيق الإقناع يتطلب فرض سلطة خطابية وإنّ هذه السلطة يجسدها الفعل التأويلي، فرغم أنّ التأویل من جهة كونه حفرا مضنيا في مجاهيل الكلام، يمكن صاحبه من امتلاك القدرة الكافية على سياسة عوالم ألفاظه وتوجيه حرکة خطابه، ومن ثمة يجعله باسطا نفوذه الرمزي والمادي على عقول السامعين وأهوائهم، امتلك إرادتهم ويقين عقوفهم بجدوى عقائده و تمام حقائقه وبذلك جاز لكلّ مجاجٍ/مؤول أن يشرح الفهم الذي يريد، ويثبت المعنى الذي يتغيّي<sup>2</sup> والسلطة التي يحظى بها التأویل يكتسبها من قدرته على استيعاب كل المعاني الممكنة مع استحضار ما يتوافق مع المعنى من معانٍ أخرى قد تكون بعيدة عن المعنى الأول كل البعد، هذه المنحة التي يتميز بها التأویل يستغلها المحاجج في إعطاء حجاجه وزنا ثقيلا.

فرض التأویل تعدد الآراء بحيث أن كل رأي إلا ويستند على أدلة وحجج يثبت بها صحة أو طلاق الرأي الآخر وإنّ هذا التنوع في الآراء واختلاف، نتج عنه ما يعرف بـنـ "المناظرة"

### 6-3-الحجاج بين الحقيقة والمحاجز:

أهم مسألة اشتغل بها علماء البلاغة كما رأينا "ثنائية اللفظ والمعنى" وإنّ هذه المسألة تفرعت عنها الكثير من القضايا البلاغية، لكن تبقى قضية الحقيقة والمحاجز أبرز هذه القضايا تداولًا بين

<sup>1</sup>- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 250.

<sup>2</sup>- د: علي شعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأویل، ص: 483.

البلغيين، إذ استحكمت فيها آليات الحجاج بكل صورها لاسيما عند علماء الإعجاز، وعلماء الكلام، لما أثارته من جدل واسع بين مختلف الأوساط العلمية والبيانية في تلك الفترة، وما كان لها الأثر الكبير في إثبات الإعجاز القرآني والوصول إلى حقيقة التأويل، " وكان من نتائج النظر إلى مسألة الإعجاز من الزاويتين معاً أن تحول البحث البياني في إشكالية اللفظ والمعنى من مستوى العلاقة العمودية بينهما (الإعراب، الدلالة وقصد المتكلم) إلى مستوى العلاقة الأفقية بين تركيب الكلام وصياغة المعانٍ بين نظام الخطاب ونظام العقل مما كانت نتيجة الكشف بوضوح عن الطابع الاستدلالي للأساليب البيانية العربية"<sup>(1)</sup>. حيث أن المسائل البلاغية أخذت الحيز الأكبر من القضايا التي اشتغل بها علماء الكلام خاصة قضية "المجاز"

عموماً فإن علم الكلام قد ساهم كالنحو تماماً في البحث عن "الخصوصية البلاغية للنص القرآني، فساهم بطريقة غير مباشرة في تطوير السؤال البلاغي، إذ هو على العموم كما نعلم البحث في ذات الله وصفاته واحتياج للعقيدة بالنظر العقلي"<sup>(2)</sup>، ومن خلال هذا النص يمكن استخلاص أن الأسس التي اعتمدها أهل الكلام في إثبات مسائل الاعتقاد هي (النص القرآني، الاستدلال، العقل)، وقضية اللفظ والمعنى كان لها الفضل الكبير في تطوير أساليب البحث التي قادت إلى الكشف عن الخصائص الاستدلالية التي تميز بها الأساليب البيانية البلاغية العربية خاصة قضية الحقيقة والمجاز .

قبل أن نفصل في هذه القضية لابد أن نحدد مفهوم كل من الحقيقة والمجاز في التراث البلاغي العربي، "فأمّا" الحقيقة" فهي: اللفظ الدالّ على موضوعه الأصلي. وأمّا" المجاز" فهو: ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وهو مأخوذ من حاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع، إذا تخطّاه إليه. فالمجاز إذاً اسم للمكان الذي يجاز فيه كالملاعج والمزار وأشباههما، وحقيقة"<sup>3</sup> باختصار أن مفهوم كل من الحقيقة والمجاز عند السلف مرتبط بالمعنى.

إنّ هذا المعنى لا بد أن يدور في فلك السياق فلا نستطيع الحكم على حقيقة المعنى أو محازيته إلاّ من خلال النظر إلى السياق العام للكلام. "والمجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة، كالاستعارة

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص: 75.

<sup>2</sup> - د: محمد النويري، علم الكلام والنظريّة البلاغيّة، ص: 209.

<sup>3</sup> - ابن الأثير، المثل السائر، ص: 84.

والمبالغة والإشارة، والإرداد، والتمثيل، والتبيه، وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد، فهذه الأنواع وإن كانت من المجاز فلكونها متعددة جعل لكل منها اسم يعرف به، ويميزه عن غيره من جنسه<sup>1</sup>، وكذلك لأن كل واحد منها وله أثر بلاغي مختلف عن بعضه البعض في الدرجة وفي التوظيف.

حرص معظم البلاغيين على تحري الحقيقة والاستدلال لها بالحقائق حتى تكون أقرب للأذهان وأوقع في القلوب، لكن رغم ذلك يرى الكثير منهم أنّ هذه الحقائق الواقع يمكن الاستدلال لها بما هو خارج عن المألف أي بالمجاز؛ لأنهم على يقين من أنّ "المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعًا في القلوب والأسماع، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالاً محضاً فهو مجاز؛ لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محسن الكلام داخلة تحت المجاز، إلا أنهم خصوا به أعني اسم المجاز باباً بعينه؛ وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه سبب<sup>2</sup>، وابن الرشيق في هذا النص بين لنا القوة الإبلاغية التي يتحققها المجاز كما يحدد الوظيفة الجمالية التي يلعبها المجاز في الكلام وهو في الحالتين يحدد مقاصد تجاوز الحقيقة وإن هذه المقاصد سواء "قوة المعنى" أو "جماليات العبارة" هي من مقاصد العملية الحجاجية، فنص ابن رشيق يكاد يلخص لنا ما وصل إليه علم البلاغة في هذه القضية.

غير أنها لو فتشنا في كتب البلاغة سنلمس الأثر الإقناعي للمجاز بصورة أوضح وأدق فالجرجاني يربط مباشرة عملية معنى بالعملية الحجاجية "إِذَا سمعْتُهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مِنْ شَأْنِ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ أَنْ تُكَسِّبَ الْمَعْنَى نِبَلًا وَفَضْلًا، وَتُوَجِّبَ لَهَا شَرَفًا، وَأَنْ تُفْخِمَهَا فِي نُفُوسِ السَّامِعِينَ، وَتَرْفَعَ أَقْدَارَهَا عَنِ الْمَخَاطِبِينَ، فَإِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ الشَّجَاعَةَ وَالْقُرْبَى وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ مِنْ مَعْنَى الْكَلِمِ الْمُفْرَدِ" ، وإنما يعنون إثبات معنى هذه الكلمة من ثبت له ويخبر بها عنه<sup>3</sup>. بمعنى أن المعنى الحقيقة لم يكن لها أثر من قوة المعنى وفحامته إلا في ظل المعنى المجازي الذي نقل لنا المعنى الحقيقي.

<sup>1</sup>- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 457

<sup>2</sup>- ابن رشيق، العمدة في محسن الكلام، ص: 266.

<sup>3</sup>- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص: 70.

يفسر ابن أثير السبب الذي يدفعنا إلى تجاوز الحقيقة إلى المجاز واعتباره الأولى في الاستعمال من الحقيقة، في قوله: "فاعلم أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة؛ لأنَّه لو لم يكن كذلك لكانَت الحقيقة التي هي الأصل أولى منه حيث هو فرع عليها، وليس الأمر كذلك؛ لأنَّه قد ثبت وتحقَّق أنَّ فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخيل والتصوير حتى يكاد ينظر إليه عياناً..... ولا يعدل عن الأصل إلى الفرع إلا لفائدة"<sup>١</sup> والسبب في نظره يعود إلى قصد الإثبات في النفس وإنْ هذه الوحدات التي ذكرها ابن الأثير تمثل عناصر المسار الحجاجي بالترتيب، حيث تنطلق العملية من المقصدية لتصل إلى الإثبات الذي هو جوهر الإقناع الذي محله النفس التي تعتبر النقطة النهائية في العملية الحجاجية. حتى أنَّ الإثبات بالعقل قد لا يصل في الكثير من الأحيان إلى الإقناع ما لم يثبت في النفس؛ لأنَّها محل الإيمان الذي لا يخالطه شك وإنْ ذلك من أسما درجات الإقناع، كما يذكر ابن الأثير أهم التعبيرات المجازية التي تحقق هذه النسبة العالية من الإقناع وهي "التخيل" و "التصوير".

يظهر وعي البلاغيين العرب بالإجرائية الحجاجية للمجاز بربطه بالمتلازمات المنطقية في قول السكاكي: "وإذا عرفت أنَّ إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتَّسَّى إلا في الدلالات العقلية وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كلنزوم أحدُهما الآخر بوجه من الوجوه ظهر لك أنَّ علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني، ثم إذا عرفت أنَّ اللزوم إذا تصور بين الشيئين فإذاً ما يكون من الجانبيين"<sup>٢</sup>، بهذا التصور الإجرائي لتلازم قضايا المجاز أي بين اللفظ والمعنى وبين المعنى والمعنى الأخرى المستتبطة من هذه العلاقات الدلالية المتلازمة، توسيع دائرة تفسير العلاقات المجازية بالمنطق، هذا ما أقرَّه السكاكي حين قال: "بأنَّ من أتقن أصلاً واحداً من علم البيان كأصل التشبيه أو الكنایة أو الاستعارة ووقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب به أطْلَعَه ذلك على كيفية نظم الدليل"<sup>٣</sup>، فهو بهذا الشرط "انتظام الدليل" يرمي إلى ضرورة تعلم كيفية الاستدلال للمسائل البلاغية، وإذا طرحنا السؤال لما لابد من تعلم مبادئ الاستدلال وما الفائدة من ذلك؟ فلا بُعدَّ لذلك غير أنَّ

<sup>1</sup> - ابن الأثير، المثل السائر، ص: 79، 78.

<sup>2</sup> - السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 330

<sup>3</sup> - السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 435

الوجوه البلاغية ما هي إلا أدوات إجرائية لتشكيل الخطاب الحجاجي، ونحن نقصي من هذا الإطار الخطاب البرهاني على اعتبار أن البرهان يعتمد على قضايا يقينية وكذلك على اللغة الصناعية.

عموما فإن المسائل البلاغية كالمجاز وما تفرع عنه من تشبيه واستعارة والتي كان الخلاف يدور حولها في الوقت نفسه ، أعطى كل ذلك دفعا قويا للنهوض بالفکر الإسلامي العقائدي وتأسيس نظرية بلاغية قائمة على أسس استدلالية.

### 6-3-1- حجاجية الاستعارة:

اعتنى علماء البلاغة بالاستعارة عنایة جد خاصة، حتى أن منهم من عد "الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حلي الشعر أعجب منها، وهي من محسن الكلام إذا وقعت موقعها"<sup>1</sup>، رغم أن الاستعارة فرع عن المجاز؛ إذ يقى "المجاز أعم من الاستعارة، وأن الصحيح من القضية في ذلك: أن كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة، وذلك أننا نرى كلام العارفين بهذا الشأن أعني علم الخطابة وتقد الشعر، والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع، يحرى على أن الاستعارة نقل الاسم من أصله إلى غيره للتتشبيه على حد المبالغة"<sup>2</sup>، والنقل هنا يكون للمعنى وعلاقة التشابه بين المستعار والمستعار له تكون على سبيل الاحتمال لا اليقين أي التشابه يكون من باب الترجيح.

كما أن الاستعارة عبارة عن تركيب خاص للكلام يتأسس على مبدأ الاستدلال القياسي الذي يعرف بالتمثيل عند أهل البلاغة "وَحَقِيقَةُ الِاسْتِعَارَةِ التَّمثِيلِيَّةِ أَنْ تُؤْخَذُ أُمُورٌ مُتَعَدِّدةٌ مِنْ الْمُشَبَّهِ وَتَجْمَعُ فِي الْخَاطِرِ وَكَذَا مِنْ الْمُشَبَّهِ بِهِ وَيَجْعَلُ الْمَحْمُوعَاتِ مُتَشَارِكِينَ فِي مَجْمُوعٍ مُنْتَزِعٍ يَشْمَلُهُمَا، وَمَذَهَبُ السَّكاكِيُّ هُوَ أَنَّ الِاسْتِعَارَةَ تَشْمَلُ التَّمثِيلَ، وَيُقَالُ: التَّمثِيلُ اسْتِعَارَةٌ تَمثِيلِيَّةٌ، وَأَمَّا عَلَى مَذَهَبِ عبد القاهر وجار الله فالاستعارة مُختصَّةٌ بِالْمَجَازِ فِي الْمُفْرَدِ الْمُبِينِ عَلَى التَّشْبِيهِ"<sup>3</sup>، ومن هذا المنطلق تقوم الاستعارة على أساس حاجاجية، "الاحتمال، الاستدلال القياسي". لكن ما هي المزاية التي تختص بها

<sup>1</sup>- ابن الرشيق، العمدة في محسن الشعر والنشر، 268.

<sup>2</sup>- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص: 398.

<sup>3</sup>- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القربي، الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية تج: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د، ط، ت)، ج 1، ص: 101

الاستعارة والتي تؤهلها لأن تكون أفضل أنواع المجاز؟ لعل هذه المزية اكتسبتها من ما تحمله من إفادة للمعنى.

النص التالي أجمل وظائف الاستعارة: "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبابة عنه، أو تأكيده والبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه؛ وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصبية؛ ولو لا أن الاستعارة المصبية تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة"<sup>1</sup>. بهذا الاستعارة تكون مصيبة إذا حققت أحد الأغراض المذكورة، وإنّ حل هذه المقاصد ما هي إلاّ أساليب حجاجية يروم الحاجج أن يحقق بها الإقناع؛ والاستعارة تشكل الآلة التي تلعب على وترتين وتر الجمع بين المترافقين وتشكل صورة تخيلية تعجب لها النفس، وتلعب الاستعارة في المقابل على وتر آخر وتر الجمع بين تركيب الكلام الاستدلالي الذي يقوم على المشاهدة وعلى القرينة التي تدل على المخدوف هذه القرينة تمثل الدليل الذي يؤسس المشاهدة التي يقبلها العقل، منه إذن فالاستعارة تتحقق القبول المنطقي العقلي وفي الوقت نفسه تتحقق الإعجاب النفسي التي تحدثه المغایرة والتي عرفت في البلاغة الجديدة باسم "الاستعارة الحية"<sup>2</sup> وإذا ما اجتمع ذلك وصلنا إلى قمة الإقناع.

توافق هذه الرؤية الغربية الجديدة للاستعارة مع ما ذهب إليه "الجرجاني" فقد خلص إلى جعل مدار الاستعارة "الإفادة" لا غير "فقد بنى الجرجاني كتابه في أسرار البلاغة، كما سيأتي على أساس النقل المفيد الذي يحقق معنى إضافيا ولذلك أقصى منذ البداية ما أسماه الاستعارة غير المفيدة وتكون الريادة في الدلالة كلما فتح باب التأويل بالغوص على المعانٍ، فالكتاب مبني كله على هذا الأساس وذلك خروجا بالمقولات البلاغية من مفهوم الاضطرار ، ومن أن تكون مجرد إجراءات غير هادفة، من خلال مراجعته بمفهوم الريادة والنقص في آخر الكتاب، إذ اشترط لمحازيتها أن يفيد معنى جديد<sup>3</sup> فهو بذلك أقر أنّ الاستعارة مرتبطة بالمقاصد و"المغایرة".

<sup>1</sup>- أبو هلال العسكري، الصناعتين، 268.

<sup>2</sup>- بول ريكو، الاستعارات الحية، ص: 267.

<sup>3</sup>- د: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 140.

قد استند طه عبد الرحمن على حجاجية الاستعارة في التراث البلاغي من خلال تصور الجرجاني للمفهوم الاستعارة الإجرائي المبني على "الادعاء" و"الاعتراض" كما جاء في كلام الجرجاني: "واعلم أن المعنى في المبالغة وتفسيرنا لها بقولنا جَعَلَ هذا ذاك، وجعله الأسد وادعى أنه الأسد حقيقةً، أنَّ المشبَّه الشيء بالشيء من شأنه أن ينظر إلى الوصف الذي به يجمع بين الشيئين، وينفي عن نفسه الفكر فيما سواه جملةً، فإذا شبَّه بالأسد، ألقى صورة الشجاعة بين عينيه، ألقى ما عداها فلم ينظر إليه، فإنْ هو قال زيد كالأسد، كان قد أثبت له حظاً ظاهراً في الشجاعة، ولم يخرج عن الاقتصاد، وإذا قال هو الأسد، تناهى في الدعوى، إما قريباً من الحق لف्रط بسالة الرجل، وإما متوجزاً في القول"<sup>1</sup>، ومن هذا النص ومن نصوص أخرى يشرح فيها الجرجاني استراتيجيه عمل الاستعارة القائمة على دعوى يفترضها المستعير وهي الادعاء بالمطابقة بين المستعار والمستعار له، وعليه فإن "المقتضى المعنوي للإدعاء هو أن القول الاستعاري يستند إلى بنية استدلالية"<sup>2</sup> فالجرجاني قد ربط بين الاستعارة وبين الحجاج وذلك من خلال استراتيجيه عمل هذه الأخيرة وكذلك من خلال الوظيفة التي تؤديها في إنتاج الخطاب البليغ وإن لم يصرح بذلك مباشرة، حتى يبدو حيادياً في آراءه، ذلك لأسباب مذهبية إذ ارتبط الحجاج في تلك الفترة بالجدل وأهل الكلام.

بينما السكاكي فقد صرَّح بهذا الارتباط عند تحديد مفهوم "الاستعارة هي أن تذكر أحد طرف التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"<sup>3</sup> والإثبات عند السكاكي لا يكون إلا " تتبع خوص تراكيب الكلام في الاستدلال"<sup>4</sup> وقد رأى أنَّ للاستدلال دور بارز في تراكيب الكلام بصفة عامة، دعا إلى ضرورة تعلمه، وأفرد له جزءاً هاماً من فصول كتابه المفتاح.

### 6-3-2- التمثيل قياس بلاغي :

شاع استعمال هذا النوع من أهم الأقىسة في كلام العرب، فلا يمكن أن نجد كلاماً عربياً يخلو منه، ولذا حتماً نجد له تسميات متنوعة، فيسميه علماء الفقه بالقياس وكذا علماء النحو:

<sup>1</sup>- عبد القاهر الجرجاني، *أسرار البلاغة*، ص: 250، 251.

<sup>2</sup>- طه عبد الرحمن، *النكتور العقلي*، ص: 306.

<sup>3</sup>- السكاكي، *مفتاح العلوم*، ص: 369.

<sup>4</sup>- السكاكي، *مفتاح العلوم*، ص: 435.

"القياس النظري النحوي وهو قياس الحكم على الحكم لغة جامعة أو لشبه بين الطرفين"<sup>(1)</sup>، أما في البلاغة العربية القديمة يظهر بشكل "القياس التطبيقي هو الذي نكتب به أساليبنا في الكتابة والتكلم أيضا"<sup>(2)</sup>، يظهر من التعريفين أنّ وظيفة القياس واحدة، الاختلاف يكمن في أدوات القياس، وما يلاحظ أنّ هذا النوع من القياس في البلاغة يعتمد على اللغة الطبيعية.

هذا يفسر اتساع مجالات توظيف هذا النوع من القياس مقارنة بالوجوه المجازية الأخرى، كما تبدو قوته التأثيرية في الإقناع من مدى استخدامه بين جميع أنواع المتكلمين على مختلف أنماطهم الثقافية، وفائدتهم الاجتماعية والسبب الوحيد في رأينا الذي أعطى التمثيل هذه القوة الحجاجية هو اعتماده على القياس المنطقي، وقد شكل "التمثيل" الموضوع الأبرز في كل الدراسات البلاغية، النقدية في التراث البلاغي. يعرفه المناطقة بقولهم: "قولٌ مؤلَّفٌ من قضايا تشتمل على بيان مشاركة جزئي آخر في علة الحكم يثبت الحكم له"<sup>(3)</sup>، كما يعرف عند البلاغيين بالتشبيه ويدخل فيه كل أنواع التشبيه، وكثيراً ما يوظف في الحدود لتقريب المفاهيم وإعطاءها صورة كاملة للمفهوم .

انطلاقاً من أن القياس عند العرب استخدم في كثير من العلوم العربية، نستنتج مدى الطوعية والمرونة التي يتميز بها رغم أنه يعتمد على المنطق وكذا الترتيب والانسجام بينه وبين حدود القياس. إذ يعتمد القياس التمثيلي عامة سواء عند الفقهاء وهو قياس الأصل على الفرع أو عند البلاغيين الذين عرفوه باسم التشبيه على رابط يجمع بين حدي القياس وهذا الحد المعروف بوجه الشبه عند البلاغيين أو بالعلة الجامعية عند علماء الفقه وبالتالي: "أيا كانت الصيغة التعبيرية التي يرد بها "القياس" إما مقارنة أو تشبيهاً أو استعارة أو غيرها فإنه يقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما"<sup>(4)</sup>، باعتبار أنّ "الشَّبَهَ مُتَّرِعٌ من مجموعها، من غير أن يمكن فَصْلُ بعضها عن بعض، وإنْفَادُ شطر من شطر، حتى إنك لو حذفت منها جملةً واحدةً من أيّ موضع كان، أخلَّ ذلك بالمعنى من التشبيه، ولا ينبغي أن تعدَّ الجُملَ في هذا النحو بعدَ التشبيهات التي يُضمَّ بعضها إلى بعض، والأغراض الكثيرة التي كل واحدٍ منها منفردٌ بنفسه، بل بعدَ جُملٍ تُنسَقُ ثانيةً منها على أولَةٍ، وثالثةً على ثانيةٍ،

<sup>1</sup> - حسان ثمام، الأصول، ص: 66.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 153.

<sup>3</sup> - ألكسندر أغتنمانوفا، علم المنطق، ص: 195.

<sup>4</sup> - طه عبد الرحمن أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص: 98.

وهكذا، فإنّ ما كان من هذا الجنس لم تترتب فيه الجمل ترتيباً مخصوصاً حتى يجب أن تكون هذه سابقةً وتلك تالية والثالثة بعدهما،<sup>1</sup> وإنّ كل هذه الصفات "الترتيب"، "التنسيق"، "اللزوم"، "اللائق" تعطي للتمثيل المصداقية الكاملة التي تعلن بلوغ الحقيقة التي هي قيمة سامية في الحجاج. ورغم أنّ التمثيل واسع الاستعمال. غير أنه ظلت الدراسات تبحث في أثره العميق على المعنى وفي سلطته على العقول فكترت بشأنه الأقاويل.

يعتبر "عبد القاهر الجرجاني" من البلاغيين العرب الذين كان لهم دور فعال في رسم حدود "التمثيل" الاقناعية في المنظومة البلاغية العربية، خاصة من حيث الإجراء، بعد أن ضبط مفاهيم هذا النوع من القياس ورفع عنه ما اعتبره من الشبهات فقد يُ بين الجرجاني في باب التمثيل أنه من بين أهم صور الاستدلال حيث يقول: "واعلم مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعانٍ، أو بربّت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورتها كساها أبجدة، وكساها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقصاصي الأفندة صباة وكلفا، وفسّر الطياع على أن تعطيها محبة وشغفا".<sup>2</sup> فالجرجاني نظر إلى التمثيل كأدلة ذات قوة جبارة في دعم الكلام وجعله في متزلة أرقى مما لو أنه خلا من التمثيل؛ لأنّه يضفي على المعنى نوعاً من السحر والجلال، فهو يجذب النفوس ويبيه العقول.

ما يشير الاهتمام عند الجرجاني أنه نازعه البحث عن السبب الذي يجعل هذا النوع من القياس "التمثيل" له هذه الطاقة الكبيرة في الإقناع فيعقد لذلك باباً خاصاً، ويعلل ذلك بقوله: "فأول ذلك وأظهره، أنّ أنس النفوس موقف على أن تخرجها من خفي إلى حليّ، وتأثيرها بصريح بعد مكّني، وأن ترددّها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه اعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس وعما يعلم بالتفكير إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع".<sup>3</sup> فالسبب الوحيد في نظر الجرجاني هو أنّ للتمثيل علاقة مباشرة مع النفس، فالطرق التي يعمل بها هذا النوع من القياس وهي "الاحفاء"، "الكتابية"، "اللائق" "التقرير" تمثل لها النفس البشرية فتعمل على إثارتها والانقياد لغاية المتكلم بكل سهولة.

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 109.

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص: 115.

<sup>3</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 121.

إن هذه العلاقة بين المعاني التي تنتج عن التمثيل وبين النفس البشرية أشار إليها "بيرمان" في قوله: "إن نظرية الحجاج تستهدف، بفضل الخطاب، التأثير الفعال على الأذهان، كما يمكن أن تستغل كفرع لعلم النفس، بالتأكيد إذا لم تكن الحجاج مقيدة، إذ ليس حتماً أن تكون مقنعة، لكن يكفي أن تملك نوع من القوة التي تمكّنها رغم ذلك من أن تعدد حسب المستمعين....يصبح عندئذ الدرس الحاجي أحد المواضيع النفسية التجريبية، حين تصبح الحجاج المتعددة أمام اختبارات المستمعين المتتنوعين"<sup>1</sup> ينتج عن هذا التنوع في المستمعين تعدد في الرؤى؛ لأنها تتوقف على نفسية كل فرد والحجاج تكون بمثابة وقع على النفوس فتحاصرها وتتغلغل إلى رغباتها وأهوائها وميولها فتعمل عمل السلطة القوية غير أنها تعمل في الخفاء، لكن تتطلب جهداً أكبر ومرونة أكثر.

إن هذه الطرق التي يعمل بها التمثيل، بالتفاعل مع بعضها البعض تقوم عليها في الحمل الصور البلاغية الأخرى حسب الجرجاني، كالتشبيه بأنواعه والكلنائية وخاصة الاستعارة "وهو بذلك جعل من هذه الأنواع البلاغية أصولاً تتفرع حل محسن الكلام عنها وتدور أقطاب المعاني وأقطارها، وصنعيه هذا القائم أساساً على الذوق المرهف الإحساس العميق والاعتماد على العقل، والاستفادة من جهود سابقيه وبلورتها كي تصبح أصيلة جعلته متفرداً في عمله، إذ لم يتافق أحد مثله عند التشبيه والاستعارة والتمثيل ككل، يدرسها معاً، ويربطها ربطاً واضحاً، يحاول فيه أن يوجد أوجه الاختلاف والتتشابه بينهما بالقياس إلى درجة الإثبات والمشابهة"<sup>(2)</sup> ولعل وجه الشبه الذي نستخلصه من هذا الرابط هو "الاستلال" الذي يحرك كل هذه الصور البيانية ويقودها إلى حاجية الخطاب البلاغي وتمكنه من النفس.

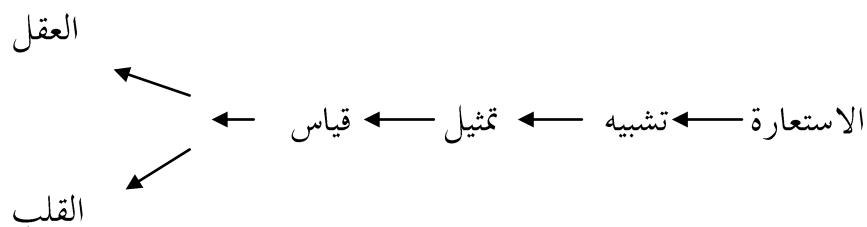
أول ما نلمس فيه التصور الاستدلالي لطرق عمل الصور البيانية عند الجرجاني هو : "اهتمام مفيد في بيان تصور الجرجاني للآلية الاستدلالية التي يقصدها والتي تمكن من الانتقال من المعنى الأول

<sup>1</sup> - P :12 la théorie de l'argumentation visant, grâce au discours, à obtenir une action efficace sur les esprits, aurait pu et retraitée comme une branche de la psychologie. En effet, si les arguments ne sont pas contraignants, s'ils ne doivent pas nécessairement convaincre mais possèdent une certaine force, qui peut d'ailleurs varier selon les auditoires, n'est-ce pas à l'effet produit que l'on peut.....l'étude de l'argumentation deviendrait ainsi un des objets de la psychologie expérimentale, ou des argumentations variées seraient mises à l'épreuve devant des auditoires variés.

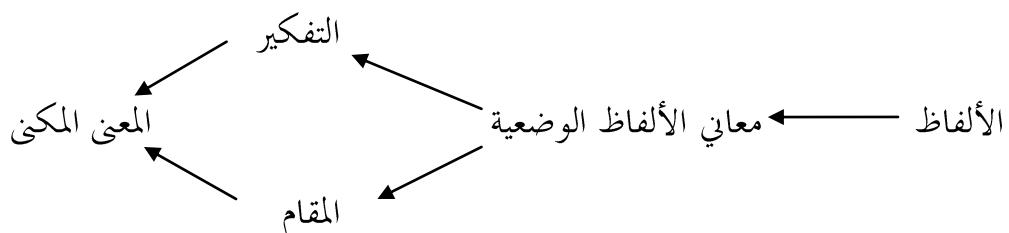
<sup>2</sup>- د:أحمد علي الدهان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، "منهجاً وتطبيقاً" وزارة الثقافة، دمشق، ط2، س 200، ص:283.

إلى المعنى الثاني<sup>(1)</sup>، فالأساليب البلاغية كما شرحها عبد القاهر الجرجاني تعتمد على معارف سابقة "المعنى الأول" لتنقل عن طريق عملية عقلية "استدلالية" لتصل إلى معارف جديدة "المعنى الثاني".

بينما الشيء الآخر الذي نلمس فيه التصور الاستدلالي للصور البينية هو تبع ما قاله عن خصائص كل صورة على حدة فتجده يقول عن الاستعارة مثلاً: " فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول"<sup>(2)</sup> فالجرجاني وصل إلى حقيقة استدلالية الاستعارة من خلال الحجة التتابعية.



الكنية تنحى نفس المنحى الاستدلالي عند الجرجاني إذ يقول: "وإذ قد عرفت هذه الجملة، فينبغي أن تنظر إلى هذه المعاني واحداً واحداً، وتعْرِفَ مَحْصُولَهَا وحقائقَهَا، وأن تَنْظُرَ أولاً إلى الكنية"، وإذا نظرت إليها وجدتَ حقيقتها ومحصولَ أمرها أنها إثباتٌ لمعنى، أنت تَعْرِفُ ذلك المعنى من طريقِ المعقولِ دونَ طريقِ اللفظ.<sup>(3)</sup>" منه نستنتج أن دلالة الكنية تستدل عليها من خلال تقليب المعنى في الفكر عن طريق الألفاظ التي تعمل هنا كحجج على المعنى المقصود.



<sup>1</sup> - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ص: 42.

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 20.

<sup>3</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص: 431.

ما قاله "الجرجاني" عن الاستعارة والكتابية وارتباط كل منها بالاستدلال قاله عن التمثيل: "إِنَّ التَّمْثِيلَ... فَهُوَ يُفِيدُ أَمْرًا آخَرَ يَجْرِي بِحَرَاجٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَصْفَ كَمَا يَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ الْحَجَةِ عَلَى صَحَّةِ وُجُودِهِ فِي نَفْسِهِ، وَزِيادةِ التَّثبِيتِ وَالتَّقرِيرِ فِي ذَاتِهِ وَأَصْلِهِ، فَقَدْ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانِ الْمَقْدَارِ فِيهِ، وَوُضُوعِ قِيَاسٍ مِنْ غَيْرِهِ يُكَشِّفُ عَنْ حَدَّهِ فِي الْقُوَّةِ وَالْعَصْفِ وَالْزِيَادَةِ وَالْنَّقْصَانِ"<sup>1</sup>، فالعمليات الاستدلالية التي تقوم عليها الصور البلاغية حسب الجرجاني، لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنها تحدد دلالة الكلام بعد أن كان قائماً على مبدأ الاحتمال، إذا كان يقع هذا الكلام ضمن البليغ أو أبلغ من البليغ أو المعجز أو عكس ذلك تماماً، أي الكلام المبتذل، فهي بذلك أدلة ثبات ومادة حية تستوعب المتفرقات وتصنف منها قوة حاجاجية ترفع عنها الالتباس وتقرر بها اليقين بأسلوب نابض بالجمال الفني الذي تتوقف النفس ويتقبله العقل، لذا لا مناص لهذه الأساليب البينية من أن تخرج عن قواعد الاستدلال.

#### 6-4-أنواع الدلالة وأثرها الحاججي:

إنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْاِسْتِعَارَةِ أَوِ التَّمْثِيلِ أَوِ الْمَجازِ عَامَةً يَجْرِنَا حَتَّمًا إِلَى الْكَلَامِ حَوْلِ الْحَذْفِ أَوِ ما يُسَمِّي الإِضْمَارِ كَمَا يَقُولُونَا إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ الْاِقْتِضَاءِ أَوِ الْلَّزُومِ وَحَتَّى عَنِ التَّضْمِينِ؛ وَيَدْعُمُ كَلَامَنَا هُوَ مَا قَالَهُ صاحبُ الْمُفتَاحِ عَنِ ذَلِكَ عَنْ دِحْيَهِ عَنْ مَفْهُومِ الْبَيَانِ، بِحِيثُ اعْتَبَرَ أَنَّ السَّامِعَ إِنْ "لَمْ يَفْهَمْ شَيْئًا أَصْلًا وَإِنَّمَا يَكْنِي ذَلِكَ فِي الدَّلَالَاتِ الْعُقْلِيَّةِ مُثْلًا أَنْ يَكُونَ لِشَيْءٍ تَعْلُقُ بِآخَرَ وَلَثَانَ وَلَثَالِثَ إِنْ أَرِيدُ التَّوْصِيلَ بِواحِدِ مِنْهَا عَلَى الْمُتَعَلِّقِ بِهِ فَمَمْتَقَّتْ تَفَاقُوتُ تِلْكَ الْثَّلَاثَةِ فِي وَضْوَحِ الْتَّعْلُقِ وَخَفَائِهِ صَحَّ فِي طَرِيقِ إِفَادَتِهِ الْوَضْوَحُ وَالْخَفَاءُ، وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ أَنَّ صاحبَ الْبَيَانِ لَهُ فَضْلٌ احْتِياجٌ عَلَى التَّعْرُضِ لِأَنْوَاعِ دَلَالَاتِ الْكَلْمَنِ فَنَقُولُ: لَا شَبَهَةٌ فِي أَنَّ الْلَّفْظَةَ مِنْ كَانَتْ مَوْضِيَّةً لِمَفْهُومٍ أَمْكَنَ أَنْ تَدْلِي عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةِ وَلَا نَقْصَانِ بِحِكْمَةِ الْوَضْعِ، وَتُسَمَّى هَذِهِ دَلَالَةُ الْمَطَابِقَةِ وَدَلَالَةُ وَضْعِيَّةِ وَمَتِّي كَانَ لِمَفْهُومِهَا ذَلِكَ وَلَنْسَمِهِ أَصْلِيًّا تَعْلُقٌ بِمَفْهُومٍ آخَرَ أَمْكَنَ أَنْ تَدْلِي عَلَيْهِ بِوَسَاطَةِ ذَلِكَ التَّعْلُقِ بِحِكْمَةِ الْعُقْلِ سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ الْمَفْهُومُ الْآخَرُ دَاخِلًا فِي مَفْهُومِهَا الأَصْلِيِّ كَالسَّقْفِ مَثَلًا فِي مَفْهُومِ الْبَيَانِ وَيُسَمِّى هَذِهِ دَلَالَةُ التَّضْمِنِ وَدَلَالَةُ عُقْلِيَّةٍ أَيْضًا أَوْ خَارِجًا عَنِهِ كَالْحَائِطِ عَنْ مَفْهُومِ السَّقْفِ وَتُسَمِّى

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 125.

هذه دلالة الالتزام ودلالة عقلية أيضاً<sup>1</sup> من هنا نستنتج أنَّ فهم الكلام يتوقف على دلالة المعنى، والفهم في العملية الحاججية يعتبر أول درجة يبدأ بها الحاجج إذا ما أراد بلوغ الإقناع.

### 1- دلالة الاقتضاء واللزوم:

إنَّ دلالة اللزوم من بين أهم العلاقات التي تربط الحاجج عند "بيرلان"، وإننا عند استقراء الوجوه البلاغية في التراث البلاغي قد تتوقف على أحد هذه العلاقات، "الاقتضاء واللزوم" هذا ما يفسر لنا الحضور المهم لهاتين العلائقين في محور الدراسة النقدية البلاغية؛ فمثلاً عند تعريف "الجرجاني" للاستعارة يربط مفهومها بدلالة الاقتضاء في قوله: "وهو أن الاستعارة وإن كانت تعتمد التشبيه والتتمثيلَ وكان التشبيه كما لا يخفى يقتضي شيئاً مشبَّهاً ومشبَّهاً به..."<sup>2</sup>، ويربط عمل التشبيه كذلك بدلالة الاقتضاء "أنَّ مدار التشبيه على أنه يقتضي ضرباً من الاشتراك"<sup>3</sup> هذه بعض النماذج من أقوال كثيرة في التراث البلاغي تجزم ارتباط دلالتي الاقتضاء واللزوم للوصول إلى المعنى الخفي للأساليب البلاغية.

يجمل القول في البلاغة العربية أنَّ المجاز يرتبط بهذه الدلالة حسب رأي السكاكي إذ يؤكّد أنَّ "انصباب علم البيان على التعرض للمجاز والكلناء فإنَّ المجاز ينتقل فيه من الملزم على اللازم"<sup>4</sup> تبدو عندئذ أنَّ الدلالة ما هي إلَّا عملية منطقية استدلالية، فالمعروف أنَّ "مبدأ اللزوم سواء كان صوريًا أو ماديًا، فهو في الأساس انتقال من شيء إلى شيء لازم عنه، وهو من أدوات المنطقي الضرورية في كل تركيب وفي كل حكم"<sup>5</sup> ومفاد هذا التعريف أنَّ دلالة اللزوم ناشئة من الاستدلال المنطقي، الذي يؤسس للحقيقة التي يرمي إليها الحاجج قصد إعطاء الكلام المصداقية التي هي أهم وسائل الإقناع ومقاصد الحاجج.

<sup>1</sup>- السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 329، 330.

<sup>2</sup>- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 241.

<sup>3</sup>- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص: 99.

<sup>4</sup>- السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 330.

<sup>5</sup>- محمد شطوطى المنطقية النظرية عند الشيخ الرئيس ابن سينا، دار صقليـة، دار قرطبة، ط1، س2007م، ص: 213، 212.

الاستدلال عند الجرجاني يعني طلب "للدليل على ما تفيد الصيغة الصرفية، باتخاذ المعنى الأول المفهوم من اللفظ دليلاً على ما المعنى الثاني فإنّ الاستدلال علاقة بين معنين متلازمين أحدهما مقول، منطوق والآخر مستلزم منه بوجه من الوجوه"<sup>(1)</sup>، فهذه العلاقة الإستلزمائية بين المعنى الأول والثاني هي التي لها الدور الفعال في بناء الدليل لاسيمما الدليل البلاغي

إنّ دلالة الالتزام "تحتاج إلى أمر خارجي لعقد الصلة التي تكون بين اللفظ ومعناه وبين "الدال والمدلول"<sup>(2)</sup>، هذه الصلة التي تكون بين اللفظ ومعناه هي ما تسمى في عرف البلاغيين بالقرينة التي تدل على المعنى،" فهي إذن ترتبط بين المعنى الحقيقي أي الوضعي وبين المعنى المحازي في الأساليب البلاغية لا تختلف في وظيفتها عن العلة "<sup>(3)</sup> أي العلة الجامعة التي تكون في حدي الاستدلال فتؤدي وبالتالي إلى نفس النتيجة، كذلك القرينة تجمع بين المعنى الحقيقي وبين المعنى المحازي بعد أن كان أحدهما بعيداً عن الآخر فتضنهما في خانة واحدة إما لزوماً أو اقتضاء.

الدلالة النزومية هي دلالة عقلية وهي نفسها دلالة "معنى المعنى" الذي استند عليها عبد القاهر الجرجاني في تفسير مختلف الأساليب البلاغية تفسيراً استدلاليًا. وهي عملية يقوم بها المخاطب استناداً على دلالة المعنى ، إذن هذه العملية الاستدلالية البلاغية تجعل المخاطب مشاركاً في طلب الدليل مما يعزز قوة الحجاج كأنّ المخاطب هو الذي جاء بالدليل.

<sup>1</sup> - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ص: 60.

<sup>2</sup> - إدريس بن خويما "البحث الدلالي عند الأصوليين قراءة في مقصديه الخطاب الشرعي عند الشوكاني، مطبعة بن سالم، الأغواط، ط١، (د، تا)، ص: 51.

<sup>3</sup> - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص: 70.

## 2- دلالة التضمين والإضمار:

بلغ انشغال القدماء بدلالي التضمين والإضمار حدا واسعا، حيث نلاحظ أنها أخذت حيزا لا يأس به في الدراسات البلاغية العربية، وإذا دققنا النظر نجد أن السبب يعود إلى ما أشار له الجرجاني في فاتحة كلامه عن الحذف، فقد خص بابا كاملا حول الحذف أو ما سمي بالإضمار، إذ يقول: "الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أوضح من الذكر والصمت عن الإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"<sup>1</sup> أي أن للحذف في البلاغة العربية معانٍ بلاغية جلية تجعل المعنى أقوى وأدل من أن ينطق به صراحة، ويكون الحذف أكثر ما يكون في القياس إذ أن "خفاء الصفات المشتركة في الاستدلال القياسي قد يقوى من القدرة الاقناعية لهذا الاستدلال"<sup>2</sup> ويضرب لذلك عبد القاهر الجرجاني أمثلة، يبين من خلالها المعانٍ التي يضفيها الحذف على الكلام من جمال وقوه وأثر لا مثيل له على النفس. وقد أطال الجرجاني شرح ما يجب فيه الحذف وما لا يجب.

الإضمار عادة ما يكون فيه "المدلول مضمراً أي مخدوفاً من الكلام" ويكون تقديره ضروريا يتوقف عليه صدق المتكلم، إذ يستحيل فهم الكلام إلا بتقدير المخدوف"<sup>3</sup>، وقد بين عبد القاهر الجرجاني في باب الحذف أهمية الحذف في النص القرآني ودوره الاعجازي، وكثيراً ما ربط بين الحذف والبلاغة. ويتبين ذلك من خلال تحليلات الجرجاني للشواهد الشعرية أو الأمثلة المتداولة في التراث العربي التي قدمها حول كل الأساليب البلاغية.

المعنى المخدوف لا يمكن الوصول إليه إلا في ظل السياق النصي والمقامي وهذا ما ترسم الاستعارة أبعاده "فهي طرف الاستعارة تكون أمام معنى جديد، نابع من التفاعل الحي من الدلالات القديمة لكل طرف من طرفيها داخل السياق الجديد الذي وضعت فيه"<sup>4</sup> وعليه نستنتج من خلال ذلك أن الدليل الذي يوصلنا إلى المعنى المراد من الأساليب البلاغية يكون منبعه نص الكلام أو المقام الذي قيل بشأنه هذا الكلام، وتتوقف هنا مهمة استنباط المخدوف على المستمع الذي يكمل

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 146.

<sup>2</sup> - عبد الحادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 108.

<sup>3</sup> - الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ج 3، ص: 22.

<sup>4</sup> - د:أحمد علي الدهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، ص: 248.

استدلالات المتكلم، فهو مطالب بأن يبذل الوسع في استحضار كل العناصر الضرورية لإقامة صحة هذا الاستدلال متلزم في ذلك روح التعاون التي يجب أن تقوم بين المتحاورين<sup>1</sup>، تبرز عندئذ حاجية دلالة المخوف في الرفع من فاعلية الخطاب البلاغي، فالمسألة التي تتم بين المستمع والخطاب تفتح أمام المستمع فرصة الدعوى والنقض، وكلاهما يحتاجان إلى حجج يستنبطها المستمع من القرائن ومن المقام، ويتنتقل بذلك المستمع من مجرد مستقبل للكلام إلى محاجج، لكن في هذه الحالة يكون الإقناع مرهوناً بين طرفين (الخطاب، ذات المستمع).

أما دلالة التضمين فيقصد بها أن: يكون المعنى جزءاً من المعنى الذي أداه اللفظ الحقيقي، "بلاغة الكناية والمحاز التي تحدث عنها الجرجاني تعود إلى كثرة المعاني التي يؤديها القول بإيجاز في أقصر لفظ يجمع دلالة صريحة غير مقصودة في ذاتها بدلالة ضمنية تمثل المراد من الكلام"<sup>2</sup>، و يسميه البعض الآخر إيداع، كما "هذا الباب يسميه من لا يعرف اصطلاح أهل هذه الصناعة تضميناً"<sup>3</sup>، المهم هو ما يعرف اليوم في الوسط البلاغي بـ"الاقتباس" و يكون على طريقتين إما تضمين الكلام معاني أخرى سبق تداولها، "قد أطبق المتقدمون والمتاخرون على تداول المعاني بينهم؛ فليس على أحد فيه عيب إلّا إذا أخذه بلفظه كله، أو أخذه فأفسده، وقصر فيه عن تقدمه، وربما أخذ الشاعر القول المشهور ولم يبال"<sup>4</sup>، وإما عن طريق الاستشهاد وكثيراً ما يكون بالنص القرآني أو الشعر، على اعتبار أن الشعر هو ديوان العرب، إذ اعتبر "الشعر هو الحجة"<sup>5</sup>، وإن هذه الوسيلة البلاغية ربطها البلاغيون بالحجاج مباشرة فقد أشار قول صاحب الصناعتين لذلك في قوله: "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أنجح صنعة الشعر، وبجرأة مجرى التذليل لتوليد المعنى، وهو أن تأتى بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحججة على صحته"<sup>6</sup>. فالدرس البلاغي العربي لم يخرج عن الإطار العام لما كان معمولاً به في كلام العرب، ليبين أصالة التضمين في الكلام العربي الذي يراد منه الحجة وتقرير الدليل.

<sup>1</sup>- عبد الحادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 108.

<sup>2</sup>- شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ص: 44.

<sup>3</sup>- ابن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنشر، ص: 380.

<sup>4</sup>- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 197.

<sup>5</sup>- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، الإمتناع والمؤانسة، المكتبة العنصرية، بيروت ط1، س 1424هـ، ص: 252.

<sup>6</sup>- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 416.

يلاحظ أن الدرس البلاغي القديم كلما تعرض لقضية بلاغية ما إلاّ وربطها بدلالة الإضمار أو دلالة التضمين أو كلاهما معاً، يظهر ذلك من خلال التحليل التطبيقي للمسائل البلاغية في الخطاب الشعر أو الخطاب الشري وخاصة في التفسير أو التأويل.

### 6-5-الإيقاع والتخيل بين "الصدق والكذب":

احتدم الصراع بين البلاغيين العرب القدماء حول مسألة ضرورة تحرير الصدق وبين ضرورة التفنن في الكذب خاصة في الشعر حتى سار عندهم المثل القائل "أعدب الشعر أكذبه"، لكن هذا قد يوقع المخاطب إلى المصادر أو السخرية ويؤخذ الكلام من باب التمتع لا يرقى إلى مستوى الإبانة والاستدلال القوي، هذا جعل أهل البلاغة يبحثون على ما يمكنه أن يضع الحدود لهذه المعضلة البلاغية.

فذهب جل البلاغيين إلى أن البلاغة العربية في الأصل تتحقق إلى الصدق، كقولهم: "إذا دعت الضرورة إلى سوق خير واقتصاص كلام، فتحتاج إلى أن تتونح في الصدق، وتتحرّى الحقّ؛ فإن الكلام حينئذ يملّكك ويوجّلك إلى إتباعه والانقياد له"<sup>1</sup>، لكن الكذب هو فرع قد تستعين به البلاغة إذا دعتها الحاجة إلى ذلك، وبما أنّ البلاغة تقوم على "المغايرة" فإن تحرير الصدق لا يحقق هذا المطلب في الكثير من الأحيان، وقد يكون الكذب أفضل سبيلاً إلى ذلك.

هذا يفسر ما ذهب إليه ابن وهب عندما تحدث عن مسألة "الاعتبار" التي قصد بها الاستدلال حيث رأى أنه لا يكون بالقياس وحده بينما قد يكون بالخبر ويقسمه إلى خبر صادق ومنه التواتر والخبر دون ذلك، كما أن الاعتبار يكون بالظن والتخمين ويكون بطريقة "السبر والتقصيم" ويؤول هذا الاعتبار إلى الاعتقاد، وقسمه إلى ثلاثة أقسام القسم الثاني منها هو "المشبه" وهو الذي يحتاج إلى إقامة الحجة للاستدلال على صحة الاعتقاد به<sup>2</sup>، فهو بهذا التقسيم لأنواع الاستدلال أقرّ أن هنا ما يعتمد الصدق وهناك ما يعتمد الظن وهذا القسم لا هو صادق ولا هو كاذب فهو بين بين.

<sup>1</sup>- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 147.

<sup>2</sup>- ينظر ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص: 85 إلى ص: 87.

كما أن ابن وهب يقسم القياس إلى: القياس الصادق وهو البرهان و القياس الكاذب وهو القياس الشبه "فالشبه في الحد هو الذي يحكم لشبهة يمثل حكمه إذا وجد فيه فيكون ذلك قياسا صادقا وبرهانا واضحا، والشبه في الوصف هو الذي يحكم لشبهة به، فيكون في بعض الأشياء صادقا، وفي بعضها فيكون كاذبا"<sup>1</sup>، فهنا إشارة واضحة لأنواع المقدمات التي يوظفها المناظقة في بناء القياس والتي تكون صادقة صدقا حتميا والمقدمات التي يوظفها صانع الخطاب والتي تترواح بين الصدق والكذب.

بما أنّ مسألة الكذب أحدثت نوعا من الارتباك في مصداقية الحجاج وأثر ذلك على العملية الحجاجية، حاولت عندها البلاغة العربية القديمة أن تضع حدا لهذا الصراع فأحدثت عندها هذه المسألة بعدها آخر باقترانها بمسألة "التخيل" الذي أحدث نقطة تغيير وفصل لهذا الصراع وأخذ بعدها حجاجيا قويا تحطى عتبات "الصدق".

بما أنّ الفكر العربي البلاغي قام على الفهم والإفهام لكن يكون ذلك بأسهل الطرق وأدق العبارات لذا قد لا يتحقق للمتكلم أن يصل إلى هذه الغاية بما هو متاح له في عالمه الواقعي فينشئ عالما وهميا خاصا يحاك به العالم الواقعي، يعبر به عمما يحتاج في نفسه، وهذا ما عرف في الموروث البلاغي العربي بالتخيل، وقد استطاع الجرجاني أن يعطي مفهوما كاملا للتخيل بعيدا عن المفهوم الفلسفي الذي غالب على هذا المصطلح في تلك الفترة، بقوله: "الذي أريده بالتخيل ها هنا، ما يُثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابتٍ أصلاً، ويُدعى دعوى لا طريقَ إلى تحصيلها، ويقولُ قولًا يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى".<sup>2</sup> يرتبط إذن التخييل بالشعر والوهم وبالخداع لكن هذه العناصر لها ارتباط بالخصائص الفنية أكثر من ما توحيه معانيها.

التخيل لا يقع في الشعر فقط في المنظور العام البلاغي العربي، وهذا "لما كان علم البلاغة مشتملا على صناعتي الشعر والخطابة وكان الشعر والخطابة يشتراكان في مادة المعاني ويفترقان بصوريتي التخييل والإقناع وكان لكلاهما أن تخيل وأن تقنع في شيء من الموجودات الممكن أن يحيط بها علم إنساني وكان القصد في التخييل والإقناع حمل النقوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلص

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص: 68.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة، ص: 275.

عن فعله واعتقاده وكانت النفس إنما تتحرك لفعل شيء أو اعتقاده أو التخلص عن واحد من الفعل والطلب والاعتقاد بأن يخيل لها أو يقع في غالب ظنها أنه خير أو شر بطريق من الطرق التي يقال بها في الأشياء إنما خيرات أو شرور<sup>1</sup> منه فإن التخييل في الشعر يعمل نفس عمل الأدلة العقلية في الكلام المنشور.

إنما قد يوظف التخييل في الخطاب إن كان لذلك حاجة كما قد يوظف الاستدلال المنطقي في الشعر، " وإنما ساغ لكتلهم أن يستعمل يسيرا فيما تقوم به الأخرى، لأن الغرض في الصناعتين واحد، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النقوش بمحال القبول لتتأثر لمقتضاه. فكانت الصناعتان متواختين لأجل اتفاق المقصود والغرض فيهما. فلذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه"<sup>2</sup> لأن طبيعة تقوم على الإحساس والعواطف أكثر من الحجج والمنطق وإن كثر فيه مثل هذا ذهب جمال الشعر وسحره ، إنما الجمال هو الذي يقع في النفس ويتحقق به الإقناع المتع ، على غرار الخطاب يقوم على الأدلة العقلية والحجج المنطقية مع حاجة كل نفس إلى عجيب التخييل دون مبالغة قد تجعل الكلام متكلفاً يشوبه الكثير من الغموض.

الخداع المرتبط بالتخيل لا نفهم منه ذلك الخداع الذي فيه تخايل والمنافي للقيم، إنما هو تصوير ما لا وجود له على أنه حقيقة، والهدف هنا ليس هو تغيير الواقع وتزييفه إنما حمل النفس على إدراك ما لا يدرك أو تعيش ما ليس موجوداً أصلاً وهذا "لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب إنما أن يرد على جهة الإخبار والاقتراض وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال، وكان اعتماد الصناعة الخطابية في أقاويلها على تقوية الظن لا على إيقاع اليقين - اللهم إلا أن يعدل الخطيب بأقاويله عن الإقناع إلى التصديق، فإن للخطيب أن يلم بذلك في الحال بين الأحوال من كلامه- واعتماد الصناعة الشعرية على تخيل الأشياء التي يعبر عنها بالأقاويل وبإقامة صورها في الذهن بحسن المحاكاة، وكان التخييل لا ينافي اليقين كما نافاه الظن، لأن الشيء قد يخيل على ما هو عليه وقد يخيل على غير ما هو عليه، وجب أن تكون الأقاويل الخطابية - الاقتصادية كانت أو احتجاجية - غير صادقة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق، لأن ما يتقوم به وهو الظن مناف للاليقين"<sup>3</sup> من هذا النص

<sup>1</sup>- حازم القرطاجي، منهاج البلاغاء وسراج الأدباء، ص: 19، 20.

<sup>2</sup>- حازم القرطاجي، منهاج البلاغاء وسراج الأدباء ، ص: 361.

<sup>3</sup>- نفس المرجع، ص: 62.

نفهم أن التخييل يقترب من اليقين كما قد يقترب من الظن وإنْ هذه الاحتمالية المتناهية بالتقريب بين قطبي الشك واليقين تتوافق والطرح الغربي الذي قامت عليه بلاغة الحاجاج في الفكر البلاغي المعاصر.

أما العنصر المهم المرتبط بالتخيل حسب الجرجاني هو الوهم الذي يتفضل المتكلم في خلقه؛ لأنّه يتعلق بالقدرات الإبداعية، ولأنّ "الوهم قائم على قوة القرينة". وحينئذ لا بد أن تتناصر قوى العقل جموعاً على كسر هذه المقاومة من طريق البرهان؛ وذلك عمل الجدل، والجدل عصب البلاغة. وربما حدث مع ذلك كله أو بدون ذلك كله، فتور في الطبع فلا ينشط الحديث ولا يرتاح إلى رأي. وهنا يجب على صاحب البلاغة أن يدفع السأم ويحرك النشاط، في Yoshi الحقيقة بخياله، ويحيي الأسلوب<sup>1</sup> فوظيفة التخييل تتجلّى في القوة الحاججية التي يقدمها للمستمع ويقوده في رحلة ممتعة إلى عوالم يصنعها بنفسه يجعله يعيش فيها ويقتني له منها ما يتلاءم ونفسه فترتاح لها وتتهيأ لقبول أي شيء وإنْ كان زيفه ظاهراً، فقد يكون مفعول التخييل أقوى من أي مخدر قوي.

## 6- الفصل والوصل الحاججي:

تقوم أغلب الوجوه البلاغية على أشكال الوصل والفصل الحاججي في الموروث البلاغي العربي، بل إنْ هناك من حصر البلاغة في معرفة مواضع الفصل من مواضع الوصل في الكلام، والنص التالي يقر بذلك: "قيل للفارسي: ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل. وقال المأمون لبعضهم: من أبلغ الناس؟ فقال: من قرّب الأمر بعيد المتناول..... ؟ فإن البلاغة إذا اعترلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام"<sup>2</sup> فمهمة الوصل والفصل قبل كل شيء هو ترتيب أجزاء القول الذي هو من بين أهم عناصر بنية الخطاب الحاججي في البلاغة الجديدة.

علاقة الوصل بالفصل هي علاقة عكسية، بحيث أنّ "الوصل عطف بعض الحمل على بعض والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر، صعب المسلوك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علمًا بكلّه، إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعًا سليمًا، ورزق في إدراك أسراره ذوقًا صحيحًا، وهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل، وما قصرها عليه؛ لأنّ الأمر كذلك، إنما حاول بذلك التنبيه على مزيد

<sup>1</sup>- أحمد حسن الريات، دفاع عن البلاغة، ص: 38.

<sup>2</sup>- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 438.

غموضه وأن أحداً لا يكمل فيه إلا كمل. في سائر فنونها فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان<sup>1</sup> يدو جلياً في النص السابق حرص البلاغيين القدماء على تفعيل الدور التأثيري للوصل والفصل والحرص في نفس الوقت على استحالة إلغاء أو تجاهل هذا الأثر الإجرائي الذي يحدّثه كلامهما على مستوى الدلالة باعتبارها تركيباً من مجموعة من المعاني تتلقى عند قصدية الخطاب، التي هي من أولويات الخطاب الحجاجي.

من هنا يمكننا تفسير المحن الجديد الذي أحذته عملية الوصل و الفصل في الدرس البلاغي القديم، فقد كان يشار إليهما في بدايات البحوث البلاغية، لتسقّل بعدها كمبراث خاصة، فكان لهذا المنحى أثر بالغ في توجيه البحث البلاغي وتصبح ضرورة معرفة مواضع الفصل والوصل من المسائل البلاغية التي يجب أن يتقنها صانع الخطاب البليغ لما لهذه الأخيرة من وظائف جديدة تأثيرية تعمل على توجيه الخطاب توجيهها حجاجياً.

الوصل والفصل يرتكز على الربط أو الفصل بين القضايا داخل الخطاب وهذا حسب مقتضى الكلام فقد "كان أكثم بن صيفي إذا كاتب ملوك الجahلية يقول، لكتابه افصلاوا بين كل معنى منقضٍ، وصلوا إذا كان الكلام معجونة ببعضه البعض. وكان الحرث بن أبي شمر الغساني يقول لكتابه المرقس: إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء يعني غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبعته من الألفاظ، فإنك إن مذقت ألفاظك بغير ما يحسن أن تمدق به نفرت القلوب عن وعيها، وملنته الأسماع، واستشققت الرواية. وكان بزر جمهر. يقول: إذا مدحت رجلاً، وهجوت آخر، فاجعل بين القولين فصلاً حتى تعرف المدح من الهجاء، كما تفعل في كتابك إذا استأنفت القول، وأكملت ما سلف من اللفظ..... وتأليف الأوصال بمشاكلة الاستعارة، وشرح المعنى؛ حتى ينصب صورها، ويعقاطع الكلام، ومعرفة الفصل من الوصل؛ فإذا كان ذلك كذلك فهو كاتب مجيد. والقول إذا استكمّل آلة، واستتمّ معناه فالفصل عنده<sup>2</sup>؛ لأن الكثير من المعاني لا يمكن أن نتوصل إلى مقاصدتها وأثرها إلاّ عن طريق عمليّي الوصل أو الفصل فهما يحددان الأثر الكامن وراء اجتماع أو تفارق المعاني.

<sup>1</sup>- القزويني جلال الدين ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، تج: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجليل – بيروت، ط3، (د،تا)، ج3، ص: 97.

<sup>2</sup>- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 440.

يوضح الجرجاني في موضع آخر الغاية من استعمال العطف في مواضع دون أخرى في قوله: "فَتَرَكُ العَطْفُ يَكُونُ إِمَّا لِلاتِّصالِ إِلَى الْغَايَةِ أَوِ الانفصالِ إِلَى الْغَايَةِ وَالْعَطْفُ لَمَا هُوَ وَاسْطَهُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَكَانَ لَهُ حَالٌ بَيْنَ حَالَيْنِ"<sup>1</sup>. فهذه إشارات واضحة في البلاغة العربية القديمة لتحديد مقتضيات الوصل وكذا الفصل في الكلام.

إنَّ الكثير من مواضع الفصل والوصل كانت بمثابة حجج يستدلُّ بها على المعانِي المضمرة أو المجازية، بل قد تتشَكَّل قيوداً استدلالية لتأویل الخطاب، وقد شرح السكاكي ذلك في قوله: "وترکيب القياسات عندهم ينقسم على موصول وهو أن يكون الدليل الموعَد في الدليل قد وصل بذكر سابقته ولاحقته، والحاصل منها في المثال المذكور. وعلى مفصول وهو أن يكون قد فصل عنه ذكر الحاصل من جملته كما إذا قلت كل جسم قرين كون في جهة معينة وكل كون في جهة معينة حادث وكل قرين حادث وكل جسم حادث ولك أن تجعل الوصل عبارة عن أن يوصل الدليل بالتصريح بجميع ما لابد منه في استلزمـاه للمطلوب والفصل عبارة عن ترك شيء إذا علم موقعه فنقول في قولك هذا مساوً لـذلك وذاك مساوً لـذلك فهو مساوً لـذلك إنه مفصول، وفي قولك هذا مساوً لـذلك وذاك وذاك مساوً لـذلك وكل مساوً لشيء مساوً لـذلك الشيء فهو مساوً لـذلك أنه موصول"<sup>2</sup> شرح السكاكي لمبدأ الوصل والفصل يحيلنا إلى قضية الادعاء في الخطاب الحجاجي والاستدلال لها لإثباتها عن طريق الوصل وأما الاعتراض عليها عن طريق الفصل وهذا لإثبات أو نفي حقيقة ما.

هذا يعني أنّ مسألة الوصل والفصل الحجاجي هي من الأشكال البلاغية المؤسسة للوجوه البلاغية عامة بداية من المجاز بنوعيه حيث يتم وصل الحقيقة الظاهرة بحقيقة خفية وصولاً إلى الاستعارة التي هي عبارة عن وصل الدليل الذي يستدل به على المدحوف.

خاتمة الفصل الثاني

<sup>1</sup>- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 243.

<sup>2</sup>- السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 501، 500.

بناء على ما سبق يمكننا أن نقر أنّ هناك حضور بين لآليات الحجاج في البلاغة العربية القديمة، حيث إنّها ترتكز على الكثير من العناصر التي تعتبر أساس بناء البلاغة الجديدة وكذا آليات اشتغالها، ونلمس هذا التقارب كما لاحظنا تقريباً في جميع الأشكال والوجوه البلاغية التي حددتها البلاغة العربية القديمة كمقاييس بلاغية لإنتاج الخطاب بأنواعه المختلفة.

- إنّ المقصود التي قام عليها البحث البلاغي العربي القديم، والمادة المتنوعة والغزيرة التي يحويها تراثنا البلاغي تتم على مدى الوعي المتواصل لدى البلاغيين العرب بالدور الإقناعي للخطاب البلاغي، وقد شكل هذا الوعي القاعدة الأساسية التي بنت عليها البلاغة العربية محددات جودة الخطاب الفنية وقيمتها العلمية

- ما يؤخذ على التراث البلاغي العربي بالنسبة لبلاغة الحجاج هو أنها لم تأخذ حقها الواجب من التخصص البلاغي والتنظيم المنهجي التنظيري، الذي حظيت به في البلاغة الغربية، لكن من الناحية الإجرائية التطبيقية فإن آليات الحجاجية قد كان لها دور الريادة ومحور الفصل في الحكم على جودة المنتج وحتى على مستوى تفسير معانٍ النص ووصول إلى المقصود الحقيقة له.

- إنّ التصور الذي ساد فترة غير قليلة من الزمن حول اعتبار البلاغة مجرد شكل جمالي يمنح المتلقى قدرًا من المتعة لم يعرفه الفكر البلاغي العربي إلاّ في فترة تقييد البلاغة في قوالب معينة وانحسار البلاغة في القاعدة والمثال المتكرر، إنما التصور الحقيقي للبلاغة قديماً كان يرى أنّ البلاغة هي علم رفيع القدر شامل متعدد لا يمكن الاستغناء عنه في فهم كل أنواع الخطاب المتنوعة.

إنّ هذا النقص الذي اتسمت به البلاغة العربية القديمة حاولت البلاغة العربية المعاصرة أن تستدركه، وتوسّس بلاغة عربية جديدة لكن هذا المسعى لا تزال البلاغة العربية إلى يومنا هذا تحاول بين الإخفاق تارة وبين الإصابة تارة أخرى أن تتحقق في ظل التحديات المختلفة التي تواجهها، هذا ما سنقف عليه من خلال الفصل التالي.

# الفصل الثالث

موقع البلاغة العربية المعاصرة من البلاغة الجديدة

قبل الخوض في الحديث عن واقع البلاغة العربية المعاصرة ومستجداتها، لا بد أن نقف سريعاً على بداية حركة البلاغة العربية منذ النصف الثاني من القرن العشرين، وكيفية افتتاحها على البلاغة الغربية الجديدة، ومدى تعاملها مع إشكاليات التنوع الفكري الغربي وزخم المصطلح في خضم إكراهات عديدة أهمها الاصطدام بالموروث البلاغي العربي، رغم أنه كانت محاولات هامة في القرن الماضي توحى بنهاية هامة خلفت عدة تراكمات ثقافية ونقدية بلاغية ذات قيمة، لكن لم تستند منها إلا فيما خص الضبط المنهجي، والتوثيق الأكاديمي.

يرجع سبب ذلك إلى الرؤية المغايرة التي فرضها الواقع الثقافي والاجتماعي وكذلك الاقتصادي العالمي؛ "لأن الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه النقد الأدبي حقل يتطور (تطوراً دائرياً)" بمعنى أن مقوله الإلغاء فيه غير واردة فهو يتراكم تراكمًا تصاعدياً دائرياً. ولا يلغى بعضه بعضاً من حيث هو فكر قابل لأن تتلبسه حياة في فترة ما؛ فيصبح جوهراً (معاصراً) كرهاً آخر بعد أن كان (معاصراً) قبل مئات السنين<sup>1</sup>. الأمر الذي طرح مفاهيم أدبية انبثق عنها تصورات فكرية بلاغية تحاول أن تحتوي هذه المفاهيم وتعطي بذلك نفسها جديداً يرتقي بالدرس البلاغي العربي، ونقله من سباته العميق الذي وضعته فيه قوالب "السكاكى" المنطقية. فكان عندها لازماً على البلاغة العربية أن تجد لنفسها مكاناً ضمن البلاغة العالمية، بتجديد الآليات، وتفعيل العمل الإجرائي.

### واقع المشهد البلاغي العربي المعاصر:

إنَّ المتأمل للمشهد البلاغي العربي المعاصر يتبيَّن مدى افتتاحه على مسرح البلاغة الجديدة بكل ما أفرزته من اتجاهات فكرية بلاغية لاسيما بلاغة "بيرمان" التي كان لها الريادة في كل ذلك، رغم التجاذب التراثي البلاغي الذي لا يمكن للبلاغة العربية المعاصر أن تستغني عليه أو تتحاد عنه ولو بالقليل. "إن هذه الملاحظة تذكر بأنَّ تشكيل الخطاب الناطق العربي الحديث، كان وما زال تشكلاً إشكالياً، لأنه انطلق من إطارين مرجعين لكلِّ منهما سياقه التاريخي وشروطه المعرفية الجمالية والإدیولوجية، وهما التراث الناطق والنقد الغربي"<sup>2</sup> هذان المرجعان كان لهما أثر واضح في تشكيل

<sup>1</sup> د: البشير العيسوي، الترجمة إلى العربية قضايا وآراء، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، ط1، 1997 م، ص: 122.

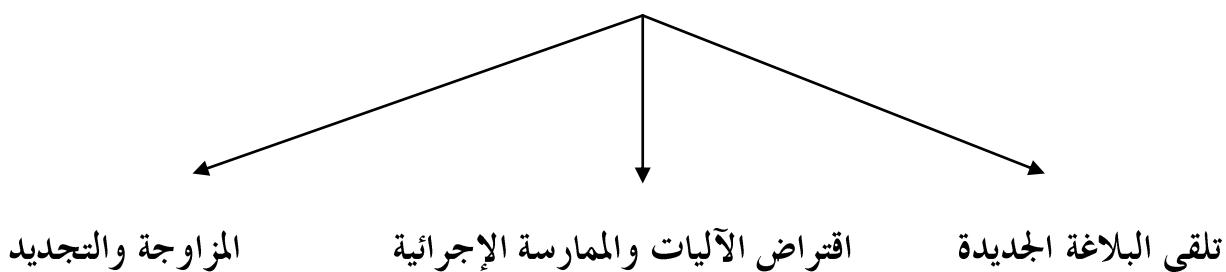
<sup>2</sup> حسن مخافي، المفهوم والمنهج، في القراءات العربية المعاصرة للتراث الناطق، إفريقيا الشرق، المغرب، (د، ط)، 2016 م، ص: 119.

البلاغة العربية المعاصر، وإن هذا الأثر ينعكس بوضوح، خاصة التخطيط الاصطلاحي الذي يدور في حلقة مزدوجة بين التأصيل والتجديد.

ليس هذا التجاذب التراثي البلاغي وحده الذي يؤرق البحث البلاغي الجديد إنما كذلك العلوم المعاصر، كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم الأخرى التي وجدت البلاغة نفسها لا بد لها من الاحتكاك بها والاستفادة منها في تأسيس بلاغة عربية جديدة تتوافق ومقتضيات العصر.

هنا لابد من تبيين حقيقة أنّ الانفتاح الذي شهدته الساحة البلاغة العربية في أيمنا هذه لا يعد انبهارا بالغرب وتجسيد فكرة "المغلوب مولع بتقليد الغالب" إنما هو تحصيل حاصل، فالظروف التي أعادت بعث بلاغة الحجاج على يد "بيرمان" هي نفسها الظروف التي لفتت نظر البلاغيين المعاصرين إلى ضرورة تبني بلاغة الحجاج؛ لأنها السبيل الوحيد الذي يستطيع أن يستوعب بكل إمكاناته الكل الهائل من أنواع الخطاب التي تدفقت في عصرنا هذا، "فلا بد إذا من اقتحام عقبة الترجمة وحضور غمارها لتقريب المفاهيم الغيرية واستقدامها كلما دعت الضرورة إلى ذلك"<sup>1</sup>، فقد وجدت البلاغة العربية المعاصرة ضالتها في بلاغة الحجاج التي تكاد تكون مكتملة المعالم عند الغرب، فلم يكن أمامها سوى أن تعرف منها ما استطاعت فتشكلت عندها ثلاثة تيارات رئيسية في هذا الإطار حسب هدف كل تيار تمت عملية التأثر بالبلاغة الجديدة نلخص هذه التيارات ضمن المخطط التالي ثم نرجع إلى تفصيل كل تيار على حدا.

### اتجاهات البلاغة العربية المعاصرة



<sup>1</sup>- رشيد سوسان، آليات وضع المصطلحات وتوليدتها لدى الدكتور محمد مفتاح، مكتبة الطالب، وجدة، ط1، 2015م، ص: 88.

**تيارات البلاغة العربية المعاصرة:****1- تلقي البلاغة العربية المعاصرة للبلاغة الجديدة :****1-1- ترجمة منجز البلاغة الجديدة:**

إنّ هذا التيار الذي اعنى بمسألة الترجمة والنقل لا يتadar إلى الأذهان أنه هو الذي اتجه إليه البلاغيون المعاصرون قبل الخوض في أيٍ من التيارات الأخرى إذ أن عملية قراءة ونقل البلاغة الجديدة لاسيما أعمال "بيرلان وتيتكا" لم تتحصر في فترة زمنية محددة حيث لا تزال محطة أنظار الباحثين في كل العالم العربي إلى أيامنا هذه بل إن الاهتمام بعملية النقل اكتسبت أهمية اليوم أكثر من أي وقت مضى لها من فائدة جليلة في توضيح المفاهيم وتقريبيها من القارئ العربي، فكلما كانت قراءة جديدة للبلاغة الغربية إلاً وفتحت البلاغة العربية بعدها جديداً يمكنها الخوض في تجربة بلاغية مغايرة سابقتها، هذا يظهر من خلال الأبحاث والدراسات البلاغية الجديدة في الساحة البلاغية العربية المعاصرة.

غير أنّ عملية النقل والقراءة اصطدمتا بإشكالية أرقت الباحث العربي والقارئ العربي على حد سواء وهي مشكلة "الاصطلاح"

**1-1-1- المصطلح الحجاجي بين الضبط والاضطراب:**

لا يمكننا الكلام عن مصطلح البلاغة العربية المعاصرة إلا بمقاربة بين المصطلح البلاغي الغربي والعربي، هذا لا يتم إلا بوضع هنا البلاغة الجديدة الغربية في مقابلة البلاغة العربية المعاصرة؛ لأنّه لا يمكن أن نتجاوز ثنائية "المغادرة" و"الارساد" بين طرفين عملية الترجمة التي يعتمد عليها في حالتي النقل المباشر أو القراءة التحليلية عندما نريد المقارنة والتقييم؛ لأنّ جذور بلاغة الحجاج الجديدة أصولها البلاغة الغربية فلا يمكننا الحديث عن البلاغة الحجاجية العربية بعزل عن البلاغة الغربية لما كانت نظرية الحجاج تجذب مختلف الباحثين في تخصصات شتى منها: اللسانية، التداولية، السمية...، وبالإضافة إلى أن كل هذه التخصصات قد تجتمع مع بعضها البعض لتشكل بلاغة الحجاج وتوسيعه بذلك جميع أنواع الخطابات المتداخلة فيما بينها كان لهذا التداخل أثر عميق على التباين في تبني مصطلحات معينة لنظرية الحجاج وعدم ضبط دقيق لمنظومة اصطلاحية حجاجية متفق عليها.

هذا جعل المنظومة الاصطلاحية البلاغية العربية المعاصرة تعيش فوضى اصطلاحية، بدايةً بعدم ضبط المنهج، والتزعة إلى تداول التعريفات وطرحها للقارئ العربي دون تحليلها أو حتى التعليق عليها، أو حتى تحديد الأقرب منها إلى الصواب، وبيان قيمتها وضرورتها وفعاليتها، انتهاءً إلى اقتناص المصطلحات الغربية الجديدة دون مراعاة السياق الذي جاءت فيه هذه المصطلحات<sup>1</sup> إن هذه العملية التي يقوم بها الناقد أو الباحث في تعامله مع المصطلح تعتبر عملية تجريدية تغرب المصطلح عن سياقه من ناحية وعن النظرية التي أفرزته من ناحية أخرى. لأن الناقد أو الباحث قد تخلى عن الاهتمام بمعناه أو مضمونه الذي يbedo فيه مظاهر الحياة اللغوية، والمعرفية، واهتم بالكلمة واستعمالها أو بصورة العلاقات بين الألفاظ وبعضاها دون النظر إلى مضمون تلك العلاقات باعتبار أن التزعة الشكلية هي التزعة التي تسسيطر على نصه أو عمله<sup>1</sup> خاصة إذا تمت العملية بالاعتماد على المعاجم اللغوية المزدوجة، دون عرضها على خبراء في مجال المصطلح فقط إنما على المترجمين المتخصصين في ذلك؛ لأن العملية متشعبه تتطلب توفر خبراء في مجالات مختلفة.

المصطلح البلاغي كثيراً ما يكون له ارتباط بسياقات أخرى ومنها تسرب إلى الدرس البلاغي، لذا لابد قبل الترجمة العودة إلى السياقات الفكرية والتاريخية التي أنتجته ومن ثم يسهل على الباحث نقل المصطلح وقد اطلع على عدة جوانب أرسست المصطلح، فقد يأمن بذلك على قدر الإمكان عدم الوقوع في الخطأ، لكن هذا المطلب يصعب تحقيقه في ظل عوامل مختلفة تقف عائقاً أمام ذلك.

من هذا المنطلق قد يكون للبلاغة العربية المعاصرة بعض العذر في اضطراب المصطلح البلاغي بسبب كثرة المب冤ات والمعوقات التي تحيط بها، تستطرق إلى بعض من جوانبها، حتى نتبين الأسباب وراء تباين المصطلح البلاغي في المنجز البلاغي المعاصر رغم وفرته، مع القطيعة التي أحدثها هذا التباين بين المنجز والقارئ وحتى المتخصص في ذلك، حتى أن في الكثير من الأحيان عند استقراء المنجزات البلاغية المعاصرة تشعر أن الباحث المعاصر يفتخل هذا الغموض؛ لضبابية الرؤية الاصطلاحية لديه فتجده يحوم حول المفهوم دون أن يضبطه، فتبقى دلالة المصطلح ناقصة غامضة وأحياناً أخرى يأخذ مفاهيم مختلفة كلما تنقلت في المنجزات البلاغية .

<sup>1</sup>- د: سمير سعيد الحجازي، النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة، (د، ط)، س 2004م، ص:.

يرجع هذا في نظر الباحثين البالغين المعاصرین إلى تداخل المصطلحات البلاغية فيما بينها، إذ أن كل المصطلحات الحجاجية: الاستدلال، البرهان، الحاجة، القياس الجدال والاستقراء، وغيرها من المصطلحات الأساسية في النظرية الحجاجية غير منضبط المفهوم ولا مستقر على لفظ واحد أو أنه غلب عليها مفاهيم أو ألفاظ. يقي الباحث الجديد من التبحر في الجهاز الاصطلاحي الحجاجي ورغم كل هذا التوتر هناك بعض المحاولات التي ارتأى أصحابها أن يفكوا خيوط التشابك بين تداخل مصطلحات البلاغة الجديدة مع الضبط الموضوعي أمثال "محمد العمري" و"طه عبد الرحمن" غير أن أعمالهم في مجملها سلطت الضوء على بعض هذه المصطلحات وبقي الكثير من المصطلحات لا يزال يكتنفها الكثير من الغموض.

يعرف الخاص والعام أن عملية ضبط المصطلح عامة تسهل الوظيفة الإجرائية التي يؤديها داخل الحقل المعرفي والبحثي الخاص به، كما أنه يساعد الباحث على الفهم الصحيح والتحكم في آليات المنهج الذي يُؤطر به بحثه ويضع له الحدود التي تبني على أساسها المفاهيم والقواعد؛ لأن "المنظومة الاصطلاحية... تمثل الأدوات المنهجية التي يطبق بها المنهج، وهي خاضعة للتغيير من منهج إلى آخر. وتلعب المصطلحات الخاصة بكل مجال دوراً أساسياً في التمييز بين اختصاصات المناهج"<sup>1</sup>، لاسيما إذا ما تعلق الأمر بالبلاغة الجديدة التي تعتبر بلاغة عامة؛ لأن "قيام بلاغة عامة يتطلب منظومة مصطلحية تعبر عن المشترك بين التخييل والتداول، من جهة وتميز بعض الخصوصيات التي تأخذ ما تستحقه من الاهتمام في الدرس العربي من جهة ثانية"<sup>2</sup>، كما أنه يوفر الجهد والوقت على الباحث والقارئ معاً في عملية التواصل المعرفي. فهو بمثابة لغة أو علمية يتواصل بها أهل الاختصاص، هذه المنظومة الاصطلاحية الحجاجية لابد أن تقوم على مبدأ الاتفاق بين أهل الاختصاص وبعدها لابد من تداولها ضمن حدود حقلها المعرفي، حتى تتضح من خلاله المفاهيم والرؤى، ويسهل توظيفه.

إن وضع المصطلح لا بد أن يضبط بشروط حتى يرقى إلى المستوى العلمي وإن حديثنا ينصب على المصطلح الحجاجي الذي قام في الأساس على العلوم التجريبية، لذا الحاجة إلى الالتزام بالقواعد العلمية في وضع المصطلح الحجاجي ضرورة لابد منها، فالباحث " هنا بحاجة إلى أخصائي يستشيره

<sup>1</sup>- د: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2013م، ص:11، 12.

<sup>2</sup>- د: محمد العمري، الحاج مبحث بلاغي ما البلاغة؟ ضمن الحاج مفهومه و مجالاته، ص: 25.

أولاً في بيان المدلول العلمي للمصطلح وتوضيح ما يرتبط به من خصائص وعلاقات<sup>1</sup>، فعلاً إن الكثير من البلاغيين المعاصرین قبل أن يستخدم مصطلحاً بلاغياً معيناً تجده يتجدد بتعريف مختلفة وخاصة المنطقية منها حتى يفضي على المصطلح الصبغة العلمية، هذا الإجراء يوحي إلى وعي الناقد البلاغي العربي بالخاصية العلمية التي يجب أن يختص بها المصطلح الحجاجي، غير أن هذا الوعي لا ينعدم له الصدى الواسع والانعكاس الواضح في عملية النقل أو الوضع، وهذا يرجع في مجمله إلى انعدام التنسيق بين الخبر العلمي وبين الناقل أو القارئ للبلاغة الغربية.

كما أن عملية النقل تستدعي شروطاً حتى تتحقق في المصطلح الحجاجي الصفة العلمية فإن عملية قراءة المنجز الاصطلاحي لها شروط لابد من أن يحيط بها القارئ حتى يعي مفهوم المصطلح فيما يكتبه ذلك من نقله نقاً صحيحاً في منجزه القرائي، فهو لغة البلاغي وأداته النقدية، يضبط بها أفكاره ويرسم بها أبعاد بحثه ويتوافق عن طريقها مع العلماء والمفكرين من أهل اختصاصه.

من هنا ندرك أهمية الاختصاص الذي يجب أن يتميز به المصطلح عامة والمصطلح الحجاجي خاصة حتى يؤسس ضبط الدلالة وينع التميم والإيجاء الدلالي اللذان يضيعان الكثير من المعارف، التي تغيب على القارئ العربي بسبب سوء النقل ومن ثم سوء الفهم.

ما يلفت الانتباه في البلاغة الحجاجية العربية أنها كل مرة يجد القارئ العربي نفسه أمام مفهوم جديد لمصطلح واحد، والأمرُ من هذا عندما يكون متعدد المفاهيم لمصطلح واحد في منجز بلاغي واحد، أو عند مؤلف واحد في مؤلفاته المختلفة.

هنا يمكننا أن نقول أن الحاجة لهذا الضبط الاصطلاحي أحوج ما له المنظومة الاصطلاحية البلاغية العربية الجديدة، لأن تشعبها وتدخلها مع الحالات العلمية والأدبية واللغوية الأخرى وكذا استردادها من لغة أخرى ومع تصادمها بالتراث البلاغي العربي، تطرح إشكالات مختلفة وكل إشكالية إلاّ وأعقد من الأخرى، أي "أن ما ي ملي على الناقد أو الباحث العربي هذه الحاجة أيضاً تزايد افتتاح النقد الأدبي على العلوم الإنسانية في العقود الأخيرة، فقد تخلقت بين علوم الاجتماع، وعلم النفس وعلم اللغة، وعلم التاريخ أرضية مشتركة تزداد مساحتها يوماً بعد يوم". وتزايد هذا الافتتاح بين النقد

<sup>1</sup> رشيد سوسان، آليات وضع المصطلحات وتوليدتها لدى الدكتور محمد مفتاح، ص: 89، 90.

وبين هذه العلوم أدى إلى ظهور مفاهيم واصطلاحات جديدة<sup>1</sup>، هذا يخلق تحديات مستمرة ومتناهية خاصة وأن البلاغة الحجاجية كل مرة وتنكشف لنا عن مجالات بحث جديدة تظهر إلى الوجود البلاغي كلما تعاملت بعلوم جديدة أو اتصلت بمحاج في معين.

### 1-1-2-أسباب الاضطراب الاصطلاحي الحجاجي:

#### 1-1-1-المذور التراثية البلاغية:

إن عملية المثقفة عامة يشترك فيها جميع الشعوب وفي جميع الأزمان، والحضارات تبني على أنقاض بعضها البعض، ففي وقت مضى كانت حاجة العرب لترجمة علوم الحضارات السابقة، ومن هنا كانت بداية ظهور الاضطراب الاصطلاحي الحجاجي ومفاهيمه، مع ترجمة كتاب الخطابة "الريطوريقا" لأرسطو على يد الفلاسفة العرب وهذا لا يعد في نظرنا قصوراً لغة العربية عند احتواء المصطلحات اليونانية لكن يرجع ذلك في الأساس إلى محاولة العرب التوفيق بين لفظة "الريطوريقا" اليونانية وبين لفظة الخطابة التي تشتراك اللفظتين في عناصر البناء وكذلك الوظيفة الاقناعية، ويرجع كذلك إلى أن العرب في تلك الفترة كانت تعرف الشعر والخطابة وقد اتفق أن "أرسطو" خص الشعر بكتاب "فن الشعر" وخص كتاب للخطابة اليونانية بكتاب "الريطوريقا" وهذا ما أوحى للناقل العربي "ابن رشد"<sup>2</sup>، في تلك الفترة أنّ اصطلاح على "الريطوريقا" "فن الخطابة" غير أنّ الخصائص الخطابية التي نص عليها "أرسطو في كتابه "الريطوريقا" ما فتأت تظهر جلياً في الكثير من فنون الكلام العربي عامة فأخذ علماء البلاغة يضعون القواعد لضبط الكلام العربي ويستدلون لها من الكلام العرب الفصحاء، فاتفق أنّ حل هذه المعايير قد سبق وأن تكلم عنها "أرسطو" في كتابه "الريطوريقا" من هذه الزاوية بالتحديد، يبدأ الاضطراب الاصطلاحي الحجاجي.

إنّ الاضطراب القديم في التداخل بين لفظي الخطابة والبلاغة امتد للبلاغة العربية المعاصرة حين أراد النقاد العرب اقتراض العتاد الاصطلاحي الحجاجي الغربي ومحاولته توطينه ضمن دائرة حجاجية عربية، وقد أفرز العديد من الاحتلال والتباين البيّن لم يستقر إلى أيامنا هذه، خاصة وأنّ الكثير من هذه المصطلحات لها أصول وبعض الملامح في التراث البلاغي العربي فالتنصل منه غير ممكن البتة، كما

<sup>1</sup> - د: سمير سعيد الحجازي، النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، ص: 97.

<sup>2</sup> - ابن رشد ، تلخيص الخطابة، ت: عبد الرحمن بدوي، دار العلم، بيروت، (د، ط، تا)، ص: 3.

أن عملية التوفيق بين هذا الموروث وبين البلاغة الجديدة أمر غير يسير وإن كان ممكناً، بينما الإمكان لا يكون عبثاً أو ارتجالاً؛ لأن الفروق بين الثقافة العربية والثقافة الغربية تفرض على الباحث الكثير من التنقيب والبحث والتدبر "أضف إلى ذلك ضرورة مرونة فكر الناقد أو الباحث، ومرونة إطاره الثقافي في نفس الوقت، فبواسطة هذه المرونة يستطيع تحنيب النقل الحرفى والتطبيق الآلى للمناهج والمصطلحات الحديثة"<sup>1</sup>، فالمرونة تعبر عن حيادية الباحث لأىٰ من الثقافتين "العربية، أو الغربية" فعمله ينصب على البحث عن كيفية النقل السليم والواضح دون أي اعتبارات ثقافية أو فكرية مما يؤهل عمله إلى أن يرتقي إلى عالمية الفكر النقدي البلاغي الموضوعي.

بالإضافة إلى ذلك مشكل كثرة المصطلح البلاغي التراخي وتبنته، "حيث نجد أعداد المصطلحات البلاغية، إذ بلغت في أكثر المعاجم استقصاءً - وهو معجم الدكتور أحمد مطلوب - سبعة وثمانين ألف مصطلح"<sup>2</sup>، إنّ هذا الإرث يشكل محطة اصطدام اصطلاحى يجعل الباحث أمام اختيارات صعبة بين اعتماد مصطلح معين وترك مصطلح آخر، رغم أنه يعتبر ذخراً كبيراً تحفل به البلاغة العربية.

### 1-1-2-2- الزخم الاصطلاحي للبلاغة المعاصرة:

امتد أثر الاضطراب والفووضى الاصطلاحية التي يعاني منها المصطلح النقدي العربي المعاصر إلى المصطلح الحجاجي في البلاغة العربية المعاصرة، بما أنّ "كلا العتاد الاصطلاحي في "النقد المعاصر، أو البلاغة الحجاجية" له نفس الروايد ونفس معطيات التنقل ونفس قواعد الاستقبال باعتبار" أن المصطلح الأجنبي قد يتنتقل بمصطلح عربي مبهم الحد والمفهوم، أو أن المفهوم الغربي الواحد قد ينقل بعشرات المصطلحات العربية المترادفة أمامه، أو أن المصطلح العربي الواحد قد يرد مقابلًا لمفهومين غريبين - أو أكثر - في الوقت ذاته، أو أن الناقد العربي الواحد قد يصطمع مصطلحاً فيه كثير من التصرف - زيادة أو نقصاناً - في مقابلته الأجنبي "<sup>3</sup> لذا يظهر بعد هذا التحول بانتقال المصطلح من لغته الأم إلى لغة العربية المستقبلة له الكثير من الخصائص الجديدة قد تؤثر بشكل أو باخر على المفهوم.

<sup>1</sup>- د: سمير سعيد الحجازي، النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، ص: 22.

<sup>2</sup>- أ، د: محمد بن علي الصامل، قضايا المصطلح البلاغي، كثرته تعدد اشتراكه صياغته، كنوز اشبيليا، رياض، ط1، س 2007م، ص: 19.

<sup>3</sup>- د: يوسف وغليسى، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008م، ص: 55.

إن كان هذا التحول غير مضبوط وغير منظم نتج عنه فوضى اصطلاحية وتشتت ومن ثم نشأت على أساس ذلك نفس الإشكالية، ولعل أهم مشكلة امتدت إلى البلاغة العربية هو عدم الاتفاق على منظومة اصطلاحية بلاغية واحدة مستقرة، "فإن كل الشهادات النقدية المنقولة تشير في رميها للمصطلح الجديد بـسهام الإشكال والإغراب والانغلاق"<sup>1</sup>، إن هذه الصفات التي نعت بها المصطلح النقيدي عامة وما يقال على الوضع الراهن للمصطلح البلاغي العربي المعاصر يقال على المصطلح الحجاجي، بل إن محمل الأسباب التي كانت وراء تأزم الوضع في المصطلح النقيدي المعاصر هي نفسها التي أفرزت نفس المشاكل التي يعاني منها المصطلح الحجاجي اليوم؛ لأنها ذات مصدر واحد - ثقافة غربية -. وربما أكثر حدة من ذلك ؛ ويعود ذلك في الأساس على أن المجال البلاغي أفسح المجالات النقدية وأكثرها تداولًا بين النقاد.

## 2-1- تحديات صناعة المصطلح البلاغي الجديد:

من الواضح أن البلاغة الجديدة تحمل بين طياتها مجموعة من المصطلحات الجديدة لم يسبق للباحث العربي التعامل معها أو أنه تلقاها بمعاهيم أخرى ومن هنا يبدأ الإشكال والتحدي، سترصد عدداً من المصطلحات التي تداولت بين مختلف الباحثين العرب المهتمين بالبلاغة الجديدة

### 1-2-1- غياب المعيار الاصطلاحي عند"الوضع، الاستعمال":

إن البلاغة الجديدة بلاغة وافدة من الغرب فأصول مصطلحاتها ارتبطت في الأصل بما قدمته البلاغة الجديدة التي تأسست على يد "بيرمان" عند الغرب، فاعتماد الترجمة أمر لابد منه ، غير أن هذه الترجمة لا تتبع المعايير التي تحدد عملية الوضع الاصطلاحي، بل إنها لا تعتمد حتى على مقاييس الترجمة المتخصصة التي تتم على يد مترجم متخصص<sup>2</sup>، وإن توفر ذلك، فإنه في المقابل غير متخصص في قضايا البلاغة، مما يعكس سلباً في الحالتين على سلامية الترجمة ومنها على سلامية الاستعمال.

<sup>1</sup>- د: يوسف وغليسبي ،إشكالية المصطلح في الخطاب النقيدي العربي الجديد، ص: 55.

<sup>2</sup>- إذ أن جل النقاد الذي ألفوا في البلاغة الجديدة بحد احتمالاتهم تمحور حول "النقد الأدبي، البلاغة، الأدب العربي" وإن كان أغلبهم يحسنون على الأقل لغتين "العربية، وأخرى أجنبية: الفرنسية، الإنجليزية" لكن تخصص ترجمة لهذا نفتقده بين المهتمين بالبلاغة الجديدة.

فطرح بعد هذا "إشكالية ثالثة هي إشكالية السياق، نظراً لأن اختلاف السياق يؤدي إلى اختلاف المعنى والمضمون"<sup>1</sup> وهذه الإشكالية أعقد وأصعب من نظيرتها "إشكالية المصطلح" هذا لا يعني الخط بكل المحاولات النقدية التي ساهمت في وضع المصطلح، فلو أننا أحذنا كل محاولة نقدية على حدى سيتبين لنا مدى الجهد المبذول من طرف الباحث في انتقاء المصطلح وإعطاء المفهوم المناسب له مع الحرص على حسن توظيفه، لكن هذه الجهود تبقى فرادى لا ترقى إلى معيار الاتفاق الاصطلاحي فينشأ على إثر ذلك ما يسمى بـ"المصطلح الذاتي" الذي عادة ما يتاثر بعدة عوامل أهمها ثقافة الناقد، في ظل المقارب المنهجية التي تعين الباحثين اليوم على إقحام بلاغة الحاجاج و دراستها مما يؤثر بشكل مباشر في المعنى الاصطلاحي الحاججي.

"المصطلح الذاتي" يتسبب في تعدد المصطلح لمفهوم واحد أو العكس مصطلح واحد ومفاهيمه متعددة وهذا ما سنعرضه عند استقرائنا للمصطلح الحاججي في المدونات النقدية، كما أنه في حالات يتفرد بعض باحثين في وضع مصطلحات لا ينجد لها أثر في الكتب البلاغية الأخرى. وبالتالي عدم وجود رؤية عربية موحدة لإعادة توطين المصطلح الغربي ضمن الدائرة البلاغية العربية، هو الذي يسمح بتفاقم مشكل المصطلح، لكن مهما كان هذا المشكل يمكن لهذه المجهودات الفردية أن تكشف فيما بينها لإنجاز منظومة اصطلاحية حاججية تلتزم بمعايير توليد المصطلح عامة، كما هو منصوص عليها في الدائرة الحد الاصطلاحي<sup>2</sup>.

"المصطلح العرب" هو كذلك نوع من المصطلح يثير تساؤلات عده منها ما هو سبب لجوء الباحث العربي إلى هذا النوع من المصطلحات؟ رغم أنّ اللغة العربية لغة غنية بالفردات وتميز بالاشتقاق، خاصة وأن بعض النقاد في نقل مصطلح واحد تجد منهم من يعتمد التعريب وآخر يضع له مصطلح بديل في اللغة العربية .

مع كل هذه الإفرازات التي تجت عن ترجمة المصطلح، فإنه "كان لحركة الترجمة دور كبير في التعرف على التجارب النقدية في الغرب. وعلى الرغم من أنّ الغالب الذين تعاطوا للنقد الغربي و تحسسوا

<sup>1</sup>- د: سعير سعيد الحاججي، النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، ص: 31.

<sup>2</sup>- ينظر: د: يوسف وغليسى ،إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص:78. وينظر: د: أحمد مطلوب، معجم النقد العربي، دارا لشئون الثقافية العامة، بغداد، (د،ط)، 1989، ج1، ص:12، 11.

له كانوا من تلقوا تعليماً عربياً أصيلاً<sup>1</sup> ساهم هذا الحماس في تفاقم إشكالية المصطلح، فانجر على محاولات ترجمة المصطلح وتشغيله نتائج قد تحسب عليه وليس له.

## 2-2-1-علاقة علم البلاغة بالعلوم الأخرى :

فسر "د: محمد العمري" سبب اضطراب المصطلح البلاغي الجديد إلى أن البلاغة "ملتقى لعلوم مختلفة لكل منها علقة بالخطاب وحاجة إلى استنطاقه وكشف جانب من أسراره"<sup>2</sup> يخص بهذا الكلام البلاغة عامة عربية كانت أو غريبة، بينما "زادت المسألة تعقيداً، في المجال العربي، بتعايشه هذه الباحث مع الباحث الجزئية التقليدية التي ظلت تحفظ بكينها المنحط غير عابئة بما يجري حولها، مثل: علم القافية، وعلم العروض، وعلم المنطق (في بعض البيانات العتيقة) .... ولذلك بدأ المحققون المدققون من الباحثين في مجال التداول الحجاجي (منطق الحجاج) و"نظرية الأدب" و"علم النص" يكتشفون أن ما يبحثون عنه، في تناولهم لشتي أنواع الخطابات الاحتمالية المؤثرة، موجود في علم عتيق أصابه الإهمال حتى تلاشت معالمه، هذا العلم هو البلاغة"<sup>3</sup> إن هذا التصور بالتحديد هو الذي قاد "بيرمان" إلى دراسة البلاغة لما كان يبحث عن مبدأ حكم القيمة في العدالة فقد انتقل "بيرمان" من القضاء إلى علم البلاغة لأن بساطة عملية التنقل يسهلها الاشتراك والتدخل بين علم البلاغة والعلوم الأخرى.

فقد بنت البلاغة الجديدة مفاهيمها من مختلف العلوم الأخرى بداية من علم المنطق، علم النحو، الفلسفة، علوم اللغة بصفة عامة، انتهاءً إلى السيميائيات، التداولية، فالتأويلية. ولا ننسى المجالات التي تحرّك البلاغة الجديدة داخلها بل إنها تقودها إلى التميز وبلغ أهدافها وترويج أفكارها وتحديد مهامها خص بالذكر: الإعلام بكل أنواعه المرئي والمكتوب والمسموع والالكتروني، الخطاب السياسي، الاقتصادي والإيديولوجي والديني، ... إلخ.

هذا التداخل بين علم البلاغة الجديدة وبين مختلف العلوم الأخرى هو الذي ساهم في تشكيل البلاغة الجديدة وتفرع حقولها، وهو في نفس الوقت الذي أنتج مجموعة اصطلاحية حجاجية غير

<sup>1</sup>- حسن مخافي، المفهوم والمنهج، في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، إفريقيا الشرق، المغرب، (د، ط)، 2016، ص: 125.

<sup>2</sup>- د: محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة، إفريقيا الشرق، المغرب، (د، ط)، 2013، ص: 12.

<sup>3</sup>- د: محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة، ص: 14.

منضبطة، يصعب تطبيق معايير الحد الاصطلاحي لوضع منظومة اصطلاحية موحدة تنضبط فيها المفاهيم وتحدد بها وظيفة كل مصطلح.

### 1-3- ناج من المصطلحات الحجاجية التي تعاني الاضطراب:

إنّ هذه المصطلحات التي يدور حولها الإشكال بجدها مثبتة هنا وهناك في الكتب المترجمة أو في المنجز البلاغي العربي المعاصر سواء في الكتب البلاغية أو المقالات النقدية البلاغية ل مختلف الباحثين والقاد لكن لا نجد مؤلف ولو واحد خص المصطلح البلاغي الحجاجي بدراسة معمقة لحد الساعة، وفي الحقيقة هذا ما نفتقده في الساحة البلاغية المعاصرة، وقد كان هذا من بين التوصيات التي خرجت بها الندوة الوطنية التكريمية للبلاغي المغربي "محمد العمري"<sup>1</sup>

### مصطلح: "Rhetorique"

شاع استعمال مصطلح "البلاغة الجديدة" بين النقاد العرب ترجمة لمعناها الغربي (Rhetorique)، إضافة إلى ورود عدة مصطلحات أخرى، ومن خلال تصفح المدونات البلاغية يبدو أثر المشقة التي تكبدتها الباحث العربي المعاصر في وضع المصطلح وكذا تحديد مفهومه، في الجدول التالي حاولنا فيه رصد مختلف الترجمات التي وردت في المنجز البلاغي العربي المعاصر:

د: سامية الدريدي	الريطوريقا
د: الحسين بنو هاشم – د: صلاح فضل – د: صولة الحاج	البلاغة الجديدة
د: محمد العمري	الخطابية
د: صلاح فضل، طه عبد الرحمن	الاقاعية
د: صلاح فضل	البرهان
د: سامية الدريدي	العلم الكلي
د: سامية الدريدي	الحجاج
محمد طروس – د: الحسين بنو هاشم – د: صولة الحاج	نظيرية الحجاج، الحجاجية
علي شعبان	الحجاج
	خطابة

<sup>1</sup> - المنظمة من قبل مختبر الترجمة وتكامل المعرف ومركز الكندي للترجمة والتدريب وجامعة القاضي عياض في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بمراكش، المغرب، يومي 22، 23 فبراير 2017م.

د: حسين بنو هاشم	الجديدة	
د: حسين بنو هاشم	إمبراطورية الخطابة	
د: الحسين بنو هاشم – د: سامية الدرديدي – طه عبد الرحمن	الحجاج	

نلاحظ أن مصطلح "Rhetorique" ترجم إلى عدة صيغ كلامية إلى ما يقارب خمسة عشر مصطلحاً بمفاهيم تقريراً متماثلةً مثلما يظهر ذلك في الجدول، ومصطلحي البلاغة الجديدة، والحجاج تصدر هذه الترجمات من حيث التداول والاستخدام.

الواضح أن بعض هذه الترجمات أثارت اهتمام د: "محمد العمري" فكانت عنوان مقاله المنشور ضمن "الحجاج، مفهومه وقضاياها" وبعدها في كتابه "أسئلة البلاغة" فقد دقق توصيف هذا المشهد في اختيار الصيغة المناسبة لهذا المصطلح بقوله: "فهناك من الباحثين العرب المحدثين من استعمل كلمة "خطابة" مقابلًا لها (وهم أقل)، وهناك من استعمل كلمة بلاغة (وهم الأكثر)، وهناك من ظل متربداً بينهما؛ يستعمل هذه أو تلك حسب السياق وهو الأقرب إلى معاناة المشكل، وهناك من وقف عند حدود الحرية يورد إحداها مطلقة والثانية بين قوسين تاركًا للقارئ أن يرجح ما يراه مناسباً"<sup>1</sup> فقد رد هذا الاختلاف بين الباحثين في الترجمة مصطلح "Rhetorique" إلى بعدين أساسين: تأصيلي تراثي وآخر تجديدي غربي.

<sup>1</sup> - محمد العمري ، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة، ص: 27.

## 1- بعد التأصلي، التراثي:

**= الخطابة: "Rhetorique"**

مصطلاح "الخطابة" اصطلاح عليه المترجمون العرب قديماً عند ترجمتهم كتاب أرسطو "فن الخطابة"<sup>1</sup>، وعلى هذا الأساس أرجع "د: محمد العمري" سبب اعتماد البلاغيين المعاصرين لهذا المصطلح فقد كان أسلافهم قد ترجموا هذا المصطلح من قبل على حسب " المعنى الأرسطي للكلمة والسياق الخطابي الحجاجي الذي يؤطرها"<sup>2</sup>، وبما أن "بيرلان" أسس البلاغة الجديدة معتمداً على ما جاء في كتاب أرسطو "فن الخطابة" باعتراف من "بيرلان" نفسه في مقدمة كتابه "مصنف في الحجاج" بأن تأليف مصنف مخصص للحجاج وارتباطه بتقليل قديم، وهو الخطابة والجدل الإغريقي "<sup>3</sup> بل إنه يرجع السبب الحقيقي من تأليفه الكتاب هو إعادة إحياء بلاغة "أرسطو" في قوله: "المنطقيون والفلسفه المعاصرون هم أنفسهم لم يعد يفهمهم بتاتاً موضوعنا، لهذا السبب مصنفنا يرتبط أساساً حول الانشغال بإعادة بعث البلاغة مجدداً، وعبر المؤلفات اليونانية والإغريقية، التي تناولت بالدراسة فن التأثير والإقناع، تقنية التحرير والكلام، لهذا السبب كذلك نقدمه كبلاغة جديدة"<sup>4</sup> ، وكأن عملية الترجمة في هذه الحالة هي عملية تعدية أي بما أن العرب القدماء ترجموا مصطلح "Rhetorique" إلى الخطابة. وبما أن "بيرلان" بلامته هي في الأصل بلاغة أرسطو فتم إذن ترجمة بلاغة "بيرلان" بمصطلح "الخطابة".

<sup>1</sup>- ينظر: ترجمة "ابن الرشد" لـ "لتحقيق الخطابة"، ص: 3.

<sup>2</sup>- محمد العمري ، *أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة*، ص: 27.

<sup>3</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite de L'argumentation La nouvelle Rhetorique ,P : 1: « la publication d'un traité consacré à l'argumentation et son rattachement à une vieille tradition celle de la rhétorique et de la dialectique grecques »

<sup>4</sup>.- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite de L'argumentation La nouvelle Rhetorique , P :6« Logiciens et philosophes modernes se sont, eux complètement désintéressés à tout notre sujet, c'est la raison pour laquelle notre traité rattache surtout aux préoccupation de nouveau la renaissance et, par delà, envoyé de nouveau, à celles des auteurs grecs et latins, qui ont étudié l'art de la persuader et de convaincre, la technique de la délibération et de la discussion, c'est la raison aussi pour laquelle nous le présentons comme une nouvelle rhétorique »

من هنا ندرك أن مصطلح "الخطابة" الذي اعتمدته النقاد العرب المعاصرین له مرجعيات وأصول من التراث الثقافي العربي القديم وتم إسقاطه مباشرة على المصطلح الجديد لـ "بيرمان" انطلاقاً من ربط بلاغته الجديدة بالخطابة الأرسطية. غير أنّ هناك من الباحثين العرب من أراد أن يفرق بين خطابة أرسطو<sup>1</sup> وبين خطابة "بيرمان" فأضاف إلى الخطابة لفظة الجديدة ومنها جاء مصطلح "الخطابة الجديدة" وقد ورد هذا المصطلح في المنجز البلاغي المعاصر كثيراً باعتبار أنه تقريراً بالترجمة الحرافية لعبارة "La nouvelle Rhetorique". التي وصف بها "بيرمان" بلاغته.

إن من بين أهم ما يثير اهتمام القارئ العربي في اعتماد مصطلح "الخطابة" هو تباين التعليمات التي يقدمها النقاد لذلك، بحد "د: محمد العمري" يفضل استعمال مصطلح "الخطابة" و"الابتعاد عن الكلمة "خطاب"، حيث يقول مثلاً: الخطابة منطقة بين الخطبة والخطاب، الخطاب أوسع والخطبة أضيق مما نريد، الخطابة ملتبسة بين النتاج الكلامي ووصفه (أي البلاغة)، بين النص والتقنية<sup>2</sup> وفي رأي "العمري" حتى لا يبقى مصطلح "الخطابة" مرتبط بالخطاب الشفوي مثل ما اصطلاح عليها في التراث البلاغي العربي لا بد من تغيير التفكير في الخطبة كحدث ننظر إليها كوظيفة من وظائف القول يهدف إلى التأثير والتفعيل على طول المسافة الواسعة المتداة بين التخييل والبرهان، سواء كان شفواً أو مكتوباً فهو قول خطابي<sup>3</sup> وإنّ هذا الإجراء ولد كذلك صعوبة في ضبط المصطلح بين التخصيص أو التعميم على جميع أنواع الخطابات.

عندما ذهب النقاد العرب في تداول بعض المصطلحات مشتقة من الجذر اللغوي للفظ "الخطابة"، فمثلاً اقترح د: محمد العمري مصطلح "الخطابية" الذي يخص به "فن الخطابة" ولعله يقصد به "فن الخطابة" المعروفة في الأدب العربي، لأن د: العمري لم يوضح ذلك إنما أشار أنه اختار هذا المصطلح قياساً على "الشعرية" المقابلة لـ "فن الشعر"<sup>3</sup>، ورغم هذه الاقتراحات التي قدمها د: العمري يبقى مصطلح "الخطاب" و"بلاغة الخطاب"، يحتلان المرتبة الأولى من حيث التوظيف مقارنة بجميع مختلف المصطلحات "الخطابية" الأخرى، ويرجع السبب في رأينا إلى عاملين أساسين.

<sup>1</sup> - د: محمد العمري، دائرة الحوار ومراقب العنف، إفريقيا الشرق، (د، ط)، 2002م، ص: 36.

<sup>2</sup> - د: محمد العمري، دائرة الحوار ومراقب العنف، ص: 36، 35.

<sup>3</sup> - د: محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة ، ص: 28.

1- مصطلح "الخطاب" بما أنه على صيغة المذكر فهو أعم وأشمل من الخطابة، حيث " يظهر المعنى اللغوي لـ"الخطاب" اقتصار مفهومه على اللغة المنطوقة في حالة المحاور، ويضاف إلى ذلك اللغة المكتوبة في حالة المراسلة"<sup>1</sup> فيدخل وبالتالي تحته كل أنواع الخطاب (الشفوي، المكتوب)، ويتجه إلى العام والخاص، فيتوافق مع الأسس الشمولية والعمومية التي بنيت عليها "البلاغة الجديدة".

2- مصطلح "الخطاب" كان متداولاً في النقد العربي القديم ومقارنا بالبلاغة والحكمة، فقد عرّف أعرابي البلاغة بقوله: "البلاغة تقرب ما بعد من الحكمة ب AISER الخطاب"<sup>2</sup>. ومعنى الخطاب هنا الكلام عامة ويقترن بالبلاغة هنا لتحديد معلم الخطاب ومعايير بنائه، ولا ريب أنّ العرب استقى هذا الاقتران بين الخطاب والبلاغة من قوله تعالى: "وَفَصْلُ الْخِطَابِ"<sup>3</sup> وكان الجاحظ يقتبس هذه الآية ويضمنها كلامه كلما تحدث عن البلاغة فمثلاً قوله: "فجمع له بالحكمة البراعة في العقل، والرجاحة في الحلم، والاتساع في العلم، والصواب في الحكم، وجمع له بفصل الخطاب تفصيل المجمل، وتلخيص الملتبس، والبصر بالحزن في موضع الحز، والجسم في موضع الجسم."<sup>4</sup> قول الجاحظ يدل على أنّ فصل الخطاب هو التحكم في أساليب الكلام مع موافقة مقتضى الحال، ويمكن أن يكون هذا التفسير، تفسيراً للأسس التي قامت على أساسها البلاغة الجديدة، من هنا ندرك عملية تداول النقاد مصطلح البلاغة أكثر من غيره في بلاغتهم المعاصرة؛ لأنّه تقريرياً يجمع بين دلالاته الرصيد البلاغي العربي ويحتوي في الوقت نفسه مستجدات بلاغة "بيرمان".

## -2 "Rhetorique" = البلاغة:

إنّ مصطلح البلاغة التي كثيراً ما تداوله النقاد المعاصرون كبدائل للبلاغة الجديدة الغربية كذلك له بعد تراخي؛ فقد كان لهذا العلم باع طويلاً عند الأقدمين بل إن هناك من ربط جميع علوم اللغة والأدب وحتى الفقه الإسلامي بهذا العلم الذي لا يمكن تجاهله دوره في بناء تلك العلوم؛ لأنّ كل الأهداف والأسس التي أسهمت البلاغة العربية القديمة في دراستها والتقنيات لها من (الإطلاع على

<sup>1</sup>- جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، ط1، 2009، ص:33.

<sup>2</sup>- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 47.

<sup>3</sup>- القرآن الكريم، سورة "ص"، الآية 20.

<sup>4</sup>- الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 175.

أحوال المتكلمين، الإيجاز والإطناب، مراعاة مقتضى الحال، التراكيب، التقديم والتأخير، الصور البلاغية، الفصل والوصل.....)، وقد سبق الجاحظ في التفصيل في ذلك في قوله:

"**قيل للفارسي: ما البلاغة؟** قال: فعرفه الفصل والوصل.

**وقيل لليونانيّ: ما البلاغة؟** قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

**وقيل للروماني: ما البلاغة؟** قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة.

**وقيل للهندي: ما البلاغة؟** قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحججة، ومعرفة مواضع الفرصة.

ثم قال: ومن البصر بالحججة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوغر طريقة. وربما كان الإضراب عنها صفحًا أبلغ في الدّرك، وأحق بالظفر.<sup>1</sup>، فكل هذه المفاهيم التي تتوافق إجمالاً مع ما جاء به "بيرلان"<sup>2</sup>، يفسر سبب اختيار مصطلح البلاغة وإن كان يبدو من قول الجاحظ أنَّ البلاغة العربية أعم من بلاغة الحاجاج لذا هناك من نجده يقرن مصطلح البلاغة بلفظة الخطاب كما سبق وأن أشرنا لذلك أو بمصطلح الحاجاج أو بالإقناع من باب التحديد وتمييز البلاغة العربية القديمة من البلاغة الجديدة فبهذا الاقتران تحدد وظيفة البلاغة الجديدة من جهة وتحدد الفترة الزمنية لها من جهة أخرى .

## 2 – بعد التجديدي "الغربي":

"**البلاغة** = Rhetorique"

كذلك لهذا المصطلح بعده التجديدي الغربي، وكأنَّ عملية الاختيار لهذا المصطلح تمت عكس ما أريد لها من أصحاب بعد التأصلي، حيث أن هناك من كان يرى أن الهدف من البلاغة العربية هو الجانب الجمالي للكلام لا غير فكان للمجددين رؤية خاصة لتخليص البلاغة من هذه التهمة الجائرة، فاختير مصطلح "البلاغة" حتى يكتسب مفهوم البلاغة "المعنى الذي تبلور للكلمة في العصر الحديث

<sup>1</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 88.

<sup>2</sup> - ينظر: مثلا قدامة بن جعفر، نقد الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.تا)، ص: 93. وابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص: 49، 87. ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 45، ص: 134.

بعد أن استرجعت بعدها الخطابي التداولي، وطورت بعدها التخييلي الشعري، وصادرت ما أخذ منها تحت أسماء اعتَبرت نفسها وريثا شرعياً للبلاغة<sup>1</sup> لأن الجمال لا يمثل كل البلاغة إنما يشكل أحد العناصر التي يستعين بها المخاطب ليصل إلى مرحلة الإقناع، فلكي "تتوقد الحجة ينبغي إشعال فتيلها بعناصر شعرية أو عاطفية"<sup>2</sup> التي تشتراك في خاصية الجمال الذي لا تصورها إلا الأساليب البلاغية والمحسنانات البيانية، من تشبيه واستعارة وكناية وغريب المعانٍ، والرمز، وتخيل فالجمال يسحر، فتنجذب إليه النفس، إلى درجة قد يتغطى معه العقل، وإن هذا من أقصى درجات الحمل على الاقتناع.

كما أنّ الكثير من النقاد وقع اختيارهم على مصطلح "البلاغة" دون الخطابة حتى لا يحدث ذلك الالتباس الذي يتضمنه مصطلح "الخطابة" في العرف العربي الذي تدل عليه الخطبة التي تلقى في المحافل الجماهيرية وإن هذا المعنى بالتحديد ألغته البلاغة الجديدة من محتوى بلاغتها، ودعت في المقابل إلى خطابة جديدة تكون عامة تحتوي كل أنواع الخطاب ووجهة إلى العام والخاص لذا عرفت بـ "إمبراطورية الخطابة" والمصطلح الوحيد في اللغة العربية الذي يتواافق مع هذا المنحى هو "البلاغة" تناولت الشعر والثر واهتمت بالعام والخاص.

### "Rhetorique" = الحجاج:

مصطلح "الحجاج" له بعد غربي محض، حيث استقام النقاد العرب المعاصرین، من تعريف "بيرلان وتيتيكا" للبلاغة الجديدة إذ تعتبر دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحتات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم<sup>3</sup> والتسليم لا يكون إلاّ بعد اقتناع ولا يتم ذلك إلاّ عن طريق حجج وبراهين وهي المقصودة في قوله بتقنيات الخطاب، وفي موضع آخر يصرح بهدفه من دراسته بقوله: "إن دراستنا، تشتعل أساساً على إستراتيجية الحجاج،

<sup>1</sup>- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 27.

<sup>2</sup>- محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وبرلان، ص: 18.

<sup>3</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca, Traité de l'argumentation La nouvelle Rhetorique ,P :5 « L'étude des techniques de la parole discursive permettent de provoquer ou d'accroître l'adhésion des esprits aux thèses qu'on présente à leur assentiment »

إذ تفرض نوعا خاصا تقوم عليه عملية الاتصال مع المستمع<sup>1</sup> ، فبلاغة "بيرلان" تتمحور حول تقنيات الحاج، من هنا ندرك أن هذا المصطلح "الحاج" الذي اعتمدته النقاد لتعبير عن بلاغة "بيرلان" هو مأخوذ من المفهوم الذي قدمه "بيرلان" لبلاغته ويعتبر ذلك نوع من أنواع توليد المصطلح العربي عامّة.

الاضطراب الاصطلاحي في البلاغة الجديدة لا يمس مصطلح "Rhetorique" فقط لكن للأسف هذا الاضطراب يعاني منه تقريريا حل مصطلحاتها.

الجدول التالي، حاولنا من خلاله توضيح مدى الاضطراب الاصطلاحي الذي تعاني منه مصطلحات "الحاج" في البلاغة العربية المعاصرة، فقد أخذنا بعض العينات للمصطلح الحاجي المتداول بين البلاغيين المعاصرین في المنجز البلاغي العربي المعاصر .

---

<sup>1</sup>-Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite de L'argumentation La nouvelle Rhetorique, p : 8. « Notre étude, se préoccupant surtout de la structure de l'argumentation, n'insisitera donc pas sur la manière dont s'effectue la communication avec l'auditoire »

د: سامية الدرديي	د: طه عبد الرحمن	د: صلاح فضل	د: صولة الحاج	د: حسين بنو هاشم	د: محمد العمري	المصطلح
الاقناع	الاقناع، الاقناعية	الاقناع	الحمل على الاقناع	تبين	اقناع	<b>conviction</b>
المتنقي	المتنقي المحاطب	المستمعين المستمع	الجمهور العام، الغائب، الجمهور الحاضر	المستمع الكوني المستمع الخاص	المستمع، المتنقي	<b>Auditeur</b>
القياس، التمثيل	القياس التمثيلي الاستدلال التمثيلي	التمثيل القياسي الشبيه	التمثيل	التناسب	التمثيل	<b>Represen tation</b>
المواضع	الضمائر الموضعيات	المواضع	المعاني، الموضع البصر باللحقة	الموضع ، الإيجاد	الإيجاد، مصادر الأدلة	<b>Les lieux</b>
التضمين، الضمني من الكلام	الاضمار، الطي	الاحتزال الحذف الاضمار	الحذف	حججة التضمين	المقاييس الكامنة، الاشارة، القياس المضمر	<b>Implicite Inclusion</b>
السلم الحجاجي	سلم حجاجي	التغيير المنطقي	الهرميات			
الاستدلال	الاستدلال الكلامي	القياس	الاستدلال	الاستدلال	الاستدلال	<b>Le raisonne ment</b>
أجزاء الكلام	خاصية الترتيب	اجزاء القول	ترتيب الاقسام	الترتيب	ترتيب أجزاء القول	<b>Dispositi on</b>
الوسائل البلاغية	الاستعارة	الاشكال البلاغية	المحاز الوجوه البلاغية	وجه بلاغي	الصورة البلاغية	<b>Figure</b>

بعد عرض هذه العينات من مصطلحات البلاغة الجديدة يظهر شدة التباين والتشتت الواضح بين هذه المصطلحات، بحيث أن كل باحث استخدم مصطلحاً معيناً وفي بعض الأحيان يستخدم مصطلحين لفهم واحد رغبة منه في إعطاء القارئ فرصة للفهم والاستيعاب، لكن بقدر ما قد يوضح يترك القارئ في حيرة من الکم الهائل وغير المستقر للمصطلحات، وما يزيد ذلك الاضطراب هو عندما يحتوي منجز واحد على مصطلحات متعددة لنفس المفهوم في مواضع مختلفة من المنجز، أو أن الناقد لا يجد حرجاً في توظيف كل مرة مصطلحاً في كل منجز له، دون أن يعطي أي مبرر. وكل هذا ستفعل عليه محاولين تحليل هذه الملاحظات شيئاً فشيئاً . وإن كان البعض يبرر اختياره مصطلح معين دون غيره.

### المصطلح (Auditeur) :

هذا المصطلح أحد نصيبياً كبيراً من الاضطراب فأصطلاح عليه بـ "الجمهور" مثلاً قول "د: عبد الله صولة": إنّ جمهور الحجاج كما يراه المؤلفان يمكن أن يكون عاماً حاضراً أو غائباً، كما يمكن أن يكون منشأ الحجاج بين شخصين اثنين متحاورين أو بين المرء ونفسه<sup>1</sup> ولعل هذا الاستعمال يرجع أساساً إلى الترجمة العربية القديمة لكتاب "أرسطو" "فن الخطابة" الذي كان موجهاً إلى جموع من الناس لدى اليونان عامة، وعلى هذا الأساس ترجمت "الريطوريقا" إلى الخطابة<sup>2</sup> على اعتبار أن خطابة أرسطو كانت موجهة إلى مجمل من الجمهور وهي أصل بلاغة الحجاج.

لكن جوهر اختلاف نظرية الحجاج عن أصلها الأرسطي في أنها لا تقتصر على نوع واحد من الجمهور ، وهذا ما أكدته "بيرلمان" في قوله: "إنما نحن لست لنا فكرة من أن شخص دراستنا لتقديم الحجاج عن طريق الكلمة و يجعلها مقتصرة على حشد مجتمع في مكان لنوع من المستمعين الذي يوجه إليهم الكلام"<sup>3</sup>، نوع المستمعين المختلف الذي تختص به البلاغة الجديدة نتج عنه الاختلاف في

<sup>1</sup>- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص: 21، 22.

<sup>2</sup>- ينظر: ترجمة "ابن الرشد" تلخيص الخطابة، ص: 3

<sup>3</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhétorique , P : 7 « Mais nous n'avons pas de raisons limiter notre étude à la présentation d'une argumentation par la parole et de limiter à une foule réunie sur une place le genre d'auditoire auquel on s'adresse. »

الاصطلاح، فحاول كل باحث قدر الإمكان أن يتمسّك مصطلحاً يتوافق مع مفهوم المستمع لدى "بيرمان".

إن إشكالية مصطلح "**Auditeur**" لفت انتباه د: الحسين بنو هاشم<sup>1</sup> في مقدمة كتابه "نظريّة الحاجاج عند شايم بيرمان" قبل أن يبيّن اللفظ الذي اختاره لهذا المصطلح وسبب ذلك، وقف ملياً عند هذا الاختلاف، فهو يرى أنه لما "استخدم باحثون آخرون لفظة "الجمهور"، وهو اختيار يعاني من نفس إعاقات الاختيار الأول، كما أنه لا يؤدي معناه الأصلي المرتبط بالسمع، مما يجعله غير قابل للاشتقاق،.....إضافة إلى أن فيه نوعاً من "التمييع"، باعتبار أن هذه اللفظة شائعة في مجالات مختلفة بعيدة عن الخطابة والجاج، فتشهد مثلاً عن الجمهور في المباريات الرياضية وفي المسرح"<sup>2</sup>، من هذا المنطلق إن أنواع المستمعين في البلاغة الجديدة يفرض على الباحث أن يختار مصطلح يدل على كل أنواع المستمعين التي شملته البلاغة الجديدة.

وقد وقع اختيار د: الحسين بنو هاشم<sup>3</sup> على المصطلح الذي استعمله أستاذه د: محمد العمري<sup>4</sup> قبله "المستمع" ويرى هذا الاختيار بأن: "هذه اللفظة تؤدي المقصود هذا المصطلح بشكل دقيق. فالمعنى الفرنسي يعني مجموع السامعين والمكان الذين يجتمعون فيه. ويحيط بذلك على المقام. ونحن نعتقد أن لفظة "مستمع" تؤدي كل تلك المعانٍ، فهي موجهة للدلالة على السامعين من خلال الجذر الذي اشتقت منه، وعلى المكان من خلال صيغتها الصرفية، وتلتقي مع المصطلح الفرنسي في دلالتها على المستمع، زيادة على أنها تجعل التنقل بين المعانٍ المجاورة منسجماً".<sup>5</sup> كما أنه عاب على الباحثة د: سامية الدريري<sup>6</sup> استخدامها لفظة "متلقي" وقد برر ذلك بأن هذا الاختيار "أوقعها في الحرج حين تحدثت عن تمييز بيرمان بين....فبدل أن ثبتت المقابل الفرنسي للمصطلح الذي يطرح المشكل أثبتت المقابل الفرنسي للنعت المصاحب له"<sup>7</sup>، لكن حسب رأينا أن "د: سامية دريدي" كانت ناقلة للتفسير الذي قام به "بيرمان" و"تيتكا" لمصطلح **(Auditeur)**.

<sup>1</sup>- د: الحسين بنو هاشم، *بلاغة الحاجاج الأصول اليونانية*، ص: 14.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص: 14، ص: 15.

<sup>3</sup>- نفس المرجع ، ص: 14

فـ "بيرلان" كان تقسيمه كان مصاحباً لكلامه حول وظيفة الخطاب الحجاجي الذي قسمه بدوره إلى نوعين من الوظائف "الإقناع" و"الاقتناع" وخص كل نوع منها بنوع من المتلقى إذن طبيعة الخطاب الذي يمكن أن تكون فيه الحجج مستخدمة بنجاعة، هي التي تحدد إلى حد كبير الجانب التي تتخذها الحجج والخاصية، النطاق الذي أتيح لهم، كيف يستعرض المستمعون الذين يكون مشهد الدور المعياري يسمح بتقرير شخصية المقنع بحجة<sup>1</sup>، من هذه الفكرة تحديداً قسم "بيرلان" المستمع إلى أنواع من المستمعين ويبيّن هذا الاختيار قائماً على الاجتهاد الفردي. هذا بالإضافة إلى عدة استعمالات أخرى منها: المتكلّم، المخاطب.

### مصطلح (Figure rhetorique):

تقوم البلاغة الجديدة على منطق اللغة الطبيعية التي تميز بالمرونة والتلاعب بعبارات والتکوثر الكلامي إلى حد بعيد، ولأنّ الفكر العربي لا ترقى أداته إلى مستوى البراهين التي هي وحدتها الكافية بإفاده اليقين وتحصيل العلم، إذ لا تلتزم إلا أساليب في الاستدلال تشبيهية وقياسية<sup>2</sup> وهذه الأساليب أخذت تتجدد من حين إلى آخر بفعل المتغيرات المتتسارعة التي يشهدها المنطق الطبيعي اليوم ولكون "ارتباط الحجاج بمستمع معين خاص أو متخصص".<sup>3</sup> فكل هذه العوامل تساهم بقدر ما في تشكيل أنواع مختلفة من الخطابات التي تستدعي أساليب بلاغية جديدة، والتي تمنع الخطاب نوعاً من التميز وقدرة الكافية على التأثير، لذا لا ينبغي لدراسة بيانية للتمثيل والاستعارة أن تقتصر على معالجتها في سياق خاص وفي أفق خصوص؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى جعل ما يعود إلى خصوصية الاستعمال أو السياق ذا طبيعة عامة.<sup>4</sup>، بل إن هذا الأمر قد يتعدى كل الحدود في نظر بيرلان "أنه في الواقع، من

<sup>1</sup>- Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhetorique , p :39. « C'est donc la nature de l'auditoire auquel des arguments peuvent être soumis avec succès qui détermine dans une large mesure et l'aspect que prendront les argumentations et le caractère convaincant d'une argumentation? »

<sup>2</sup>- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص:146.

<sup>3</sup>- د: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتناول، إفريقيا الشرق المغرب، ط2، 2012، ص:24.

<sup>4</sup>- شايم بيرلان، التمثيل والاستعارة في العلم والشعر والفلسفة، ت: حمو النقاري، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، إشراف د: حافظ اسماعيلي علوى، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، ج1، 2010، ص: 375.

ناحية المبدأ لا توجد بنية غير قابلة لأن تتحول بالاستخدام إلى شكل بلاغي<sup>1</sup>، في ظل هذا التحول الذي لا حدود له للبني الطبيعية جعل اللغة الطبيعية في تحدد دائم واستمرارية في العطاء.

على إثر هذه الخاصية التي تتمتع بها اللغة الطبيعية سواء من حيث التوالد أو من حيث الإجراء، عرف هذا مصطلح (Figure rhetorique) تنوع واضطراب في الاصطلاح قد يتقارب في المعنى أو في الاشتقاء أحياناً، وقد يتباين إلى حد الاغتراب في الكثير من الأحيان مما خلق تداخلاً صارحاً في المفاهيم المختلفة للوجوه البلاغية، وإن هذا التداخل يعتبر امتداداً للاضطراب الذي عان منه هذا المصطلح في أصله الغربي قبل انتقاله للساحة البلاغية العربية فنجد مثلاً: Figure rhetorique ، Image، Figure ( ) ويعمل د: عبد الله صولة سبب اختياره كلمة "صور البلاغية" بدل "مجازات" عند ترجمته مصطلح "Figures" بقوله: "لكون كلمة Figuers تتجاوز مفهوم المجاز في البلاغة العربية لتشمل كلّ بنية أو شكل تركيبي أو دلالي أو براغماتي يرد في الكلام بطريقة في التعبير غير عادية"<sup>2</sup> هذا إذا ما قارنا البلاغة العربية المعاصرة مع نظيرتها الغربية.

بما أن هذه المصطلحات تتقارب في المعنى ترجمت إلى العربية في أغلب الأحيان بمصطلح واحد وهناك من حاول أن يوافق كل واحدة منها بما يوجد من مصطلحات بلاغية في التراث البلاغي العربي وهذا حسب المفهوم، من بين هذه مصطلحات البلاغة الغربية نذكر مثلاً: القياس التمثيلي يتناسب مع التمثيل الموجود في التراث البلاغي العربي.

إن من نقاد عرب من اعتبر أن معظم الأشكال البلاغية التي تضمنتها البلاغة الجديدة يمكن أن تكون ضمن "الاستعارة"، هذا ما يفسر الاهتمام الكبير الذي أولاه الباحثون العرب المعاصرة لمصطلح "الاستعارة، ربما لأنه يعني عن الوجه البلاغية الأخرى، ويرجع هذا الاهتمام أصلاً إلى العناية الخاصة التي أعطتها البلاغة الجديدة للاستعارة، حيث نجد أن "بيرلمان" أفرد قسماً خاصاً من كتابه "مصنف في الحاج" لدراسة الاستعارة، في المقابل "علاقة التشابه بدورها قد أخذت تتحضر في نطاق الاستعارة حيث بدأ هذا المصطلح يغطي حقول القياس بأكملها – كما أشرنا إلى ذلك من قبل – وبينما كانت البلاغة القديمة ترى في كل استعارة تشبيهاً ضمنياً – فإنَّ البلاغة الجديدة – على

<sup>1</sup>- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 171.

<sup>2</sup>- د: عبد الله صولة، أهم نظريات الحاج في التقليد الغربي أهم نظريات الحاج في التقليد الغربية من أرسسطو إلى اليوم، ص: 323.

عكس ذلك – تنظر إلى التشبيه باعتباره استعارة مكشوفة مباشرة ومنقوصة. ولعل أبرز مثل للتوسيع في استخدام مصطلح الاستعارة ما كان يفعله "بروست proust" من اعتبار أعماله كلها من قبيل "الاستعارة" حيث تصبح معادلة للمتخيل<sup>1</sup> وقد أخذت هذه الأهمية من القوة الاقناعية التي تتحققها ضمن سياق معين.

إن هذه المكانة التي يحتلها مصطلح الاستعارة بالمقارنة مع مختلف الأشكال البلاغية الأخرى في البلاغة الغربية وكذا التجاذب الذي يعرفه هذا المصطلح بين المعنى القديم وبين المعاني الجديدة والأدوار المهمة التي اتسمت بها الاستعارة على غرار الأساليب البلاغية الأخرى ساهمت بشكل كبير في تضارب الترجمات.

### مصطلح ( conviction ) :

تعامل الباحثين مع هذا المصطلح انتلافاً من المفهوم الذي شرحه "بيرلان" طويلاً لهذا المصطلح ومقارنته بمصطلح "La persuasion" الذي ترجم بلفظة "الإقناع" هذا ما تبناه "د: حسين بنو هاشم" ، و "د: عبد الله صولة" على سبيل المثال، وإن كان "صولة" أعطى المصطلح لفظاً آخرأ وهو "الحمل على الإذعان"<sup>2</sup> في نفس الموضع دون أن يبرر سبب ذلك، لكن رغم الشرح الوافي الذي قدمه "بيرلان" لمفهوم ( conviction ) .

أقرّ "د: حسين بنو هاشم" بصعوبة إيجاد مصطلح يتواافق مع دلالة مصطلح ( conviction ) عند "بيرلان" في قوله: "إن العثور على ترجمة ملائمة لمصطلح ( conviction ) تطلب منّا جهداً كبيراً. إذ لم نعثر، فيما اطلعنا عليه من دراسات عربية حول الحجاج، على أي ترجمة مقنعة له"<sup>3</sup> ليقوده البحث بعد جهد إلى إيجاد لفظة في التراث البلاغي العربي وهي لفظة "تبين" ويرجع اختيار "د: حسين بنو هاشم"، هذه اللفظة اعتباراً لهذه العلاقة بين كلمة "بيان" لفظة معجمية ومصطلحاً بلاغياً أصيلاً وبين معانٍ الحجاج والإقناع ، رأينا أن نترجم مصطلح ( conviction ) بلفظة "تبين" ،

<sup>1</sup>- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 193.

<sup>2</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص: 15.

<sup>3</sup>- د: حسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلان، ص: 15.

لتأخذ بذلك معنى جعل المخاطب على بيّنة من الدعوى المطروحة عليه، فنستعمل حينئذ عبارة مثل "بيّن فلاناً" بمعنى جعله على بيّنة من الأمر، وهي بهذا المعنى تلتقي مع المصطلح الفرنسي. وهي صالحة للاشتقاد والتنقل بين معانٍ المخابرة<sup>1</sup>، لكن رغم ما يوفره هذا المصطلح الذي اعتمدته د: حسين بنو هاشم<sup>2</sup> في ترجمته لمصطلح conviction من دلالة متقاربة بين الكلمة غير أنه طرح مشكل جديد في نظر د: حسين بنو هاشم "المشكل هو أن فعل "بيّن" في اللغة العربية يتعدى إلى شيء وليس إلى شخص"<sup>3</sup> مما جعله يبحث عن لفظة أخرى قد تؤدي الدلالة المطلوبة.

شد انتباه د: حسين بنو هاشم لفظة "تصديق" مستدلاً بالمفهوم الذي وضعه لها "حازم القرطاجي"<sup>4</sup> لما فرق بين لفظي "الظن" و"اليقين" فنسب الأولى إلى "الاقناع" والثانية إلى "التصديق" لكن ظلت عقبة الاشتقاد والاستعمال مع المصطلحات الأخرى تطرح نفسها، مما جعله يبحث عن بديل آخر يفي بالغرض، على حسب رأي د: حسين بنو هاشم "وتبيّننا أخيراً لفظة "تيقين" (من يقُنْ يُقِنُ) التي اتبهنا إليها في سياق تحقّقنا من لفظة "تصديق"، فكثيراً ما يرتبط معناها باليقين"<sup>5</sup> فقد استقى د: الحسين بنو هاشم هذه اللفظة كذلك من عند حازم فقد وردت عنده بنفس دلالة لفظة "التصديق" غير أنها تتميز عن نظرتها أنها تقبل الاشتقاد، كما أنه لاحظ أن لفظة "اليقين" من دلالاتها المعجمية أنها توظف على الاحتمالية وإن هذا من صلب الخطاب الحاججي وهذا ما جعله يختار هذا المصطلح دون غيره، لكن هذا المصطلح لم يوظف تقريراً رغم الجهد الذي بذلها لأجل توليده، نظراً لأنعدام التنسيق والتکافن بين الباحثين.

### مصطلح ( L'argument pragmatique ) :

أن لهذا المصطلح عدة ترجمات أكثرها استخداماً "الحجّة النفعية"<sup>6</sup> كما نجد ترجمات أخرى منها "الحجّة الناجعة"<sup>7</sup>، أو "حجّة الربط السيي"<sup>8</sup>، والأكيد أن هذه الترجمات اعتمدت على مفهوم

<sup>1</sup>- نفس المرجع، ص: 19.

<sup>2</sup>- نفس المرجع، ص: 19.

<sup>3</sup>- ينظر حازم القرطاجي، منهاج البلاغة وسراج الأدباء، ص: 65 إلى 71.

<sup>4</sup>- د: الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجاج عند شايم بيرمان، ص: 21.

<sup>5</sup>- ينظر: د: الحسين بنو هاشم، بلاغة الحاجاج الأصل اليونانية، ص: 72.

<sup>6</sup>- د: علي شعبان، الحاجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص: 286.

<sup>7</sup>- وينظر: د: صولة الحاج، في نظرية الحاجاج، ص: 50.

هذا المصطلح في نصه الأصلي "لبيرلمان" توليده إذ يقصد به " ما يمنح الرضا عن فعل أو حدث أو قاعدة أو أي شيء آخر تبعاً لنتائج الإيجابية أو السلبية"<sup>1</sup>، أي أنّ هذه الحجة توحّي بأن هناك مصلحة للمخاطب مما يدفعه إلى الاقتناع بكل طمأنينة، كما ورد عند "عبد المادي الشهري" ترجمة أخرى وهي حرفية "الحجّة التداوّلية"<sup>2</sup> وإن كان من مفهوم المصطلح ما يتوافق مع مفهوم مصطلح التداوّلية "pragmatique". الذي يدل "على معينين: "الاستعمال" و"التفاعل" معا"<sup>3</sup>. أي استخدام اللغة بغرض الوصول إلى تحقيق المطلوب، وهنا تخلص الحجة وبيدو الاستعمال النفعي للغة.

### مُصْطَلِح (Orateur)

هناك شبه اتفاق بين الباحثين في ترجمة هذا المصطلح "بالخطيب"<sup>4</sup> هذا اعتماداً على الترجمة العربية القديمة لكتاب الخطابة لأرسسطو مثل قوله: "لهذا يجب على الخطيب أن يتوجه إلى تعرّف على أحوال السامعين وآرائهم السابقة"<sup>5</sup>، غير أن بعضهم ترجمه "بالمخاطب"<sup>6</sup>، "على اعتبار أن البلاغة الجديدة" غير خاصة بالخطاب الشفوي فحسب، كما كان عليه الأمر في الخطابة القديمة، بل كذلك بالخطاب الكتابي.<sup>7</sup> ومن ذلك نتبين أن ترجمة مصطلح (Orateur) بالمخاطب على حسب المفهوم الجديد الذي افتتح معناه على جميع أنواع المخاطبين دون النظر إلى نوع المخاطب المهم أنه في مقام الحجاج؛ لأن "الحجاج فعالية تداوّلية جدلية ديناميكية فعالة، تستلزم وجود أطراف تواصلية بينهما قواسم حجاجية مشتركة"<sup>8</sup> يحدّدها نوع الخطاب سواء من ناحية الأساليب أو تغليب استعمال استعمال آليات معينة دون أخرى.

<sup>1</sup> -Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traité de l'argumentation La nouvelle Rhétorique , P : 358. « Celui qui permet d'apprécier un acte ou un événement en fonction de ses conséquences favorable ou défavorable. Ce »

<sup>2</sup>- ينظر: آليات الحجاج وأدواته، عبد المادي بن ظافر الشهري، ص: 83.

<sup>3</sup>- د: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص: 28.

<sup>4</sup>- ينظر: د: الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصل اليونانية، ص: 36.

<sup>5</sup>- أرسسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، ت: عبد الرحمن بدوي، ص: 148.

<sup>6</sup>- ينظر: آليات الحجاج وأدواته، عبد المادي بن ظافر الشهري، ص: 98.

<sup>7</sup>- د: الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصل اليونانية، ص: 37.

<sup>8</sup>- د: جميل حمادوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص: 28.

يفسر في الوقت نفسه اعتماد بعض الباحثين مصطلح *المجاج*<sup>1</sup> أو *المجاج* وهو صيغة اسم الفاعل المشتق من الفعل *حجّ* أو حاجج الذي يدل على فعل الحجاج وعلى من يقوم به. أي أن هذه اللفظة مشتقة من الجذر اللغوي للحجاج، وبهذا تدل على اتساع منتجي الخطاب الحجاجي.

بينما القلة ترجمه إلى لفظة "البات" وإن كانت هذه اللفظة لها دلالة أشمل لا تقتصر على الحجاج إنما تعني الإعلان والتوقع ويكون أكثر ذلك في الخبر مع أن الخبر هو المنطلق الأول الذي ينطلق منه الحجاج، وربما يدل هذا المصطلح المستعمل على المسار الحجاجي الذي ينطلق من الخبر، ثم يطرح للعيان والمساءلة والمحاورة فيصبح عندها مبشوّثاً وبعدها يترك للسامع فرصة المعاينة فالتفكير ومنها الوصول إلى مرحلة الاقتناع.

من خلال هذه الدراسة المقتصبة لمصطلحات البلاغة الجديدة نخلص إلى أن أغلب الباحثين اعتمدوا على اجتهادات فردية في ترجمة هذه المصطلحات أو في اختيار المصطلح الأنسب للاستعمال، هذا الاختيار يفتقر إلى التسقّي وتكثيف الجهد من أجل ضبط مصطلحات البلاغة الجديد، وبالتالي هذه الاجتهادات الفردية ساعدت على اتساع الهوة في التباين بين المصطلحات.

ما زاد كذلك من حدة هذا الاضطراب هو عندما " غالب على الباحثين العرب في وضع مصطلحاتهم العلمية وبناء أجهزتهم الوصفية والتفسيرية الاستغال بقوالب ومعايير اللغة الأجنبية: الفرنسية والإنجليزية؛ فلا نكاد نجد عند معظمهم من المعاني العلمية إلاً ما كان نقلًا حرفيًا لمصطلحات أجنبية من غير وعي بأصول بعضها النسبية، وفائدة المحمودة، وبلغ سلطان هذه المعايير على هؤلاء درجة أصبحت معها ألفاظهم "أشكالاً" منقطعة الصلة بدلائلها اللغوية وفاقده لأسباب الإنتاج والتغيير في الفكر العلمي"<sup>2</sup>، من هنا ندرك أن قضية غياب المعيار الذي يتاسب والخصوصية العربية له وقع خاص على مدى استيعاب المضامين واحتواء شروخ فجوة المصطلح البلاغي.

غير أن الرؤية الأفقية تؤكد إمكانية الخروج من هذا الشرخ المنهجي الاصطلاحي الممتد في الاتساع وكذا الفوضى والاضطراب الاصطلاحي الذي ألقى بأعبائه التي تبدو غير متناهية على الدائرة البلاغة العربية المعاصرة، هذا يتم في ظل التقيد بمعايير التوليد الاصطلاحي، وإن البلاغة العربية عامة

<sup>1</sup>- ينظر: علي شعبان، *الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل*، ص: 228.

<sup>2</sup>- د: طه عبد الرحمن، في *أصول الحوار وتجديد علم الكلام*، ص: 29.

استطاعت أن تقدم أساساً منهجية يسير وفقها الباحث في عملية الإنتاج الاصطلاحي والنقل الاصطلاحي، بتحديد المعايير وضبطها حتى تكون قاعدة يتلزم بها كل باحث عربي، كأمثال د. يوسف وغليسبي "في كتابه "إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد" الذي جمع بين طياته كل المعايير التي تمكن الباحث العربي من حل معضلة المصطلح التي يتخطى فيها، كما قدم مجموعة من التوصيات تيسّر عملية الاتفاق الاصطلاحي لتوحيد المنظومة الاصطلاحية، وقد سبقه إلى ذلك المجتمع العلمي العراقي إلى وضع مجموعة من المعايير متفق عليها من قبل مجموعة من الباحثين العرب، تضبط توليد المصطلح أو نقله.

إن هذه المعايير وضعت لضبط المصطلح النقدي العربي المعاصر عامّة، لكن هذا لا ينفي إمكانية تطبيقها على مصطلح البلاغة الجديدة بكل حذافيرها؛ لأنّه جزء من مصطلح النقد العربي المعاصر والإشكالية الاصطلاحية قائمة في كلام المباحثين وبنفس الحدة.

إنَّ هذه المصطلحات المترجمة إلى العربية لا تجدها في الكتب البلاغية الغربية المترجمة فقط؛ إنما الإشكال مطروح في جميع المدونات و المقالات النقدية المترجمة منها والمنجزة من البلاغيين العرب، كما أنَّ هذه الإشكالية لا تنحصر في زمن بداية الالقاء والتعرّف على البلاغة الجديدة في منجزها الغربي؛ إنما لا يزال الإشكال الاصطلاحي قائماً، بل يزداد حدة كلما تعددت حقول الممارسة البلاغية المعاصرة.

غير أنَّ هذا الإشكالية الاصطلاحية تبدو واضحة في "اتجاه الترجمة القراءة".

## 1- غاذج من ترجمة المنجز البلاغي الغربي الجديد:

المكتبة النقدية العربية المعاصرة تحتوي على مجموعة لا بأس بها من الكتب التي أفادت الباحث العربي كثيراً وقربت له مفاهيم البلاغة الجديدة وبسطت أمامه الآليات والأدوات وبذلك كانت بمثابة المفاتيح التي بها ولج الباحث البلاغي العربي في البحث الحجاجي بيسر وسلامة إلى يومنا هذا، وإن كانت هذه الترجمات تعاني من إشكالية الاصطلاح والمنهج في نفس الوقت، إلا أنَّ ذلك لا ينقص من وزن مجهدات المترجمين العرب.

## 1-2-1- غاذج النص المترجم من البلاغة الجديدة الغربية:

من أهم النماذج المترجمة التي لابد أن نشير إليها في هذا الصدد هو ما قدمته فرقه البحث البلاغي تحت إشراف "د: حافظ إسماعيلي علوى" في جزئه الثاني حيث خصص قسم منه لترجمة مجموعة من النصوص وبعض المقالات الغربية مقتطفة من بعض المدونات البلاغية الغربية.

من بين النصوص المترجمة في هذا القسم من المجز المترجم البلاغي العربي الضخم والتي اهتمت ببلاغة "بيرمان" مقالة "التمثيل والاستعارة في العلم والشعر والفلسفة" \* "لشايم بيرمان" المترجمة على يد "حمو نقاري" وفي هذه المقالة يستعرض "بيرمان" الدور الفعال الذي يلعبه كل من التمثيل والاستعارة في العملية الحجاجية كما أنه قسم أنواع الاستعارات وكيفية عمل كل واحدة منها، في المقابل قدم لنا رؤية كل من العلم والشعر والفلسفة للتمثيل والاستعارة بعرض أراء كل من "كوهن" و"كونزيط" وكذا "ديكارت"؛ لأن كل واحد منهم إلاّ ونظر للاستعارة من زاوية معرفية خاصة به، ورغم أن هذه المقالة تطرح موضوعاً فلسفياً إلاّ أن المترجم "حمو نقاري" نقلها إلى القارئ العربي بأسلوب سلس بعيد عن الأسلوب الفلسفى الجامد، وحتى تتصف ترجمته بنوع من الأمانة العلمية الأكاديمية ختمها بجدول ضممه أهم المصطلحات الحجاجية المترجمة.

ومن المؤكد أنَّ فائدة هذه المقالة على الباحث العربي لا يمكن تجاهلها؛ لأنها ببساطة تطرق إلى أهم تقنية من تقنيات الحجاج لدى "بيرمان" وهي "الاستعارة" وتعتبر هذه المقالة زبدة ما تطرق إليه "بيرمان" بخصوص موضوع الاستعارة.

نذكر كذلك نص مقال "الحجاج وأشكال التأثير"<sup>1</sup> لـ "باتريك شارود" ترجمة "ربيعة العربي" ، في هذا النص المترجم تنقل المترجمة أهم التطورات التي شهدتها الخطاب الحجاجي عند اتصاله بالعلوم الإنسانية الأخرى المحاورة للبلاغة وما طرحته هذا الاتصال من إشكالات "في وسائل التحليل المستعملة في التخصصات الأخرى والتفكير في المفاهيم"<sup>2</sup> وبالتالي أعطت المداخلة لحة وجيزة عن الأشكال المتعددة للتأثير وما هي متطلبات ذلك وقد حاولت الباحثة أن ترفق ضمن النص المترجم مصطلحات التي نقلتها إلى اللغة العربية بلغتها الأصلية حتى تتمكن القارئ التعرف على المصطلح بلغته

<sup>1</sup>- باتريك شارود، الحجاج وأشكال التأثير، ت: ربيعة العربي، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، ج 2، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، (د، ط)، 2010م، ص: 463.

<sup>2</sup>- باتريك شارود، الحجاج وأشكال التأثير، ص: 463.

الأم مثلاً مصطلح "التشابكية" interdisciplinaire ومصطلح "المحورة" thematisation والحمل predication ومن خلال هذه العينة التي سعت المترجمة أن تذكر المصطلح بلغته الأم وبلفظه المترجم أنها ركزت في ذلك على المصطلحات التي لم يسبق للباحث العربي التعامل معها أو أنه يندر استعمالها، ولعل الباحثة ارتأت ذلك من باب التقرير أكثر وكذا رفع اللبس عن المصطلح أو لأنها أرادت أن يجعل القارئ بطريقة غير مباشرة طرفاً مشاركاً في الترجمة وهذا مقارنة لفظي المصطلح (اللفظ الأصلي، واللفظ المنقول له)، المهم بطريقة أو بأخرى ساهمت ترجمة هذه المداخلة في مواكبة أهم ما طرأ من تطورات على البلاغة الجديدة من إشكالات وأسئلة حاول "باتريك شارود" إيجاد إجابات في ظل المقاربات التي فرضتها بعض العلوم الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم اللسانيات على البلاغة الجديدة.

ما يلفت انتباها في هذه المداخلة أنها ذات دور كبير في توضيح المسار البلاغي الغربي وما ترتب عن هذا المسار من إشكال، وكيفية مواكبة هذه التغيرات، ولو أنّ هذه المداخلة لم تنقل إلى اللغة العربية حسب رأينا، فأغلب الاحتمال أنّه لن يطلع عليها الباحث العربي خاصة في هذا الوقت لما كثرت المؤلفات العربية في البلاغة الجديدة، بحيث أصبح الباحث العربي لا يكلف اهتماماً بقراءة البلاغة الجديدة الغربية في لغتها الأم، وإنّ استدعي الأمر ذلك رجع إلى كتب البلاغة الجديدة، اعتقاداً منه بأنّها تغنيه عن ما يرد في المقالات أو المداخلات؛ بما أنها هي الأصل، لكن لا يغيب على أي باحث أهمية المقال أو المداخلة لما تطرحه من نقاط مهمة ومتخصصة في كل الميادين وعموماً ما يطرح فيها يكون محل نقاش وإشكال يسعى المقال أو المداخلة إلى الإجابة عنه أو إثراء الموضوع المطروح على النقاش.

## 1-2-2- غوذج الكتاب المترجم من البلاغة الغربية الجديدة:

الملحوظ أن ترجمة كتب البلاغة الغربية إلى اللغة العربية قليل جداً مقارنة بالمنجز البلاغي الحجاجي العربي، خاصة بلاغة "بيرمان" التي اهتمت بالجانب المنطقي، وربما يعود ذلك في الأساس إلى أنّ المهتمين بالبلاغة يفتقرون في الغالب إلى آليات الترجمة الصحيحة، فهذا العوز لا ينحthem الجرأة الكافية لاقتحام ميدان الترجمة وخاصة إذا تعلق الأمر بالترجمة المتخصصة، وما نجده من كتب بلاغية مترجمة يعد بمثابة إنهاز هائل يثير المكتبة العربية ويفتح آفاق جديدة أمام القارئ العربي لما للترجمة من

دور فعال في تحرير عجلة البحث وتطويره، وإن كان يشوبها بعض النقائص تعود إلى الأسباب التي سبق ذكرها.

من بين أهم الكتب المترجمة التي ساهمت بشكل كبير في بلورت مفاهيم البلاغة الجديدة، وأصبحت من بين أهم المراجع المعتمدة لدى الباحث العربي، كتاب "الحجاج" لـ"كريستيان بلاستان" ترجمة "عبد القادر المهيري"<sup>1</sup> من اللغة الفرنسية.

استهل "عبد القادر المهيري" ترجمة الكتاب بمقدمة موجزة تحدث فيها عن مفهوم الحجاج قديماً، وتطوره في القرن العشرين على يد "بيرلان" و"تيتيكا" وأشار فيها إلى أهمية هذا الكتاب في الدرس البلاغي المعاصر بقوله: "يمكن أن نعتبر هذا الكتاب مدخلاً لدراسة الحجاج، يساعد المرء على تكوين فكرة حول هذا المجال قبل أن يقبل على الاطلاع على المصنفات المتخصصة العميقه"<sup>2</sup> فمن خلال كلام المترجم نتبين أن هذه الترجمة تعد مدخلاً عاماً لنظرية الحجاج. لخص فيه الكاتب أهم القضايا البلاغية التي درستها البلاغة الغربية الجديدة، وما توصلت إليه من آليات بلاغية مدعماً بذلك بشواهد دقيقة.

أثبت المترجم بعض المصطلحات في لغتها الأ原 ولم يختلف في هذا المترجم عن ما اعتدناه في معظم الترجمات، مثلاً: "فعلا" (justement)<sup>3</sup>، "حجاج السلطة" (ad vercundiam)<sup>4</sup>، لكن لم يكتف المترجم بإثبات المصطلح في لغته الأصلية إنما قام بإثبات عبارات كاملة مثلاً عبارة "التبكيتات السفسطائية" حيث أثبت المترجم العبارة الأصلية لها في الهامش "sophistiques réfutation"<sup>5</sup>، وعبارة "طريقة عادلة" d'une manier juste<sup>6</sup> فقد وردت مثبتة دون أن يبرر المترجم سبب ذلك.

<sup>1</sup>- كريستيان بلاستان: مدير بحوث بالمركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا عضو فريق البحث حول التفاعلات التوصيلية بجامعة ليون 2. من مؤلفاته: بحوث في الحجاج.

<sup>2</sup>- كريستيان بلاستان، الحجاج، ت: عبد القادر المهيري، ص: 8.

<sup>3</sup>- كريستيان بلاستان، الحجاج، ت: عبد القادر المهيري ، ص: 128.

<sup>4</sup>- نفس المرجع، ص: 114.

<sup>5</sup>- نفس المرجع ، ص: 56.

<sup>6</sup>- نفس المرجع، ص: 123.

كما أن المترجم أورد بعض الشواهد المستعملة من قبل الكاتب مثبتة بلغتها الأصلية نذكر منها:

<sup>1</sup> "Pierre est serviable" (بطرس خدوم). —

<sup>2</sup> "Roma locuta est" (قالت روما قولتها) — وانتهى النقاش.

يبدو من هذا أن المترجم يلتجأ إلى ذلك عندما يرى أن عملية الترجمة تذهب عمل الشاهد وتفقده بخاعته.

ما يميز هذه الترجمة أنّ المترجم يلجأ إلى عدم ترجمة بعض الكلمات ويقدمها إلى القارئ كما وردت في الكتاب الأصلي وهذا لأسباب متعددة تختلف باختلاف القصد من وراء ذلك، مثلاً ما جاء في قول الكاتب " وسنواصل استعمال "paralogisme" لترجمة "fallacy" علماً أن الكلمة الإنكليزية أكثر جرياناً من مقابلتها الفرنسية<sup>3</sup> والمترجم في هذه الحالة هو مضطّر إلى الاحتفاظ باللفظ الأصلي لأنّه لو حاول الترجمة ستذهب فائدة المعنى كله.

كما أنه في بعض الحالات النادرة لا يترجم اللفظ إنما ينقله إلى القارئ بلغته الأصلية، ويكتفي بترجمة مفهوم المصطلح مثلاً في قوله " هما يصفان سلوكيين اثنين ويمكن في هذه الحالة أن تصف كلمة <sup>4</sup>"servilité" طريقة في السلوك مختلفة عمّا تفيده الكلمة "serviabilité" ويسعى المترجم في هذه الحالة إلى الاحتفاظ بالكلمات الأصلية؛ لأن ذلك يوضح المعنى الذي أراده المؤلف ولو أنه ترجم الكلمتين لفسد المعنى وخرج الكلام عن قصدّه؛ لأن الكاتب كان في صدد شرح مثل ضربه عن "التعارض الخطابي والاستقطابية المعجمية"<sup>5</sup> وقد أشار المترجم إلى ضرورة ذلك في الهاشم "أثبتنا المثالين في لغتهما الأصلية لأنهما يتضمنان كلمتين مشتقتين من أصل واحد وإن كانا يفيدان معنيين متناقضين، ولأنّ التحليل قائم على هذا الفرق"<sup>6</sup>، على اعتبار أنهما يمثلان الشاهد في المثالين.

<sup>1</sup> نفس المرجع ، ص: 114.

<sup>2</sup> نفس المرجع ، ص: 160.

<sup>3</sup> كريستيان بلانتان، الحاج، ت: عبد القادر المهيري ، ص: 61.

<sup>4</sup> نفس المرجع ، ص: 114.

<sup>5</sup> ينظر: كريستيان بلانتان، الحاج، ت: عبد القادر المهيري ، ص: 114.

<sup>6</sup> نفس المرجع ، ص: 114.

يختتم المترجم ترجمة الكتاب بفهرست يحصي فيه مجموعة من المصطلحات البلاغية الوارد ضمن الكتاب المترجم بثلاثة لغات عربية وفرنسية وأخرى انجليزية، كما أنه قدم للقارئ العربي قائمة من مجموعة من مراجع البلاغة الغربية الجديدة مصنفة حسب مواضيع وشخصيات بلاغية معينة كموضوع "تاريخ البلاغة والخطابة"<sup>1</sup> وشخص "الحجاج في اللغة"<sup>2</sup>، أراد المترجم "عبد الله المهيري" بهذه القائمة من المراجع الغربية أن يحيل الباحث العربي إلى الاطلاع على بلاغة الحجاج في مدوناتها الغربية ويسهل عليه عملية البحث في المكتبة الحجاجية بإعطائه لحة وجيزة عن عناوين أهم المنجزات البلاغية الغربية. قد يستفيد منها الباحث.

على قلة صفحات كتاب "الحجاج" لـ "كريستيان بلانتان" إلا أنّ ترجمته إلى اللغة العربية وما احتوته من مصطلحات بلاغية حجاجية يعد نقطة انطلاق لكل باحث مبتدئ في الدراسات الحجاجية.

هناك نوذج آخر للترجمة هو كتاب "الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى" "لباتريك شارودو" ترجمة د: أحمد الودري وهو عبارة عن "مقال بعنوان: le mode d'organisation argumentatif

إنّ هذه الترجمة تعد نقلًا هاما للدرس الحجاجي العربي بحيث هي عبارة عن إعادة بناء للهيكل الحجاجي الغربي ووضع الأصبع على أهم النقاط الحجاجية التي كثر حولها السؤال في المنجز البلاغي الغربي المعاصر وامتد أثر السؤال إلى المنجز البلاغي العربي المعاصر، بداية من مفاهيم مصطلحات الحجاج إلى غاية توضيح وترتيب أساليب الانجاز الحجاجي، فقد توقف الكاتب على أهم المصطلحات مثل: الحجاج، الاستنتاج، الاستدلال...، كما حاول الكاتب أن يقف عند أهم الفروق بين هذه المصطلحات كلما استدعى الأمر إلى ذلك، مثلاً: فرق لنا بين معنى "النتيجة" و"الغاية"<sup>3</sup>،

<sup>1</sup> نفس المرجع ، ص: 166.

<sup>2</sup> نفس المرجع ، ص: 167.

<sup>3</sup> باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص: 27.

ويبين معنى "الدحض" ،"النفي" ،"الحظر"<sup>1</sup> ، وقد دعم الكاتب كل هذه التوضيحات والشروح بأمثلة من الكلام حتى يقرب المعنى أكثر.

من هنا تبدو أهمية الكتاب في تلخيص أهم مفاهيم الحاجاج وطرحها بأسلوب جد بسيطة وعملي بعيدة عن التعقيد الفلسفى والخشوع الغامض الذى يربك المعنى، وترجمة هذا المنجز لا تقل عن هذه الأهمية خاصة في ظل التساؤلات الكثير عن المفاهيم التي بقيت عالقة في ذهن القارئ العربى وفي هذه الترجمة سيسعد القارئ العربى إجابات دقيقة ومحضرة لهذه التساؤلات.

وقد نقل المترجم هذه المصطلحات إلى اللغة العربية وقليلًا ما كان يلجأ إلى إثبات المصطلح في اللغة الأصلية دون أن يعطي سبباً لذلك، مثل: "البرهنة"ratio<sup>2</sup>. وكذلك لفظة الإطراح rejeter<sup>3</sup> ، نمذجة"Typologie"<sup>4</sup>...، مع أن المترجم وضع فهرست للكثير من المصطلحات الحاجاجية الواردة في الكتاب مع ترجمتها في آخر الكتاب لتمكين الباحث العربى من الاطلاع على المصطلح في لغته الأم.

### 1-3- قراءة وتحليل المنجز الغربي في البلاغة الجديدة:

قد تلقى القارئ العربى البلاغة الجديدة عن طريق استقراء وتحليل المنجز الغربي أكثر بكثير مما تلقاه عن طريق الترجمة خاصة فيما يخص بلاغة "بيرمان" فالمكتبة الحاجاجية العربية مليئة بكل هائل من المؤلفات والمقالات الحاجاجية التي قدمت البلاغة الجديدة للقارئ العربى وقد اختلفت طريقة التقديم من منجز إلى آخر.

#### 1-3-1- قراءة وصفية:

في هذا النوع من القراءات تم عرض البلاغة الجديدة عرضاً عاماً، بطريقة مبسطة وملخصة في آن واحد، ويمثل هذا النوع من القراءات كتاب د: "جميل حمداوي" "من الحاجاج إلى البلاغة الجديدة"

<sup>1</sup>- باتريك شارودو، الحاجاج بين النظرية والأسلوب، ص: 12.

<sup>2</sup>- باتريك شارودو، الحاجاج بين النظرية والأسلوب، ص: 07.

<sup>3</sup>- باتريك شارودو، الحاجاج بين النظرية والأسلوب، ص: 12.

<sup>4</sup>- نفس المرجع ، ص: 19.

يتناول الكاتب مختلف مراحل البلاغة الغربية الجديدة، بحيث يتضمن "الفصل الأول" مجموعة من النظريات الحاججية القديمة والمعاصرة، من بينها: نظرية الحاجج الجدلية، والنظرية الكلاسيكية في الحاجج البلاغي مع الأرسطيين الجدد كشایم بيرلان وأولبریخت تیتیکا، ونظرية الحاجج اللغوي مع أنسكومبر وأوزوالد دوكرو، ونظرية الحاجج الخطابي مع روث أموسى ومشيل ماير وغيرهما...<sup>1</sup> وقد توصل في نهاية هذا الفصل بعد عرض مجموعة كبيرة من نظريات الحاجج إلى أن "الحاجج سمة بارزة في الملفوظات اللغوية والنصوص والخطابات، سواءً أكانت مكتوبة أم شفوية، بطريقة واضحة أو مضمرة. ويكون الحاجج واضحًا في الخطابين: الإشهاري والسياسي، ويخفي بشكل من الأشكال وراء أقنعة تخيلية ورمزية وجمالية في الأدب والفن"<sup>2</sup>، وإنّ هذا المفهوم الذي حدد به "د: جميل الحمداوي" الحاجج، هو مفهوم عام استخلصه الكاتب من قراءات متعددة للنظريات الحاججية يجمع بين أطراfe اختلافها وخصائصها.

بينما يتناول في الفصل الثاني من هذا الكتاب "البلاغة" بين مرحلتين: مرحلة البلاغة الكلاسيكية ومرحلة البلاغة الجديدة<sup>3</sup> بوصف كل من البلاغتين على حدٍ، بالتركيز على امتدادات البلاغة الجديدة وافتتاحها على حقول معرفية شتى ليخلص إلى ما أراده "بيرلان" من أن تكون عليه البلاغة الجديدة "هو أن البلاغة المعاصرة أصبحت اليوم إمبراطورية منفتحة على تخصصات علمية عدّة، ولها امتدادات واسعة، عبر فضاءات معرفية شاسعة، بل أصبحت مدخلا لا يمكن القفز عليه في المجال العلمي والأدبي والفكري والثقافي، وما زالت مجموعة من العلوم والتخصصات تترشّد بآليات البلاغة في خطاباتها المعرفية المختلفة والمتنوعة إن نظرية وإن تطبيقا"<sup>4</sup>، ويبدو أنه خلص إلى هذه النتيجة العامة بعد إطلاعه على كم هائل من المراجع الغربية والعربية.

يظهر مستوى هذا الاطلاع من خلال مكتبة البحث التي قدمها الكاتب في نهاية الكتاب، وإنّ حجم الكتاب الصغير يوحي على مدى الجهد المبذول لدى الكاتب لتقديم هذه القراءات المختلفة في

<sup>1</sup>- د: جميل حمداوي، من الحاجج إلى البلاغة الجديدة، المقدمة، ص: 05.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص: 62.

<sup>3</sup>- نفس المرجع، ص: 05.

<sup>4</sup>- نفس المرجع ، ص: 103.

كتاب بهذا الحجم والذي اختصر فيه مسيرة البلاغة الجديدة من المرحلة اليونانية إلى يومنا هذا مع الإلام بجميع مستجدات وامتدادات البلاغة الجديدة.

### 2-3-1-قراءة تحليلية:

هذا النوع من القراءات شكل أبرز وأغزر المنجزات البلاغة العربية المعاصرة لاسيما في البلاغة الحاججية، بحيث نجد أن كل الباحثين في مجال بلاغة الحاجج إلا ولم منجز أو أكثر يتناولون فيه بلاغة الحاجج تناولاً قرائياً تحليلياً، وتقريراً هذا النوع من القراءات يفرض نفسه على الباحثين، فالباحث القارئ لابد له من أن يتفاعل مع المفروء بطريقة أو بأخرى، والعملية التحليلية هي انعكاس حتمي لهذا التفاعل، ويكون هذا التفاعل التحليلي حتى مع غيرها من المنجزات البلاغية غير القرائية كالمنجزات التنظيرية أو التطبيقية، لما لهذه القراءة من خاصية التتبع والإشراف؛ لأن كل منجز بلاغي حاججي إلا وله مرجعية غربية يقوم عليها.

يعتبر كتاب "صلاح فضل" "بلاغة الخطاب وعلم النص" من أهم المنجزات البلاغية الحاججية في البلاغة العربية المعاصرة الذي استعرض الباحث في بعض أجزاء هذا الكتاب عناصر هامة من نظرية الحاجج عند "بيرمان"، كما أنه خص جزءاً منه لدراسة النظرية الحاججية عند "بيرمان" تحت عنوان "بلاغة البرهان" نلاحظ من خلال هذا العنوان اضطراب مصطلح البلاغة الجديدة، حيث أن "صلاح فضل" لا يجد فرقاً بين معنى الحاجج ومعنى البرهان، يؤكّد ذلك تعريفه لبلاغة "بيرمان" في قوله: "لذلك فإنّ هدف نظرية "البرهان argumentation لديه هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفرضيات التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافتة"<sup>1</sup> ولعل "د: صلاح فضل" اختار عبارة "بلاغة البرهان" للدلالة على بلاغة "بيرمان"؛ لأنه يرى أنّ أهم ميزة تتميز بها هذه البلاغة الجديدة هي الميزة المنطقية، وقد حصر تقديم "بلاغة "بيرمان" على أساس هذه الميزة المنطقية.

بل إنّ كل الخصائص التي خص بها "بيرمان" بلاغته الجديدة تعود في نظر "صلاح فضل" أصلاً إلى الخاصية المنطقية فمثلاً من أهداف "بيرمان" أن يعمم بلاغته أي لا تبقى مقصورة على جمهور

<sup>1</sup> د: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 97.

المستمعين المحتشدين في الميادين، فلا تبقى مرتبطة بالخطاب الشفوي، مثلما كانت عليه عند الأقدمين؟ لأنّ ذلك "يعود إلى الشواغل التي تحرك المناطقة لفهم عمليات الفكر وآلياته، بعيداً عن اهتمامات من يعنون بتكوين النواب والخطباء والممثلين. وإذا كان صحيحاً أن تقنية الخطاب الجماهيرية تختلف عن الحاجة المكتوبة، فإنه نظراً لأهمية الدور الحديث للطباعة، فإنّ هذا الاتجاه يعني في المقام الأول بالنصوص المكتوبة؛ مما يجعله يغفل دراسة طرق الأداء وتقنيات الحركة والإشارة"<sup>1</sup> يعني هذا أنّ الطباعة الحديثة تفرض على الحاجج الالتزام بالمنطق.

من جهة أخرى يرجع "صلاح فضل" ربط بلاغة "بيرمان" بالمنطق ربطاً وثيقاً بإبعاد المنهج التجريبي لأنّه "لا يصلح لتقديم تحديد دقيق لقيمة الحاجج المستخدمة في العلوم الإنسانية، وأنّ طريقته تختلف أيضاً بشكل جذري عن طريقة هؤلاء الفلاسفة الذين يجهدون في أن تكون أفكارهم وتأملاتهم محصورة في المشكلات الاجتماعية أو السياسية أو الفلسفية، مستلهمين النماذج التي تتighها العلوم التحريرية، مما يدعوهם لرفض كل ما لا يتوافق مع هياكلهم الموضوعة مسبقاً بحججة أنه خالٍ من القيمة"<sup>2</sup> عن طريق الاستدلالات العقلية التي تقوم قيمة كل خطاب حاججي حسب بلاغة "بيرمان" وبه تكتسب قوتها الاقعية على المدى البعيد.

وقد شرح "صلاح فضل" من خلال مبحث "بلاغة البرهان" أهم أفكار بلاغة "بيرمان" مبيناً المرجعيات المعرفية والثقافية لهذه النظرية، متطرقاً عن ذلك للوظائف البلاغية للنظرية الحاججية من خلال الآليات الاقناعية، التي تعمل على "تفادي إثارة الانقسام بين الشكل والمضمون، وتضمن عدم إمكانية. على أن الطريق الصائب لذلك هو ملائمة الأسلوب للموضوع، كما يتصوره المستمع، أو المتلقى، إذ كثيراً ما تؤدي هذه الملائمة إلى تفادي هذا الانقسام وتقوم العناصر التي يمكن تأويلها بأنها علامات على العفوية بدور فعال في تلاؤم الأسلوب مع الواقع وزيادة درجة الاقتناع به"<sup>3</sup> هذه النقطة التي تمثل جوهر العلاقات الحاججية بين الحاجج والمستمع من جهة وبينها وبين الخطاب وبين شكل الخطاب ومضمونه من جهة أخرى.

<sup>1</sup>- د: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص: 98.

<sup>2</sup>- نفس المرجع، ص: 100، 99.

<sup>3</sup>- نفس المرجع، ص: 102.

ليصل من خلال هذه القراءة التحليلية لبلاغة "بيرمان" أنّ "البلاغة في مفهومها المعاصرة الذي اكتسبته بعد تطور الدارسين اللغوي والنقدi، فقد أصبحت ذات سمة عالمية ومتعددة الاختصاصات والمشاغل، فهي تسعى لإقامة قوانين للدلالة الأدبية بكل ثرائتها، وللوقوف على مظاهر القوة في الخطابات وكل من شأنه زيادة الوعي بعاهية الإبداع القراءة والتأنويل"<sup>1</sup> مما يفتح آفاقاً واعدة لتحرير الخطاب البلاغي من كل القيود الشكلية (اللغوية، والأسلوبية)، ومن القيود الإيديولوجية.

كما أنّ مقال "مصنف في الحاجج الخطابة الجديدة" لد: "عبد الله صولة" ، بالاعتماد على كتاب "مصنف في الحاجج" لـ"بيرمان" و "تيتيكا" ، يمثل قراءة تحليلية لبلاغة "بيرمان" ، وإن كان يدو هذا المقال كبير الحجم إذا ما قارناه مع الحجم المقال العادي وقد أرجع د: عبد الله صولة ذلك إلى "أنّ الكتاب ضخم جداً ومادته دسمة جداً وجديدة نسبياً بالنسبة إلى القارئ العربي العادي، كان عرضنا طويلاً جداً"<sup>2</sup> ، ومن خلال تقديم الكاتب لهذا المقال يدو جلياً المجهود المضني الذي تحمله الكاتب من أجل أن يقدم لنا قراءة موجزة وشاملة مراعياً فيها الأمانة العلمية تسعى إلى تقرير مفاهيم البلاغة الجديدة من القارئ العربي.

يعتبر هذا مقال القراءة التحليلية التي أطربت بشكل دقيق لبلاغة "بيرمان" داخل المنظومة البلاغية المعاصرة، وإنّ شكلت القراءة الوصفية في هذا المقال جزءاً كبيراً من المقال، لكن رغم ضالت التحليل القرائي في هذه المقالة إلاّ أنه قد مسَّ النقاط الشائكة التي كانت لا تزال عالقة في ذهن القارئ العربي. أهمها على الإطلاق هو ما وقف عليه الدكتور "عبد الله صولة" في مسألة "الاقناع" إذ يرى "أنّ تحقيق الاقناع Conviction الذي هو غاية الحاجج يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال La démonstration والإقناع La persuasion<sup>3</sup> فهو بهذا فرق بين الاستدلال وبين الحاجج ويكمّن الفرق حسب ما استخلصه من نظرية "بيرمان" في أن النتائج التي يصل إليها الاستدلال يقينية بينما نتائج الحاجج قابلة للنقض.

<sup>1</sup>- محمد سالم أمين الطلبة، الحاجج في البلاغة المعاصرة، ص: 234، 235.

<sup>2</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجج، ص: 12.

<sup>3</sup>- د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجج، ص: 14.

لكن المثير للاهتمام من تخليلات "د: عبد الله صولة" هو إقصاءه للإقناع من دائرة الحاجاج حين يقول "إن المؤلفين يجعلان الإقناع، وهو عقلي دائمًا، أساس الإذعان وأساس الحاجاج، وأن الإقناع بما هو ذاتي وخاص وضيق، لا يعتد به في الحاجاج"<sup>1</sup> وقد بني هذه النظرة "على اعتبار أن الإقناع يكون بمحاطبة الخيال والعاطفة، مما لا يدع مجالا لإعمال العقل ولحرية الاختيار"<sup>2</sup> إذ أن حرية الاعتقاد التي منبعها العقل المضبوط بالقيم الإنسانية من أهم ركائز بلاغة الحاجاج عند "بيرلان"، فإن خرج الحاجاج عن هذا الإطار اتسم بالخداع والتضليل، غير أن "بيرلان" يجعل الإقناع من أهداف الحاجاج لكنه خاص بالمستمع الخاص، وهنا لا يضبط الحاجاج حرية اعتقاد المستمع إنما هي معروفة لدى الحاجاج، فهو في هذه الحالة لا يسعى إلى تغيير المعتقد، بل يقوم بتشييه هذا الاعتقاد المسبق باستعمال العواطف وإثارة الانفعال.

اختللت طريقة عرض "د: عبد الله صولة" للبلاغة الجديدة بين العرض المباشر وبين التحليل، حتى أنه يعتمد تمثيلات "بيرلان" فمثلاً نجد عند حديثه عن مسألة الحضور في الحاجاج يتمثل بالمثال الذي شاع استخدامه في مؤلفات الخطابة الغربية في قوله: "إن بعض شيوخ الخطابة في الغرب من يسلكون أيسير السبيل إلى التأثير، يوصون بالالتجاء إلى استخدام أشياء مادية من أجل التأثير في جمهور السامعين مثل تلويع أونتوان Antoine بثوب القيسير الملطخ بالدم في وجوه الرومان، وكان يحضر أبناء المتهم أمام القضاة لاستدرار الشفقة"<sup>3</sup> وقليلاً ما كان يأتي بمثل من الموروث العربي

مثل قوله: "لا يستقيم الظل والعود أوعوج ← أوعوج الظل لأن العود معوج"<sup>4</sup> قد استدل د: عبد الله صولة "بمذا المثل عند حديثه عن الشخص وأعماله ضمن وجوه الاتصال التواحد".

يمثل كتاب "نظريّة الحاجاج" عند شاييم بيرلان "لد: الحسين بنو هاشم، أهم مقاربات القرائية التحليلية لكتاب "إمبراطورية الخطابة" لشاييم بيرلان" ، وقد أشار الكاتب "حسين بنو هاشم" في مقدمة الكتاب أن بحثه هذا "لم يمنع من الرجوع إلى كتبه الأخرى ( خاصة كتاب مصنف في الحاجاج)

<sup>1</sup> - د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجاج، ص: 15.

<sup>2</sup> - د: عبد الله صولة، في نظرية الحاجاج، ص: 15.

<sup>3</sup> - نفس المرجع ، ص: 31.

<sup>4</sup> - نفس المرجع ، ص: 52.

كلما دعت إلى ذلك ضرورة الشرح والتوضيح والتوسيع<sup>1</sup> وقد تناول الكاتب في هذا العمل قراءة عامة لبلاغة "بيرمان" و "تيتيكا"، وفي نفس الوقت دراسة تحليلية معمقة حول أهم الإشكالات التي تصدرت مشاغل البلاغة المعاصرة العربية.

كان أهم هذه المشاغل على الإطلاق "إشكالية المصطلح الحجاجي" بحيث حاول "د: حسين بنو هاشم" أن يضبط بعض المصطلحات مثل: مصطلح الاقتناع، أو مثل: مصطلح المستمعين محاولاً بذلك التوفيق بين مفهوم المصطلح الغربي وبين اختيار لفظ من التراث العربي يحمل نفس الدلالة إلى أقرب حد ممكن، مما جعله يقف أولاً على المفهوم الغربي للمصطلح الذي يبحث له عن لفظ عربي مناسب ليبرر بعدها سبب الاختيار.

فمثلاً نأخذ مصطلح Conviction قبل أن يقع اختياره على أي لفظ عرض مفهومه في البلاغة الغربية الجديدة: "أما مصطلح Conviction (Conviction) فيعني جعل القناعة بصحة دعوى الخطيب راسخة في ذهن المخاطب باعتماد حجج تخاطب العقل أكثر من مخاطبتها الوجدان"<sup>2</sup>، بعد هذا العرض للمفهوم عن الألفاظ التي تم اختيارها لهذا المصطلح من قبل الباحث، وجد "أنَّ أغلب الباحثين العرب ترجموا هذا المصطلح (Conviction) بلفظة "اقتناع"<sup>3</sup>، لكن رأى "د: حسين بنو هاشم" لا تؤدي معنى التعدية للفعل "Convaincre" الذي لا يستخدم إلا متعدياً، الشيء الذي لا يمكن أن يؤدي معناه فعل "اقتنع" اللازم<sup>4</sup>، نلاحظ من خلال حديث الباحث أنه ألزم نفسه بإيجاد لفظ يؤدي معنى المصطلح كاملاً مما جعله يبحث طويلاً.

أشار أن رحلة البحث عن لفظ يتناسب مع هذا المصطلح دامت طويلاً، يقول عن ذلك: "الترجمة الأولى، التي اعتمدناها في البداية، هي التي ضمنناها رسالتنا لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، وهي "قنعة"... بعد مناقشة الرسالة وقعنا على لفظة "تبين" التي استعملها الجاحظ<sup>5</sup>، ورغم هذا المشوار البخيطي الطويل مازال الباحث لم يقنع باللفظ الذي وقع اختياره عليه؛ لأنَّه كل مرة إلا

<sup>1</sup> - د: حسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرمان، ص: 05.

<sup>2</sup> - د: حسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرمان، ص: 15.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص: 15.

<sup>4</sup> - نفس المرجع، ص: 15.

<sup>5</sup> - نفس المرجع ، ص: 16، 17.

ويجد في اللفظ المختار بعض النقائص قد تخل بالمعنى الحقيقي، يقع اختياره في الأخير على لفظة "التيقين" وقد ارتكز على مسألة الحجج العقلية في عملية الاختيار قبل كل شيء.

من خلال عرض هذا نموذج "مصطلح Conviction" يتراء لنا مدى حرص "د: حسين بنو هاشم" تقديم بلاغة "بيرمان" للقارئ العربي بصورة واضحة تتجلى في تقرير مفاهيمها حتى يتمكن الباحث العربي من تلقيها واقتراض آلياتها دون عناء بكسر حاجز اللغة الأجنبية وخطي عقبة الاصطلاح.

قراءة "د: حسين بنو هاشم" شملت كل أجزاء كتاب "إمبراطورية البلاغة" بداية من مقدمة "بيرمان" مع إعطاء نبذة وجيزة عن سيرة الكاتبين والظروف المحيطة بإعادة بعث البلاغة من جديدة، وهدف "بيرمان" من خلال ذلك، محاولاً توضيح ما وقف عنده "بيرمان" من فروق بين الاستدلالات الجدلية وبين الاستدلالات الخطابية، وبهذا "صحح بيرمان الأخطاء التاريخية التي ارتكبت في حق الخطابة"<sup>1</sup> من الاتهامات كالمغالطات والتضليلات من جهة ومن الزخرف اللغظي الذي التصق بها من جهة أخرى.

لينتقل بعدها "د: حسين بنو هاشم" إلى عرض مفصل للمنطلقات والمقومات الأساسية لبلاغة "بيرمان"، ومن خلال هذا العرض يبدو حرصه على مقاربة البلاغة الجديدة بالتراث البلاغي العربي، حيث أنه يحيل كل قضية يلامسها من قضايا البلاغة إلى التراث البلاغي، أو الأدبي، فمثلاً عند استعراضه لمقدمات الحاج يضرب لها أمثلة من الشعر أو من الأمثال العربية مثلاً يقول عند عرضه "موضع الجوهر (les lieux de l'essens)" وهي تعطي الأسبقية للأشخاص الأكثر تمثيلاً لجوهر النوع. ويمكن أن نرد إلى هذا الموضع قول المتنبي:

فإنْ تَفْقِي الأنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ  
فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دِمِ الْغَزَالِ<sup>2</sup>

وأحياناً يستدل حتى بمثل الشعبي المغربي، مثلاً عند حديثه عن "موضع الترتيب (Les lieux de l'ordre) كاعتبار السابق أفضل من اللاحق. ولعل المثل الشعبي المغربي القائل: "اللي فاتك بليلة

<sup>1</sup> - د: حسين بنو هاشم، نظرية الحاجاج عند شاعير بيرمان، ص: 34.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص: 48.

فاتك بحيلة" ، يرجع إلى هذا الموضع<sup>1</sup> واستعانة "د: حسين بنو هاشم" بالوروث العربي يؤكّد ما قلناه سابقاً من محاولته جعل البلاغة الحجاجية في يد الباحث العربي ، بالإضافة إلى أن هذا الاقتران يبيّن القدرة الكافية للثقافة العربية على احتضان روافد البلاغة الجديدة على جميع المستويات.

## 2- اقتراض الآليات والممارسة الإجرائية:

إنّك عدد لا بأس به من البلاغيين العرب المعاصرین على اغتراف الآليات الحجاجية، ومحاولة تطبيقها على المنجز العربي سواء القديم أو المعاصر، والمقاصد اختلفت بين هؤلاء الباحثين، فمنها لتفعيل آليات الخطاب الحجاجي، أو قصد تبيان افتتاح الخطاب على البلاغة الغربية وإمكانية احتضان مختلف الآليات الحجاجية.

إن دراسة آليات الإقناع واستراتيجياته أعطت للحجاج منحى آخر للبحث، بحيث لم يعد دراسة الحجاج تقتصر على الجانب النظري إنما تجاوزت ذلك إلى بعد العملي التطبيقي، باعتبار أن الحجاج ممارسة خالصة.

إنّ هذا الاتجاه الاقترافي يعبر عن مدى وعي الباحث العربي بأهمية البلاغة الجديدة في تنمية الخطاب البليغ ووصوله إلى مصاف الخطاب العالمي هذا ما دعى إليه "حمادي صمود" بقوله: "هذه روح العصر وهذه الثقافة التي يبشر بها انفجار وسائل الاتصال وبهذا المعنى يصبح الرجوع إلى الخطابة في معناها الأصلي بما هي طريق الفكر في إيجاد الحجج والبراهين التي على أساسها يقنع تقدماً ومسايرة روح العصر واحتفاء بمقولاتة التي تبني حياة الناس وكرامتهم. وبهذا المعنى يكون الاهتمام بالحجاج في مختلف اتجاهاته ومدارسه المخراطاً في هذه النقلة العميقـة التي يعيشها عصرنا"<sup>2</sup>، وبما أنّ البلاغة الحجاجية لها القدرة الكافية على استيعاب جميع أنواع الخطاب شخصاً ذكر الخطاب المكتوب، مع القدرة على تكيف الوسائل والإجراءات لإنتاج الخطاب ومن ثم تقديمها بأوضح الصور وأدقها وأكثرها انجداباً عن طواعية ورضا ووثوق.

يمكن تقسيم الممارسة الإجرائية لآليات البلاغة الجديدة على المنجز العربي على النحو التالي:

<sup>1</sup>- د: حسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايس بيرمان، ص: 48

<sup>2</sup>- د: حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية إلى اليوم، ص: 47

## 2- المراس على الخطاب العربي:

## 1- القرآن الكريم:

أهم باحث عربي درس الخطاب القرآني دراسة حجاجية هو المرحوم "د: عبد الله صوله" من خلال المنسج الفريد من نوعه "الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم الخصائص الأسلوبية"، ومن محتوى العنوان نفهم أنّ الحجاج الذي يتناوله "د: عبد الله صوله" في تطبيقه على القرآن الكريم ليست بلاغة الحجاج لـ"بيرلان"، لكن لا يختلف كثيراً عنها إلّا فيما تعلق بالقضايا التداولية الوظيفية وال نحوية، لذا ما سنقف عنده في هذه الدراسة الآليات الحجاجية البلاغية التي افترضها من بلاغة "بيرلان" حتى نبقى في حدود بحثنا.

هذا الإنجاز يعتبر نقلة نوعية في مسار البلاغة الجديدة، بحيث استطاع الباحث بكفاءته وتمكنه من آليات الخطاب الحجاجي بصورة عامة أن يقف على حدود مفاهيم الحجاج في الثقافتين العربية والغربية، وأن يعطي لمح وجيزة عن مختلف نظريات الحجاج على اعتبار أن مفاهيم بلاغة الحجاج في فترة إنجاز البحث كانت لا تزال مجھولة العالم في الفكر البلاغي العربي آن ذاك.

## 1- تبيين ملامح بلاغة الحجاج في الخطاب القرآني:

ومن خلال هذه اللῆمة استطاع أن يثبت حجاجية القرآن الكريم على اعتبار ثلات مسائل تطرق لها "بيرلان" في بلاغته:

- المسألة الأولى: توجه الخطاب القرآني إلى نوعين من المخاطبين: "نوع يذكر داخل النص القرآني وهذا بدوره قسمان قسم مذكور معين باسمه أو لقبه أو بضمير الخطاب"<sup>1</sup>، هذا النوع من الخطاب سماه "بيرلان" بالمستمع الخاص، وقسم آخر "مذكور في القرآن لكنه غير معين ولا محدد"<sup>2</sup>، وهذا القسم أدرجه "د: عبد الله صوله" ضمن نوع المستمع الخاص على اعتبارين، أولهما أنّ "الصورة نحوية التي جعلت لهم هي ضمير المخاطب المفرد، عادة"<sup>3</sup>، أما الآخر يكون "على الاعتبار الأول

<sup>1</sup> - د: عبد الله صوله، الحجاج في القرآن الكريم، من أهم خصائصه الأسلوبية ضمن المقدمة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2001م، ص: 41.

<sup>2</sup> - نفس المرجع ، ص: 41.

<sup>3</sup> - نفس المرجع ، ص: 41.

يكون الخطاب بهذا الصميم شبيهاً بخطاب الناس في صيغة "يا أيها الناس"<sup>1</sup>، والنوع الثاني من المخاطبين الذي يتوجه إليهم الخطاب القرآني "فواقع خارج النص القرآني غير مذكور فيه، لكنه مع ذلك معنى بخطاب القرآن. وهو جمهور السامعين والمتلقيين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم. إنه بعبارة "الحجاجين" "الجمهور الكوني"، الذي رأيناه عند بيرلان وتيتيكا<sup>2</sup>، انطلق إذن د: عبد الله صولة" في تبيان حجاجية الخطاب القرآني مستنداً على أهم فكرة قامت على أساسها بلاغة الحجاج عند "بيرلان" وهي تنوع المخاطب، الذي له أثر فعال في بناء الخطاب الحجاجي.

- المسألة الثانية: مقاصد الخطاب القرآني متعددة أهمها تغيير الوضع إلى الأصلح والأحسن "وعلى هذا يكون القرآن كتاب إصلاح" بمعنى أنه يرمي إلى تغيير وضع ذهني يترتب عليه تغيير وضع مادي<sup>3</sup> وهذا بالتحديد مقصدية الخطاب الحجاجي، "فإن كان ذلك كذلك كان القرآن حجاجيا ولا مرأء"<sup>4</sup>، وقد استتبط د: عبد الله صولة هذا الحكم من عدة آيات من القرآن الكريم تدعوا إلى ضرورة تغيير الوضع القائم إلى وضع أحسن، في المقابل استند على العلاقة المرتبطة بين المقصدية والخطاب الحجاجي.

- المسألة الثالثة: نبذ العنف والدعوة إلى الحوار على اعتبار "أنّ الحجاج هو البديل عن العنف في "نظريّة الحجاج" إذ يمكن حسب بيرلان وتيتيكا أن نسعى إلى تحقيق النتيجة نفسها باعتماد إحدى الوسائلتين: العنف أو الخطاب نقع بواسطته الناس فيقتعنون<sup>5</sup> وفي نظره أنّ القرآن يمثل الوسيلة الثانية وهي الخطاب؛ لأنّه يدعو أيضاً بصريح اللفظ إلى "نبذ العنف" في شأن الإيمان. وهو ما يقتضي حجاجياً أنه حوار وحجاج. ويظهر هذا في آيات كثير<sup>6</sup>، فقضية نبذ العنف وتقديم الخطاب الحواري الذي هو خطاب حجاجي لا خلاف حوله، الذي يتحلى في أكثر الآيات القرآنية، بهذا يصنف القرآن الكريم ضمن أقوى الخطابات الحجاجية.

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص: 42.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص: 42.

<sup>3</sup> د: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص: 43.

<sup>4</sup> د: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص: 43.

<sup>5</sup> نفس المرجع، ص: 44.

<sup>6</sup> نفس المرجع، ص: 44.

## 2- الوظيفة الاقناعية للاستعارة في القرآن الكريم:

رأى "د: عبد الله صولة" فكرة الحضور التي اعتبرها "بيرلان" من أقوى الحجج تتجسد بشكل جلي في أكثر الموضع من القرآن الكريم، من خلال الصورة الفنية "الاستعارة"؛ لأن وظيفتها في الأساس لا تتم إلا "بواسطة جعل الشيء مشاهداً محسوساً"<sup>1</sup> فهي إظهار الحقيقة غير المرئية للعيان، ومن هنا يتبلور الحاجج. وإن كانت مسألة وظيفة الاستعارة الحاججية أمر بدبيهي متافق عليه منذ القدم في البلاغة العربية، لكن "لم يبلغ تفكيرها في مسألة تأثير الصورة في المتلقي درجة من الدقة ومن التحليل النهجي"<sup>2</sup> وإن لم تختلف البلاغة الغربية عن العربية في الوظيفة التأثير الاقناعية، لكن طريقة الطرح كان فيها بعض الاختلاف.

هذا ما دعا "د: عبد الله صولة" إلى القول بأنّ حجاج الصورة في القرآن يتمحور "على مادة هذه الصورة من ناحية وعلى شكل الصور من ناحية أخرى"<sup>3</sup> ومن هذين المبدئين انطلق "د: عبد الله صولة دراسته للصورة الفنية بافتراض آليات البلاغة الجديدة ومحاولة تطبيقها على الصورة الفنية.

فمثلاً فيما يخص مادة الصورة الفنية، والتي يقصد بها مضمون الصورة الفنية، لاحظ "د: عبد الله صولة" أنها مستمدّة من الواقع الاقتصادي العربي القديم، إذ تكررت صورة التجارة، وصورة البيع والشراء في القرآن الكريم، إذ "باستخدام معنى "التجارة" والألفاظ المشابهة لها مثل الشراء والاشتراء على الجاز قد بات لدينا شكلان تعبيريان اثنان أحدهما وهو إيحائي يتخذ من الآخر وهو التصريح بالإخباري مادة تعبر له بالأحرى مادة تصوير فيكون ذلك أعقد للحجاج وأقطع للحجاج وأقرب مأخذنا وأبلغ موقعنا إذ ههنا مدلول ديني جديد طارئ يستند إلى مادة قول دنيوية رائحة معروفة متداولة"<sup>4</sup>، إنّ هذا النوع من الحجج يدخل ضمن الحجج المؤسسة على بنية الواقع، أضف إلى ذلك إن كان هذا الواقع ماثلاً للعيان من خلال الصورة الفنية.

أما ما يخص تحلي الحجاج في شكل الصورة الفنية يكون من عدة زوايا في نظر "د: عبد الله صولة" لكن تبقى "النجاجة الحاججية التي للصورة في القرآن بما في ذلك التشبيه والاستعارة والكناية

<sup>1</sup>- نفس المرجع ، ص: 493.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص: 495.

<sup>3</sup>- د: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص: 42.

<sup>4</sup>- نفس المرجع، ص: 518.

والتمثيل مستمدّة كما هو الشأن في الصورة عامة، من ظاهرة دفعها المتلقى إلى الإسهام في إنتاج قسم من كلام الصورة هو القسم الضمي، وذلك بالانطلاق من القسم المصرح به فيها<sup>1</sup>، بمعنى أنّ الخاصية الحجاجية لشكل الصورة الفنية تكمن في اكتشاف المتلقى ما أضمر في الصورة، وبالتالي الوصول إلى الصورة العامة، واستجلاء الحقيقة الكامنة التي يخفّها المعنى الضمي، وهذه العملية التي يقوم بها المتلقى هي عملية حجاجية، تقوم على البحث في المعنى المصرح به عن دلالات وحجج تقود إلى المعنى الخفي، انطلاقاً من عناصر الصور الفنية مثل المستعار والمستعار له في الاستعارة، وبما أنّ المتلقى يكون أداة فاعلة في استكشاف الحجاج تكون هذه الحجاج أبلغ وأفعى للمتلقى.

## 2-1-2- الحجاج في الخطبة:

كما هو معلوم أن المصادر الأولى لولادة الحجاج هو "فن الخطابة" وفيها ترعرع و بها انتعش ومنها انتقل إلى سائر الأجناس الأدبية الأخرى، لهذا السبب بالتحديد كانت أول الممارسات التطبيقية للبلاغة الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة على الخطبة في القرن الأول هجري، وكان كتاب "في بلاغة الخطاب الإنقاعي" لـ"د: محمد العمري" من بوادر المنجزات البلاغة العربية المعاصرة، وقد أراد الكاتب أن يكون هذا العمل البلاغي فتحاً جديداً للبحث البلاغي العربي فيما يخص بلاغة الإنقاع.

المهدّف من هذا العمل هو دراسة إشكاليات الخطابة العربية في فترة تميّزها إذ عرفت نشاطاً وسيادة على جميع الفنون الأدبية، صاحبت النشاط السياسي والفتحات الإسلامية، وبداية نشوء المذاهب والفرق العقائدية.

رغم أنّ المهدّف من الدراسة كان محدداً إلاّ أنّ الباحث لم يتطرق إليه إلاّ بعد أن تحدث ملياً عن الخطابة الأرسطية وعن عناصر بنائها وهذا بـ"تأثير اجتهادات البلاغيين العرب بالإطار العام للنظرية الأرسطية، واغناء ذلك باجتهادات وإضافات البلاغيين ودارسي الخطاب الإنقاعي من غير العرب في القديم والحديث"<sup>2</sup>، مستهلاً عرضه هذا بنص طويل لأرسطو حاول من خلاله استخراج

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص: 576.

<sup>2</sup> د: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإنقاعي، المقدمة، ص: 09.

أنواع الحجاج والبراهين الخطابية، لخصها د: محمد العمري في خطاطة<sup>1</sup> ، والسبب في ذلك "أن الخطابة العربية هي خطابة منافرة ومفاخرة ميالة إلى المدح والهجاء، ولم تعتمد الحوار الهادئ القائم على الحاجة إلا في المناسبات محدودة، ولذلك يتضرر أن يكون عنصر الحاج والبرهنة أضعف عناصر بنائها، غير أنه ينبغي أن ينظر إلى القضية حسب المقامات والموضوعات المتداولة"<sup>2</sup>فهم من نص "العمري" أن الحجاج والبراهين في الخطابة العربية مرتبطة بمقام المتكلمين وكذا بمقتضى الحال، وهذا يفسر اهتمام البلاغة العربية القديمة بهذين العنصرين، ومنهما انطلق الباحث في دراسته.

ركز "د: محمد العمري" في مدخل نظري على صفات الخطيب عند أرسطو ومنها "أن يعرف الأحوال العاطفية لمستمعيه"<sup>3</sup>؛ لأنها تعتبر من جوهر البلاغة العربية القديمة فهي "مدار الحديث في صحيفة بشر بن المعتمر"<sup>4</sup> والتي تداولتها الكثير من المدونات البلاغية القديمة؛ لأنها تضمنت بجملة معايير إنتاج الخطابة، وأهم هذه المعايير "مراجعة مقتضى الحال" ، وعلى ضوء هذا المعيار بالتحديد تتبع "د: العمري" أنواع المخاطبين في البلاغة العربية القديمة.

رأى "د: العمري" أن الخطابة الأرسطية اعتمدت على الأسس المقامية في تصنيف الخطاب "وهذا التصنيف تترتب عنه نتائج أخرى فيما يخص بناء الخطاب من حيث البراهين والأسلوب وتنظيم القول"<sup>5</sup>، والتصنيف نفسه اعتمد كذلك لتصنيف البلاغة العربية، حسب "د: العمري" غير أن طبيعة المجتمع العربي والذي انعكست على الخطابة العربية التي تلتقي ومتزوج فيها الموضوعات تركت هذا التصنيف مضطربا، يصعب التفريق بين ما هو ديني واجتماعي...، وقد وضح العمري هذه الإشكالية بإعطاء نماذج لبعض الرسائل أو الخطاب متبوعاً التصنيف المقامي للخطابة.

لاحظنا أن المدخل النظري كان فيه المقام محور الدراسة؛ وذلك لأن "د: العمري" يرى أن كل الحجاج والبراهين لا تكون لها أي وظيفة لو لم تكن مرتبطة بمقام المخاطبين.

<sup>1</sup>- ينظر: نفس المرجع ، ص: 27

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص: 24.

<sup>3</sup>- نفس المرجع ، ص: 31.

<sup>4</sup>- د: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص: 32.

<sup>5</sup>- د: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص: 38.

من هنا أمكن "د:العمري" أن يبدأ الدراسة التطبيقية التي تعتبر بيت القصيد في هذا البحث، تحت عنوان "صور الحاجاج" حدد الصور في "القياس، المثال، الشاهد" وهذه العناصر في رأي "د: العمري" تشتراك فيما بينها "في دعوة العقل إلى الإنسجام"<sup>1</sup>، وللوقوف على كيفية اشتغال هذه الصور، ذهب عندئذ ليقصد لها النماذج من الخطاب العربية "خطب الحاجاج، حجج الأحنف بن قيس لعاوية" كما نوع الأمثلة حتى من الخطاب القرآني، وهو في كل ذلك يرجع كل مرة إلى الخطابة الأرسطية يسترجع بها قواعد الصور الحاجاجية كما وضعها أرسطو، ليخلص إلى نتيجة هي "أن الخطابة العربية استعملت أقيسة عقلية متنوعة يدخل أغلبها فيما أحصاه أرسطو"<sup>2</sup> على اعتبار أن الأقيسة العقلية منحة إلهية تشتراك في صناعتها جميع الأمم والشعوب.

تعرض "د: العمري" إلى أسلوب<sup>3</sup> الخطابة في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي" بحيث أفرد له فصلاً كاملاً بما أنه يعتبر من بين أحد المكونات الأساسية في بناء الخطابة الأرسطية، لكن عدّه "د: العمري" عنصراً أساسياً في الخطابة العربية القديمة ويعود ذلك في نظر "د: العمري" أن "الخطابة العربية نشأت في محيط شعري، بل ربما حاز القول بأنها أحد الأفلاك المنفصلة عن الشعر المشوددة بجاذبية أسلوبية قوية"<sup>4</sup> لذا نجد "د: العمري" يركز على جانبيين في بناء النص الحاججي، على جانب "البناء الدلالي" وعلى جانب "البنية الصوتية" ولدراسة الجانبيين اتخذ نماذج من الخطاب العربية كخطب "علي بن أبي طالب". وبعد أن بحث "د: العمري" عن البنية الدلالية والصوتية في الخطاب العربية القديمة شدّه أنها كلها تشغّل في إطار محدد وهو "اللحوء" إلى الموازنة بين العناصر الدلالية والصوتية لا يدعون جانباً يلغى الآخر أو يقلّل من قيمته، ولذلك رأينا من حين آخر، يكبح جماح الموازنات ليفتح الطريق أمام المعاني والصور لتلعب دورها<sup>5</sup> وهنا تكمن القدرة والمهارة الخطابية الحاجاجية التي تقود حتماً للإقناع.

<sup>1</sup> نفس المرجع ، ص: 71.

<sup>2</sup> نفس المرجع ، ص: 79.

<sup>3</sup> ينظر: نفس المرجع ، ص: 97 إلى 123.

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص: 100.

<sup>5</sup> نفس المرجع، ص: 121.

وقد خص الكاتب "د: محمد العمري آخر جزء من الكتاب للكلام عن "ترتيب أجزاء القول" في الخطابة، بدأه من فكرة أن "كوراكس Corax أول من وضع الأجزاء الكبرى للخطاب"<sup>1</sup>، وأرسطو بعده حصرها في مرحلتين "عرض القضية والبرهنة عليها"<sup>2</sup>، بينما "بيرلمان" يرى أن المسألة لا أهمية لها. يعود بعد هذه اللمححة الوجيزة النظرية لترتيب أجزاء القول إلى أرسطو ويشرح رأيه باستفاضة<sup>3</sup>.

بينما فيما يخص ترتيب أجزاء القول في الخطابة العربية لم يعثر "د: العمري" "تقنينا للنظام الذي ينبغي للخطيب أن يتبعه في ترتيب أجزاء خطبه عدا الإلحاد على الاستهلال الديني"<sup>4</sup> أو بعض الإشارات الطفيفة، لكن حرص البلاغة العربية القديمة على "عرض القضايا المشفوعة بوسائل الإقناع والتأثير المتوفرة لديهم عرضاً مناسباً يسمح بالوصول إلى الغرض"<sup>5</sup> وهذا ما لمسه الباحث عند دراسته دراسته لخطبة "الحجاج" في أهل الكوفة وأهل الشام كنموذج تطبيقي عام.

### نموذج تطبيقي عام: "خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي"

اختار "د: العمري" خطبة "الحجاج بن يوسف الثقفي" في أهل الكوفة للكشف عن آليات الحجاج؛ لأنه رأى أنها "تحتوي هذه الخطبة بالرغم من قصرها، جميع مقومات الخطاب الإقناعي، كل بمقدار"<sup>6</sup>، فتنوعت الآليات الإقناعية في الخطبة بين الآليات اللغوية، المنطقية وصب الكاتب اهتمامه على الآليات البلاغية الإقناعية مثلاً: الكناية، الاستعارة، التشبيه، المثال وألوان البديع التي حفلت بهم الخطبة<sup>7</sup>، كما كان للشاهد بمختلف أشكاله دوراً فعالاً في توجيه الحجج وتدعمها، منها الشاهد القرآني، الشعري، المثل.

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص: 137.

<sup>2</sup> نفس المرجع ، ص: 137.

<sup>3</sup>- ينظر: نفس المرجع ، ص: 140، 139.

<sup>4</sup>- نفس المرجع ، ص: 140.

<sup>5</sup>- نفس المرجع ، ص: 140.

<sup>6</sup>- نفس المرجع ، ص: 144.

<sup>7</sup>- ينظر: نفس المرجع ، ص: 145.

يمكن القول أن هذا العمل رغم أنه يمثل بدايات الأولى في البحث البلاغي الحجاجي العربي المعاصر، لكنه جاء في صورة مكتملة البناء تدل على التمكّن من آليات بلاغة الحاج و من أسرار البلاغة العربية القديمة في نفس الوقت.

### 2-1-3 - ملامح الحاج في الخطاب الشعري العربي:

يعتبر منجز<sup>1</sup> د: سامية دريدي "المعنون بـ"الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنبيه وأساليبه" الدراسة البارزة في حقل الدراسات الحجاجية التي تناولت الشعر بالدراسة، ويمكن القول أنّ هذا العمل يستحق التقدير" فكتابها المقصود يرتاد مجالاً صعباً ما يزال بكرأً في الدراسات الحجاجية العربية: الحاج في الشعر. وهذا الاختيار وحده يشهد لها لا عليها"<sup>1</sup>، أضف إلى ذلك حجم المدونة الشعرية التي حددتها الباحثة لتكون موضوع دراستها الكبيرة وفي نفس الوقت مختلفة المشارب، متلونة بمختلف ألوان الفترات الزمنية التي عاصرتها وقد كانت الباحثة واعية بدرجة صعوبة هذه الدراسة<sup>2</sup> هذا يفسر ضخامة المنجز والاعتماد على عملية انتقاء أشعار معينة.

فالكتاب يتكون من جزأين الجزء الأول يتضمن مفاهيم الحاج وأهم مجالاته وقضاياها كما يضم بابا ثانياً تبين فيه الباحثة علاقات الحاج بالجدل والخطابة ومن ثم علاقته بالشعر، أما الجزء الثاني فيمثل المرحلة التطبيقية من البحث، بحيث بدأت الباحثة في دراسة روافد الحاج التي اعتبرتها من جوهر الشعر، لتنتقل بعدها إلى صلب الموضوع المدروس وهو دراسة البنية الحجاجية للشعر العربي القديم بأخذ عينة لا بأس بها من القصائد وضفتها قيد الدراسة، تمثل كل قصيدة غرضاً أو فترة زمنية معينة، هذا لا يعني أن بقية أجزاء الكتاب لم تتناول الشعر بالدراسة، بل على العكس الباحثة لا تشير أي مسألة حجاجية إلاّ وربطتها بالشعر العربي واستدللت لها بأبيات من الشعر العربي.

بالختصر المفيد حاولت الباحثة من خلال هذا الكتاب "النظر في مجموع التقنيات التي يعتمدها الشاعر ليحتاج لرأي أو ليحضر فكرة محاولاً إقناع القارئ بما يسيطره أو حمله على الإذعان لما يعرضه"<sup>3</sup>، والباحثة لم تكتف برصد الحاج الوارد في الأشعار التي درستها أو بتصنيفها أو الوقوف

<sup>1</sup> - د: حسين بنو هاشم، نظرية الحاج عند شایم بيرلان، ص: 14.

<sup>2</sup> - ينظر: د: سامية دريدي، في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنبيه وأساليبه، مقدمة الكتاب، ص: 03.

<sup>3</sup> - د: سامية دريدي، في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنبيه وأساليبه، مقدمة الكتاب ، ص: 02.

على آثارها الاقناعية فقط، إنما كانت تقف كلما استدعي الأمر عند قضايا حجاجية متنوعة لطالما شغلت الفكر البلاغي العربي خاصة، فطرح السؤال حولها، ثم تناقشها محاولة أن تجد لها بعض الإجابات الممكنة.

أهم هذه المسائل التي حاولت الباحثة أن تجد لها ما يفصل القول فيها، هي مسألة شاع تداولها بين القدماء تحورت حول "إقصاء الشعر من دائرة المنطق وتجريده من مقولات العقل إلى إثارة قضية خطيرة تتعلق بتحديد الأجناس الأدبية إذ اعتبر الكثيرون من القدماء أنّ الشعر إن دخل باب المنطق لان وضعفت طاقته الشعرية فيتحول إلى خطبة."<sup>1</sup> من هنا كانت الإشكالية المطروحة أمام الباحثة تعيق عملية البحث في حجاجية الشعر، لكن رغم ذلك تعطي الباحثة تصورا آخرًا يفتح الأفق أمام الشعر لأن يأخذ أبعاد عقلية قد تكون مغلفة بلحاء المبالغة والعواطف الفياضة والخيال الجامح.

أخذت الباحثة عندئذ على عاتقها حل هذا الإشكال "بشكل دقيق ومقنع ليستقيم بحثنا ويكسب شرعية تتبهه وتؤسس مهادها صلبا عليه نبني ما سنتهي إليه من نتائج وما سنفضي إليه دراستنا من أحکام"<sup>2</sup> على حد تعبير الباحثة، وإنّ كان موضوع البحث يمثل الإثبات الشامل والكامل لحجاجية الشعر.

ارتکرت "د: سامية الدریدي" على إثبات حجاجية الشعر على الأسس التي بنى على أساسها الأقدمون عملية إقصاء الشعر من دائرة الحجاج

#### 1- سوء فهم معنى الحجاج:

حيث رأت أن الأقدمين لم يفهموا المعنى الحقيقي للحجاج فقد التبس عندهم مفهومه بالجدل فأصبح يندرج ضمن العلوم في المقابل وضعوا الشعر في الزاوية الموازية مع العلوم؛ لأنّه يقوم "أساسا على التخييل الذي لا يستدعي الفكر والرواية على حد عبارة ابن سينا بل يعوّل على الإثارة دون تفكير"<sup>3</sup> إذن الشعر في نظر الأقدمين عفويا لا تضبطه ضوابط التفكير الصحيح أي المنطق هذا من جهة

<sup>1</sup>- نفس المرجع ، ص: 50.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص: 52.

<sup>3</sup>- نفس المرجع ، ص: 54.

## 2- عدم ضبط حدود الأجناس الأدبية:

من جهة أخرى فسرت "د: سامية دريدي" هذا الإقصاء المحرف في حق الشعر بما تميزت به البلاغة العربية آنذاك " فالبلاغيون العرب لم يهتموا إذن في بناء نظريةهم في النص بمسألة الأجناس الأدبية إلا نادراً مؤكدين أن مشغلهم الأساسي هو قوانين الكلام لأنها تحكم كل الأجناس على حد السواء"<sup>1</sup> والمتداول عندهم هو الاعتماد على "التمييز بين الخطابة والشعر على أساس الدرجة لا وفق خصائص النوع"<sup>2</sup> ومن هنا تم التغافل عن فنيات الحاجج ووسائله وأساليب الإقناع (اللغوية، البيانية) التي تسمى بها الخطابة والشعر على حد السواء.

## 3- الغموض والتخيل يؤسسان للإقناع في الشعر:

رأى الباحثة "د: سامية دريدي" من مفارقات البلاغة العربية القديمة أنها ترى الغموض والتخيل من خصائص الشعر اللتين لا يمكن الاستغناء عنهما وهما في الوقت نفسه يقومان بالوظيفة الحاججية دون منازع، والأول يحيل إلى الآخر "إذ التخيل يعجز منفرداً عن تحقيق ماهية الشعر تلك التي تتشكل حين يعدل عن الكلام العادي وينأى عن اللغو"<sup>3</sup> والكلام غير العادي إذا أسهب فيه دخل ضمن دائرة "الغموض" هنا بالتدقيق يلعب الإقناع دوراً كاماً إذ يأتي ليحد من ذلك التروع الخطير<sup>4</sup> الذي أحدثه الغموض المترتب من المبالغة في التخيل.

## 4- سلطة الشعر على العرب:

أقرت الباحثة على اتفاق البلاغيين العرب بالمصدية النفعية للخطاب الشعري، و"النفع على هذا النحو وظيفة من وظائف النص لا تتحقق إلا بالإقناع ولا تكون إلا بالحجاج فإذا به وجه من الوجوه التي تؤدي إليها وظيفة الشعر أشمل وأوسع هي الوظيفة الحاججية الاقناعية"<sup>5</sup> وهذه الوظيفة

<sup>1</sup>- نفس المرجع ص: 58.

<sup>2</sup>- نفس المرجع ، ص: 61.

<sup>3</sup>- نفس المرجع، ص: 65.

<sup>4</sup>- نفس المرجع ، ص: 66.

<sup>5</sup>- نفس المرجع ، ص: 69.

الفاعلة للشعر "حملت المجتمع العربي القديم على الإقرار بسلطة الخطاب والاحتفاء بها وب أصحابها"<sup>1</sup> ، فمن المفروض مهمة الشعر الحجاجية أمر بدبيهي لا يمكن إنكارها بأي حال من الأحوال.

فهناك الكثير من الشواهد التراثية تدل على سلطة الشعر فقد تجاوزت الباحثة "د: سامية الدرديدي" العناصر البلاغية في بناء حججها على حجاجية الشعر العربي لاسيما القديم منه، على بعض الروايات التراثية<sup>2</sup> التي تثبت القوة الحجاجية للنص والفعل التأثيري في نفس متلقيه.

5- الحجاج يعارض الشعر:

على اعتبار أنّ "الخطاب الحجاجي مشابه لأي خطاب حجاجي آخر لا ذاتية فيه ولا تميّز باعتباره قائما في جوهره على الشائع المبتذل"<sup>3</sup> على عكس الشعر الذي يقوم على الإبداع، لكن هذه الرؤية تنفيها "د: سامية الدريدي" فهي ترى أنّ رغم كون "الحجاج من المعارف الشائعة المبتذلة فإنّ ذلك لا يعني البطلة أنّه قادر مثـى وجد في نص حكم النسج دقيق البناء أن يكتسب طرافة وتألقا بحيث يسمى عن التداول المعروف"<sup>4</sup>، منه تبين أنّ الطريق المبتكرة في عرض الحجاج و التفنن في استعمال أساليب الحجاج هي الكفيلة من إخراج الحجاج من النمطية ومنحه تلك الخاصية التي يجب أن يتميز بها الشعر وهي إبداع المعانٍ والصور.

#### **٤-١-٢- التقنيات الحاججية في السرديات العربية:**

بما أنّ السرد هو مجموعة من الأخبار المتصلة مع بعضها البعض، و"يتحدد الحاجاج في علاقة ثلاثة بين (فاعل محاج) و(خبير عن العالم) و(فاعل هدف)"<sup>5</sup> من علاقة الحاجاج بالخبر وعلاقة الخبر بالسرد تنشأ وبالتالي على إثر ذلك علاقة متعددة وهي علاقة الحاجاج والسرد، لذا يعتبر السرد من بين أهم الأساليب الحاجاجية التي يعتد بها الحاجاج لبناء حاجاج أقوى وأمن. هذا يعني أنّ الحاجاج يتجسد بوضوح في النص السردي لذا هناك من البلاغيين العرب المعاصرین من اختار هذا

٦٩ - نفس المرجع ، ص:

<sup>2</sup>- ينظر: نفس المرجع، ص: 70، 71.

<sup>3</sup>- ينظر: نفس المجمع، ص: 75.

٧٦ = نفس المجمع، ص: ٤

<sup>5</sup> - ياتي باى، شاهزاد، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص : 13.

النوع من النصوص لدراسة الآليات الحجاجية ومحاولة تبيين قدرتها الاقناعية الفاعلة في الخطاب السردي.

يعتبر "د: محمد مشبال" الرائد في دراسة النص السردي التراثي وقد تناول هذا النوع من الدراسة في كتابه "الحجاج والتأويل، في النص السردي عند الجاحظ" حيث خص الكاتب في هذه الدراسة أخبار الجاحظ، وأراد من خلال ذلك "المزاوجة بين التفكير النظري في أحد الأجناس السردية القديمة بوصف مكوناته الثابتة وسماته المتغيرة من جهة، وبين تأويل نصوصه المفردة والكشف عن سماتها المخصوصة وللالاتها وأبعادها المتميزة من جهة ثانية"<sup>1</sup> ومن هذه المزاوجة بين بنائية الفكر السردي القديم وبين التأويل وتداعياته يقتفي الباحث أثر بلاغة الحجاج في هذا النوع من الجنس الأدبي.

قبل أن يلج "د: محمد مشبال" في دراسة التقنيات الحجاجية وأساليب الإقناع التي قد تجعل من أخبار الجاحظ تضطلع بـ"الوظيفة الحجاجية"، تحدث عن بلاغة النص السردي القديم، بداية، قدم مفهوماً عاماً للخبر في التراث البلاغي العربي مركزاً على أخبار الجاحظ وقيمتها الأدبية ودورها في ترسيخ القيم، فـ"النص السردي عند الجاحظ ليس حكاية لذذة يراد بها إدخال السرور والابتهاج على القارئ فقط، ولكنها أداة للتواصل؛ تضطلع بتلقينه المعلومات وتزويده بالمعرفة، على نحو ما توجه إليه ضمنياً بمجموعة من الحقائق الأخلاقية والإنسانية العامة حتى يعمل بها في حياته الاجتماعية. إنما لا تكتفي في تواصلها مع المتلقي بتوصيل المعرفة سواء كانت علمية أو إنسانية خلقية، بل تسعى إلى التأثير في سلوكه وأفعاله"<sup>2</sup>، يتم ذلك بيسير وإجراء مباشر؛ لأنّ الخبر يمنح الخطاب الحيوية إلى حد التشخيص بإسقاط الخبر على الواقع، مع إيجاد المتعة في كل ذلك.

ما يعزز لدى "د: محمد مشبال" فكرة حجاجية النص السردي عند الجاحظ هو أنه "يلتقي مع النصوص الحجاجية الصريحية مثل الخطبة والموعظة في توجهها نحو المتلقي لتعديل فكره أو تحفيزه على الفعل، لكنه يشتراك مع النصوص التخييلية في كونه خطاباً سردياً يروي حكاية متخيلاً"<sup>3</sup>، وإنّ هذا الجمع بين الإقناع والتخيل حسب "د: محمد مشبال" يتتشابه إلى حد بعيد مع "التمثيل" البلاغي الذي

<sup>1</sup>- د: محمد مشبال، الحجاج والتأويل، في النص السردي عند الجاحظ، المقدمة، دار محمد الحامي، ط1، س 2015 م، ص: 05.

<sup>2</sup>- نفس المرجع، ص: 14.

<sup>3</sup>- نفس المرجع ، ص: 17.

تتدخل فيه عناصر التخييل من جهة و الاستدلال القياسي من جهة أخرى، إذ "يقوم على تخيل شيء ممكن واقعياً مماثلاً للحالة المطروحة للنقاش"<sup>1</sup> ومن هنا تكون "نظرة ترى أنّ ثمة تماضاً بين بلاغة التمثيل باعتباره عنصراً تعبيرياً جزئياً وبين النص باعتباره تمثيلاً سردياً متداً"<sup>2</sup>، ولا تتوقف علاقة السرد بالتمثيل على المشاهدة في الوظيفة الاقناعية والأداء التخييلي إنما تنتد إلى اعتماد التمثيل في السرد من أجل التوصيف أو التصوير.

إنّ التمثيل والإقناع يلتقيان حسب "د: محمد مشبال" عند "المثال" الذي جعله أرسسطو<sup>3</sup> من بين أهم التقنيات الحجاجية، ومنه بين الباحث فكرة أنّ الخبر يعتبر بمثابة المثال أو ما يسمى الشاهد، —"أنا في الشاهد نطلق من فكرة خاصة لتبرير فكرة خاصة أخرى"<sup>4</sup> على سبيل المثالة التي قد تكون ضمنياً غير مصريحاً بها أو عن طريق التشبيه أو الاستعارة، هذا يرشح النص السردي أن يكتسب جمالية تجذب المتلقى وتدفعه إلى أن يمعن النظر أكثر في المعاني ودلائلها، ومنها تصل به إلى قناعة أحلى وأمتع فيكون التأثير بذلك أشد وأمن.

من خلال هذه المعطيات، (الخبر، السرد، التخييل ، التمثيل، الإقناع، المثال) التي حاول "د: محمد مشبال" على أساسها يبني دراسته على حسب قوله: "بناء على هذا تقوم الفرضية النظرية التي تنطلق منها المقاربة المقترحة في هذه الدراسة على النظر إلى النص السردي عند الجاحظ بوصفه "مثالاً حكائياً" أو "تمثيلاً سردياً" يناظر في بنائه ووظائفه بنية التمثيل باعتباره صورة بلاغية جزئية"<sup>5</sup>، يؤسس من خلالها الحجة القائمة على الجمال الفني والاستدلال المنطقي بإضافة المتعة الحكائية التي ترتاح لها النفوس.

يمكن أن نمثل المسار الحجاجي الذي رسمه "د: محمد مشبال" لسرديات الجاحظ في المخطط التالي:

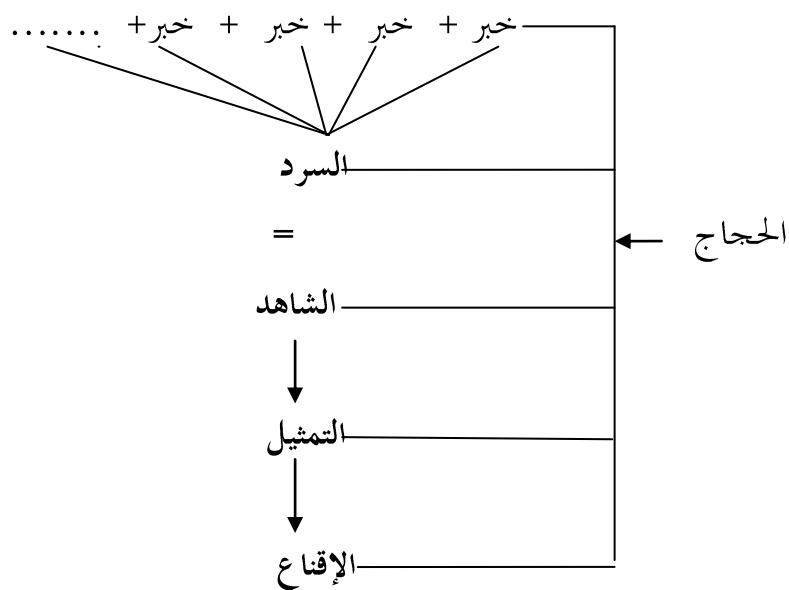
<sup>1</sup> - محمد الولي، مدخل إلى الحجاج من أفلاطون، مجلة عالم الفكر، 31.

<sup>2</sup> - د: محمد مشبال، الحجاج والتأويل، في النص السردي عند الجاحظ، ص: 23.

<sup>3</sup> - ينظر: أرسسطو، فن الخطابة، الترجمة العربية القديمة، ص: 146.

<sup>4</sup> - محمد الولي، مدخل إلى الحجاج من أفلاطون، مجلة عالم الفكر، 31.

<sup>5</sup> - د: محمد مشبال، الحجاج والتأويل، في النص السردي عند الجاحظ، ص: 23.



بعد أن عرض وحلل "د: محمد مشبال" مجموعة من سردية المحافظ ووضعها تحت قواعد البناء الحجاجي والآليات المكونة له خلص إلى نتيجة "أنّ الأخبار أو التوادر التي تتسمى إليها النصوص السردية المذكورة نوع أدبي خطابي شأنه في هذا شأن معظم أجناس الأدب الكلاسيكي وأنواعه، تبرز فيه الوظيفة الحجاجية دون أن تتجه على الوظيفة التخييلية"<sup>1</sup>، بل بالعكس إحداها تخدم الأخرى، ومنهما نستطيع القول أنّ المحافظ أعطى للبلاغة العربية نفسها جديداً يؤسس لبلاغة تتعدى الحدود التي رسمت لها من قبل.

هذه الخلاصة التي سلم بها "د: محمد مشبال" لقد كانت نتيجة تراكمات لعدد من الدراسات التي تناولت نثر المحافظ عامة والخطاب السردي السجالي خاصة عرضها الباحث في آخر جزء من كتابه رابطاً إياها دائماً بالبلاغتين القديمة والجديدة " فإن نثره السردي على نحو تجلّى في الأخبار والتواتر لم يعد يقتصر على وظيفة الإبلاغ، بل جعل الوظيفة الفنية غاية يتطلع إليها، تجلّى ذلك في ما فسحه المحافظ للخطاب في هذه النصوص من مساحة للسرد والوصف والتصوير"<sup>2</sup> كل هذه الفنون الأدبية لها مقاصد حجاجية، إما تثبت قواعد بلاغية أو تدعم مواقف إنسانية أو تدحض دعوى وإلى ما ذلك، متخذة من العقل البشري مطيّة لذلك وجمالية التخييل مظهراً لها، والعجيب أن الاستراتيجيات

<sup>1</sup>- نفس المرجع ، ص: 57.

<sup>2</sup>- د: محمد مشبال، الحجاج والتأويل، في النص السردي عند المحافظ، ص: 153، 154.

السردية التي احتفى بها الخطابات النثرية للجاحظ كتب لها أن تلقى ما يتواافق معها في البلاغة الحجاجية الجديدة.

## 1-2-5-الحجاج في المناظرة:

لا يمكن الحديث عن المناظرة دون أن نتحدث عن الخطاب الحجاجي؛ لأن المناظرة ببساطة هي صناعة حجاجية تقوم على المعارضة والإدعاء، مقوماتها حجاجية "اللغة، الحقيقة، المعرفة، المقام"، تهدف إلى الإقناع غير أنها تعتمد على مبدأ الحوار والجدل لها استراتيجيات خاصة، ولما كان هذا الجنس الأدبي حجاجي بالدرجة الأولى استهوت دراسته الباحثين العرب المعاصرين، إضافة إلى تحدّر هذا النوع من الجنس في الخطاب الشري العربي القديم، والقيمة التي اكتسبها الحجاج البلاغي قدّيماً تعود إلى فن المناظرة وما حظي به من مكانة بلاغية لا يمكن أن تخفي على أي باحث كان.

دراسة فن المناظرة كان لها صدى واسع الانتشار قدّيماً وحديثاً، لكن ما يهمنا في بحثنا هذا هو إلقاء الضوء على الدراسات التي ربطت فن المناظرة ببلاغة الحجاج "بلاغة بيرلان" و"لما" كانت المناظرة خطاباً حجاجياً لغوياً يقتضي التأثير والإقناع، فإنما خطاب حجاجي يقتضي الكشف عن طاقاته الحجاجية تشغيل كل الإمكانيات الفلسفية واللغوية والمنهجية التي توفرها نظريات البحث في الحجاج<sup>1</sup> وبما أن فن المناظرة يختزل في طياته كل المضامين الحجاجية يخلق هذا التراء والتراحم الحجاجي، مما يشير عدة مشاكل سواء على مستوى المنهج أو على مستوى تحصيص مجال الدراسة.

كما يمكننا القول أن دراسة هذا الخطاب الحجاجي يمنع الباحث العربي القدرة الكافية أن يصنع بلاغة عربية جديدة مميزة وليدة التقاء بلاغتين، عربية قديمة وأخرى غريبة حجاجية جديدة، بحيث يستطيع أن يجول في البلاغة العربية باستعراض مكوناتها القديمة، وشروط فن المناظر من معايير، واستئثار المعطيات البلاغية الحجاجية المعاصرة.

وهذا ما جعل "د: عبد الله عادل" في كتابه "بلاغة الإقناع في المناظرة" أن يخصص الباب الأول منه في إعطاء لحة عن التاريخ اليوناني لنظريات الحجاج، ومن ثم استعراض مختلف نظريات

<sup>1</sup>- أحمد أتركي، الحجاج في المناظرة، مقاربة حجاجية لمناظرة أبي سعيد السيرفي لمقى بين يونس، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، ، ط1، 2013، ص: 1071.

الحجاج الغربية، والباب الثاني تناول فيه نظرة عامة وفي نفس الوقت نظرة فاحصة عن فن المناظرة في التراث الإسلامي<sup>1</sup>، فكان عليه بعد هذا المشوار البحثي أن يدخل إلى صلب الموضوع وهو الدراسة التطبيقية التي تأخذ بعض نماذج لمناظرات مختلفة، يحاول الباحث من خلالها أن يستخرج أهم العناصر الحجاجية التي توظفها المناظرة متوسلاً في ذلك بالآليات الحجاجية .

اهتم بداية بالكشف عن البناء الحواري للمناظرة وبعدها التركيز على خاصيتين أساستين في التشكيل المناظرة وهما (السؤال والنفي) وهمما يمثلان (الدعوى، نقض الدعوى أو ما يسمى بالاعتراض) في بلاغة الحجاج، وأخيراً صب اهتمام بحثه على أهمية الشاهد الحجاجي وكيفية اشتغاله في المناظرة.

ما يلفت انتباها في هذه الدراسة الأهمية التي أعطاها الكاتب في كل فصول الكتاب لعنصر "الحوار" وفي الحقيقة هذا الاهتمام لابد منه؛ لأن المناظرة تقوم أصلاً على الأسلوب الحواري، "تحدد المناظرة إذن بخواصها التحاطبية الجدلية، ومن ثم فهي ممارسة حوارية حجاجية تهدف إلى تشكيل رأي أو معرفة مشتركين، وبذلك فهي تتطلب طرفين في وضع تفاعل"<sup>2</sup> ، فقد بين الباحث المكانة التي يشغلها الحوار في بلاغة الحجاج منذ نشأتها على يد السفسطائيين وكيف استطاعت أن تفرض نفسها من جديد مع البلاغة الجديدة.

أهم ما خلص إليه الباحث بعد الدراسة إلى أن "المناظرة في التراث الإسلامي لم تكن مبارزة عميقية أو تنازلاً لا مشروطاً في الحوار كما كان الشأن في بعض أجناس التناظر الأوربية، بل شكلت نوعاً من "المفاكرة" القائمة على التعاون واحترام الآخر ورأيه. وقد رعتها العديد من المجالس الرسمية، التي مثلت فضاءات لتشييط التفاعل والتلاقي المعرفي. ولم تكن المناظرة خلال هذه المجالس، مجرد منادمة أو حلقات سمر، بل اكتسبت صبغة البحث المعرفي المؤطر بقواعد تحديد أوضاع الأطراف المشاركة فيه، وطرقه وغاياته وآدابه"<sup>3</sup> من هنا نستطيع أن نقول: أنّ المناظر تعتبر تقويمًا حجاجياً فقد

<sup>1</sup> - ينظر: د: عبد الله عادل ،"بلاغة الإقناع في المناظرة. من ص: 77 إلى 180

<sup>2</sup> - د: عبد الله عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 175

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص: 175.

كانت قبل كل شيء تقوم على الحاجة الشريفة يحكمها مبدأ القيم القائم على العقل المنطقي الذي أسس قواعد ومعايير المناقضة التي لابد أن يتزامنها كل مناظر.

فقد كان الباحث خلال المرحلة التطبيقية يستحضر قواعد التحاور الحجاجي كالتحاور المباشر، التناوب، خرق التناوب انتهاز الفرص التي توقع بالخصم، ويستدل لكل قاعدة يعرضها من خواص المناقظات التي اختارها للدراسة، منه استنتاج الباحث "أن المناقضة مجال مثالي لاشتعال الحوار. وهو حوار يتخذ صبغة مباشرة نظراً لطابع المقابلة الذي يميزها. وتمثل هذه المباشرة في اعتماد تقنية السؤال / الجواب، وفي تقاطب الضمائر التي تنظم فضاء الخطاب وتحجج أطرافه"<sup>1</sup> وفي خضم هذا الاحتمام والتنامي في الحجج تبرز القدرة البلاغية الحجاجية التي تهدف إلى إذعان الخصم ومن ثم تتكشف الحقيقة بين المناورات البلاغية والمعرفية للمتحاورين وتجعل المشاهد طرفاً آخرًا مشاركاً في إظهار الحقيقة بالتبع المعنون للحوار ومساءلة ذاته نفس الأسئلة محاولاً الإجابة عنها استناداً على الأفكار المطروحة خلال المناقضة، ومن هنا نستنتج أن المناقضة الإسلامية مناظرة حجاجية منطقية تأويلاً تؤطر لفكرة حضاري يصنع من الاختلاف اقتناعاً، ومن الاقتناع ارتقاء واتفاقاً.

### 3- البلاغة العربية المعاصرة بين المزاوجة والتجديد:

نقصد هنا بـ"المزاوجة" هو عملية تلاقي وامتزاج بين بلاغة الحجاج الغربية وبين معطيات البلاغة العربية سواء التراثية أو ما فرضته المستجدات العربية المعاصرة على البحث البلاغي، وإنْ هذه العملية إنْ تمت على الوجه السليم سيخرج من حضن هذا الامتزاج والتزاوج بلاغة عربية جديدة تحفظ بمحاذاتها البلاغية الأصلية برؤية جديدة منفتحة على جميع أنواع الخطاب.

كما أن عنوان هذا المبحث قد يعطينا تصوراً بأنّ عملية المزاوجة والتجديد في البلاغة العربية المعاصرة بدأت حين قطعت شطراً مهماً من فترة التقلي الغربي وبعد شوط من قراءتها ومارستها غير أن هذا لم يكن في الواقع، بل إنْ هذه العملية هي اتجاه اختاره بعض الباحثين والمفكرين المعاصرین منذ أن بدأت بلاغة الحجاج تحد لها مكاناً ضمن البحث البلاغي العربي.

2- نفس المرجع ، ص: 243

### 3-1- نمو الوعي الحجاجي لدى البلاغيين العرب:

نلاحظ نمو وعي البلاغي الحجاجي يتضاعد في واجهة الدراسات البلاغية العربية من خلال الدراسات التي تنوّعت بين مجموعة من المقالات المنشورة في عدد من المجالات العلمية أو في عدد من الكتب مشتركة الإنجاز أو عدد من الأبحاث العلمية المنشورة ضمن عمل واحد مشترك، أو في عدد الملتقىات العلمية الأدبية، والندوات العلمية المنعقدة هنا وهناك في البلاد العربية.

يمثل كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" تحت إشراف "د: حمادي صمود"، مثلاً يوضح مقدار هذا النمو والطموح في الارتفاع بالبلاغة العربية المعاصرة حتى تواكب مسار البلاغة العالمية، العامة كما أراد لها "بيرمان" أن تكون، حيث جمعت فيه مجموعة من الأبحاث البلاغية ترصد تاريخ البلاغة الغربية من العهد اليوناني مروراً بمرحلة التدهور وصولاً إلى البلاغة الجديدة. مع التفاتة "حمادي صمود" إلى إشكاليتين هامتين في البحث البلاغي العربي، إشكالية المصطلح وإشكالية قراءتها<sup>1</sup>، في بحث معنون بـ"مقدمة في الخلفيّة النظريّة للمصطلح" افتتح به "حمادي صمود" هذا البحث الضخم الذي اشترك في تأليفه نخبة من الباحثين العرب بغية البحث في قضايا بلاغة الحجاج، وكل باحث إلاّ ونظر إليها من زاوية معينة.

فـ"حمادي صمود" تحدث عن بعض المصطلحات البلاغية محاولاً منه ضبطها من خلال تبيان آراء أرسطو في الخطابة وأهم مرتکزاتها ليعدد بعد هذا مقارنة بين ظروف نشأة البلاغة الغربية وظروف نشأة البلاغة العربية، وما يتأسف عليه الكاتب من خلال هذه المقارنة هو عدم اهتمام البلاغيين العرب ببلاغة الحجاج رغم ما تتميز به هذه الأخيرة من خاصيّة النفع والدقة التي تمنحها للخطاب عامة؛ لأنّها تقوم على العقل الذي يحترم القيم، ويوصل إلى الاقتناع.

السؤال الذي يتبدّل لمتصفح هذا العمل هو أين يكمن الوعي العربي ببلاغة الحجاج من مؤلف يضم بين طياته شروح وافية في أكثرها لبلاغة أرسطو وبلاغة "بيرمان" وبلاغة "ماير"؟ ولا بُعد أبداً

1- ينظر: د: حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، ص: 07.

شيء له الصلة بالبلاغة العربية: لكن الوعي حسب نظرنا يتمثل هنا في الوقوف على الإشكاليات التي كانت تطرح نفسها بإلحاح على الباحث العربي المعاصر وما زالت لحد الساعة تؤرق الباحث العربي البلاغي المعاصر، فأراد فريق البحث أن يعالج هذه الإشكاليات بطريقة قراءة بلاغة الحجاج وتبعها من لحظة نشوئها إلى غاية تصدرها المجال البلاغي الغربي المعاصر والوقوف على مخرجاتها وروافدها، وبهذا يجد الباحث العربي المادة الكاملة والشاملة لأهم الإجابات في بحث مشترك، منظم، دقيق، ومفصل.

المميز في هذا البحث أنه لامس البلاغة العربية القديمة واستطاع أن يجد الأسباب الخفية وراء عدم تصدر بلاغة الحجاج الدراسات البلاغية العربية القديمة، رغم ما نقل للعربية من كتب مترجمة لفلسفه اليونان لاسيما كتب "أرسطو"، فمن المفترض أن بلاغة العربية هي التي تكون سباقاً إلى احتضان بلاغة الحجاج كما عرفناها اليوم على يد البلاغيين الغربيين الجدد، يرجع هذا لأن "البلاغة ظهرت تباشيرها في أحضان الشعر والشعر وقعت من إيقاعه وفضله من هيئة القول فيه. ولم يكن يفوق شاعر على شاعر إلا بما يقع له من نجح في تصوير المعاني وإخراجها رائفة عذبة تسر الناظر وتخلب لب المستمع. ولم يغير ظهور القرآن من الأمر شيئاً. بل قواه وثبته حتى غدا التفوق وبلغ النهايات مرتبطة في ضمائر الناس بالشكل والمظهر".<sup>1</sup> هذا يعني أن الشعر وخصائصه، والقرآن وقداسته هما العاملان الأساسيان في عدم إنشاء بلاغة إنتاج سياسة القول، برغم ما يوجد من إشارات جليلة في كتابي "الباحث"، "البيان والتبيين" و"الحيوان"<sup>2</sup> وقد مثل الدراسات الأولى من نوعها في البلاغة العربية المعاصرة.

كما أن البلاغة العربية لم تحدد فاصل يفصل مفهوم الخطابة عن الحجاج؛ يحيلنا هذا إلى "الكلمات التي استعملها ابن سينا وابن رشد تثبت علاقة الاشتراك عموماً بين الجدل والخطابة لكنها لا تبين المستوى الذي تتترى فيه كل واحدة منها بالقياس إلى الأخرى وهذه هي المسألة التي نبحث فيها"<sup>3</sup> فنفهم من هذا الكلام أن مفهوم الحجاج لم يحدد في البلاغة العربية القديمة بصورة أدق، هذا الذي جعل البلاغيين يتربدون في إقرار مصطلح الحجاج بالبلاغة خوفاً من الالتباس بمصطلح الجدل

<sup>1</sup> - د: حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، ص: 19.

<sup>2</sup> - ينظر: نفس المرجع، ص: 21.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص: 95.

الذي كان في ذلك الوقت يقترن بأهل الكلام وقد يوحي بالتضليل والتشكيك التي تحط من قيمة البلاغة التي وسمت بالقوة والجاذبية والرهبة في الكلام.

كما لا يفوتنا في هذا البحث أن نبين الأثر الكبير الذي أحدثه المنجز المغربي الضخم المشترك في تنمية الوعي البلاغي العربي لبلاغة الحجاج وهو منجز "الحجاج مفهومه و مجالاته" الذي تم تحت إشراف "د: العلوى إسماعيلي"، حيث شارك في إنجاز هذا البحث المتنوع والذي ألمَ بجميع مفاهيم النظريات الحجاجية وبحقولها وتقنياتها ومارساتها في مجموعة من المقالات المحكمة من إدارة البحث.

تكونُ هذا البحث من أربع أجزاء مصنفة تصنيفاً دقيقة من حيث موضوعات البحث ومنهجية البحث، نذكرها على التوالي "الحجاج: الحدود والتعريفات"، "الحجاج وحوار التخصصات الحجاج والمراس، ضمن النصوص المترجمة"، وما يلاحظ على هذه النصوص في جملتها أنها اختيرت بعناية حتى يستفيد منها الباحث العربي، سواء من حيث المحتوى مثلاً ذكر نص "التمثيل والاستعارة في العلم والشعر والفلسفة" لـ"شاییم بیرلان" أو من حيث صاحب النص الذي له وزن في بلاغة الحجاج الغربية.

لا يمكن لأي باحث عربي معاصر أن ينكر فضل هذا المنجز في إعطاء البحث البلاغي المعاصر دفعاً جديداً فريداً من نوعه يمكن للباحث أن يكون له مرجعاً يرجع إليه باستمرار حلال أي بحث كان في الحجاج، لأنَّه ضمَّ بين طياته تفاصيل بلاغة الحجاج وطرح كل قضائياها على طاولة البحث والاستقراء، بدايةً من المفهوم مروراً بالتأسيس على يد مؤسسها "بيرلان" وصولاً لاقتحامها جميع العلوم الإنسانية، والحقول المعرفية (الفلسفة، القضاء، السياسة، الإعلام) وتلوغها بكل المقاربات اللسانية والمعرفية (السميائيات، التداولية التأويلية)، وفي الحقيقة أن كل هذه المسائل المتشابكة مع بلاغة الحجاج تطرق لها المصنف وبعمق، من هذا الزخم البحثي المتنوع والتخصص والمنهج ندرك الوعي العالي للباحث العربي المعاصر في إدراكه قيمة الخطاب الحجاجي وفي ضرورة تثبيت وتقنين بلاغة الحجاج في البحث البلاغي المعاصر.

ما يشد انتباها هو الاهتمام ببلاغة "بيرلان" في هذا المنجز على غرار جميع البلاغات الأخرى؛ حيث أعطيت لها الأولوية، فالمقال الأول "الحجاج مبحث بلاغي، فما البلاغة؟"<sup>١</sup> لد: محمد العمري، تطرق فيه إلى مفهوم الحجاج عند "بيرلان"، هذا من جهة ومن جهة ثانية من حيث النسبة المهمة للمقالات التي درست بالخصوص بلاغة "بيرلان"، من جهة أخرى عدد الآليات الحجاجية التي شغلت الباحثين في هذا البحث حسب ما جاء بها "بيرلان". ولم يكن ذلك من محض الصدف في رأينا إنما لوعي يدرك قيمة فهم "بلاغة بيرلان" وأصولها المعرفية وآلياتها الإجرائية في البحث البلاغي الحجاجي عامّة، وأنّه لا يمكن فهم أي نظرية حجاجية دون الرجوع إلى "بلاغة بيرلان" باعتبارها الأصل والمرجع لأي نظرية حجاجية.

ما يحسب لهذا البحث الشري إلى جانب اهتمامه ببلاغة الحجاج الغربية، اهتم بالبلاغة العربية وعلاقتها بالحجاج، فقد تطرق لها مباشرة تحت عناوين مختلفة منها مقالة "البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة" لـ "د: عبد الله صولة"<sup>٢</sup>، و"النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع" لـ "محمد العبد"<sup>٣</sup>، أو بطريقة غير مباشرة مثل مقال: "حجاجية المجاز والاستعارة" لـ "حسن المودن".<sup>٤</sup>

فالباحث يحاول بهذا النوع من المقالات أن يقارن ولو بشكل بسيط بعض القضايا التي أفرزتها مقتضيات تلقي البلاغة الحجاجية الغربية بنظيرتها العربية، وتسلیط الضوء على قضايا البلاغة العربية القديمة التي تتدخل مع مكونات البلاغة الجديدة كمسألة "المقام" الحجاجي أو الاستعارة وأثرها الحجاجي، وهذا بتوجيه الرؤية نحو هذه القضايا، كما أن تخصيص جزء مهم من البحث للدراسات التطبيقية يؤكّد على الوعي الكامل للباحث العربي على إمكانية قراءة المنجز الأدبي العربي بمختلف أنواعه بآليات حجاجية بمهارة فائقة.

## 2-3- نحو بلاغة عربية حجاجية معاصرة:

<sup>١</sup>- ينظر: د: محمد العمري، الحجاج مبحث بلاغي، فما البلاغة، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، ج ١، ص: ١ إلى ١٦.

<sup>٢</sup>- ينظر: د: عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، ج ١، ص: ٥٥، ٢٨.

<sup>٣</sup>- ينظر: محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، ج ٢، ص: ٣، ٦٠.

<sup>٤</sup>- ينظر: حسن المودن، حجاجية المجاز والاستعارة، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، ج ٣، ص: ٣٣٩ إلى ص: ٣٦٢.

قد ساهمت عدة عوامل مجتمعة في تهيئة الفكر البلاغي الحجاجي العربي، وظهرت الحاجة الماسة لإيجاد بلاغة معاصرة للبلاغة المعاصرة تهض بكتافة تجعل الخطاب العربي ينافس الخطاب العالمي من حيث معايير الاستعمال والإنتاج، وكان لبلاغة الحجاج ضلع قوي في تشكيل هذه الرؤية، فوجدت لذلك مدارس تعنى بالخطاب الحجاجي محاولة إيجاد إطار نظري جديد يؤسس لبلاغة الحجاج العربية مستمدة ذلك من التراث البلاغي العربي، يتماشى ومقتضيات الخطابات المعاصرة.

### 3-2-1- رؤية جديدة في تاريخ البلاغة العربية:

حمل د: "محمد العمري" على عاتقه مشروع تحديد البلاغة العربية قراءة، ونقدا، ذا نظرية ممتدة على طول تاريخ البلاغة العربية، ضمنها كتابه "البلاغة العربية أصول وامتدادات"، وقد "كان منطلق الباحث محمد العمري في المشروع البلاغي هو العلوم الأصلية للبلاغة؛ أي الموروث البلاغي، ثم علومها الدخيلة، والتي نحملها في البنوية، السيميائيات، وجمالية التلقى"<sup>1</sup>، وقد استطاع بجمع هذه المفارقات والتوفيق بينها أن يخرج كتابا بلاغيا عربيا مميزا، صنع منه محطة فارقة في الدرس البلاغي العربي، "سيكتشف المتبع للمسار العلمي لهذا الباحث بوضوح مشروعه مشروعه بلاغيا رصينا خصه صاحبه لخدمة التراث البلاغي العربي؛ إنه مشروع علمي يروم قراءة الخطاب البلاغي العربي القديم قراءة نقدية جديدة تربط بين الأصول وامتداداته، وفهم ساقبه من لاحقه، وتدمج آفاقه وأسئلته المنهجية الجديدة في آفاق الحاضر، وتسعى هذه القراءة إلى عقد حوار مثمر بين القديم والحديث"<sup>2</sup> من هنا كان هذا المشروع يتسم بالشمول والتجدد والتعقيد معا.

غير أن هذا المشروع يبعث على الشغف البحثي والمعرفي بانفتاحه على ثقافتين متدينين على مستوى قطبين بعيدين زمانياً ومكانياً، يراد منها قراءة "تمزج بين المعطيات البنوية وعلم الاجتماع الأدبي ومباحث البلاغة المعاصرة المنجزة، وخاصة ضمن حقل الفلسفة والاجتماع، كما تهتم بالآليات التواصل وتقنياته المتغيرة بسرعة كبيرة في عصرنا الراهن، وهي تقنيات عملت فعلاً على تغيير موقع الإنسان-(المخاطب، المشاهد، السامع، القارئ...)"<sup>3</sup>، وإن التقارب بين جميع هذه العناصر كفيل

<sup>1</sup>- د: الحسين بواجلابن : تفاعل العلوم الأصلية والدخيلة في مشروع البلاغة العامة للدكتور محمد العمري، ضمن البلاغة العامة: حوار المركز والمحيط، سلسلة الترجمة والمعرفة، العدد 5، عالم الكتب الحديث، ط1، 2017م، ص: 50.

<sup>2</sup>- مقدمة الكتاب، البلاغة العامة: حوار المركز والمحيط، ص: 05

<sup>3</sup>- د: محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 259.

بأن يشكل مفهوماً جديداً للبلاغة العربية، عبر د: "العمري" عن ذلك في قوله: "لذلك كان من همومي الموجهة حين تصدىت لإعادة قراءة تاريخ البلاغة العربية استخراج أنساق المؤلفات في حوار بين المشاريع والمنجزات"<sup>1</sup> مبني على أسس معيارية وظيفية منبثقة من وحي علاقات تلك العناصر.

من هنا نرى بوضوح صارخ أنّ هذه القراءة تختلف عن القراءات الأخرى التي عرفتها البلاغة الجديدة التي كانت إحدى الاتجاهات البحثية في البلاغة العربية الحجاجية المعاصرة؛ لأنّ "العمري لا يقدم قراءة انطباعية للوحدة فنية أو قصيدة سرالية، أو خطبة سياسية مليئة بالادعاءات، أو موعدة دينية مليئة بالأكاذيب والاختلافات. العمري يسعى، إلى جانب باحثين آخرين؛ غربيين وعرب،<sup>2</sup> لتقديم نسق يستوعب كل الأجناس الدخلة في الخطاب الاحتمالي المؤثر مناسبة أو إغرابا"<sup>3</sup> باختصار إنّ هذه القراءة حصيلة عدة قراءات تنتهي الطرح المنهجي ثم التحليل المنطقي لتبنية من جديد في ظل رؤية عامة للبلاغة التي تتعدي الحدود والفضاءات.

لكن ما يهمنا من مشروع "د:العمري" من خلال كتابه "البلاغة العربية أصولها وامتدادها"<sup>4</sup> هو موقع بلاغة الحاجاج لـ"بيرلان" من المشروع وكيف وظفت آلياتها في إعادة صياغة صورة جديدة للبلاغة العربية، فمنذ البداية عمل "د:العمري" على تبيين القيمة الحجاجية في الخطاب البلاغي العربي، بداية من "أرسطو" لتأصيل بلاغة الحاجاج عند العرب، حيث رأى أن الجاحظ استشرم" فكرة المقام ومناسبة الأحوال، وهي مدار الإقناع في كتاب الخطابة لأرسطو"<sup>3</sup> وعلى أساسه صنف الخطاب وبناه، وكذلك لمس "د:العمري" هذا التأثر ببلاغة الإقناع المستوحاة من فن الخطابة "لأرسطو"، بينما "أسعد مفهوم الصحة والاعتدال في كتاب فن الخطابة ابن سنان الخفاجي في بناء بلاغة كلاسيكية محافظة. وهي أيضاً التي أسعدت حازماً القرطاجي في مشروعه الضخم لبناء بلاغة معضودة بالحكمة والمنطق"<sup>4</sup>، فيمكن القول أن الكثير من القضايا التي طرحت على الساحة البلاغية العربية كانت مستوحاة من بلاغة أرسطو القائمة على استكشاف آليات الإقناع.

<sup>1</sup>- د: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتدادها، ص: 14.

<sup>2</sup>- د: محمد العمري، المعاصرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، أفريقيا الشرق، (د، ط)، 2017، ص: 209.

<sup>3</sup>- د: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتدادها، ص: 24.

<sup>4</sup>- نفس المرجع، ص: 25.

هذا التأثر بكتاب فن الخطابة "لأرسطو" يفسر سبب تصنيف العمري للبلاغة العربية معتمداً على القضايا التي تبدو أن البلاغة الأرسطية كان لها ضلع في توجيه رؤية الدرس البلاغي العربي القديم لها، فمثلاً خص المبحث الثاني من الكتاب للخطاب الإقناعي تحت عنوان "فن الخطابة، الصحة والاعتدال" درس ضمن هذا المبحث مكونات الخطاب الإقناعي فتطرق إلى ثقافة الخطيب وإلى ترتيب الأجزاء والأسلوب، كما درس مميزات فن الخطابة "الوضوح والاعتدال"، وفي المبحث الثالث من الكتاب خصه ببلاغة الصحة والتناسب وفي هذا المبحث تطرق إلى أهم مكون حجاجي وهو "المقام" تحت عنوان "المقام الخطابي والمقام الشعري، محاولة تفسير" إلى جانب مباحث أخرى تدور كلها حول بلاغة الإقناع.

كما خص الفصل الأخير وهو الفصل الرابع بالبلاغة المضودة (بالنحو والمنطق) وفي هذا الفصل درس أهم بلاغتين شكلتا نقطة فارقة في المسار الكبير للبلاغة العربية أو لهما بلاغة "السكاكى" التي تقوم على المنطق والاستدلال الذي بني "بيرمان" على أساسه حججه المنطقية والشبه المنطقية، والبلاغة الثانية هي بلاغة "حازم القرطاجي" الذي أراد أن يخرج بلاغة الإقناع من دائرة الشعر إلى دائرة أوسع لتشمل الشعر والشعر معًا تحديد الفروق والخصوصيات، ويمكن أن نقول أن "حازم ما اقترب كثيراً" من بلاغة "بيرمان" أي فكرة البلاغة العامة أو "إمبراطورية البلاغة" لكن بلاغة حازم فقط اقتصرت على ما كان معروفاً من الجنس الخطابي آن ذاك.

شكلت كل هذه القضايا البلاغية العربية التراثية المستويات من الفكر "الخطابي الإقناعي" في فكر "د: العمري" مساراً تاريخياً بلاغياً، انطلاقاً من الاهتمامات الكلامية فـ"قد بُرِزَتْ أهمية الحجاج خاصة في البرهنة على الفرضيات الكلامية المتعلقة بكلام الله وقضية حلق القرآن والصفات، حيث بدأ مع تناول هذه القضايا الاهتمام الفعلي بتوظيف الآليات اللغوية والبلاغية والسياقية المقامية من أجل ترجيح قضية ما على غيرها"<sup>1</sup>، ولا يفوتنا إغفال فكرة المقام عند الجاحظ وكذلك القضايا الأخرى تمثل مراحل انتقال مرت بها البلاغة العربية القديمة سجلت عبر منجزاتها البلاغية.

<sup>1</sup> د: محمد سالم محمد الأمين طيبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 261.

من هذا المنظور يمكن أن تقترب البلاغة العربية من البلاغة الحجاجية الغربية "بلاغة بيرمان" في عدة محاور عالجها "د: العمري" وفي رأينا تم ذلك تحت منظار بلاغي يتطلع إلى توسيع البلاغة العربية على الأقل في بعض الجوانب ببلاغة الحجاج. نذكر منها:

1- اشتغال البلاغيين على استكشاف العوامل الأساسية للبلاغة، تعبّر عن مقاصد حركة البحث البلاغي وما حققه على مدار تاريخها الطويل وقد لخصها "د: العمري" في عوامل نابعة من الداخل ويقصد به النص الموضوع قيد الدراسة البلاغية والعوامل الخارجية التي حددتها في "تقنيّن اللغة والفكر وتراث الدين" ومهما كان نوع تلك المقاصد فهي ترمي الوصول إلى تحقيقها ولا يتم ذلك إلا باتباع مسار حجاجي باعتبار أن المقصودية تحدد السؤال ثم يتم عرضه ومن ثم رصد الحاجة مرتبة وترك القارئ يستنتج ويفهم بعدها.

2- تصنيف وظائف البلاغة العربية إلى: وظيفة إخبارية، وظيفة تأثيرية، وظيفة حجاجية<sup>1</sup> أقرّ من خلال هذا التقسيم رؤية جديدة للبلاغة على أنها في الحقيقة ذات وظائف تقنية تفيد التغيير، الذي يكون بطرق عدّة منها التعرّف أي "الانتقال من الجهل إلى المعرفة"<sup>2</sup> أو عن طريق التخييل أي تصوير الأشياء على غير حقيقتها . أو عن طريق الاستدلال، أي الوصول إلى دلالة عن طريق الدليل ... وكل من هذه الطرق إلا وترتبط بمقام معين، فالتغيير هو الذي تعمل على أساسه كل الصور البلاغية من (استعارة، تشبيه، تمثيل، كناية) فهو يوفر مساحة تحرّك فيها الأدوات البلاغية بتحفيز الأفكار والتصورات وحتى المشاعر والقناعات، وظيفة البلاغة إذن بعيدة من بدایات الدرس البلاغي العربي عن المتعة والزخرف اللفظي .

3- رأى "د: العمري" أنّ الفكر الحجاجي وال الحاجة إليه شغلت المهتمين بالخطابة وشغلت الشعراء على حد سواء غير أنه حدث الفصل بينهما بسبب "افراق المنشآن، منشأ البيان، ومنشأ البديع"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر: د: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 212.

<sup>2</sup>- نفس المرجع، ص: 245.

<sup>3</sup>- نفس المرجع ، ص: 205.

فاختلاف المقام الحجاجي هو الذي كان مسؤولاً عن هذا الإقصاء، وإن كان "الجاحظ" قد ضمن البلاغة كل خطاب يهدف إلى الوظائف الثلاثة التي قسم إليها البلاغة على حسب تقدير "د: العمري" فهو بهذا التقسيم لم يستثن الحجاج من أي جنس خطابي. ما يعاب على البلاغة العربية هو عدم اهتمامها بالتصنيف الدقيق وإن كان هناك تصنيف لا يلتزم به المؤلف فالاستطرادات الكثيرة تعيق عملية الاستيعاب ومن ثم تصعب مهمة تحديد المفاهيم، من هنا كانت رغبة "السكاكى" في "الحاجة" إلى كتاب جامع لما يحتاج إليه الناظم والناثر على حد سواء، أي البلاغة العامة<sup>1</sup> فالوعي بهذا التجنيد الذي يقيم حدود فاصلة للبلاغة، تفطنت إليه البلاغة العربية خلال مسارها التاريخي. وهذا ما قامت عليه بلاغة كل من ابن سنان الخفاجي وحازم القرطاجي.

بالرجوع إلى الهدف الأساسي من تأليف الكتاب نستطيع أن نقول أن ما أنجزه يفوق بكثير ما طمح إليه "د: العمري" من خلال الكتاب:

- 1- محاولة تعطية أهم المخطات البلاغية الكبرى التي دشتتها البلاغة العربية.
- 2- استخلاص النتائج ومحاولات معرفة المقدمات من كل مرحلة بلاغية معينة، فلاحظ أن هذه المقدمات هي نتائج المراحل التي تأتي بعدها. أو تكملة ما نقص منها.
- 3- ربط اللاحق بالسابق، واعتبار أن البلاغة العربية بناء تراكمي من النتائج. وإن لم يكن في المنجز البلاغي القديم يمكن تشكيلاً بضم البلاغات العربية لبعضها البعض.
- 4- البلاغة العربية القديمة بلاغة عامة تجمع بين الخطابية والشعرية لكن خصائص كل من الجنسين هو الذي أخفى علاقة الاجتماع ووترها.
- 5- "حازم القرطاجي" استطاع بفكرة البلاغة المعضودة أن يظهر صفة البلاغة العامة للبلاغة العربية.

<sup>1</sup>- نفس المرجع ، ص: 291

6- مفهوم البلاغة متغير من مرحلة إلى أخرى بما يطرأ عليه من تحولات وإجراءات هذا يظهر من خلال عناوين المباحث التي تضمنها الكتاب "من المحاكاة إلى التغيير"، "بلاغة الصحة والتناسب"، "بلاغة الانزياح"<sup>1</sup>

7- تستوجب كل مرحلة من المراحل المتغيرة التي تطرأ على البلاغة قراءة جديدة تقرأها من الداخل لا من الخارج حتى تضمن حسن استيعاب المفاهيم واستخلاص النتائج.

8- الخطاب الإقناعي التداولي أو التخييلي هو الذي يجعل من البلاغة العربية بلاغة عامة.

إن الشواغل التي كانت تهم "د: العمري" وأراد أن يضعها أمامه ويتبع دراستها عبر تاريخ البلاغة العربية نبعت من فكرة إعادة تفعيل معطيات البلاغة العربية القديمة بدمجها مع بلاغة الحجاج، بحيث

"حق مشروع الباحث محمد العمري بشأن البلاغة العامة، بلاغة جديدة أتاحت مراجعة مفهوم البلاغة السائدة بالارتباط بدینامية الأسئلة الإنسانية. إنها بلاغة متميزة تسمح بإعادة الارتباط بين البلاغة وتاريخ الأدب والنقد. لقد اخذت البلاغة في مشروع الأستاذ محمد العمري منحى نسقياً جعلها على أعلى يشمل التخييل والحجاج، فصار علمًا كلياً يدرس الخطاب الإنساني عاماً. إنها بلاغة الخطبة النسقية التي تحاور القارئ، وتؤمنه من الضلال، وتحقق له التلقى النسقي للمعارف البلاغية"<sup>2</sup>، هذا المنحى فرض عليه قراءة التراث البلاغي قراءة مغايرة تسافر بالنص البلاغي إلى عوالم الحداثة وتلقي عليه رهانات العصر ومتطلباته لعله يخرج منها بشيء يفتح البلاغة العربية على آفاق جديدة.

### 3-2-2 رؤية جديدة في التنظير البلاغي العربي:

يعتبر كتاب "التفكير البلاغي عند العرب" لد: حمادي صمود، مشروع لقراءة جديدة للموروث البلاغي العربي، بما قدمته علوم النص الحديثة لاسيما البلاغة الجديدة، وقد عبر عن هذا المسعى "د: حمادي صمود" في قوله: "حرصنا في هذه المحاولة، على مباشرة التراث من منطق التفاعل

<sup>1</sup>- ينظر: د: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 541، 543.

<sup>2</sup>- د: الحسن بواجلابن، تفاعل العلوم الأصلية والدخيلة في مشروع البلاغة العامة للدكتور محمد العمري، ضمن البلاغة العامة حوار المركز دراسات في أعمال الدكتور محمد العمري، سلسلة الترجمة والمعرفة العدد 5، عالم الكتاب الحديث، ط1، 2017، ص: 67.

بينه وبين الحداثة قصد فهمه في ذاته واستجلاء أبعاد النظرية الأدبية التي يتضمنها، ثم لمحاصرة مظاهر المعاصرة فيه التي يمكن استحضارهااليوم<sup>1</sup> عملية القراءة في هذه الحالة هي قراءة على مستوىين قراءة في الخصائص البلاغية لتراث البلاغي بمنظور حديث، ومنها تولد قراءة أخرى تربط هذه الخصائص المروءة بنظيرتها الغربية.

إن هذه القراءة تفرض نفسها على الباحث البلاغي العربي حتى يتطلع "لاستكشاف غوامض التراث"<sup>2</sup> التي طالما حملت النص البلاغي أفكارا لم تكن ليتحملها لو أنّ التراث قرئ قراءة منصفة واعية دون أن يؤخذ من باب القداسة، دون انتقادها أو الانتقاد من قيمتها، وهذا بـ "استخدام أجهزتنا المفهومية استخداما يحترم خصائص التراث والسياق التاريخي الذي يتزل فيه والأسس المعرفية الإبستيمولوجية" القائم عليها<sup>3</sup>، هذا هو الإطار الذي حدد به "د: حمادي صمود" قراءته حتى يبقى وفيا إلى النص البلاغي التراثي ويوفيه حقه من القراءة الدقيقة التمحصية، التي تسعى إلى إبراز بلاغة عربية حصينة بأفكارها وشروطها في ثوب جديد مسترشدة بمعطيات التراث البلاغي.

أول ما بحث فيه "د: حمادي صمود" في مشروعه هو عوامل نشأة التفكير البلاغي العربي القديم، وفي هذا البحث وقف مستغربا منكرا المغالاة من أولئك الحازمين بالتأثير الكبير للبلاغة العربية بالبلاغة الأجنبية، وإن كان لا ينفي بعض هذا التأثير؛ لأنّ "البيئة العربية كانت على صلة بتيارات أجنبية مختلفة استفادت منها البلاغة العربية بوجه من الوجوه".<sup>4</sup> لكن الذين أثبتوا هذا التأثير لم يستندوا على دليل قاطع، "وإن أثبتوا ذلك لم يكن ذلك وفق منطق سليم مع اللغو في الحكم على نسبة التأثر وكأن الناقد العربي في حاجة إلى قادح أجنبي يفطنها إلى الفرق بين خصائص لغة الاستعمال العادي ولغة الأدب"<sup>5</sup>، وحتى لا يقع "د: حمادي صمود" فيما وقع فيه سابقوه من المزايدة والاحتراء الذي كان سببه الرئيسي هو الاجتزاء من التراث دون الرجوع إلى الأصول ولا مراعاة للسياق النصي، ألزم نفسه "البقاء في حدود بعض المظاهر والمسائل منفصلة عن نسيج النظرية الأدبية ذاتها لا

<sup>1</sup>- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس المقدمة، ص: 11.

<sup>2</sup>- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، المقدمة، ص: 12.

<sup>3</sup>- نفس المرجع ، المقدمة، ص: 11.

<sup>4</sup>- نفس المرجع ، ص: 86.

<sup>5</sup>- نفس المرجع، ص: 84.

يمكن، تصورنا، من إدراك أهمية الأخذ إن ثبت الأخذ، ولا يتم ذلك إلا بالنقد الداخلي للنصوص والإحاطة بأصول القضايا البلاغية والنقدية جملة<sup>1</sup>، فهو بهذا الالتزام لا يستطيع أن يهرب على أي تساؤل إن لم يشحد كل مكونات النص البلاغي العربي ويتبعد مسار حركته الفكرية بتمعن.

سار "د: حمادي صمود" وفق خطة منهجية تاريخية تتبع المنجزات البلاغية القديمة وترصد أهم الإشكاليات التي كانت تطرح كل مرة على طاولة البحث، والتي ساهمت بدورها في تفعيل البحث البلاغي وتطويره، وفي بعض الأحيان تكون هي السبب المباشر في إعاقة واضطراب البحث وزعزعت المسار التطوري البلاغي، يمكن أن نرصد هذه النقاط بتتابع الأطوار الكبرى للبلاغة العربية حسب الطرح الذي قدمه "د: حمادي صمود" في كتابه "التفكير البلاغي عند العرب":

#### الطور الأول: محاولة تجميع المواد البلاغية:

- أشار "د: حمادي صمود" على أن بعض المسائل البلاغية التي تحبب البلاغيون العرب الخوض فيها أو الاهتمام بها أكثر، يرجع في الأساس إلى المعتقد الديني، الذي كان يحرك معظم المؤلفات البلاغية العربية في تلك المرحلة الأولى من البحث البلاغي كأمثال "عبيدة الجراح في "مجاز القرآن"، حيث "تركز على مقاصد البلاغة العقائدية ويوظفها لغایات جدلية إقناعية، فتسخر للشيء ونقضيه، تبعاً لحاجات المتكلم من خطابه، وهذا المفهوم يذكرنا بمقاصد الخطابة عند أقوام أخرى خاصة عند اليونان"<sup>2</sup> فكان لهذه المقاصد حدود، أولها الاحترام في معالجة المسائل البلاغية بتحفظ، والثاني أجبر الباحث البلاغي على ضرورة التحكم في قوانين إنتاج الخطاب الحجاجي، لكي يتمكن من تحقيق المقاصد البلاغية دون الإخلال بنظام البحث أو الوقوع في الانزلاقات العقائدية، هذا ما انعكس على محمل البحث البلاغي في الفترة المتأخرة منه على يد "الجرجاني"، وحازم القرطاجي،.... وغيرهم.

- رأى "د: حمادي صمود" أن لفظة المجاز التي استعملها "أبو عبيدة الجراح" كانت في صميم البحث البلاغي الحجاجي "كأن كتاب "مجاز القرآن يتزل، من هذه الجهة، في نطاق القول لا اللغة، ويدرس جملة من الملابسات التي تحف بإنجازه. وهذا مبحث بلاغي آخر يرتبط مفهوم "المجاز فيه

<sup>1</sup> نفس المرجع ، ص: 85.

<sup>2</sup> حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، المقدمة، ص: 115 .

"بالاحتمال" و"الجواز" فيصطبغ بصيغة أسلوبية عامة أساسها تجاوز المتكلم في خطابه طريقة في القول إلى أخرى لأسباب وملابسات"<sup>1</sup> غير أن هذه الصورة البلاغية التي تأسست عليها البلاغة العربية لم تكتمل؛ لأنّ البلاغة حينها كانت في بداية عهدها تقرّ للأدوات والنظام المنهجي.

- فقد أكد "د: حمادي صمود" أن الجانب الذي كان يهم الباحث البلاغي العربي أكثر في ذلك الوقت هو الجانب اللغوي، أما "اهتمامه بالبلاغة هامشي مندرج في نطاق مشاغل اللغويين والنحاة، ويأتي على رأس هذا القسم "الكتاب" لسيبويه و"معاني القرآن" للفراء و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة"<sup>2</sup>، لكن هذا الاهتمام اللغوي عاد على البلاغة بـ "مفهوم نظري غاية في الأهمية والاكتناز هو في أساس العمل البلاغي وركيذته، هو مفهوم "التوسيع" وقد احتل في من المنجزين المركز الذي تدور في فلكه بقية المبادئ الأخرى" البلاغية كالمجاز والإضمار...

- إنّ مفهوم "التوسيع" الذي تخوض عن الدراسات اللغوية وهو "مصطلح متعدد الدلالة، يستقطب جملة من طرق في القول، يوحد بينها خروجها عن الأصول النظرية التي تؤسس عملية تأليف الكلام مطلقاً ويدل به على ممارسات تراعي إرادة المتكلم وقصده"<sup>3</sup> وهذه مسائل تدخل في إطار المباحث البلاغية الحجاجية التي تقوم في الأساس على "علم المخاطب، ودلالة السياق، ولغة النص وهيئتها"<sup>4</sup> إنّ هذه المجوزات التي حصرها "د: حمادي صمود" تمنحها خاصية "التوسيع" في الكلام، بالإضافة إلى ما يبني على هذه المجوزات من علاقات تتصل بالمقام والمقاصد ومقتضى الحال.

#### الطور الثاني: الترعة التنظيرية للبلاغة العربية:

خصص "د: حمادي صمود" هذا القسم "للجاحظ" على اعتبار أنه أحدث وثبة نوعية في إرساء القواعد العامة للتنظير البلاغي العربي خاصة الخطابي الإقناعي منه يتمثل أهمها في أنه:

- أعطى للبلاغة الخاصة العامة التي يجب أن تضطلع بها، أي التأثير والتأثر بالعلوم الأخرى، وهذا يظهر جلياً من خلال مؤلفاته خاصة "البيان والتبيين" "فتحاوزت مؤلفاته مفهوم الاختصاص

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص: 92.

<sup>2</sup> نفس المرجع، المقدمة، ص: 99.

<sup>3</sup> حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، المقدمة، ص: 103.

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص: 105.

الضيق، موضوعاً وعرقاً، واتسمت بترعة شمولية ضربت في كل ميدان بسهم وأخذت من كل شيء بطرف<sup>1</sup> وإنّ هذه الترعة أصبحت مطلباً لابد منه في الدراسات البلاغية الجديدة، لكن بسبب هذه الرغبة وأمام غزارة المادة البلاغية التي توفرت لديه لم يكتثر كثيراً إلى عملية التنظيم والتبويب.

- تعرّض "د: حمادي صمود" للبعد التواصلي الاجتماعي للغة، عند "الجاحظ" وتحديد الأطراف العملية التواصلية وتفطنه لأهمية البعد النفسي وعده مؤسس لنظرية "في الكلام أو اللغة منجزة"<sup>2</sup> خاصة عندما جعل "الجاحظ" "نظريّة المقامات والموضع حلقة الوصل بين طرف زوج اللغة والكلام"<sup>3</sup> وهو بهذه النظرية كان سباقاً في تبيين وظائف اللغة وعلاقات هذه الأطراف بخصائص إنتاج الخطاب البلاغي المبين.

- إنّ الأمر الذي استرعى انتباه "د: حمادي صمود" في التراث البلاغي العربي هو إقراران البلاغة بالعلوم الموضوعية" ومن ثم اقترنت في مصطلحه البيان بالعلم والعي بالجهل"<sup>4</sup>، وإن هذا الأمر قد يبدو في ذلك الوقت بعيد المراد لارتباط البلاغة بالشعر أي بالعواطف والخيال، من هنا نقول أن إدراج البلاغة ضمن العلوم أو على الأقل استنادها على العقل والمنطق فكرة أثبتتها العرب بل جعلوها منها مطلباً أساسياً من مطالب البلاغة.

- إن "الجاحظ" في نظر "د: حمادي صمود" قد تناول كل أبعاد الخطاب على جميع المستويات كما تناولته الدراسات البلاغية الحديثة، فقد "أكّد الجاحظ على أهمية البنية في الأدب باعتبارها الخاصية النوعية الأساسية في ممارسة اللغة ممارسة فنية"<sup>5</sup>، أضاف إلى هذا كل ما يجعل الخطاب فريداً من نوعه، مثل التوظيف المناسب للوجوه البلاغية واحتراف العادة، في ظل احترام القيم الإسلامية، وهكذا تم توجيه المنجز البلاغي التراثي نحو قراءة تحفر في الفكر البلاغي العربي ل تستخرج المشاغل والمقاصد والأسباب والكيفية الاستدلالية التي وظفت بها الأدوات، فاستطاع بهذا الإجراء

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص: 143.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص: 151.

<sup>3</sup> حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص: 151.

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص: 227.

<sup>5</sup> نفس المرجع، ص: 152.

رسم الخطوط العريضة التي تحدد خصائص الخطاب البلاغي العربي. وقاربت بذلك إلى حد كبير من معطيات البلاغة الجديدة.

### الطور الثالث: استقلال واكتمال التنظير البلاغي:

يمثل هذا الطور الفترة التي جاءت بعد الجاحظ إلى نهاية القرن السادس هجري<sup>1</sup> شهدت البلاغة ازدهاراً واكتاماً لمباحثها. وأصبح تحديد القيمة الفنية في النص مشغلاً من مشاغل النقاد الكبارى تنظيراً وتطبيقاً<sup>2</sup> وارتبط هذا المشغل في الكثير من الأحيان بمقاصد بلاغية بحثة لا يوجهها أي منحى خالص فساهم ذلك كثيراً في تشكيل مادة بلاغية خالصة الرؤية. يتضح ذلك في ما يلي:

- رغم وفرة المادة البلاغية في هذه الفترة لم يشن الباحث "د: حمادي صمود" من تبع هذه المادة شيئاً في المنجزات البلاغية المختلفة واستخراج ما أمكنه من عناصر بلاغية ذات قيمة فنية، لإيمانه أن حقيقة التفكير البلاغي لا يمكن فهمها وفك شفراها إلا في إطار مرجعي متواصل منهج باللاحق اللاحق بالسابق، كما اعتمد على عملية الانتقاء التي تقوم على الأولى وعلى الأهم فاشتغل على ثلاث مسائل وهي : المفهوم والمنهج والإجراء،<sup>3</sup> ف"د: صمود" بهذا حدد وقنن استراتيجية البحث إذ أن هذه المسائل تشغله على أساسها كل النظريات البلاغية الحداثية التي تهتم بعلم النص.

- أهم مفهوم توسع فيه "د: حمادي صمود" هو مفهوم المجاز؛ لأنه أصبح البحث فيه ضرورة بلاغية لا يمكن إغفالها أو التقليل من شأنها، غير أن "ضبط حدوده واستعراض أقسامه أمراً ثانوياً لا يهمنا بقدر ما يهمنا كونه مدخلاً ضرورياً لفهم أكثر الأساليب والصور انتشاراً كالتشبيه والاستعارة والتمثيل"<sup>4</sup>، لأن جل الكلام العربي قائم على المجازات.

- عرف مفهوم المجاز تطورات متتالية عبر المسار البلاغي العربي القديم فقد عرف في البدايات الأولى لنشأة الدرس البلاغي بـ"التوسيع" ثم أخذ لفظة "المجاز" ليدخل ضمنه كل الوجوه البلاغية القابلة لتجاوز الحقيقة بطريقة أو أخرى ليخرج بعبارة أخرى تؤسس لمفهوم جديد عبارة "معنى المعنى"

<sup>1</sup> - ينظر: نفس المرجع، ص: 595.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص: 595

<sup>3</sup> - ينظر: د:حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، ص: 137 إلى 140

<sup>4</sup> - نفس المرجع، ص: 395.

التي ذهب إليها "الجرجاني" في مشروعه البلاغي الذي يمثل منعرجاً كبيراً في الدراسات البلاغية العربية بما طرحته من إجابات موفقة للكثير من الإشكاليات التي كانت محل نقاش على مدار زمن طويل يمتد من بداية نشأة الدرس البلاغي إلى غاية ما وصل إليه. فالمفهوم الجديد مبدؤه العقلانية البلاغية، إذ لا يحصل إدراك المعنى الثاني الذي "لا يحصل إلا من طريق العقل والاستدلال لأن العلاقة بين المعنى الأول والمعنى الثاني علاقة لطيفة لا يتوصل إليها إلا بالنظر الدقيق"<sup>1</sup>، لهذا المعنى العقلي ظهرت في البلاغة العربية كيفية اشتغال الصورة الفنية، وارتباطها العميق بالسياق الذي تكون فيه<sup>2</sup> وبهذا تبلور "المحاجز" في البلاغة العربية ليأخذ موقعه من الدلالة المترابطة في القول.

- الصورة التي قدم بها "د: حمادي صمود" مفهوم "النظم" تعطي انطباعاً عاماً على أن البلاغة العربية "دخلت مع الجرجاني، طوراً جديداً لم تعد فيه القيمة الأدبية مرتبطة بنجاعة النص وتأثيره المباشر في متقبله لحسن لفظه ووضوح معناه وقربه من الإفهام بل أصبحت خصوصيات في بناء المعانى تدرك بالعقل والتدبّر والمثابرة على التأمل لا بوقع الألفاظ في السمع"<sup>3</sup> من هذا المنظور أكد "د: حمادي صمود" أن النظم أسس لبلاغة النص والسياق "بتركيزه على أساس نظرية ثابتة وإدراكه مضمونها ملمساً يجعل منه أداة فعالة في الحكم والتقييم، وبإخراجه، ثانياً من حيز الإعجاز إلى مجال أوسع يضم كل أنماط الكلام الفني"<sup>4</sup> فقيمة النص البلاغي تتعدد في التلامُح والتماسُك وإدراك جميع عناصر بناء الخطاب إذ لا تحدد أي قيمة بلاغية لنمط كلامي معين دون نمط آخر فالمزية تكمن في فحوى الكلام ودرجة توافقه وانسجامه لا في العناصر، متفرقة .

#### 4- من آفاق الفكر البلاغي العربي المعاصر:

لا شك في أن النظرية الحجاجية استحوذت في الغالب على الدراسات البلاغية العربية المعاصرة، بجهود نخبة من النقاد والباحثين، الذين أسهموا بطريقة أو بأخرى في إرساء دعامة لبلاغة الخطاب الحجاجي، في الفكر العربي المعاصر، "تروم قراءة التراث البلاغي العربي القديم بشكل حديث يتغّير الإجابة على انشغالات الجديدة للدرس البلاغي العربي اليوم. كما تضع نصب عينيها الإسهام

<sup>1</sup>. نفس المرجع ، ص: 412.

<sup>2</sup>. ينظر: نفس المرجع ، المقدمة، ص: 413.

<sup>3</sup>. د: حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب، ص: 523.

<sup>4</sup>. نفس المرجع، ص: 529.

في تطوير الدرس البلاغي الذي أصبح يتبوأ موقعه الطبيعي بوصفه بحثا واستكناها لخصوصية التعبير اللغوي سواء على الصعيد الإلماتي أو الإقناعي، و عملا من أجل أن يكون للقول فعل ناجع في فضاء الحياة العامة<sup>1</sup> وهذا ما تم استكشافه من خلال تتبع مسار حركية البلاغة الحجاجية في البلاغة المعاصرة.

لكن على سعة المنتج البحثي البلاغي لا يزال الكثير من بلاغة "بيرلان" لم يرفع عنه الغطاء والكثير من المفاهيم لا تزال عالقة في الذهن البلاغي العربي المعاصر، خاصة إذا ما التقت بالثقافة البلاغية العربية التي لا تزال تتخبط إلاّ حد الساعة في فكرة أن البلاغة مجرد أساليب وصور نوظفها توظيفا جماليا، فائدته المتعة والتأمل الجمالي التي تمنحها اللفظة للخطاب. وقد رُسمت لها هذه الفكرة بفعل التعقيد الذي مورس على البلاغة بعد "السكاكيني"، من هنا كانت الحاجة إلى إعادة الفكر البلاغي العربي إلى مكانته الأصلية التي كان يشغلها بين العلوم في وقت مضى، بمادة بلاغية نفجر بها الطاقات البلاغية التي هي في الأصل محرك الخطاب نحو الفعالية وأداته في اختراق الحدود، ومن ثم وسيلة في التحكم في الآراء وتوجيهها، معنى أن هناك الكثير من المطالب التي لابد للبحث البلاغي أن يجتهد في طلبها، وإن هذا الاجتهاد لا يمكن أن يتحقق شيئاً إن لم تكاثف الجهد، كل وحسب تخصصه البلاغي وحسب الجنس الخطابي الذي يشتغل عليه، ومن هذه المطالب نذكر:

- توسيع الدائرة التطبيقية للآليات الحجاجية على الجنس الخطابي، فهناك الكثير من الأجناس الأدبية لا تزال لم يطأها المراس الحجاج، رغم ما تتوفر عليه من تقنيات حجاجية.

- البلاغة الجديدة يمكنها أن تستوعب التطور السريع والهائل الذي يشهده عصرنا في كل المجالات، ولكي يواكب العربي هذا التطور الحاصل، فإنّ البلاغة الجديدة فقط هي وسليته في ذلك، إذن لابد أن يتقن تقنيات هذه البلاغة، لأنها تقوم على لغة تواصلية جديدة تقيم الجسور بين الثقافات المتنوعة.

- البلاغة العربية لا يمكن أن تنفصل عن أصولها، لأنّه ببساطة يمثل قوتها وعنوانها، لذا مهما تطورت البلاغة العربية وتأثرت بنظيرتها الغربية تبقى وفية لهذا التراث فالكثير من المسائل البلاغية

<sup>1</sup> - رشيد برقان، كيفقرأ البلاغيون العرب المعاصرؤن التراث البلاغي؟ نظرات في تاريخ الدكتور محمد العمري للبلاغة العربية، ضمن سلسلة البلاغة العامة: حوار المركز والمحيط دراسات في أعمال الدكتور محمد العمري، ص: 189.

تطرقت لها البلاغة العربية القديمة وأسهب فيها البحث فلا يمكن أن نضر بها عرض الحائط، وفي الوقت نفسه لابد من تجديد آليات البلاغة، وإن هذا لا يتم إلا في ظل قراءة حصينة متمكنة متربثة، لتحسين الاقتران والإدماج من البلاغتين، دون خرق أو إقصاء.

- لابد للباحث البلاغي أن يستثمر في بحوثه مجالات الخطاب الحجاجي الذي يهم الناس أكثر في حياتهم اليومية، أي رغبات وحجات الجمهور، فهم بذلك في حاجة إلى التعرف على آليات الخطاب، وشروط إنتاجه، حتى يمكنهم ذلك من التحكم في إنتاجه أو حتى يمكنهم من معالجته واستقراره بغية الوصول إلى أهدافه ومكوناته. فلا يبقى بذلك حبيس أدراج المكتبات لا يستفيد منه إلا النخبة من الناس، فلا يتطلع إليه أحد ممارسة أو استيعابا. فيقلل بذلك من أهمية الخطاب الحجاجي ويحد من أهدافه.

- البلاغة روح متتجدة في كل عصر، تأخذ منه لتتجدد معطياتها وتنفتح القدرات التي بها يحيى ويسير إلى الأمام، لذا لا يمكن أن نحصر البلاغة في مفهوم واحد أو آليات معينة، فعلى البلاغي العربي أن يدرك هذه الخاصية التي تتطلع بها البلاغة الجديدة ويحاول أن يبني من خلالها أبحاثه البلاغية ويتطور ليقيم من خلال كل بحث بلاغة جديدة تختلف عن البلاغة التي سبقتها، غير أن هذا الجديد لابد أن يتوافق ومستجدات العصر.

- نعرف أن أهداف بلاغة "بيرلان" أساسها العموم والشمول، وقد وجدت هذه الرؤوية صدى لها في البلاغة العربية المعاصرة، من خلال "المشروعات البلاغية الكلية التركيبية"، وهذا بطبيعة الحال ينسجم وينتاغم مع مطلب كبير يلح عليه، ويتعلق بتحقيق بلاغة "شمولية"<sup>1</sup> يقصد بالبلاغة التركيبية هي البلاغة التي تعتمد الانتقاء من كل الأطراف البلاغية ومحاولة التركيب بين هذه المتنقيات بشكل دقيق ومدروس والخروج منها ببلاغة جديدة تضم أشكال وأنواع من البلاغات المتلاحمة مع بعضها البعض ومن هنا توصف بالشمولية والعمومية.

<sup>1</sup> - رشيد برقان، كيفقرأ البلاغيون العرب المعاصرلون التراث البلاغي؟ نظرات في تاريخ الدكتور محمد العمري للبلاغة العربية، ضمن سلسلة البلاغة العامة: حوار المراكز والمحيط دراسات في أعمال الدكتور محمد العمري، ص: 221



### **خاتمة الفصل الثالث:**

بعد استقراء البلاغة العربية الحاجية المعاصرة بالوقوف على تحدياتها ، وتبين أهم منجزاتها وكذا آفاقها المستقبلية توصلنا في هذا الفصل إلى النتائج التالية:

1- ساهمت الترجمة بشكل لافت للنظر في إطلاع الباحث العربي على البلاغة الجديدة الغربية، غير أن هذه الترجمات طرحت مشكلاً كبيراً لا تزال البلاغة العربية المعاصرة تعاني منه وهو مشكل الاضطراب الاصطلاحى.

2- إشكالية الاضطراب الاصطلاحي يمكن أن تحتويها البلاغة العربية المعاصرة إذا ما عملت المؤسسة البلاغية على توحيد الجهود وتنظيم المنظومة الاصطلاحية الحجاجية حتى تحد من هذه الأزمة ويتمكن الباحث العربي من آليات الخطاب الحجاجي بتمكنه من مفاهيمه.

3- إلى جانب الترجمة كانت المنجزات القرائية للبلاغة العربية ذات أثر فعال في تقنين بلاغة الحاج على الساحة البلاغية العربية، لاسيما قراءة كتاب "مصنف في الحجاج" لـ"يرلاند و"تيتيكا"، حيث هذه القراءات بأشكالها المختلفة قربت بلاغة الحجاج إلى الباحث العربي أكثر، خاصة الباحث المبتدئ، الذي وجد في هذا النوع من القراءات فرصة مواتية للتفاعل مع هذه البلاغة، واستقصاء ما تدرج عليه من مكونات ومقومات من خلال القراءة التحليلية التي قدمتها.

أثبتت جل المنجزات التطبيقية للبلاغة الحجاجية أن فعلاً بلاغة الحاجاج بلاغة عامة، يمكن أن تشمل كل الخطابات وآلياتها تكون ذات فاعلية متفاوتة من خطاب إلى آخر، رغم ما نسب إلى بعض الخطابات أنها بعيدة كلها عن الخاصية الحجاجية مثلما نسب إلى الشعر، غير أن دراسته حجاجياً أثبتت أن كل خاصية من خصائصه الشعرية تضطلع بالخاصية الحجاجية.

5- تبين لنا مما تقدم أن البلاغة العربية المعاصرة أفادت من البلاغة الجديدة على مستوى التجديد في المفاهيم والتجديد في المنهج وكذا في الأدوات، واستطاعت بفضلها أن تعيد قراءة التراث قراءة جديدة تلقي الضوء على الناحي الحجاجية في البلاغة التراثية، وهذا ليس من أجل القراءة ومن أجل إثبات حاجية البلاغة التراثية، ولكن من أجل التعرف على الكيفية التي وظفت بها البلاغة العربية القديمة، الحجاج وكيفية اشتغاله والتعرف على أهم مراحل تطور مفهومه ومقارنة الآليات الحجاجية المستخدمة في تلك الفترة مع الآليات الحجاجية عند الغرب، وكيف وماذا يستطيع البلاغي

العربي أن يستقى من التراث البلاغي ومن بلاغة الغرب، ليصنع بلاغة حجاجية عربية معاصرة تتناسب والتحولات التي تفرضها مقتضيات العصر على الخطاب البلاغي اليوم.

6- البلاغة العربية المعاصرة قادرة أن تعيد ماضيها التليد إذا ما استمرت في الاجتهاد البحثي تستقصي كل الإجراءات القرائية الانفتاحية المزدوجة، تسير وفق منهج يضمن الإنصاف والدقة العلمية، فهي تسعى لتجدد كل ما كانت الحاجة إلى ذلك، فلا تنحصر في قوالب بلاغية مصممة تجتر القاعدة والشاهد.



### خاتمة:

محاولة منا في استقراء مسار البلاغة العربية بشقيها القديم والمعاصر في إطار مفاهيم البلاغة الغربية الجديدة، استناداً على بلاغة "بيرمان"، قادنا البحث إلى الوقوف على عدد من النتائج هي كالتالي:

- اتضح لنا أن بلاغة الحجاج لم تنشأ من العدم بل كانت لها قاعدة أرسطية متينة تأسست عليها، نتيجة عدد من التطورات التي عرفتها بلاغة الحجاج اليونانية، لتشهد بعدها مرحلة تقهقر نتيجة تفريغ البلاغة من هدفها النفعي الإقناعي، وتوظيفها توظيفاً امتاعياً، جمالياً.

- إن الحجاج عند أرسطو ينشأ أين حل الاختلاف، وال فكرة نفسها تبناها "بيرمان" وعلى أساسها بني بلاغته الجديدة، إذ أقرّ أنه لا حجاج في المسائل اليقينية، إنما يكون في المسائل التي تكون موضع طعن أو شك أو اعتراض، وعليه يتکفل الحجاج بإيجاد الحجج التي تضع سياق الاستقبال ضمن الدائرة التي يرسمها لها الم حاجج وهذا بإقصاء وجهات النظر المعايرة أو المنافسة، لكن هذا الأمر يبقى في حدود الاختيار المرهون بالقدرات الحجاجية للمخاطب.

- إحياء الريطوريقا " على يد "بيرمان" و"تيتكا" يعود إلى عدة أسباب أهمها تدهور استعمال الخطابة حتى أصبحت مهجورة، بالإضافة إلى انتشار الترعة العلمية الصارمة التي ظهرت مع عصر النهضة والتي جردت الخطاب من كل أشكال التعدد والحرية، فكانت عنديداً بلاغة جديدة تؤلف بين المخلفات دون صراع أو عنف تختصر مسافات الأفكار وتضبط الخطابات على أساس القيم والمنطق في الوقت نفسه، فهي بلاغة مستوحاة من تنافضات العالم المعاصر تحاول أن تخلق تعابيراً فكرية وثقافية، وكشف اللثام عن الخطابات الزائفية، التضليلية على اعتبار أنها خطابات لا تتوافق وأهداف الحجاج، إنما هي من روافد الحجاج.

- سعى "بيرمان" إلى تحسينه مشروع البلاغة الجديدة "إمبراطورية البلاغة" من خلال جعلها بلاغة تحتوي جميع أنواع الخطاب وبما أن كل المواضيع ذات البعد الإنساني تقوم على الاحتمال التي تعد موضوعات الحجاج، كان للبلاغة الجديدة دور في تنمية الفكر الإنساني بكل اختلافاته وتنافضاته.

- آليات الحاجج وأدواته تحرك كل نوع خطابي يستهدف المخاطب وتجعله ذا فعالية أقوى وأمن، باستعمال الإجراءات المطافية والمقصدية بأسلوب سهل بسيط بعيد عن التكلف والزخرف اللفظي الذي يشقى كاهل النص ويذهب أهدافه الأساسية، مراعيا في ذلك مقتضيات السياق والمقام والحالة النفسية والاجتماعية وحتى الفكرية للمخاطب.
- أدى الاهتمام بالبلاغة الكلاسيكية إلى إظهار حقيقة لابد منها، وهي أن العملية الحاججية تتعلق أساساً بالمستمعين، لأن ذلك يساهم بشكل كبير في بناء وإنتاج وتوجيه المسار الحاججي، لذا غداً المستمع محوراً أساسياً في نظرية "بيرمان" وأحد أهم مقوماتها البنائية، إذ عدته البلاغة الجديدة عنصراً من العناصر المقامية وإليه تتوجه مقصدية الخطاب. وبناء على نوعية المستمع تتحدد العناصر الحاججية التي تشكل الخطاب وتوضع وفقه الاستراتيجية الحاججية للخطاب، ومنه تنشأ خطابات مختلفة تتميز عن بعضها البعض، وفيه تبرز قوة الحاجج وفنائه الحاجج.
- الحاجج من أبرز وأوسع أشكال التواصل التي تتفاعل فيه القدرات وتبادر فيه الآراء وتستقيم فيه الرؤى، باستغلال كل المعطيات والآليات وسilette اللغة الطبيعية التي توفر له الطوعية والاتفاق والانسياق عن رغبة وعن تقبل موضوعي واع، ولا يكون هذا التواصل فعالاً، ناجحاً إلا إذا حقق الغاية القصوى وهي الإقناع أو الاقتناع.
- من الخصائص التي يقدمها الحاجج للبلاغة في يومنا هذا تقنيات تعلم الباحث فهم النصوص بالوصول إلى مقاصدها الرئيسية وتفكيك شفراها الغامضة وتحليل العلاقات، والربط بين المكونات الداخلية كاللغة والأسلوب وترتيب أجزاء النص، وكذا الخارجية كالمقام والخلفيات الثقافية والفكرية ودوافع وأحوال المستمعين، من خلال محاورة القارئ للنص ومسائلته مسألة حاججية.
- إن الرؤية الحاججية عامة كان لها حضور قوي في البلاغة العربية القديمة، وبالخصوص الرؤية البلاغية لـ "بيرمان" غير أنّ هذه الرؤية لم تجد لها طريقاً إلى الالكمال والتقديم النظري لأسباب عديدة، كانت سبباً وراء عرقلة مسارها التأسيسي، نخص بالذكر الاضطراب المهجي والتصنيفي الذي كانت تعاني منه البلاغة العربية القديمة طيلة الفترة الممتدة من نشأتها إلى غاية تراجعتها واحتزتها في القوالب المعيارية، والأساليب الجمالية.

## خاتمة

- ظروف الانفتاح و مختلف التغيرات التي عاشتها البلاغة العربية القديمة بعد ظهور الإسلام كان لها دور فعال في بروز حركة فكرية حجاجية مهمة، وجهت الدرس البلاغي وجهاً مغايراً تبحث في شروط إنتاج الخطاب المبين الذي يقوم على العقلانية أكثر من الاهتمام بالجانب الجمالي للخطاب.
- يوجد اختلاف في كيفية توظيف بعض الآليات الحجاجية في البلاغة العربية القديمة وبين كيفية توظيفها واحتياجها في البلاغة الجديدة من حيث الترتيب والأهمية في التأثير، غير أن هناك بعض الآليات تتحذ نفس الإجراء في البلاغتين (البلغة القديمة، البلاغة الجديدة الغربية) ومنها على سبيل المثال حجج: التضمين والاقتضاء والطبي والاستشهاد.
- إذا كانت بلاغة أرسطو نظرت إلى الخطابة على أنها هي البلاغة العامة، فإن هذه النظرة تختلف في الثقافة البلاغية العربية القديمة، حيث أن الخطابة جنس أدبي له خصائص بنائية محددة بينما البلاغة في الفكر البلاغي العربي القديم أعم وأشمل من ذلك، وقد ارتبطت أكثر بالشعر عند العرب، ولهذا السبب بالتحديد ظلت بلاغة الحاج تشتعل في الظل، ولم ترق إلى درجة التحلي في نظرية ترسم الحدود وتحدد المعايير على اعتبار أن الحاج بعيد عن فضاء الشعرية. لكن هناك محاولات أرادت أن تذيب الجدار الجليدي الذي وضع بين الشعر وال الحاج نذكر من أهمها محاولة "حازم القرطاجي". غير أنها لم يكتب لها أن ترقي بسبب ما أصاب البلاغة العربية من ركود عام بعد هذه المحاولة وغيرها من المحاولات.
- إن توظيف الحاج في الدائرة الثقافية العربية القديمة، شمل جميع أنواع الخطابات "الخطابة، المناظرة، الشعر، الترسل، الموعظ..." وتم إقحامه في جميع الحقوق المعرفية "السياسية، الفقه، النقد، الإعجاز، الجدل الكلامي،..." يدل على أسبقية البلاغة العربية القديمة في الرؤية العامة للبلاغة من خلال الخطاب الحجاجي.
- حاولت البلاغة العربية المعاصرة تحديد وسائلها وتحديث تقنياتها فوجدت ضالتها في بلاغة "بيرمان" التي تمنحها القدرة غير المتناهية في التجدد ومواكبة تطورات الخطابية التي فرضتها مستجدات العصر خاصة الخطاب المكتوب الذي أصبح أبداً منه، كما أن بلاغة الحاج بلاغة

تفي بطلعات الإنسان المعاصر عامة، لا تعرف بالحدود مهما كانت ثقافية أو عقائدية أو عرقية، المهم هو اكتساب الآليات الحجاجية الإجرائية ومعرفة كيفية وشروط توظيفها.

- البلاغة العربية المعاصرة أعطت أولوية باللغة بلاغة "بيرلان" سواء من حيث القراءة أو من حيث الدراسة والتحليل أو من حيث تطبيق آلياتها، على اعتبار أنها أصل كل تفريعات البلاغة الجديدة، ولا يمكن فهم أي بلاغة جديدة إلا تحت إطار مفاهيم بلاغة "بيرلان"، وهذا المنطلق شكل مبدأ أساسياً تحتذه البلاغة العربية المعاصرة، يتمظهر هذا المبدأ في جميع المنجزات البلاغية المعاصرة تقريباً.

- تصدت البلاغة العربية المعاصرة لعدة تحديات حين التقت ومارست واقترضت من البلاغة الحجاجية الغربية أو لهما إشكالية اضطراب المصطلح الحجاجي البلاغي حيث تعسر على الباحثين عملية الضبط والتوطين، أما الآخر مسألة التراث البلاغي وكيفية التعامل مع الخصوصية العربية التي تميزه، كما لا يمكن التنازل منه لأنه يشكل زخم بلاغي معرفي هائل متعدد الأطراف متباين الرؤى يعد بمثابة دعامة قوية للبلاغة المعاصرة.

حاولنا إلى هنا أن نسلط الضوء قدر الإمكان على البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، وهذا بتبع الأصول المعرفية لنظرية الحجاج والوقوف على جهود "بيرلان" في إحياء البلاغة وبعثها في صورة جديدة تتناسب ومعطيات عصر النهضة، وانطلاقاً من بلاغة "بيرلان" ذهبنا إلى البحث عن الآليات الحجاجية ضمن البلاغة العربية القديمة، منقيين على المقاصد الحجاجية ودرجة الاعتناء بها، وكذا طريقة توظيف الآليات الحجاجية وكيفية اشتغالها، لنتبين بعد استقراء المنجز البلاغي العربي المعاصر أنها لا تزال في إطار التكوين تتจำกبها من جهة معطيات تراثية ومن جهة أخرى عناصر البلاغة الغربية الجديدة، وإن كان ذلك يعسر عملية البحث إلا أنه يعطي للبلاغة العربية المعاصرة ميزة خاصة، تفتح أمامها آفاقاً رائدة وطموحة في البحث، قد تسفر على نتائج باهرة تنبع بالبلاغة العربية وتعيد لها دورها الحضاري الذي طالما شغلته خلال ماضيها العريق. إذا ما توفرت محاولات بحثية جادة تكمل مسيرة جهود مجموعة من الباحثين العرب الذين استطاعوا أن يرسموا معلم عامة للبلاغة العربية المعاصرة.

# قائمة المصادر والمراجع

## فهرس المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1967م.
- 3- د: أحمد مطلوب، معجم النقد العربي، دارا لشؤون الثقافية العامة، بغداد، ج1، (د، ط)، سنة 1989.
- 4- الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلحين، تج: هولموت رويتير، دار النشر فراز شتايز بغيسبادن، ط03، 1980م.
- 5- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: أحمد الحوفي، بدوي طباعة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة — القاهرة، (د، ط، تا).
- 6- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر يحيى، الموازنة بين شعر أبي قام والبحترى، تج: أحمد صقر، دار المعارف، ط04، سنة 2009م.
- 7- الآمدي، أبو علي بن محمد، الإحکام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد 3، 4، (د. ط) و(د. تا).
- 8- أحمد علي الدهان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، "منهجاً وتطبيقاً" وزارة الثقافة، دمشق، ط2، سنة 2000م.
- 9- إدريس بن خويا "البحث الدلالي عند الأصوليين قراءة في مقصديه الخطاب الشرعي عند الشوكاني، مطبعة بن سالم، الأنفواث، ط1، (د. تا).
- 10- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، (د، ط)، (د، س).
- 11- أرسسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، وكالة المطبوعات، دار القلم الكويتي، بيروت، لبنان، سنة 1979م.
- 12- أرسسطو، الخطابة ، ت: عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، المغرب، (د: ط ، ت).

## قائمة المصادر والمراجع

- 13- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، المدارس شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، سنة 2011م.
- 14- أفلاطون، محاوراتا ثياتيتوس وفاسدروس أو عن العلم و الجمال، ت:أميرة حلمي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة مصر، ط1، سنة 2014م.
- 15- أنتوني جوليت، تاريخ الفلسفة من العصر اليوناني إلى عصر النهضة، ت: محمد طلبة نصار، هنداوي، مصر، ط1، سنة 2015 م.
- 16- أبو إسحاق إبراهيم الحصري، زهر الآداب وثغر الألباب،المكتبة العصرية صيدا بيروت،ج 1، ط1، سنة 2001 م.
- 17- إميل بديع يعقوب، مشيل عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار الملايين، بيروت، ط01، سنة 1987م.
- 18- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ت:خليل أحمد خليل، ج1، منشورات عويدات، لبنان، باريس، ط 2، سنة 2001 م.
- 19- الأزهري أبي منصور محمد بن أحمد تهذيب اللغة، تح: عبد الحليم النجار ،دار للتأليف والترجمة، ج 3، (د،ط،تا)..
- 20- ابن أبي الإصبع العدواني، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر البغدادي، تحرير التعبير في صناعة الشعر والثر، تح: الدكتور حفيظ محمد شرف لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (د،ط، تا).
- 21- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة — القاهرة، (د، ط ، تا).
- 22- بول ريكور، الاستعارة الحية، ت: د: محمد الوالي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1، سنة 2016م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 23- باتريك شارودو، ت: أحمد الوردي الحجاج بين النظرية والأسلوب الكتابي الجديد، ط1، سنة 2009م.
- 24- د: بدوي طبابة، "البيان العربي"، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، سنة 1962م.
- 25- بروتون جيل جوتبيه، تاريخ نظريات الحجاج، ت: محمد ناجي صالح الغامدي، مركز النشر العلمي، جدة، السعودية، ط1، سنة 2011م.
- 26- أبو البقاء الحسيني الكفوي، الكليات، طبعة خاصة، دار عالم الكتب، الرياض، سنة 2003م.
- 27- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع، ط1، سنة 2006م.
- 28- د: البشير العيسوي، الترجمة إلى العربية قضايا وآراء، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، ط1، سنة 1997 م.
- 29- برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية الفلسفة القديمة، ت: زكي محمود نجيب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د، ط)، 2010م.
- 30- التهانوي، كشاف إصلاح الفنون والعلوم، مكتبة لبنان الناشرون ج1، ط1، سنة 1999م.
- 31- الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان، البيان والتبيين، تج عبد السلام محمد هارون، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج3، (د، ط)، سنة 1423هـ.
- 32- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، الحيوان، تج عبد السلام محمد هارون، ج1، ط2، سنة 1965م.
- 33- جورج طرابيشي، نظرية العقل نقد العقل العربي، دار الساقى، ط30، سنة 2008م.
- 34- د: جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، (د، ط)، سنة 2000م.
- 35- جميل صليبا، المعجم الفلسفى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، (د، ط)، سنة 1982م.
- 36- جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، سنة 2009م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 37- جميل حمداوي، من الحاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، (د، ط)، سنة 2014م.
- 38- حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت: محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، ط3، (د، تا).
- 39- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النبدي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، سنة 2013م.
- 40- حسان الباهي، اللغة والمنطق، بحث في المفارق، المركز الثقافي العربي، دار الأمان للنشر، ط1، 01، 2000م.
- 41- حسان تمام، الأصول الإبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة،(د.ط)، 2009م.
- 42- حسن الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لنجمان، القاهرة،(د.ط)،سنة 2000م.
- 43- حسن مخافي، المفهوم والمنهج، في القراءات العربية المعاصرة للتراث النبدي، إفريقيا الشرق، المغرب، (د، ط)، سنة 2016 م .
- 44- حسن محمود الشافعي المدخل إلى دراسة علم الكلام، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي بකستان، ط2، سنة 2001م.
- 45- د: الحسين بنو هاشم، نظريات الحاج عند شاییم بیرلماں ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان ، ط1، 2014م.
- 46- د: الحسين بنو هاشم، بلاغة الأصول اليونانية، الكتاب الجديد، ط1 ، مارس 2014م.
- 47- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية،(د.ط)، سنة 1981م.
- 48- حمادي صمود، أهم نظريات الحاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس ، كلية الآداب ، منوبة،(د.ط.تا).

## قائمة المصادر والمراجع

- 49- حبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، ط4، سنة 1993م.
- 50- أبو حيان التوحيدى، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ج1، ط1، سنة 2003م.
- 51- د: حافظ إسماعيلي علوى، الحاجاج مفهومه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج1، ج2، ج3، ط(د)، سنة 2010م.
- 52- د: الحسين بواجلابن : تفاعل العلوم الأصلية والدخيلة في مشروع البلاغة العامة للكتور محمد العمري، ضمن البلاغة العامة: حوار المركز والمحيط، سلسلة الترجمة والمعرفة، العدد 5، عالم الكتب الحديث، ط1، سنة 2017م.
- 53- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة 2002م.
- 54- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال، ج1، (د، ط، تا).
- 55- د: خالد حربي، الفكر الفلسفي اليوناني وأثره في الفكر الإسلامي، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، (د، ط)، س 2010م.
- 56- ابن رشد، تلخيص الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، دار العلم، بيروت، (د، ط، تا)،
- 57- رشيد سوسان، آليات وضع المصطلحات وتوليدها لدى الدكتور محمد مفتاح، مكتبة الطالب، وجدة، ط1، سنة 2015م.
- 58- روبيير بلانشي، الاستقراء العلمي والقواعد الطبيعية، ت: محمود اليعقوبي، دار الكتاب الحديث، (د.ط)، 2003م.
- 59- روبيير بلانشي، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، تح: خليل أحمد خليل، مطبوعات الجامعية، الجزائر، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، لبنان، (د.ط) و(د.تا).

## قائمة المصادر والمراجع

- 60-** روبر بلانشي، العقل والخطاب دفاع عن المنطق الفكري، ت: أ، د: محمود يعقوبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (د، ط)، سنة 2009م.
- 61-** رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ت: عمر أركون، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط 1، سنة 2011م.
- 62-** رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى الحجاجية اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة 2014م.
- 63-** رشيد برقان، كيفقرأ البلاغيون العرب المعاصرلون التراث البلاغي؟ نظرات في تاريخ الدكتور محمد العمري للبلاغة العربية، ضمن سلسلة البلاغة العامة: حوار المركز والمحيط دراسات في أعمال الدكتور محمد العمري.
- 64-** ابن رشيق، أبو على الحسن القبرواني الأزدي، العمدة في محسن الشعر وآدابه ، تج: محمد محبي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ج 1، ط 5، سنة 1981 م.
- 65-** زينب عفيفي، فلسفة اللغة عند الفارابي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، سنة 1997م.
- 66-** الزركشي أبو عبد الله بدر الدين، البرهان في علوم القرآن ، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج 2، ط 1، سنة 1957م .
- 67-** محمد بازي، نظرية التأويل التقابلي، دار الأمان، الرباط، ط 1، سنة 2013م.
- 68-** محمد أبو زهرة، الخطابة أصوتها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، مطبعة العلوم بشارع الخليج، ط 1، سنة 1934م.
- 69-** سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني بنية وأساليبه عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، ج 1، ط 1، سنة 2002م.
- 70-** السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي ، مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، سنة 1987م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 71- د : عليوي أباسيدي، الحجاج والتفكير النصي، دار النشر المعرفة، الرباط المغرب، (د، ط)، سنة 2014م.
- 72- سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، بيروت، باريس، ط 1، سنة 1991م.
- 73- د: سمير سعيد الحجازي، النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة، (د، ط)، سنة 2004م.
- 74- ابن سلام الجمحى، طبقات فحول الشعراء، مطبعة بريل، لندن، (د. ط)، سنة 1913، ضمن طبقات الشعراء إعداد لجنة علمية، دار البهجة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د، ط، تا).
- 75- شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر، كلية الآداب والفنون الإنسانية بجامعة منوبة، تونس، ط 1، سنة 2006م.
- 76- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط 9، (د. تا).
- 77- الشهيد مرتضى المطهرى، المنطق، دار الولاء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، تح: الشيخ حسين، ط 02، سنة 1432هـ.
- 78- د: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصرى القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط 1، سنة 2004م.
- 79- د: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، سنة 2013م.
- 80- الصاحب اسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تح: الشيخ محمد الحسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ج 3، ط 1، 1981م.
- 81- طه عبد الرحمن، تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط 2، (د، تا).
- 82- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط 2، سنة 2002م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 83- طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، سنة 1998م.
- 84- القزويني جلال الدين ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، تحرير: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجليل، بيروت، ج3، ط3، (د،تا).
- 85- فان دايك، علم النص، تحرير: د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، سنة 2001 .
- 86- فرانز فان إيمرن، روب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج، المقاربة الذريعة- الجدلية، تحرير: عبدالمجيد حففة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، سنة 2016م.
- 87- ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحرير: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج2، (د،ط)، سنة 1979م.
- 88- الفيروز الأبادي، القاموس الحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ط3، 1301هـ.
- 89- فرنير روبير، الأدب اليوناني، تحرير: هنري زغيب، منشورات العويدات، بيروت، باريس، ط1، سنة 1983م.
- 90- فيليب بروتون، جيل جوتنيه، تاريخ نظريات الحجاج، تحرير: محمد ناجي صالح العامدي، مركز النشر العلمي، جدة، السعودية، ط1، 2011م.
- 91- عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، (د.ط) سنة 1999م.
- 92- أبو عبيدة التميمي، مجاز القرآن، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج1، (د.ط.تا).
- 93- د. عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، سنة 2013م.
- 94- علي حرب، نقد النص (النص والحقيقة)، المركز الثقافي العربي، ط2، سنة 1995م.
- 95- علي سلوم، بلاغة العرب، نشأتها تطورها، علومها دار الموسى للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، سنة 2004م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 96- علي مهدي زيتون، "إعجاز القرآن وأثرها في تطوير النقد الأدبي"، دار المشرق، ط1، سنة 1992م.
- 97- د: علي شعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الأشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2010م .
- 98- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تتح: أبو الفهر محمود محمد شاكر، دار المدين بجدة، ط01، سنة 1991م.
- 99- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،مطبعة المدين المؤسسة السعودية، تتح: أبو فهر محمود محمد، شاكر، مصر، ط3، سنة 1992م.
- 100- د: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف ، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، سنة 2013م.
- 101- د: عقيل حسين عقيل ، منطق الحوار بين الأنما والأخر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، سنة 2003م،
- 102- د: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، سنة 2012م.
- 103- العسكري، أبو هلال حسن بن عبد الله، الصناعتين، تتح: علي محمد البحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، (د، ط)، سنة 1419 م .
- 104- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية ضمن المقدمة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2001م.
- 105- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيليانى للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2011م.
- 106- عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، ط1، (د، تا).

## قائمة المصادر والمراجع

- 107- عبد الفتاح محمد العيساوي، عبد الرحمن محمد العيساوي، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية، (د.ط)، سنة 1996م .
- 108- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، الكتاب الجديد، ط 01، سنة 2004م.
- 109- د: عبد الحكيم راضي، من آفاق الفكر البلاغي عند العرب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، سنة 2006م.
- 110- العروي عبد الله، مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط 3، سنة 2001 م.
- 111- د: عمارة ناصر، الهرميونطيقا والحجاج، مقاربة لتأويلية بول ريكو، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، سنة 2014م.
- 112- د: عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة" مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفى" ،الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت لبنان منشورات الاختلاف الجزائر، ط 1، سنة 2009م.
- 113- د: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، سنة 2013م.
- 114- د: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، سنة 2013م.
- 115- قصي الحسن، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ط)، 2008م.
- 116- القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، المكتبة العصرية، لبنان، ط 1، سنة 2006م.
- 117- ابن المعتر عبد الله، البديع، دار المسيرة، بيروت، ط 03، (د.تا).
- 81- محمد صايل حمدان عبد المعطي نمر موسى، معاذ السرطاوي، قضايا النقد القديم، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، سنة 1990م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 82- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب، القاهرة، ط1، سنة 2005م.
- 83- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي حتى القرن الرابع، منشأة المعارف الإسكندرية(د.ط،تا).
- 84- محمد النويري، علم الكلام والنظرية البلاغية، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، سfaxس، ط 1، سنة 2001.
- 85- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، ط 2، (د.تا).
- 86- محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق المغرب، (د.ط)، سنة 1992م.
- 87- د: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 2، سنة 2012.
- 88- د: محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة ، إفريقيا الشرق، المغرب، (د،ط)، 2013م
- 89- د: محمد العمري، دائرة الحوار ومزالق العنف، إفريقيا الشرق، (د،ط)، 2002م.
- 90- محمد أركون، تارikhية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء القومي لنرمز الثقافي العربي، ت: هائم صالح، ط 2، سنة 1996م.
- 91- محمد أركون، الفكر العربي، ت: عادل العوّ، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط 3، سنة 1985.
- 92- محمد أركون، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، (د،ط)، سنة 2001م.
- 93- أ، د: محمد بن علي الصامل، قضايا المصطلح البلاغي، كثرته تعدد اشتراكه صياغته، كنوز اشبيليا، رياض، ط 1، سنة 2007م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 94- محمود جديدي ، الفلسفة الإغريقية، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة الجزائر، بيروت لبنان، ط1، سنة 2009م.
- 95- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسة البلاغية المنطقية واللسانية، دار الثقافة، دار البيضاء، ط1، سنة 2005م.
- 96- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، سنة 2000م.
- 97- محمد يوسف موسى، الرسالة للإمام الشافعي الهيئة المصرية العامة للكتاب مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، سنة 1995م.
- 98- محمد الشطوطى، النظرية المنطقية عند الشيخ الرئيس، ابن سينا، دار صقيلة، دار قرطبة، ط1، سنة 2007م.
- 99- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2008م.
- 100- د: محمد صقر خفاجة، الأدب اليوناني، مكتبة النهضة، المصرية، (د، ط)، سنة 1956م.
- 101- محمد سبيلا، وعبد السلام بن عبد العالى، الحقيقة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، سنة 2005م.
- 102- المبرد أبو العباس، الكامل في اللغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ج3، ط3، سنة 1997م.
- 103- د: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، كنوز المعرفة، ط1، سنة 2017م.
- 104- محمد مشبال، البلاغة والخطاب، منشورات الاختلاف، منشورات الضفاف، دار الأمان، الرباط، ط1، سنة 2014م.
- 105- د: محمد مشبال، الحجاج والتأويل، في النص السردي عند الجاحظ، المقدمة، دار محمد الحامي، ط1، سنة 2015م

## قائمة المصادر والمراجع

- 106- محمود سعد مباحث البيان عند الأصوليين والبلغيين، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د، ط، تا).
- 107- محمد شوقي الزين، تأويلاً وتفكيكات فضول في الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط: 1، سنة 2002م.
- 108- د: محمد عبد منعم خفاجي، د: عبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل بيروت، ط1، سنة 1992م.
- 109- مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، (د.ط) و(د.تا).
- 110- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة ، ط جديدة، (د.تا).
- 111- نصر حامد أبو زيد إشكاليات القراءة وآليات التأويل المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط5، سنة 2005م.
- 112- نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المحاذ في القرآن عند المعتزلة، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، ط6، سنة 2007م.
- 113- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، ط1، سنة 1320هـ.
- 114- الكسندراء غيتاتوفا، علم المنطق، تح: التعديلات، دار التقدم الاتحاد السوفيافي، (د.ط)، سنة 1999م.
- 115- كريستيان بلانتان، الحجاج، ت: عبد القادر المهربي، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د، ط)، سنة 2008م.
- 116- د: كلود يونان، التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي، دار النهضة العربية، ط1، سنة 2011م.
- 117- الكاتب البخخي الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، (د، ط، تا).

## قائمة المصادر والمراجع

- 118- وولتر ستيسن، تاريخ الفلسفة اليونانية، ت:مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د،ط)، سنة 1984م.
- 119- ابن وهب، أبو حسن إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تج:د حنفي محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، (د.ط)، سنة 1969م.
- 120- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د،ط)، سنة 2012م.
- 121- د: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب الناطق العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، سنة 2008م.
- د: حافظ إسماعيلي علوى، الحجاج مفهومه ومحالاته، ابن نديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروايد الثقافية ناشرون، لبنان، ط1، س2013م، ج1، ج3، ج4.
- د: حافظ إسماعيلي علوى، الحجاج مفهومه ومحالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، سنة 2010م، ج2.

### المجلات:

- 1-أحبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي "ضمن مجلة عالم الفكر، العدد 1، المجلد 3، يونيو، سبتمبر 2001م.
- 2-مجلة الشبكة التربوية الشاملة،" دروس الحجاج وما يعارضها هذا النص: الفلسفية بعلم أبو الزهراء، سنة 2008م.
- 3- د: الحسن بواجلابن، تفاعل العلوم الأصلية والدخيلة في مشروع البلاغة العامة للكتور محمد العمري، ضمن البلاغة العامة حوار المركز دراسات في أعمال الدكتور محمد العمري، سلسلة الترجمة والمعرفة العدد 5، عالم الكتاب الحديث، ط1، 2017م.
- 4- محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشایم بيرمان، عالم الفكر، المجلد 40، الكويت، سنة 2011م.

## قائمة المصادر والمراجع

---

المراجع الأجنبية:

- 1-Chaïm Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca , Traite deL'argumentation La nouvelle Rhetorique , edition de l'université de Bruxéllles,Beljique, 5em edition,2000 .
- 2-Olivier Reboul, Introduction à la rhétorique, théorie et pratique, édition Quadrige, France, 1re édition,1991.
- 3-Jean-Jacques robirieux, Rhétoriques et argumentation, Armand colin 3édition, -L'arousse 2016,France.

# **فهرس الموضوعات**

## فهرس الموضوعات

أ.....	مقدمة .....
<b>المدخل: الجذور اليونانية للبلاغة الجديدة</b>	
02 .....	1-البلاغة في الفكر اليوناني القديم.....
02 .....	1-1-ظروف النشأة والمبررات .....
03 .....	2- نشأة الخطابة في أحضان القضاء.....
06 .....	3-بلاغة الخطاب عند السوفطائيين .....
13 .....	2-تطور الفكر البلاغي عند اليونان .....
13 .....	1-2-التصور الأخلاقي لبلاغة الخطاب الحجاجي .....
18 .....	2-2-مرحلة تأسيس بلاغة الخطاب عند اليونان.....
19 .....	1-2-2-مفهوم الخطابة عند أرسطو .....
23 .....	2-2-2-عناصر بناء الخطابة الأرسطية:.....
30 .....	2-3-الحجاج الخطابي والحجاج الجدلي .....
31 .....	3-مرحلة تدهور وانحطاط البلاغة .....

### **الفصل الأول: البلاغة الجديدة عند "بيرمان" المفهوم، والبناء"**

35 .....	البلاغة الجديدة:.....
35 .....	1-ظروف انبعاث البلاغة من جديد:.....
42 .....	2-مفهوم البلاغة الجديدة .....
43 .....	2-1-علاقة الحجاج بالبلاغة الجديدة: .....
46 .....	3- بلاغة "شاييم بيرمان":(chaime Perlman):.....
48 .....	1-3-مفهوم الحجاج عند "بيرمان":.....

50 .....	3-2- منطلقات البلاغة الجديدة عند "بيرمان":
52 .....	3-3- التصورات الجديدة لبلاغة "بيرمان":
56 .....	3-4- مقاصد البلاغة الجديدة :
63 .....	4- مقومات الحجاج:
72 .....	1-4- بنية ومكونات الحجاج عند بيرمان:
.....	2-4- تقنيات الحجاج .....
.....	3-4- طرائق تقنيات الحجاج .....
.....	4-3-1- الحجج القائمة على الوصل أو الاتصالية .....
.....	4-3-2- الحجج القائمة على العدل والتبادل .....
.....	4-3-3- حجج مؤسسة على بنية الواقع
.....	4-3-4- حجج مؤسسة لبنية الواقع

.....	4-3-5- حجج الفصل والوصل
104 .....	خاتمة الفصل الأول:.....

## **الفصل الثاني: حضور آليات الحجاج في التراث البلاغي العربي**

106 .....	1- قراءة عامة للبلاغة العربية القديمة : .....
106 .....	1-1- الخلفية الحجاجية لتأسيس علوم البلاغة العربية القديمة: .....
.....	1-2- علماء الأصول والتأصيل للفكر الحجاجي
.....	1-3- أثر الفكر الفلسفى فى انتشار الخطاب الحجاجى
117 .....	2- المصطلح الحجاجي في التراث البلاغي العربي بين الضبط والاضطراب : .....
117 .....	2-1- عوامل اضطراب المصطلح الحجاجي: .....

2-2-مفهوم المصطلح الحجاجي في الفكر العربي القديم: ..... 119	.....
2-3-المفهوم الاصطلاحي للحجاج في الموروث البلاغي العربي: .....	.....
2-3-1 مفهوم الخطاب في البلاغة العربية القديمة: .....	.....
126 ..... 2-3-2-تقارب مفهوم فن الخطابة العربية من مفهوم الخطابة اليونانية "الريطوريقى":.....	.....
127 ..... 2-3-3-تشابه أطر اشتغال البلاغة العربية مع البلاغة الجديدة:.....	.....
129 ..... 3-الإقناع من أساسيات البناء الفكري للبلاغة العربية:.....	.....
129 ..... 3-1-مفهوم الإقناع في الخطاب البلاغي العربي: .....	.....
130 ..... 3-2-الدور الإقناعي للبيان: .....	.....
136 ..... 4-أطراف العملية الحجاجية في التفكير البلاغي العربي:.....	.....
..... 4-1-المخاطب، المتكلم "المجاجع"	.....
..... 4-2-المخاطب، المتلقي "المستمع"	.....
..... 4-3-الخطاب الحجاجي	.....
5- آلية الاستدلال في الخطاب البلاغي العربي:..... 142	.....
5-1-المفهوم الإجرائي لآلية الاستدلال عند الجاحظ:..... 144	.....
5-2-فاعلية آلية الاستدلال في مشروع ابن وهب البياني:..... 146	.....
6-عناصر تشكيل الخطاب البلاغي وأثرها في تحقيق الإقناع..... 149	.....
..... 6-1-ثنائية اللفظ والمعنى .....	.....
..... 6-2-التأويل والحجاج .....	.....
..... 6-3-الحجاج بين الحقيقة والمحاجز .....	.....
6-4-أنواع الدلالة وأثرها الحجاجي .. 167 :.....	.....
..... 6-5-الإقناع والتخيل بين "الصدق والكذب" .....	.....
..... 6-6-الفصل والوصل الحجاجي .....	.....

178 .....	خاتمة الفصل الثاني: .....
<b>الفصل الثالث: موقع البلاغة العربية المعاصرة من البلاغة الجديدة</b>	
180 .....	واقع المشهد البلاغي العربي المعاصر: .....
182 .....	تيارات البلاغة العربية المعاصرة: .....
.....	1- تلقي البلاغة العربية المعاصرة للبلاغة الجديدة .....
.....	1-1 - ترجمة منجز البلاغة الجديدة: .....
.....	1-1-1 - المصطلح الحجاجي بين الضبط والاضطراب .....
.....	1-1-2 - أسباب الاضطراب الاصطلاحى الحجاجي .....
.....	1-1-3 - تحديات صناعة المصطلح البلاغي الجديد .....
.....	1-1-4 - نماذج من المصطلحات الحجاجية التي تعاني الاضطراب .....
.....	1-2 - نماذج من ترجمة المنجز البلاغي الغربي الجديد .....
.....	1-3 - قراءة وتحليل المنجز الغربي في البلاغة الجديدة .....
219 .....	2-اقتراض الآليات والممارسة الإجرائية: .....
220 .....	2-1-المراس على الخطاب العربي: .....
236 .....	2-3-البلاغة العربية المعاصرة بين المزاوجة والتجديد .....
237 .....	3-1-نمو الوعي الحجاجي لدى البلاغيين العرب .....
240 .....	3-2-نحو بلاغة عربية حجاجية معاصرة .....
241 .....	3-2-1-رؤيه جديدة في تاريخ البلاغة العربية .....
246 .....	3-2-2-رؤيه جديدة في التنظير البلاغي العربي .....
251 .....	4- من آفاق الفكر البلاغي العربي المعاصر .....
254 .....	خاتمة الفصل الثالث .....
257 .....	خاتمة .....

**المصادر والمراجع ..... 262**

**فهرس الموضوعات**

ملخص:

تتناول هذه الرسالة الموسومة بـ "حضور البلاغة الجديدة في البلاغة العربية قراءة مقارنة بين الآليات والإجراء" دراسة حضور الآليات الحجاجية في البلاغة العربية على ضوء البلاغة الجديدة، وهذا يتبع الأصول المعرفية لنظرية الحجاج والوقوف على جهود "بيرلمن" في إحياء البلاغة وبعثها في صورة جديدة تتناسب ومعطيات عصر النهضة، وانطلاقاً من بلاغة "بيرلمن" تم البحث عن الآليات الحجاجية ضمن البلاغة العربية القديمة، بالتنقيب على المقاصد الحجاجية ودرجة الاعتناء بها، وكذا طريقة توظيف الآليات الحجاجية وكيفية اشتغالها، ليتبين بعد استقراء المنجز البلاغي العربي المعاصر أنها لا تزال في إطار التكوين تتجاذبها من جهة معطيات تراثية ومن جهة أخرى عناصر البلاغة الغربية الجديدة، وإن كان ذلك يعسر عملية البحث إلا أنه يعطي للبلاغة العربية المعاصرة ميزة خاصة، تفتح أمامها آفاقاً رائدة وطموحة في البحث، قد تسفر على نتائج باهرة تنهض بالبلاغة العربية وتعيد لها دورها الحضاري الذي طالما شغلته خلال ماضيها العريق.

#### Résumé:

Cette thèse, intitulée "La présence de nouvelles rhétoriques dans la rhétorique arabe, une lecture comparée des mécanismes et de la procédure", examine la présence des mécanismes argumentative dans la rhétorique arabe à la lumière de la nouvelle rhétorique . Elle reprend les atouts de la théorie des arguments sur la théorie et reposera sur les efforts de Perleman pour faire revivre la théorie. Et les données de la Renaissance, et basées sur la rhétorique de "Perleman", ont recherché les mécanismes de l'argumentation dans la rhétorique arabe ancienne, en recherchant les buts de l'argumentation et poursuivre son parcours, ainsi que la méthode d'utilisation des mécanismes de l'argumentation et leur fonctionnement, La rhétorique arabe contemporaine présente un avantage particulier, qui ouvre des horizons de recherche ambitieux, qui peuvent produire des résultats remarquables qui renforcent le ton de la rhétorique arabe et de restaurer le rôle de la civilisation, qui a longtemps occupé pendant son passé antique .